شؤون فلسطينية

١٩٤ أيار (مايو) ١٩٨٩

شؤون فلسطينية ١٩٤ أيار (مايو) ١٩٨٩

شؤون فلسطينية

١٩٤ أيار (مايو) ١٩٨٩

شَهريَّة فِكريَّة لمعَالجة أحدَاث القضيَّة الفلسطينية وشؤونهَا المختَلفة
تَصدُر عَن مَركَز الأبحاث في منظمَة التحْرير الفلسطينيَّة

المحتويات

٣ الانتفاضة في اطارها الاستراتيجي ..... د. هيثم الكيلاني
١٧ الانتخابات وحدود مساومة الأطراف ..... ربعي المدهون
٢٦ الصهيونية والهاجس الديمغرافي ..... د. محمود محارب
٤٨ الابعاد الاستراتيجية والتكنولوجية للقمر الاصطناعي الاسرائيلي ..... هشام فهيم
٦١ المأزق الوجودي الاسرائيلي ..... عماد شعيبي
٧٣ سيغموند فرويد والصهيونية ..... د. قدري حفني

تقارير

٨٢ الذكرى الثالثة عشرة لـ «يوم الأرض» البركان الفلسطيني مهيّأ للانفجار ..... صلاح عبدالله
٨٩ «مؤتمر التضامن اليهودي»: أزمة اسرائيل يهودية ..... محمد عبدالرحمن
٩٥ الشؤون العسكرية الاسرائيلية ..... د. يزيد صايغ

مراجعات

١٠٠ اللوبي اليهودي الاميركي والولاء المزدوج ..... د. نبيل حيدري

شهريات

١٠٧ المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً: موقف مشروط من الانتخابات ..... سميح شبيب
١١٠ المقاومة الفلسطينية ـ عربياً: نشاط عربي في اتجاهين ..... أحمد شاهين
١١٦ المقاومة الفلسطينية ـ دولياً: امتحان المصداقية الاميركية ..... ن. ح.
١٢١ المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً: الانتفاضة توسّع نطاق سيطرتها ..... ي. ص.

١٢٦ اسرائيليات:
الطروحات الاسرائيلية للتسوية ..... مها بسطامي
١٣٣ المناطق المحتلة:
نحالين بين مذبحتين ..... ر. م.

وثائق
١٣٨ **م.ت.ف: مشروع شامير مناورة**
١٣٩ **عرفات: الانتفاضة سلّحتنا بالجرأة لاطلاق مبادرة السلام الفلسطينية**

يوميات
١٤٨ **موجز الوقائع الفلسطينية من ١٦/٣/١٩٨٩ الى ١٥/٤/١٩٨٩**

بيبليوغرافيا
١٨١ **القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي** ..... اعداد: ماجد الزبيدي

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين للفنان **محمد بشناق**

الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها؛ ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين

ISSN 0258 - 4026

المدير العام : **صبري جريس** مدير التحرير : **محمود الخطيب**

المراسلات
Al-Abhath Publishing Co. Ltd
92 Gregoris Afxentiou Street
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus
Tel 461140, Fax 459729, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

الاشتراك السنوي
[بريد سطحي] في الدول العربية واوروبا ـ للأفراد ٤٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٥٠ دولاراً (يضاف ٣٠ دولاراً للبريد الجوي) □ في باقي دول العالم ـ للأفراد ٥٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٦٠ دولاراً (يضاف ٥٠ دولاراً للبريد الجوي)

الانتفاضة في إطارها الاستراتيجي

د. هيثم الكيلاني

انقضت أربعة عقود من الزمن منذ النكبة، ولا يزال التفوّق العسكري الاسرائيلي، وتهديده القومي العربي، كما كانا منذ ذلك الحين، بل انهما ازدادا تفاقماً وخطراً، إذا ما أخذنا في الحسبان امتلاك اسرائيل السلاح النووي.

وفي غضون هذه المدة، التي اختلّ فيها ميزان القوى لمصلحة العدو وحلفائه، شهدنا تراجع الهدف الاستراتيجي العربي الذي حملت لواءه أول قيادة عسكرية عربية تأسست في أيار (مايو) ١٩٤٨، اذ كان الهدف، يومذاك، تحرير فلسطين كلها، ثمّ تراجع حتى تجسّد في تحرير الارض المحتلة في حرب العام ١٩٦٧، ثمّ بلغ به الامر، حيناً من الاحيان، ان يكتفي بمنع اسرائيل من احتلال أرض جديدة، في حرب جديدة محتملة. وهو يدخل، اليوم، في دوّامة شعارها «الارض مقابل السلام»؛ وهو شعار ذو مغزى جدّ هام، يعني، من بين ما يعنيه، اننا نحن العرب نملك السلام ونمسك بأزمته بين أيدينا، في حين ان اسرائيل تملك الارض. وكم يبدو هذا الشعار متناقضاً متهافتاً، حينما تكشف وقائع أربعة عقود من الصراع المسلّح ان اسرائيل هي التي تدفع المنطقة الى الحرب، لتحتل الارض ثمّ تملكها وتضمّها اليها بقوة السلاح، حتى بدا العرب وكأنهم غير قادرين على السلام، وعلى استرداد ما سلب من أرضهم.

وفي غضون تلك المدة، وبخاصة منذ العام ١٩٦٥ حتى أواخر العام ١٩٨٧ حين نشبت الانتفاضة، مرّت الثورة الفلسطينية بمراحل عدّة، جسّدت أشكال الكفاح الميداني في مقارعة العدو الاسرائيلي، وحدّدت مواقعه، كانت آخرها مرحلة الانكفاء التي تلت حرب العام ١٩٨٢.

واذا ما طبّقنا المقاييس التي أدّت الى تقسيم عمليات المقاومة الفلسطينية ومناشطها الى تلك المراحل، وهي في موجزها: أنواع العمليات وأشكالها، والقوى المشتركة فيها، ووسائلها، وأهدافها، ومواقعها، والنتائج التي وصلت اليها، اذا ما طبّقنا هذه المقاييس على الانتفاضة، يمكن القول ان مرحلة جديدة، هي المرحلة السابعة، قد بدأت في ١٩٨٨/١٢/٩، ولها صفاتها ومعالمها ووسائلها وأشكالها ومواقعها التي تميّزها عن المراحل السابقة.

وكان العمل الفلسطيني، في اثر حرب العام ١٩٨٢، وضمور نشاط المقاومة، وتضييق مجال حركتها، وتوزّع قواتها على عدة مناطق تمركز متباعدة، ولا حدود مشتركة لها مع فلسطين المحتلة، قد مال، في مرحلة الانكفاء، نحو الساحة الدبلوماسية العربية، والدولية، التي أخذت القضية تستقرّ وتجمّد في محافلها، كما مال نحو توسيع شبكة علاقاته ليستفيد منها في تحقيق أهدافه.

لقد تراكمت مؤشرات الى ان قضية فلسطين والاراضي المحتلة قد هدأ غبارها، وثلم سيفها،

فلم تعد تنطوي على أي خطر، أو تهديد، وبخاصة بعد ان ضمر العمل العسكري الفلسطيني المقاد من الخارج. وهو ضمور تضافرت على تحقيقه عوامل جغرافية وسياسية.

ولقد دلّت تجارب العمليات العسكرية المحدودة المقبلة من الخارج طوال تلك المدة، والتي مثّلت النمط الراهن من الخيار العسكري الفلسطيني، على ان تأثيرها محدود، وان اسرائيل قادرة على استيعابها وتحمّل آثارها، ونقل صورتها الى الرأي العام على انها أعمال «ارهابية»، وتدخل في دائرة الارهاب الذي دانته الامم المتحدة.

وعلى الصعيد الدولي، عطّل التحالف الاستراتيجي الاميركي ـ الاسرائيلي أي مسعى الى السلام والحلّ العادل. وظهرت آثار الانفراج الدولي بين الدولتين العظميين لتمدّ ظلالها الى الأزمات والنزاعات الاقليمية، وفق توازن المصالح المتبادلة.

في هذه البيئة الفلسطينية، والعربية، والدولية، ولدت انتفاضة الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة العام ١٩٦٧. وقد جاءت ردّة فعل على مأساة الموقف العربي، بركوده وتشتّت أطرافه الفاعلة، وعلى غياب أي احتمال لعمل عسكري عربي، من جهة، وأي حل سياسي معقول ومقبول، من جهة أخرى.

وعلى خارطة الظروف السائدة في الوطن العربي، تبدو الانتفاضة وكأنها المبادرة العربية الوحيدة القادرة على التأثير في اسرائيل والبيئة الدولية المحيطة بالقضية الفلسطينية بشكل عام. ويبدو، أيضاً، ان أية مبادرة، أو منشط عربي، في شأن القضية سيكون انعكاساً للمبادرة، او مستنداً اليها، وان أي عامل آخر، سواء أسياسياً كان أو عسكرياً أو اقتصادياً أو دبلوماسياً، لن يكون، في أحسن حال، أكثر من رافد للانتفاضة على مختلف الصعد، ليستطيع، من بعد، توظيفها في خدمة الهدف السياسي.

استراتيجية الفقير

وتتّبع الانتفاضة استراتيجية الفقير في مواجهة استراتيجية الجبروت التي ينفّذها العدو الاسرائيلي. وجوهر الاستراتيجية الأولى الديمومة، واستخدام الزمن لاستنفاد قوات الجبروت، وامتصاص طاقاته، واحلال التعب في قواه. ولا تعني استراتيجية الفقير ان لا تصعّد الانتفاضة مقاومتها الى عتبة أسلحة وطرائق جديدة، هي قادرة على استعمالها في اطار تحمّل نتائج ذلك الاستعمال، مع الاستمرار في الديمومة حتى بلوغ الهدف.

غير ان التصاعد في سلّم عمليات المواجهة، والتصعيد في استعمال الأسلحة والطرائق وتنويعها، لا تجوز ممارستهما، الّا اذا توافرت الشروط والعوامل الكافية لأن يصبحا حداً لا يجوز النزول دونه. وفي غير هذا الحال، تقع المقاومة في شرك الاغراء والغرور، وهو ما تفادته الانتفاضة حتى اليوم، فلم تقع في ما يتمنّى العدوّ ان تقع فيه.

وقد يدعو البعض الى ان تصعد الانتفاضة درجة في المقاومة، تنظيماً وأسلوباً وسلاحاً، حتى تتوفّر لها القدرة على التركيز في مكان ما، أو موقعة ما. وليس مهمّاً ان يتحقق هذا التركيز على حساب أمكنة، أو مواقع، أخرى.

هذه فكرة يسعى اصحابها الى تصليب عود الانتفاضة، حتى تبلغ حدّ القدرة على الحسم في مكان ما، أو موقعة ما. وفي ذلك استقطاب محيّر لقوى العدو، فلا يعرف أين ستكون المعركة، ولا

كيف سيكون الحسم.

وحتى نضع الامر في نصابه، نعود الى استراتيجية الفقير في الانتفاضة، والتي جوهرها الحركة الدائمة، في كل مكان وكل زمان، حتى يضطر العدو الى ان يكون موجوداً دائماً، في كل مكان وكل زمان. هذا هو عامل الديمومة الذي أشرنا اليه، وفيه تتفتّح شرايين استنزاف العدو وتهدر طاقاته. ولقد أثبتت وقائع ثورات التحرير الوطني ان الجبروت وقواته المسلّحة هي التي تتعب وتنهك في نهاية المطاف، وان النصر سيكون لمن صبر وصابر، وجعل الصراع ضد العدوّ سجالاً لا تهدأ الحركة فيه، دون حساب للخسائر والارباح. تلك هي استراتيجية الفقير، في مواجهة استراتيجية الجبروت.

ان مخرجات الصراع بين استراتيجية الفقير، أي الانتفاضة، وبين استراتيجية الجبروت، أي قوة الاحتلال الاسرائيلي، يصعب تحديدها بالحسم في مواضع المواجهة، وانما هي نسيج عناصر معقّدة عدّة، أولها ذلك السجال في ساحات الصراع التي حددتها الانتفاضة في مرحلتها الراهنة، وثانيها التنظيم الشعبي الذي يغذّي السجال بالاطارات المناضلة المنضبطة، وثالثها التعبئة المادية التي تمدّ الانتفاضة بنسغ الحياة اليومية حتى تعيش لتقاتل، ورابعها القيادة التي لا تغيب عن الهدف ولا تُغيّبه، والقادرة على التعامل مع ميزان القوى في كل زمان ومكان.

وحتى تدوم الانتفاضة فاعلة الى يوم بلوغها هدفها، لا بدّ لها من ان تحقق مبدأ الكفاية الذاتية، وبخاصة في المواد الاولية. ويستند هذا المبدأ الى ما تتمتع به أية حركة نضال شعبية من ابداع وقدرات خلّاقة منتجة، فتوفّر لنفسها عوامل الديمومة، وبخاصة في حالة ضمور العلاقة مع الخارج، ونقص الواردات، وشحّ شرايين الاتصال والامداد والتموين.

وعلى هذا، لا مندوحة من ان توفّر القيادات المسؤولة للانتفاضة عامل المناعة ضد الزوال. فان تطلّبت الظروف الانكماش والضمور، حتى الغياب الموقّت، فان عوامل الانطلاق ثانية ينبغي ان تكون كامنة متحفزة.

ومن عوامل الديمومة ان تكون لدى قيادة الانتفاضة رؤية ادراكية للذات، ولقدرات الذات، ولما ليست الذات قادرة عليه، وللعدو وقدراته، وما هو ليس بقادر عليه، وللقدرات العربية، والعالم ومعطياته، وبخاصة ميزان القوى، فهو الاساس، وهو المعيار، وهو الذي يقدّم ويؤخّر، ويطوي وينشر؛ والهدف، دائماً، هو تغيير هذا الميزان، حتى تشال كفة العدو شيئاً فشيئاً، وترجح كفّة الانتفاضة، شيئاً فشيئاً.

ان المنهل الثرّ الذي تستمد منه الانتفاضة طاقتها على الديمومة يتجسّد في ارادة رفض الاحتلال، وفي تجارب المقاومة على مدى عقدين ونيّف من السنين، التي أفرزت بنى تنظيمية داخلية، حاولت اسرائيل، مراراً، اكتشافها وتحطيمها. كما تستمد الانتفاضة استمراريتها من النسيج البشري الذي يكوّنها؛ فقد انتقل جسم النضال من الفئات الوسطى الى الفئات الشعبية، ومن جيل الكهول الى جيل الشباب.

وهذا الانتقال في جسم النضال وفّر للانتفاضة عامل الجدية والاستمرارية. فجيل الشباب، وقد حاصرته ظروف الاحتلال والطرد والسجن والاعتقال والقتل، لم يعد له ما يفعله سوى البطالة ومحنتها ونتائجها. وقد أدّى ذلك، كلّه، الى ان يصبح هذا الجيل، الذي ولد في ظل الاحتلال، وشكّل أكثر من ٧٠ بالمئة من فلسطينيي الارض المحتلة، متفرغاً للانتفاضة، مهما طال زمنها واشتدت معاناتها.

فليس عنده ما يفقده تجاه الاحتلال، بعد ان سلبه هذا الاحتلال أرضه، ووطنه، وعمله، ومستقبله.

غير ان هذا التركيز الذي نسوقه على استمرارية الانتفاضة لا يعني اننا ازاء خاصّية حتميّة لا انتكاس لها. ذلك ان عوامل الانقطاع في مسيرة الانتفاضة موجودة وكامنة، بعضها ذاتي، وبعضها الآخر موضوعي. وقسم منها نحن مصدره، وقسم ثان يأتي من العدو. وما تقدمه خارطة الانتفاضة، في هذا اليوم، تجعل الغلبة لعوامل الديمومة على عوامل الانقطاع، أو الغياب.

ويمكن القول ان الانتفاضة تستطيع بلوغ غايتها عندما يتمّ في سياق استمراريتها انجاز عمليتين:

الاولى: هي شلّ جهاز القمع الاسرائيلي في الارض المحتلة، بحيث يغدو القمع غير مجدٍ، ويغدو استنفاد طاقة الانتفاضة خارج اطار قدرة العدو.

والثانية: هي شرخ القيادة السياسية العسكرية الحاكمة في اسرائيل، وانضاج أزمتها الى الحدّ الذي يصبح فيه تجاوز الازمة مشروطاً بالتسليم بمطالب الانتفاضة.

واذا ما أردنا ان نرصد الخطوط البيانية للمتغيّرات الظاهرة، اليوم، على الساحتين، الفلسطينية والعربية، والساحات الاسرائيلية والاميركية والدولية، فاننا واجدون ان العمليتين اللتين أشرنا اليهما لم تبلغا، بعد، غاياتهما، وان كانت المسيرة نحو تلك الغايات ناشطة وواضحة.

فشـلّ جهاز القمع لا يزال غاية بعيدة، ذلك ان اسرائيل لا تزال تتحمّل تجميد شطر هام من جيشهـا في ساحة الانتفاضة. غير ان صدمة نفسانية أخذت تهزّ بعض قادة الجيش وجنوده من القوات الاحتياطية. وأجهزة الاعلام الاسرائيلية صوّرت ملامح من تلك الصدمة.

وتجدر الاشارة، هنا، الى ان هذه الظاهرة، مع ضرورة أخذها بالاعتبار، لا يجوز أخذها قاعدة، او تعميمها كمُسلّمة. ذلك ان الواقع اليومي الذي تشهده الارض المحتلة يقدّم فيضاً غنياً من الوقائع والأدلّة التي تثبت وحشية الجيش الاسرائيلي ولاانسانيّته.

فاذا انتقلنا، الآن، الى العملية الثانية، وهي شرخ القيادة السياسية العسكرية وانضاج أزمتها، نجد ان أقصى ما بلغته تلك القيادة، على درب التسوية، لا يتجاوز دائرة الحكم الذاتي، وما يزيّن تلك الدائرة من اضافات وتمويهات.

الثورة الفريدة

تكـاد الثورة الفلسطينية تكون فريدة في نوعها بين ثورات التحرّر الوطني في التاريخ المعاصر. وتـأتي فرادتها من خاصّيات اختصت بها دون غيرها من ثورات التحرر الوطني، وفي مقدمها تلك الخاصية التي لازمت الثورة الفلسطينية منذ انطلاقها في مطلع العام ١٩٦٥، وهي ان الثورة، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، نمت في خارج الارض المحتلة، أي انها لم تنمُ وتكبر على الارض ذاتها حيث يوجد العدو. وهكذا كانت الثورة خارج حدود الارض المحتلة، لتكبر في «بيئة فلسطينية ـ عربية»، أي في الرحم القومي، ولتعمل للعودة الى أرضها. وما بين «التهجير» الواقع و«العودة» المنشودة، قطعت الثورة مسيرة عمرها ثلاثة وعشرون عاماً، وهي تناضل ما وسعها النضال، الذي كانت خطوطه البيانية تصعد الى الذروة حيناً، وتنخفض حيناً آخر، مرتبطة ومتأثرة بعوامل فلسطينية وعربية واسرائيلية ودولية.

ولقد جاءت الانتفاضة لتخطّ بدء مرحلة جديدة في حياة الثورة، حينما شطبت هذا التناقض بين «الهجرة» الواقعة و«العودة» المنشودة، فوصلت، بالثورة، الداخل بالخارج، ومحت الحدود بينهما، واثبتت وحدة الشعب الفلسطيني الموزّع بين الارض المحتلة والشتات، بمثل ما رسّخت وحدة نضاله وأهـدافه. وأكدت، في الوقت ذاته، وحدة قيادته. كما أثبتت ان أرض فلسطين هي الميدان الرئيس والطبيعي للصدام مع العدو. وحينما عادت الامور الى طبيعتها، توافرت الشروط الكافية واللازمة للعمل التحرري النضالي. وكان بديهياً ان تحرز الانتفاضة مكاسب، طالما انها تولد وتعيش في بيئتها الطبيعية.

وكـانت الثورة، طوال مدة هجرتها القسرية، مرّت بتجارب قاسية، امتزجت فيها قومية المعركة بمسؤولية الشعب الفلسطيني وقيادته في تحرير الوطن المحتل. وقد أبرزت تلك التجارب غلبة منطق الدولة على منطق الثورة في أغلب الاحيان. ذلك ان منطق الدولة يعتمد نظريات توازن القوى، ومنطق الثورة يستند الى ارادة تغيير ميزان القوى، من خلال استخدام امكانات وتفجير طاقات لا تقدر الّا الثورة على استخدامها وتفجيرها وتوظيفها لاحداث ذلك التغيير. ولقد وعت القوى الفلسطينية هذه المقولة بعد سنوات طويلة من التجارب والمعاناة.

غير ان الثورة الفلسطينية محكومة بعلاقة قومية لافكاك لها منها. وقد أدّى منطق الدولة وقومية القضية الى نشوء تناقضات شدّت حركة التحرير الفلسطينية الى قطبين جدّ متباعدين، احدهما يؤدي الى انكماش الحركة وضياع حقها في القرار، وثانيهما يجعل الحركة قطرية.

ولسنا نظن ان حركة التحرير الفلسطينية ترضى لنفسها بأن تتحلق حول احد هذين القطبين. ولنا ان نتطلع الى قدرة الحركة على الارتفاع بالطابع القومي للثورة الى الحد الذي يكشف تلك العلاقة العضوية بين قطرية الثورة وقوميتها، ويزيل هذا التناقض الذي يخلّ بطبيعة الأمور ومقتضيات التاريخ والواقع.

وثمّة ملاحظة يجدر الانتباه اليها، هي انه لا يجوز اجتزاء الانتفاضة الحالية من سياق أشكال النضال الفلسطيني في الارض المحتلة؛ وبخاصة منذ ما بعد حرب العام ١٩٨٢. فالانتفاضة الحالية هي الوليدة الشرعية لحلقات سبقتها شغلت، بخاصة، الأعوام الثلاثة التي سبقت الانتفاضة. سوى ان الحلقـة الراهنـة تميّزت عمّا سبقها من حلقات، بتواصل الداخل بالخارج، وبوحدة القيادة في الداخـل، ومـركزية القيادة العامة في الخارج، وبشمولية الشعب في الارض المحتلة، وعمق الوحدة والمشاعر بين شطري فلسطين، المغتصب العام ١٩٤٨ والمحتل العام ١٩٦٧.

ولقد أخذت الانتفاضة هذا الطابع المميّز، لأنها محكومة بجدلية الكمّ والكيف. فقد أدّت تراكمات الاحتلال الاسرائيلي الى خلق كيف جديد هو ردة فعل لتلك التراكمات. وقد تجسّد ذلك الكيف الجديد في الانتفاضة، التي أخذت، بدورها، تفرز تراكمات كمّية تنعكس على الثورة الفلسطينية ذاتها، والعدو نفسه، جيشاً وكياناً. وتقضي جدلية الكمّ والكيف ان تولد هذه التراكمات كيفاً جديداً يجسّد تفاعلاته على الساحات، الفلسطينية والعربية والاسرائيلية والدولية.

ولأن هذه التراكمات قد تحققت، فان الانتفاضة استطاعت اسقاط الفكرة القائلة ان الشعب الفلسطيني في الداخل غير قادر على القيام بعمل ثوري ضد الاحتلال. ولا أجانب الحقيقة اذا قلت ان هذه الفكـرة استقـرت، حينـاً، في بعض صفـوف القيـادات الفلسطينية والعربية، منذ هزيمة

١٩٦٧. وما التركيز على التنظيم شبه العسكري في الخارج، والمطالبة بفتح الدول العربية المحيطة باسرائيل حدودها لتحرّكات منظمات المقاومة، الاّ من قبيل وَقر تلك الفكرة في اطار التخطيط العملياتي الفلسطيني.

ويمكننا القول، ان الانتفاضة، في طورها الراهن، تشكّل المرحلة التي تسبق الثورة وحرب التحرير الشعبية وتُعدّلهما، وفيها تضيع جبهات التلاحم والاشتباك، فيتداخل بعضها في بعض حتى لا تبين خطوطها. وهي تعبير عن ارادة شعبية تريد ان تنجز مهمة ثورية محدّدة، وتتسلّح بروح نضالية استشهادية تفوق، في تأثيرها، قدرة الأسلحة القتالية.

ويبدو من وقائع الانتفاضة، طوال هذه المدة من عمرها، ان قيادتها التزمت، في الطور الراهن من النضال الانتفاضي، بأربعة شروط: ان يشكل الصراع مع العدو حالة يومية من الاشتباك الدائم، وان يكون كادر المقاومة الشعبية ذا تربية واعداد نضاليين، وان يكون الشعب هو صاحب الدور الأساسي في المقاومة، وان يكون السلاح المستعمل معبّراً عن ارادة الشعب في التحرير، وليس أداة للقتل.

وان مراجعة سريعة لبيانات القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة تعطي انطباعاً واضحاً بأن عمليات المقاومة ترتبط، ارتباطاً وثيقاً، بنظرية كلاوزوفيتز، المفكّر العسكري الاستراتيجي الالماني، التي تقول ان الحرب استمرار للسياسة، ولكن بوسائل أخرى. واذا كانت قيادة الانتفاضة تعمل في ساحات المقاومة ضد الاحتلال، فان السياسة تشكّل قطاعاً رئيساً من قطاعات منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي هذا المجال المشترك للسياسة والمقاومة، أودّ ان أعرض النقطتين التاليتين:

١ ـ عمر الانتفاضة عام ونصف العام. وهي لا تزال حافظة على العهد، قاصدة الهدف، قوية البنية، لم تثخنها الجراح، بل زادها الزمن صموداً وخبرة وطاقة تحمّل ومصابرة.

٢ ـ حَمَلَة رايات الانتفاضة ينتمون الى تنظيمات وتوجّهات سياسية عدة. وهذا أمر طبيعي عرفته جميع حركات التحرير الوطني في التاريخ المعاصر. وعلى الرغم من ذلك، لم تعرف الانتفاضة انشقاقاً في صفوفها. وتفسير ذلك، في رأيي، يعود الى عاملين: أولهما، ان عوامل وشروط المواجهة الميدانية لم تتغيّر، بعد، الى الحد الذي يتطلب وضع استراتيجية جديدة، أو معالجة جديدة، تتعامل مع تلك المتغيّرات؛ وثانيهما، ان قيادة منظمة التحرير ترصد، بدقة وحسبان، منعكسات الانتفاضة، فلسطينياً واسرائيلياً وعربياً ودولياً، وتتعامل مع تلك المنعكسات من قبيل توظيفها لمصلحة الأهداف التي حدّدها المجلس الوطني الفلسطيني.

وفي هذا الصدد، لا بدّ لنا من ان نلاحظ ان هناك خلطاً بين العنف والقوة. ولقد حلّل هذه النقطة كلاوزوفيتز، فرأى ان القوة هي تنظيم الجماهير. وحينما نقد لينين أخاه، أخذ عليه انه مال الى العنف، وقرّر ان التنظيم مقدَّم عليه.

وفي مرحلة الاعداد للثورة الجزائرية، وجد هناك من يقول بالعنف تستخدمه الكثرة الوطنية ضد القلّة الاحتلالية. ففي الجزائر، يومذاك، عشرة ملايين مواطن، يُجهز كل واحد منهم على أوروبي محتل، وينتهي الامر. وقد جرّبت احدى القيادات في منطقة القبائل هذا الاسلوب، فأمرت تنظيمها هناك بأن ينفّذ عمليات، أدّت، في نهاية الامر، الى كشف التنظيم، والى تذرّع السلطات الاستعمارية بهذا الاسلوب لتشنّ حملة أودت بالتنظيم وأفراده.

وكانت الفكرة عينها عرضت لبعض قيادات المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي في النصف الاول من الاربعينات. غير ان هذا التوجّه، أي الارهاب، أُبعد كأسلوب في مواجهة الاحتلال، على أساس انه يفضي الى الانتقام. وكلاهما يخرجان عن دائرة الهدف، الذي يجب ان تكون المسيرة اليه منظّمة، وان تكون القيادة قادرة على تحويل العنف الكامن الى قوة فعّالة ومعبّأة وسياسية. وفي غير هذا الحال، ينقلب العنف الكامن ضد الاحتلال الى فوضى وعفوية، وتضيع قدراته هدراً وهباء.

وثمّة رأي يقول ان امتلاك الانتفاضة بنادق يعني ان يلعب المنتفضون لعبة اسرائيل ذاتها التي ستمتلك، دائماً، بندقيتين ومدفعاً وطائرة، كلّما امتلك الفلسطينيون بندقية. فالولايات المتحدة جاهزة لأن تفعل ذلك بكرم وطيب خاطر. ويرى أهل هذا الرأي ان الدخول في هذه المبارزة يندرج في منطق السحق العسكري الذي تهوى اسرائيل ممارسته. وينتهون الى ان الصدور العارية للفتيان الفلسطينيين الذين يرمون الحجارة، لا تستطيع اسرائيل ان تجد لها ردّاً. وذلك هو الحل الوحيد، طويل المدى، الذي يمكن ان يُهير اسرائيل.

هذا الدرس وعته قيادة الانتفاضة، واستوعبت مغزاه، حين أبعدت العنف من عمليّاتها وتكتيكاتها، وتجنّبت ان يكون هدفها القضاء المادي على العدو في كل مواجهة معه. وأخذت بأسلوب معاوية بن أبي سفيان في تعامله مع الناس، يوم ان ضرب مثلاً بالشعرة التي تربطه بهم، فان هم شدّوا الشعرة أرخاها، وان هم أرخوها شدّها الى نفسه.

ودون ان نأخذ بهدف معاوية في حكمته هذه، نقول ان الانتفاضة، وقد اتخذت من المصابرة والمساجلة والانهاك واستنفاد القوى أسلوباً استراتيجياً في العمل، لم تستخدم سلاح العنف، أي سلاح القتل والاماتة، ولا هي لجأت الى أسلوب الاغتيال، وانما هي أقرب الى اللاعنف الايجابي، الذي يعبّر عن ارادته بالحركة، ولو أدت هذه الارادة المتحركة الى تحميل ابنائها القتل بالرصاص، والموت فداء، وتكسير العظام، وسعي العدو الى تدمير منجزات الشعب، وتاريخه، وهويّته.

وان أية مقارنة في مجال العمليات والتكتيك تجرى بين الانتفاضة وثورات التحرر الوطني الأخرى، كالثورتين الفيتنامية والجزائرية، لا تدخل في نطاق المنطق وطبيعة الأمور. ذلك اننا ـ كما أشرنا الى ذلك منذ قليل ـ تجاه خواص انفردت بها الانتفاضة، وتميّزت، حتى أصبح طابعها في العمليات والتكتيك مستقلاً، أو خاصاً بها دون غيرها.

ففي حين تلتقي الانتفاضة والثورتان، الفيتنامية والجزائرية، في دائرة الاستراتيجية العامة والأهداف، تختلف الانتفاضة عنهما في مجالات العمل الميداني. فاذا كانت الثورتان، الفيتنامية والجزائرية، مزجتا بين أساليب الحرب الثورية وعمل العصابات وأساليب عمل القوات النظامية، واستخدمت المجموعات المقاتلة، التي بلغت حيناً حدّ السريّة والكتيبة، وتوسّعتا في الاعمال القتالية ضمن خطة متكاملة للعمليات، بغية استنزاف قدرات العدو، مادياً ومعنوياً، في مرحلة زمنية طويلة، حتى يأتي الوقت الذي يفقد فيه الخصم حرية عمله العسكري والسياسي، فتنتقل المبادأة الى أيدي قوات الثورة، التي تصعّد عملياتها بتسارع وعنف يصلان بالحرب الثورية الى نهايتها الحاسمة؛ اذا فعلت الثورتان، الفيتنامية والجزائرية، ذلك، فان الانتفاضة الفلسطينية بدأت باعداد المجتمع الفلسطيني كلّه لينتفض معبّراً عن ارادته في التحرر والاستقلال، متسلّحاً بأسلوب يجعل العدو غير قادر على استخدام قواته المسلّحة، الّا ضمن حدود ضيّقة وتحت سقف محدّد.

واذا ما أردنا ان نقارن بين الانتفاضة، كأسلوب نضالي، وبين الأساليب التي استخدمتها

حركات تحرير او ثورات عدة، بدءاً بالعصيان المدني، وانتهاء بحرب القوات النظامية، ومروراً بقتال العصابات والاغارات، والارهاب الثوري، والضربات في المدن، فسنجد ان الانتفاضة الفلسطينية تنزل منزلة خاصة بها في سلّم أساليب العمل الثوري التحرّري. فقد أخذت من العصيان المدني شعبيته وشموليته، ومن العصابات مرونتها وحركيتها، ومن قتال المدن القدرة على إثارة العدو وجذبه والتملّص من قبضته والاختفاء السريع، ومن المقاومة السلمية عنادها واصرارها وابداعها في الاكتفاء الذاتي والقدرة على الديمومة.

مقاومة شعبية غير مسلّحة

ان الطابع الذي تميّزت به الانتفاضة حتى اليوم، يتجسّد في كونها حركة مقاومة شعبية غير مسلّحة. ويعني هذا ان محاولة تقويم أعمالها وآثارها ونتائجها على الصعيد العسكري تبدو متناقضة مع أهدافها وأطر عملها.

غير ان الطرف الآخر تجاه الانتفاضة، وهو القوة العسكرية المعادية، مارس عمله العسكري في اطار ما سمحت به الانتفاضة من فعل عسكري. وفي هذه الجدلية، بين اللاعنف الفلسطيني والعنف الاسرائيلي، يكمن سبب تقويم الانتفاضة على الصعيد العسكري.

وأول ما نلاحظه هو ان الانتفاضة لم تهدف الى تحميل العدو خسائر بشرية، بقدر ما هدفت الى تفكيك آلة الاحتلال وأجهزة القهر، واستنزاف قوات العدو الى حدّ الانهاك، وكشف القناع عن جوهره العنصري الوحشي قبالة الرأي العام العالمي، وانزال الخسائر في اقتصاده، وحرمانه من سرقة خيرات الارض المحتلة وثرواتها ومياهها، واستغلال اليد العاملة الفلسطينية.

وبذلك استطاعت الانتفاضة، في عمرها الفتيّ هذا، ان تقلب بعض المعطيات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والاعلامية للقضية الفلسطينية، حين أعادتها الى دائرتها الأصلية، وهي دائرة الشعب الفلسطيني. وما لم تستطعه حروب وصراعات مسلّحة دامت أربعين عاماً، حققته الانتفاضة. فبعد عام من عمرها، كان اعتراف العالم كله بالوجود الوطني الفلسطيني وبحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته أبرز مكسبين من مكاسب الانتفاضة.

ومن معاناة النضال، وعلى لهيب الصدام اليومي، أفرزت الانتفاضة قيادات نضالية شابة جديدة، استطاعت ادارة الحركة الشعبية وضبط مناشطها وتحركاتها وفق مفاهيم وأهداف محددة، وغدت قادرة على ادارة عمليات منسّقة ومنظمة ومرتبطة بعضها ببعض عبر أرجاء الارض المحتلة كافة.

واذا كانت هذه القيادات نوّعت وأكثرت من سبل الاكتفاء الذاتي في مختلف مجالات الحياة اليومية، الغذائية والاقتصادية والاجتماعية، فان المكسب النضالي السياسي الهامّ الذي احرزته، يتمثّل في تنمية، وتعبئة، الوعي الوطني الفلسطيني، وشحن زخم النضال الدؤوب، ورفعه الى درجة التضحية والاستشهاد. وغدت الانتفاضة حالة ذهنية ايمانية، بقدر ما هي مجسّدة في رمي الحجارة. وازاء هذه الحالة الذهنية المتجذّرة، أثبت السلاح الاسرائيلي عجزه وفشله. وهو ما دفع بعض القادة العسكريين والسياسيين الى المناداة بأن لا حل عسكرياً للانتفاضة. وذهب بعضهم الى المطالبة بتغيير أسلوب المواجهة الذي يستعمله الجيش الاسرائيلي حتى الآن، وذلك برفع درجة العنف واستعمال أسلحة جديدة، وجعل ردة الفعل العسكرية جماعية على نطاق جدّ واسع، كما هي الانتفاضة جماعية واسعة! في حين ذهب البعض الآخر الى القيام بتنازلات، عبّر عنها مركز الدراسات الاستراتيجية

في جامعة تل ـ أبيب، اذ شمل تقريره، المنشور في آذار (مارس) الماضي، ستة خيارات، تتراوح بين استمرار الوضع الراهن واقامة دولة فلسطينية. وأوصى التقرير بالتفاوض المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية، وتيسير السبل لقيام الدولة الفلسطينية، بعد فترة حكم ذاتي تمتد بين عشرة أعوام وخمسة عشر عاماً.

وأكدت الانتفاضة، فيما أبدعت في التخطيط والتنفيذ، ما أثبتته حرب العام ١٩٧٣، وهو امكان أخذ العدو الاسرائيلي بغتة. واذا كانت اسرائيل زعمت انها تلقّت درساً من تلك الحرب، واحتاطت لاحتمالات المفاجأة بأنواعها العدّة، فقد وقعت، مرة أخرى، في مصيدة التقصير الاستخباراتي. ومن عجب ان لا تكتشف اسرائيل احتمال انتفاضة الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة، على شكل هبّة رجل واحد. ومن عجب، أيضاً، ان لا يعرف جواسيسها وعيونها وأجهزة مخابراتها، المبثوثة في كل مكان من تلك الارض، نيّات شعب بكامله. والأعجب من هذا وذاك ان لا تستطيع مراكز البحوث والدراسات السياسية والعسكرية والاستراتيجية والاجتماعية في اسرائيل، وهي مراكز غنيّة بالعلماء والمتخصصين والوسائل الحديثة، التنبؤ باحتمال حدوث ما حدث. أسئلة كثيرة تضع اشارات استفهام على قدرات أجهزة المخابرات الاسرائيلية، وهي قدرات تضخّمها الادعاءات والأوهام وأساطير أجهزة الاعلام.

لقد أخرجت الانتفاضة الجيش الاسرائيلي من اطار مذهبه العسكري الذي عاش عليه أكثر من أربعين عاماً، ورسّخ أسسه ومفاهيمه، وطبّق مبادئه في جميع الحروب والمعارك التي خاضها.

ومن أسس ذلك المذهب ان لا يتعرّض الجيش الاسرائيلي لحرب طويلة الأمد، وان لا يقبل الاستدراج الى حرب استنزاف، وان يسعى، دائماً، الى ان يفرض، هو، المعركة على خصمه، فيحدّد الزمان ويختار المكان، ويقتصد بقواه، فلا يشتّتها، ويجمعها ويركزها ولا يفرّقها على جبهات ساخنة ومتحركة عدة في آن.

وفي حين لم يكن يعرف الجيش الاسرائيلي مذهباً غير هذا الذي جرّبه واقتنع بجدواه، وأقام عليه برامج تدريبه وخططه الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية، جاءت الانتفاضة لتستدرج الجيش الاسرائيلي الى معركة هي في أصلها «لا معركة»، والى ميدان يصعب التخطيط للقتال فيه، والى استنزاف للقوى والجهود، بطيء، دائم، لا يهدأ، عمره أكثر من خمسمئة يوم حتى الآن. وهو استنزاف مجرّد من القدرة على القتال، لم يعرفه هذا الجيش من قبل. وقد جُرّ اليه دون ان يختار أمكنة وقائعه ولا أزمنتها، وانما فرضت عليه فرضاً.

لقد بنت اسرائيل خططها القتالية على أساس تكرار الحروب العربية ـ الاسرائيلية طوال العقود الأربعة الماضية. ولم تكن ثورة الأرض المحتلة في حسبان تلك الخطط، ولم تكن تنزل في المكانة الأولى منها. فهي، في نظر المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، ليست سوى تحدّيات محتملة، ثانوية الطابع، متفرقة جغرافياً، ضعيفة التكوين البشري، يمكن احتواؤها بسهولة.

وحينما نشبت الانتفاضة، واجهتها اسرائيل بهذا المفهوم الذي ساد في الخطط العملياتية. وما ان أفصحت الانتفاضة عن مدى عمقها وانتشارها وفدائها، حتى غيّرت المؤسسة العسكرية مفهومها شيئاً فشيئاً، وأصبحت تواجه تهديداً غير عسكري بالوسائل العسكرية التقليدية. وهذا هو المأزق الاستراتيجي الاسرائيلي.

ومن مظاهر هذا المأزق، ان الانتفاضة أدّت الى تقليص القدرات العملياتية وفعالية الردع

للجيش الاسرائيلي؛ كما أدت الى بدء تآكل قِيَمه المعنوية. فقد أثبتت التجربة انه كلّما ازداد القمع الاسرائيلي، انتشرت الانتفاضة واتسعت. ولا تزال وسائل القمع الاسرائيلية، القتالية منها والاضطهادية، غير مجدية، بل أدّت الى نتيجة معاكسة، إذ زادت الانتفاضة اشتعالاً وتصاعداً وتنظيماً. ومن المنتظر ان تترسّخ الأطر المؤسساتية والقيادية والتنظيمية والادارية للانتفاضة، وتزداد قدرة على التحرّك والقيادة والتدبير.

واضافة الى ذلك، أصابت الانتفاضة الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية بهزّة عنيفة، حين أسقطت منها نظرية «الحدود الآمنة»، تلك الدعوى التي استندت اليها اسرائيل في شنّ حرب العام ١٩٦٧، وفي الاحتفاظ بالاراضي المحتلة، لتحصل على عمق دفاعي يساعدها على التعبئة والحشد والمناورة. وقد أكدت الانتفاضة ما أثبتته حرب العام ١٩٧٣، ولكن بطريقة أخرى، ان هذه الحدود ليست ذات قيمة بالنسبة الى أمن اسرائيل، ولم تعد تشكل عمقاً استراتيجياً لها، يتيح لها الانذار المبكر، ويمنحها فرصة تعبئة قواتها الاحتياطية وحشدها، وان الخطر على اسرائيل كامن ومتربّص في داخل تلك الحدود ذاتها. وهو خطر يلازم طبيعة الكيان الصهيوني الاستعمارية ـ الاحتلالية ـ العنصرية.

ومن مكاسب الانتفاضة، أيضاً، انها استنزفت اسرائيل، مادياً، ومعنوياً، وسياسياً، واجتماعياً، وجرّحتها وأسالت الدماء من جروحها الصغيرة الكثيرة، دولياً واعلامياً، على الرغم من ان هذا الاستنزاف لم يخلّف، بعد، خسائر بشرية كبيرة حتى الآن في الجانب المعادي، ولكنه كلّف اسرائيل كثيراً في عملية المواجهة، وعصر اقتصادها حين غيّب اليد العاملة الفلسطينية عن خدمة الاقتصاد الاسرائيلي، وأجبر القوى السياسية في اسرائيل على ان تعيد النظر في خططها وسياساتها، وفرض قيوداً على صانعي القرار فيها، وعطّل برامج التدريب العسكري، وجمّد كتلة من الجيش لا يقل حجمها ـ حسب تقديرنا ـ عن ٢٠ لواء، أي ما يعادل حوالى ثلث الجيش العامل، وهي قوة مدعومة بوحدات مصفحة ووحدات ميكانيكية وطائرات مروحية، خصّصت، جميعها، للتصدي للانتفاضة ميدانياً في مختلف المدن والبلدات والقرى والمخيمات الفلسطينية، في حين حشدت قيادة الجيش قسماً آخر منه، معظمه مؤلف من وحدات مدرّعة ووحدات ميكانيكية في مراكز حشد عملياتية في أمكنة محددة من الاراضي المحتلة. ومهمّة هذه الوحدات ان ترفد الوحدات الميدانية في مواقع الصدام. امّا القسم الثالث، فقد احتفظ به في ثكناته مستنفراً، لمواجهة مختلف الاحتمالات، سواء داخل الأراضي المحتلة أو على الحدود. وتدخل في اطار هذا القسم القوات الجوية، بمختلف تشكيلاتها.

وهكذا غرق الجيش الاسرائيلي، كلّه، في ممارسة الجبروت، يدعمه نظام متكامل من التدابير العسكرية ـ القضائية ـ الادارية التي تماثل نظام التمييز العنصري في افريقيا الجنوبية، بل تفوقه عنصرية وظلماً وقهراً في بعض جوانبه.

وليس من شك في ان القدرة الاسرائيلية على السيطرة على مسار الانتفاضة أصبحت موضع تساؤلات وشكوك داخل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، وخارجها. وتشير الاجراءات الاسرائيلية المضادة ـ وفيها تطوير تكتيك الاشتباك، وتغيير أنواع الاسلحة، واختراع أسباب وأساليب جديدة للقهر والاضطهاد ـ الى التخبّط والحيرة اللذين تعاني منهما المؤسسة الاسرائيلية.

وممّا يؤكد قصور القدرة الاسرائيلية عن قهر الانتفاضة، تصاعد سلّم الحوادث في الزيادة والتنوّع. فالاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ـ بغض النظر عن عدم مصداقيتها ـ تشير الى ان

ما تسمّيه سلطة الاحتلال «حوادث العنف»، قد ارتفع من ١٤١٠ حوادث في تموز (يوليو) ١٩٨٨ الى ١٥٩٥ في الشهر الاخير من العام عينه، والى ٢٧٩٠ في الشهر الاول من العام الحالي ١٩٨٩.

التخطيط المستقبلي

في هذه المرحلة من مسيرة الانتفاضة، يجوز لنا ان نطرح ثلاثة أسئلة، هي في مركز انشغال القيادة الفلسطينية، في عملها اليومي وتخطيطها المستقبلي، وتشكل، في اطار قومية الصراع العربي ـ الاسرائيلي، محور اهتمام القيادات العربية. والاسئلة الثلاثة تستند الى خارطة التحرك النضالي والسياسي الفلسطيني، والافرازات التي أعطتها الانتفاضة، والمكاسب التي حققتها حتى اليوم، وتقوم على معطيات الواقع العربي، والواقع الدولي، وما يحتمل ان يتطوّرا اليه في المستقبل المنظور تحت تأثير ديمومة الانتفاضة وافرازاتها ومكاسبها وانعكاساتها.

يفترض السؤال الاول ان تستمر الانتفاضة في وتيرتها الراهنة ومعالمها وعناصرها الحالية، الى مدى زمني غير منظور. فهل ستوصلنا هذه الفرضية، في نهاية المطاف، الى الهدف المنشود ؟ وحتى تستمر الانتفاضة في وتيرتها الحالية طوال مدى زمني لامحدود، ما هي العناصر التي يجب توفيرها لها ؟

امّا السؤال الثاني، فانه يفترض ان الوتيرة الراهنة للانتفاضة غير قادرة على بلوغ الهدف، الاّ اذا تطوّرت في غير جانب من جوانبها. وينصبّ السؤال على تلك الجوانب التي يجب تطويرها، وعلى العناصر التي يجب توفيرها، حتى تغدو الانتفاضة قادرة على بلوغ هدفها. ويمتد هذا السؤال الى الاطار العربي بمسؤولياته القومية والتاريخية، الحكومية والشعبية. وتدخل في دائرة العناصر ما يتوجب توفيره منها، وما يترتب على ذلك من التزامات ونتائج تقدر الدول العربية على الوفاء بها وتحمّلها. وهذا هو المظهر القومي للانتفاضة، والواجب القومي للعرب تجاهها.

ويفترض السؤال الثالث، ان الانتفاضة، كأسلوب نضالي، لم تعد مجدية، وان طريقها الى الهدف لم يعد ممهّداً. وينصبّ السؤال على البديل، هل ننزل من على السلّم درجة الى أسلوب المقاومة المدنية، او العصيان المدني، أم نصعد درجة الى أسلوب آخر، تتنوع فيه تشكيلات المقاومة ووسائلها، وقد تتنوّع ساحاتها أيضاً.

تلك اسئلة لا تأتي الاجابة عنها على قدر نص كل سؤال بحد ذاته. وربما نتبيّن بعض ملامح الاجابة حين نحوم حول الاهداف، فنقيس جهد الانتفاضة في سعيها الى بلوغ تلك الاهداف، من خلال الوسائل المتوافرة لها، والامكانات الموضوعة في تصرّفها، وقدرات العدو الذي تواجهه.

فالانتفاضة، بالشكل الذي ظهرت فيه، وبالسلاح الذي استعملته، وبروح الفداء والتضحية التي سادتها، وبالشمولية التي عمّتها، وبالاهداف التي نادت بها، لم يكن لها، بالضرورة، ان تبلغ هذه الاهداف، اذ ليس بقدرتها أكثر من ان تمهّد السبيل الى تلك الاهداف، حين أحيَت قضية الشعب الفلسطيني، بأرضه وحقوقه، واستقطبت القوى الفلسطينية والعربية، بعد ان تعدّدت امامها الطرق، وتنوّعت الأغراض، واختلفت اللهجات، وغام بعض الاهداف، وأظلم بعض السبل.

ليس على الانتفاضة ان تبلغ، وحدها، اهدافها، وهي مجردة من العناصر المكمّلة. فالانتفاضة، بالصفات والعناصر التي كوّنتها لا تندرج في فئة «المعارك الفاصلة»، أو فئة «الاسلحة الحاسمة»، أي انها لم تكن «رصيد النضال كله»، وانما هي، بالصفات والمقوّمات التي كوّنتها، عنصر من

عناصر «المعركة الفاصلة»، و«السلاح الحاسم»، ولكنها العنصر الاهم والاخطر. فهي القاعدة الاساسية التي ترتفع عليها سائر عناصر المعركة الفاصلة والسلاح الحاسم. ذلك ان العناصر الاخرى، والتي كان يفترض، بل يجب، ان تبرز وتنهض مع الانتفاضة مرتبطة بها ارتباطاً عضوياً، هي مجموعة من العناصر التي لا بدّ لها من أن تكمّل الانتفاضة. وبدون ذلك تبقى الانتفاضة أساس البناء ودعاماته، ولكنه بناء لم تكتمل سقوفه ونوافذه وأبوابه.

ان ما نقصد اليه من العناصر المكمّلة المرتبطة بالانتفاضة ارتباطاً عضوياً، هي تلك الحركة العربية، الشعبية والحكومية، التي تدعم الانتفاضة، وتتحمّل جميع أعبائها، المادية والمالية والمعيشية، وغير ذلك من الاعباء، وتغذّيها بالاتصال اليومي، فلا تتركها تضعف تجاه جبروت العنف. والعنصر الثاني من العناصر المكمّلة هو حمل اهداف الانتفاضة، وبأقصى الامكانات العربية، الى مختلف أنحاء العالم، وتوظيف جميع الاجهزة والامكانات العربية، والصديقة، من اجل تكوين رأي عام عالمي متحرّك يؤيد الانتفاضة وأهدافها، ويتحرك للتعبير عن موقفه هذا. والعنصر الثالث هو ذلك التحرك على صعيد الامم المتحدة، ليطرح موضوع الصراع العربي ـ الاسرائيلي وقضية فلسطين بكل جذورها وأبعادها، دون ان نعقد أملاً كبيراً على امكان اتخاذ قرار يجسّد الحدّ الاقصى من مطالبنا، وانما لنرفع سقف مطالبنا على قدر ما تساعد الانتفاضة والعناصر المتراكمة في رفعه. امّا العنصر الرابع، وهو أهم العناصر المكمّلة وأكثرها تأثيراً، فيتعلق بتلك الشبكة الواسعة والمعقدة من المصالح العربية ـ الغربية، وبخاصة المصالح العربية ـ الاميركية. وهو ميدان جدّ واسع وخصب، بحيث يمكن استخدام بعض هذه المصالح كعنصر مكمّل للانتفاضة. ولست أودّ ان اعدد تلك المصالح، او أشير الى بعض منها، ولكن لا بدّ من الاشارة الى ان النفط العربي ليس، بالضرورة، احدها، ذلك ان هذا العنصر قد يكون فَقَد بعض قدراته على التأثير في الظروف الراهنة.

ثمّة عناصر مكمّلة كثيرة، أشرنا الى بعضها دون حصر، وهي تشكّل متراكمات ترتبط بالانتفاضة ارتباطاً عضوياً لتؤلف، بمجموعها، كلاً واحداً يمكن تشبيهه بـ «المعركة الفاصلة»، أو «السلاح الحاسم». وبدون هذه المتراكمات ستبقى الانتفاضة مرحلة نضالية ذات قوة تاريخية ومعنوية ومستقبلية كبيرة لا أكثر، وذات قدرة على ان تتوالد الواحدة من الاخرى، وعلى ان تهزّ كيان العدو وتزيد تعريته وفضحه، وعلى ان تفرز من صفوفه شريحة تساندها، وعلى ان تزعزع مفاهيم استقرّت في الرأي العام العالمي، وعلى ان تستقطب اهتمام الامم المتحدة، وبخاصة مجلس الامن. ويعني هذا ان الانتفاضة قادرة على ان تفرز نتائج وآثاراً كثيرة، وتولد معطيات جديدة. ولكنها، وحدها، وبدون العناصر المتراكمة التي أشرنا اليها، لا تستطيع ان تبلغ مرتبة «المعركة الفاصلة»، ولا ان تصبح «السلاح الحاسم».

لقد اتصفت المواجهة العربية ـ الاسرائيلية، منذ ما بعد حرب العام ١٩٧٣، بالفعل الاسرائيلي، وردّ الفعل العربي، وبخاصة في الافعال التي تمثّلت بالاعتداءات الاسرائيلية، كضرب المفاعل النووي العراقي، وحرب العام ١٩٨٢ على لبنان، والغارة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمّام الشط في تونس، واغتيال الشهيد خليل الوزير (أبو جهاد)، وغيرها من الافعال الاسرائيلية، وهي كثيرة ومتنوعة، وانما انتقينا منها نماذج بارزة.

وعلى عكس هذه المعادلة التي انتظمت الفعل الاسرائيلي وردّ الفعل العربي، كانت الانتفاضة فعلاً فلسطينياً، كامل الصفات الفلسطينية، من اخلاص، وتضحية، وفداء، وعزم، وتصميم، بمثل ما

كان رد الفعل الاسرائيلي كامل الصفات الصهيونية، من وحشية واستعمارية وعنصرية ونزوع الى القتل وسفك الدماء.

لقد قدمت الانتفاضة وسع طاقتها، وغدت مثالاً للفداء والتضحية، وأنموذجاً فريداً في نضال الشعوب ضد الاحتلال والاستعمار والعنصرية. ولكنها، كما قلنا، ليست «سلاحاً حاسماً»، ولا «معركة فاصلة»، وانما هي أساس لبناء تحريري كامل. ولا بد من ان تتراكم على هذا الاساس بقية اجزاء البناء. غير ان هذا الاساس، حتى يستطيع ان يكون راسخاً مستقطباً بقية الاجزاء، لا بد له من ان يتطوّر، وينوِّع مجالاته وأدواته ووسائله، كظاهرة ثورية، قادرة على ان تطوّر نفسها، وتنوّع مجالاتها، وتبدع ادواتها ووسائلها. وما الغرض من ذلك سوى مفاجأة العدو، وافقاده توازنه، واستنزاف قواه، وتجريح جسده، واجباره على دفع «كلفة الاحتلال»، ورفع تلك الكلفة كلما اختلف شكل الانتفاضة، وتغيّرت مجالاتها، وتعدّدت ادواتها ووسائلها. ان رفع كلفة الاحتلال الى مستويات أعلى، فأعلى، هو السبيل الوحيد الى خلع نير احتلال استعماري ـ استيطاني ـ عنصري، من نوع الاحتلال الاسرائيلي.

وقد يذهب بنا الرأي، نتيجة الخبرات والتجارب المتراكمة منذ العام ١٩٢٠، حين شرع الشعب الفلسطيني سلاحه ضد الغزوة الصهيونية، الى القول ان أفضل السبل الى مساندة الشعب الفلسطيني هو ان لا نفسد على الثورة مسيرتها وفدائيتها وشموليتها. ذلك ان هذه الثورة أعمق وأشمل من كل سعي في هذا السبيل. وهي فرصة تاريخية قد لا تتكرر الّا بعد سنوات قليلة او كثيرة.

ان الانتفاضة، في مفهوم الكفاح الشعبي، تحوّل نوعي في مقاومة الاحتلال، ليس في تاريخ نضال الشعب الفلسطيني فحسب، وانما في تاريخ نضالات جميع الشعوب التي نهضت ضد الاستعمار. وليس مبالغة ان نقول انها لن تتوقف، وان كان الهدوء قد ينتابها ما بين فترة وأخرى، اذ تكون كامنة، ولكنها موجودة ومتجددة دائماً. وليس كمونها سوى مهلة زمنية للتأهب للمرحلة المقبلة. واستمرارية الانتفاضة، في فترات نشاطها او كمونها، كفيلة بأن تحدث تأثيرات متراكمة على مختلف الصعد، الاسرائيلية والاميركية والعربية والدولية.

ولا يجوز ان تأخذنا الانتفاضة، مهما تكن النتائج التي ستنتهي اليها، فتلهينا عن احتمالات اجهاضها، او استيعابها، او الالتفاف حولها، او تفريغها من محتواها وأهدافها، او تجسيدها، في نهاية المطاف، بلائحة مطالب جزئية وصغيرة. وليس ذلك بالأمر البعيد؛ فللعدو الصهيوني وحليفه الولايات المتحدة وسائل وقدرات فاعلة في هذا المجال. وما نتائج حرب العام ١٩٧٣ والاختراقات الصهيونية والاميركية فيها من خلال كامب ديفيد بعيدة منّا.

وعلى شاكلة ذلك، لا يجوز للتحوّل الذي صنعته الانتفاضة في الرأي العام العالمي، والذي تجسّد في تعاطف شعوب وجماعات كثيرة مع الشعب الفلسطيني وقضيته، لا يجوز ان يحوّل نظرنا عن معادلة التلازم بين الحق والقوة في انتزاع حقوق الشعب الفلسطيني من براثن اعدائه. ذلك ان طرفي هذه المعادلة، الحق والقوة، يزدادان معاً، علواً او انخفاضاً، بصورة مطردة. وهذا ما استوعبه الفيتناميون والجزائريون استيعاباً جيداً وعميقاً، فطبّقوا هذه المعادلة بدقة وحزم، حينما كان سلاحهم يشتدّ مضاء، بقدر ما كان غزوهم للرأي العام العالمي يزداد اتساعاً وتأثيراً.

ان الاعتماد على الذات، الذي تجلّى في الانتفاضة، لا يعني انها منعزلة ومعزولة، وان جذورها في أرض ١٩٦٧ هي البديل من جذورها القومية والوطنية التي تربطها بالجزء الآخر من شعبها في الشتات وفي أرض ١٩٤٨، وبأمّتها العربية. واذا كان لنا ان نستبعد هذا الشعور، او هذا

التوجه، وان لا نضعه في اعتبارنا، فان من أول واجبات الجزء الآخر فيما وراء حدود أرض ١٩٦٧، ان يجعل تلك الجذور قنوات تنقل نسغ الحياة وروح النضال ووسائله المختلفة الى أهلنا في الارض المحتلة. انها مسؤولية قومية، لا مجال قط للتقليل من جسامتها وأهميتها الحاسمة. فالشعب الفلسطيني في أرض ١٩٦٧ يتحمّل وحده انتقام العدو، ويقدّم كل ما عنده من أرواح وتضحيات، في حين لم يدفع العدو ثمناً مساوياً لانتقامه، ولا ينتظر ان يتدخل العالم بأكثر من التأييد والعطف على النضال الفلسطيني، والنقد والشجب والادانة للعدو. فاذا أضفنا الى ذلك كله عناصر ميزان القوى بين الطرفين، ادركنا ما يمكن ان تتطوّر اليه الاهداف في المستقبل.

لا شك في ان الثورة، أية ثورة، لا تأخذ ميزان القوى بينها وبين عدوها بالحسبان. ولا يجوز لها ان تفعل ذلك. ولو أخذت كل ثورة ميزان القوى هذا في اعتبارها، لما شهد التاريخ، قطّ، انتفاضة مظلوم على ظالمه. ولكننا تجاه معطيات جديدة أفرزتها الثورة في الارض المحتلة، ومكاسب حققتها، وأعداء يتربّصون بها الدوائر، ويسعون الى خنقها على أرضها، فان لم يستطيعوا، فسيحاولون الاحاطة بها واحتوائها وتفريغها من اهدافها، ثمّ محو آثارها.

الانتخابات وحدود مساومة الاطراف

ربعي المدهون

أنهت الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل وم.ت.ف. جانباً كبيراً وهاماً من رحلة استكشاف متبادلة، قامت بها للتعرّف على حدود المتغيّرات السياسية في موقف كل طرف منها وامكانات التأثير فيه. وبات ممكناً القول ان الشهور الثلاثة الماضية، التي شهدت جولتين من الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، وجولات موازية أميركية ـ اسرائيلية، كافية، بدرجة معيّنة، لأن تقرأ الأطراف الثلاثة الخارطة السياسية التكتيكية وحدود حركة كل من الطرفين الآخرين تجاه الازمة السياسية العامة في الشرق الاوسط، وفي جوهرها مستقبل الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، في محاولة لتحريك الأزمة الراهنة، سعياً الى الخروج من دائرتها باتجاه الحلّ الذي يسعى كل طرف، من خلاله، الى تحقيق أكبر قدر ممكن من شروطه، وتأمين الجانب الأوفر من أهدافه. وجاءت النتائج الأولية لعملية الاختبار المتبادل هذه لتؤكد غياب احتمالات ظهور مواقف دراماتيكية في مساعي أي من الأطراف الثلاثة المعنيّة، واستبعاد المفاجآت التي من شأنها ان تقلب المعادلات القائمة وتدفع باتجاه اعادة نظر شاملة في التوجّهات السياسية لكل من واشنطن وتل ـ أبيب وم.ت.ف. ولم تفرز هذه الاختبارات حلولاً، أو مقترحات حلول، توازي حجم المشكلة وتعالج جوهر الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، خصوصاً، والعربي ـ الاسرائيلي ككل ضمن صفقة شاملة، أو محطات في صفقة شاملة، يُتفق عليها. وانتهت جولة الشهور الثلاثة الماضية الى ما كان متوقعاً بتكثيف المعركة السياسية حول امكان اجراء انتخابات بلدية، أو سياسية، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين. وهي المسألة التي شكّلت نقطة تقاطع في المسارات التكتيكية للأطراف الثلاثة، على الرغم ممّا بينها من تباينات تصل الى حدّ التناقض. في ظل هذه الظروف، جدّد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، الدعوة القديمة الى اجراء انتخابات في الضفة والقطاع، لاختيار ممثلين عن سكانهما يتفاوضون مع اسرائيل حول صيغة مؤقتة للحل تنتهي بتثبيت صيغة حكم ذاتي اداري في المنطقتين. وأطلق شامير، خلال زيارته التي قام بها، مؤخراً، الى الولايات المتحدة، أفكاراً بهذا الخصوص يتمحور حولها الصراع، حالياً، بطرق مختلفة، ولأهداف مختلفة أيضاً.

حدود التفاهم

بعد عودته من واشنطن، سعى شامير الى خلق الانطباع بأنه ينشط سياسياً تحت مظلّة موافقة الادارة الاميركية على خطته؛ في حين أظهرت تصريحات المسؤولين الاميركيين، وخصوصاً الرئيس الاميركي، جورج بوش، ان لا اتفاق بين الطرفين، الاميركي والاسرائيلي، على مقترحات شامير بوصفها خطة سياسية محدّدة؛ لكن هناك استحساناً اميركياً لفكرة الانتخابات ولما قدّمه شامير باعتباره «يسهم في عملية السلام»، ولا يصنعها. فأفكار شامير، كما وصفتها مصادر أميركية، «احتمالية»

و«ممكنة»، وتحتاج الى الكثير من الافكار الاضافية الجديدة، والايضاحات، التي يمكن ان تأتي في سياق عملية الخطوة ـ خطوة التي تعتمدها واشنطن، والتي تبدأ بالزحف قبل الوقوف على القدمين والبدء في المشيء، على حدّ قول الناطقة بلسان الخارجية الاميركية، مارغريت توتويلر. وأوضحت الولايات المتحدة الاميركية رغبتها في اجراء انتخابات سياسية في الضفة والقطاع «لتحريك الامور قليلاً الى أمام». وصرّح بوش بأنه لا يعتمد ما تقدم به شامير من افكار سعى الى تسويقها داخل الولايات المتحدة الاميركية وفي أوساط الرأي العام فيها؛ وانه لا بد من البحث في صيغة للانتخابات تكون مقبولة من اسرائيل والفلسطينيين، اذا ما أريد لهذه العملية ان تسهم، فعلاً، في دفع عجلة السلام، وتفعيل حوار سياسي ومفاوضات مثمرة بين الطرفين. غير ان واشنطن قرأت أفكار شامير بصورة ايجابية، فاعتبرت اجراء انتخابات ينتج عنها وفد فلسطيني يفاوض على مرحلة انتقالية يجرى خلالها اختبار امكان التعايش والتعاون بين اسرائيل والفلسطينيين في الضفة والقطاع تتبعها اتفاقية دائمة، بمثابة اقرار اسرائيلي بربط المرحلة الانتقالية بمرحلة نهائية، مع الأخذ بالاعتبار اختلاف الفهم الفلسطيني للمرحلتين، الانتقالية والنهائية، على حدّ سواء، وكما سنرى فيما بعد. وفي هذا الصدد، أكد بوش ان شامير أعلن، خلال مباحثاته معه، التزامه التفاوض حول صيغة وضع نهائي يكون مقبولاً من جميع الاطراف ـ والطرف الفلسطيني المقصود ضمن التزام شامير هو المفاوضون المنتخبون وليس م.ت.ف. ـ من جهته، أشار شامير الى ان الترتيبات الانتقالية نحو الحكم الذاتي للفلسطينيين ليست نهائية، وانما ترتبط، مباشرة، بعملية سياسية أوسع تشمل التفاوض والاتفاق على اتفاقية الوضع النهائي للضفة والقطاع.

عندما أعطت واشنطن موافقتها الضمنية على أفكار شامير تفادت مواجهة محتملة مع اسرائيل على أرضية الخلاف المبدئي بين الجانبين حول الموقف من الانسحاب من المناطق المحتلة. فواشنطن تفضّل مبادلة اسرائيل الأرض بالسلام، بينما تصرّ حكومة شامير على الاحتفاظ بالمناطق المحتلة؛ كذلك استبعدت واشنطن، من أي حوار راهن مع اسرائيل، موضوع المؤتمر الدولي الذي يتّفق الطرفان على تجنّبه، كل من زاويته (واشنطن ورؤيتها الخاصة الى شكل ودور ووظيفة المؤتمر الدولي، والتي باتت معروفة؛ واسرائيل ورفضها أصلاً للفكرة من أساسها، على الأقل في ظل الحكومة الحالية). وفي المقابل، لم تشأ الادارة الاميركية الخروج من اللقاء بدون توافق ما يستند الى بعض أفكار شامير والتزاماته أمام بوش، وهي ان أفكار شامير تمثّل تقدماً في الموقف الاسرائيلي الجامد. فلقد حصل بوش من شامير على تعهّد محدّد «باحترام» الأخير لنتائج الانتخابات، واعتبر هذا أمراً هامّاً، لأنه في حكم المؤكد ان تضع الانتخابات م.ت.ف. في المقدمة. ويفهم من ذلك ان واشنطن تجنّبت الضغط على شامير لقبول التفاوض مباشرة مع م.ت.ف. وفضّلت تركه يواجه بنفسه حقائق الانتخابات، وبمعنى آخر، مواجهة م.ت.ف. في الداخل، بعد ان عمل شامير المستحيل على تفادي هذه المواجهة معها في الخارج؛ وأخيراً، انتزع بوش من شامير مبدأ يقوم على التعاطي مع كل الخيارات. وفسّرت ادارة بوش ذلك بأن الانتخابات ليست مرحلة نهائية أو غاية بحدّ ذاتها، وأعرب بوش عن التزامه العمل في هذا الاتجاه، لكنه التزام بحاجة الى ترجمة كموقف رسمي أميركي، في نصّ صريح تقدمه واشنطن الى الطرف الآخر المعني، أي م.ت.ف. وهو ما لم يحدث بعد.

في المرحلة التالية لتحركها في المنطقة، من المتوقع ان تتوجه الادارة الاميركية الى م.ت.ف. للحصول على موافقتها على نقاط سبق ان حصلت على موافقة شامير عليها، وهي تبنّي بعض الاجراءات التي من شأنها تخفيف حدّة التوتر في المناطق المحتلة، كتوجيه الانتفاضة للتخفيف

من المصادمات اليومية مع الجيش الاسرائيلي. وحسب مصدر فلسطيني تحدث الى اسبوعية عربية، فان مطلب الولايات المتحدة، كما تبلّغته م.ت.ف. ينحصر في عدم القاء الزجاجات الحارقة وعدم استخدام السكاكين، ونفى المصدر الفلسطيني ان تكون واشنطن قد طلبت، رسمياً، من م.ت.ف. ايقاف الانتفاضة؛ والقبول باجراء الانتخابات؛ والقبول بربط المرحلة الانتقالية بالمرحلة النهائية، اضافة الى الطلب الى م.ت.ف. تفويض شخصيات محلية استقراء ابعاد الحركة السياسية الاسرائيلية، وهو اشارة غير مباشرة الى متابعة التحاور الاسرائيلي ـ الفلسطيني، في الداخل، بموافقة صريحة من م.ت.ف. مقابل ذلك، تضمن الولايات المتحدة الاميركية «تحويل أفكار شامير الى سياسة حقيقية»؛ وتضمن، كذلك، نتائج الانتخابات واحترام اسرائيل لها، وان تكون الانتخابات عادلة؛ وربما تقبل واشنطن نوعاً ما من الاشراف الدولي لا يقوم على تفويض هيئات تابعة للامم المتحدة، أو منبثقة منها، بل قوامه مراقبون من دول عدة، ممّن يوافق عليهم الفلسطينيون والاسرائيليون، الى جانب مشاركة مراقبين من الولايات المتحدة الاميركية ذاتها. وصرّحت أوساط في الادارة الاميركية بأن في امكانها الحصول على موافقة اسرائيلية على ذلك. في مقابل المقابل هذا، طمأنت الادارة الاميركية اسرائيل الى التزامها تحقيق الأمور التالية: ضمان أمن اسرائيل والتزام الاطراف الاخرى به، وهي مسألة لا تجد معارضة من الجانب الفلسطيني استناداً الى موافقة م.ت.ف. المبدئية على قيام دولتين في فلسطين الانتدابية، واقرارها بحق جميع شعوب المنطقة في العيش بسلام وفقاً لما جاء في بعض قرارات الامم المتحدة، كالقرار ٢٤٢ مثلاً، الذي لا تعارض م.ت.ف. هذا الجانب فيه؛ وتطبيق قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ اللذين يعنيان الامن مقابل السلام، وهو ما تصرّ عليه واشنطن؛ وحلّ المشكلة الفلسطينية على أساس منح الفلسطينيين «حقوقاً سياسية». وقد حرصت الادارة الاميركية على عدم تحديد مفهوم هذه الحقوق الذي لا يعني، في المنظور الاميركي الراهن، دولة مستقلة، أو يشير الى ضرورة التوصل اليها في نهاية المطاف. وقد وضع بوش دعوته الى سحب الجيش الاسرائيلي من الضفة والقطاع في كفّة معادلة لرفضه قيام دولة فلسطينية مستقلة. ولهذا يستبعد مراقبون ان تبلور واشنطن مفهوماً واضحاً ومحدّداً للحقوق السياسية للفلسطينيين، ويرجّحون ان تسعى الى دفع الاطراف المعنيّة الى الاقرار بصيغة كونفدرالية أردنية ـ فلسطينية كشكل نهائي للحل، وهم يعتقدون بأن هذا يجنّب واشنطن الصدام مع تل ـ أبيب، ويحقق «بعض الطموحات» الفلسطينية من دون ان يلزم واشنطن بأهداف م.ت.ف.

هل يعني هذا ان واشنطن بدأت مرحلة وساطة بين اسرائيل وم.ت.ف. ؟ وأي وساطة يمكن ان تقوم بها ادارة بوش، الحليف الاستراتيجي لاسرائيل ؟ وما هي حدود ضغطها النسبي على طرفي الصراع ؟ وكيف ستتعاطى معهما، من موقع «الوسيط»، في المدى المباشر على الأقل ووفق ما عكسته مواقف المسؤولين في هذه الادارة ؟

«وساطة» واشنطن

على خلاف التوقّعات التي سادت بُعيْد انتخاب بوش رئيساً للولايات المتحدة الاميركية، والتي ذهبت، قبيل تشكيل الطاقم الجديد في ادارة بوش، الى ان واشنطن قد تغادر، في ظل ادارة بوش، سياسة الخطوة ـ خطوة التي سارت عليها الادارات السابقة منذ وضع وزير الخارجية الاسبق، هنري كسينجر، أسس هذه السياسة، وتلتحق بركب الصفقات الشاملة، اعتماداً على متغيّرات الوضع الدولي واتساع دائرة الانفراج التي سمحت بعقد نوع من الصفقات في غير منطقة من العالم.

فقد جاء تشكيل الادارة الاميركية الجديدة ليثبّت تلك السياسة، حتى ان بوش أعطى ثلاثة مقاعد هامّة لمناصري كيسنجر، شغلها نائب وزير الخارجية، لورانس ايغلبيرغر، ورئيس قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية، دينيس روس، ونائبه آرون ديفيد ميلر. ولم يخف الطاقم الجديد توجّهاته نحو اتباع سياسة الخطوات الصغيرة، والمحدودة، التي تهدف الى تحريك الوضع الراهن في الشرق الاوسط. وقد صرّح وزير الخارجية، جيمس بيكر، بأن واشنطن ركّزت، خلال الشهرين الماضيين، على «الحاجة الى عملية تستند الى الخطوة ـ خطوة». ولهذا لم يحاول بوش ممارسة ضغوط على شامير، خلال محادثاتهما، لانتاج خطة سياسية متكاملة وشاملة، بغض النظر عمّا ستكون عليه الخطة، ومدى ملاءمتها الحاجات الضرورية لحلّ النزاع في المنطقة. ويعكس هذا صحّة الرأي القائل بأن الادارة الاميركية لم تكوّن، بعد، تصوراً لخطة كاملة للحل في الشرق الاوسط، فاختارت تأجيل الحل الشامل لصالح المرحلي والمؤقت، حيث وجدت في أفكار شامير مدخلها نحو ما أسمته «تحريك العملية السلمية»، مبتعدة، بذلك، من جوهر المشكلة، متجنّبة تطوير موقفها من الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني، متفادية أي بحث في موضوع المؤتمر الدولي، مستبدلة ذلك بالمفاوضات المباشرة بين الأطراف المعنيّة، والتي تبدأ من حيث غادر شامير واشنطن، أي من أفكاره، وتتابع زحفها البطيء، والمحدود، نحو «تطوير» هذه الافكار. لكن، على الرغم ممّا في هذا الرأي من تفسير، فقد تبتعد واشنطن، بدرجة ما، من هذا التصوّر؛ اذ من المحتمل ان تجد نفسها مضطرة الى مراعاة بعض شروط ومعطيات ومتطلبات الوضع الدولي، كأن تضع، بالتشاور مع الاتحاد السوفياتي، بعض الخطوط العامة لحل شامل مؤجل حيث يبقى التوجّه الاميركي الراهن منصبّاً على تحقيق حلّ جزئي مؤقت في اطار الانتخابات، وانطلاقاً منها. وهناك من يعتقد بأن واشنطن تتّجه نحو لعب دور «الوسيط» من حيث تسعى الى تقريب وجهات النظر الاسرائيلية، والفلسطينية، نحو بعضها البعض، وادخالها مسار الحلّ الشامل من بوّابة الاتفاق التدريجي على خطوات جزئية تتطلب تنازلات متبادلة من الطرفين وتنتهي عند اقرار شكلي لمؤتمر دولي ذي طابع احتفالي.

بدأت «وساطة» واشنطن، فعلياً، مع عبورها الممرّ السياسي الذي أوجدته مواقف الطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني. فقد اعترف شامير، استناداً الى تصريحات بوش، بأن مقترحاته التي قدّمها في واشنطن تبقى ناقصة، وبحاجة الى تطوير؛ وأكدت م.ت.ف. بلسان عدد من مسؤوليها، في الخارج والداخل، عدم معارضتها للانتخابات، اذا أُجريت بشروط معيّنة، وفي ظروف محدّدة. ومن المسافة بين الموقفين، تحاول واشنطن الدخول لتحسين شروط اللعبة السياسية من دون ان تمارس ضغطاً على اسرائيل، مع حرص ظاهري على عدم ابتزاز م.ت.ف. او الظهور بمظهر الضاغط عليها، ولعب دور «الوسيط» الذي يسعى الى التوفيق بين طرفين متصارعين. فبدأت واشنطن تشجيع الطرفين على ما تسمّيه خفض التوتر، وتشجيع الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين «لخلق مناخ مؤات لمفاوضات حول الترتيبات الانتقالية والوضع النهائي للمناطق المحتلة؛ والطلب من الطرفين التزام المزيد من المرونة، والواقعية» التي تحاول واشنطن، من خلالهما، سحب تنازلات من الجانبين. وخلال ذلك تختبر واشنطن المدى الذي تستطيع م.ت.ف. الاقتراب من طرح شامير الذي سيكون، حسب تصوّرات مسؤولين في الادارة الاميركية، «بحاجة الى التحدث الى م.ت.ف. لاقناعها بالموافقة على الانتخابات والمساهمة في العملية». ويعتمد أصحاب هذا التصوّر على ان التحدث الاميركي عن ربط الانتخابات بالحل النهائي سوف يكون عامل جذب للفلسطينيين؛ امّا على الجانب الاسرائيلي، فسوف تكون الانتخابات وسيلة لاقناع شامير «بالاعتراف، علناً، بطبيعة المشكلة التي يواجهها، وهي مشكلة

الانتماء القومي للفلسطينيين». فشامير سوف يواجه، نتيجة الانتخابات، م.ت.ف. منتخبة، بصورة ديمقراطية، مرابطة أمامه، اذ تقرّ جميع الاطراف، وبضمنها أميركا واسرائيل، ان لا انتخابات بدون موافقة م.ت.ف. وان لا نتائج للانتخابات خارج مصلحتها، حيث النتائج مضمونة مئة في المئة لانصارها في الداخل. ولا يخفى ان مثل هذه النتيجة يثير قلق بعض الاسرائيليين، ممّن يعتقدون بأنه «ما ان يبدأ شامير السير على طريق الانتخابات الحرّة، وحرية التعبير، حتى يكون قد اعترف، بحكم الواقع، بوجود الشعب الفلسطيني، وقبل بمفهوم الارض مقابل السلام».

يمكن اجمال التكتيك الاميركي، في معرض «الوساطة»، بأن الادارة الاميركية تسعى، من خلال تحرّكات وزير خارجيتها، جيمس بيكر، الذي من المتوقع ان ينشط في هذا المجال، الى جعل الفلسطينيين والاسرائيليين يتحدثون على نحو مباشر، بعد ان تكون الوساطة والتحدث غير المباشر قد قطعا شوطاً هاماً، وهو أمر لن يجرى بسهولة، اذ لا تزال الولايات المتحدة تعتقد بأن الشعور السائد في اسرائيل أقرب الى الاعتقاد بأن م.ت.ف. تعمل على تدميرها؛ بينما تعتقد غالبية الفلسطينيين بأن اسرائيل مصمّمة على التمسّك باحتلالها لاراضيهم. وتشيع ادارة بوش انها سوف تعمل على نزع الاعتقادين معاً. فبيكر سوف «يقرص الاسرائيليين والفلسطينيين معاً، ويدفعهم الى التحرك نحو ما يعتقده هو بأنه اتجاه بنّاء؛ ويحثّ الجانبين على البحث عن سبل بناء الثقة بينهما، مثل اقدام اسرائيل على انسحاب جزئي لقواتها، مقابل تبريد الانتفاضة لتحسين أجواء المحادثات»، حسب التعبير الاميركي. ومحصلة ذلك هي استيعاب حركية الطرفين السياسيين، الاسرائيلي والفلسطيني، وصهرها داخل بوتقة السياسة الاميركية، وتفعيلها، لانتاج تصوّر من مجمل ما تمّ الحصول عليه من مواقف الطرفين، بحيث يمكن الخروج بصيغة حلّ تتضمن رغباتهما وتأخذ لوناً أميركياً، يختفي فيه الطابعان، الاسرائيلي الذي من شأنه ان يجلب رفض م.ت.ف. والفلسطيني الذي سيمنع الحصول على موافقة اسرائيلية.

حدود القبول الفلسطيني

أمّا كيف توفّق واشنطن بين هذا وذاك وتنشىء صيغتها «الخاصة» لحل مؤقت، فيمكن الاستدلال عليها من بعض ما هو متوقّع ان تتقدم به واشنطن الى الطرفين في بعض خطوطه الخارجية، حيث تبقى التفاصيل مرشّحة للظهور في مراحل لاحقة.

استناداً الى بعض وسائل الاعلام الاميركية، تحمل ادارة بوش مجموعة اسئلة تنوي التقدم بها الى م.ت.ف. وهي: ما هو تصوّر م.ت.ف. لدعوة شامير الى اجراء انتخابات في الضفة وغزة لاختيار ممثلين يتفاوضون حول الوضع المؤقت لهذه الاراضي، وحول منح الفلسطينيين فيها استقلالاً ذاتياً موسّعاً ؟ وما هي شروط واقتراحات م.ت.ف. لاجراء هذه الانتخابات ؟ وهل توافق م.ت.ف. على اجراء انتخابات باشراف مراقبين تابعين للامم المتحدة ؟ ومن هم الفلسطينيون الذين ينبغي ان يشاركوا في الانتخابات ؟ وكيف ترى م.ت.ف. مشاركة الفلسطينيين الذين يعيشون، حالياً، خارج الارض المحتلة ؟ وما هو تصوّر م.ت.ف. ورأيها في التوصّل الى صيغة حل مؤقت في الضفة والقطاع ؟ وما هي الخطوات التي يجب اعتمادها من جانب م.ت.ف. واسرائيل لتهدئة الاوضاع الامنية وتخفيف حدة الصدامات بين الفلسطينيين والاسرائيليين في المناطق المحتلة ؟

في الواقع، يمكن العثور على أجوبة كثيرة، وبعضها محدّد، عن الاسئلة الاميركية، في عدد كبير من تصريحات ومواقف المسؤولين الفلسطينيين، حتى قبل نقل تلك الاسئلة اليهم، اذا كان ذلك

سوف يتمّ فعلاً. ففي مواجهة الدعوة الى الانتخابات التي ظهرت في مناسبات عدة، وكان متوقعاً ان تدور مباحثات شامير في واشنطن حولها، ظهر موقفان على الساحة الفلسطينية: واحد يرفض الانتخابات جملة وتفصيلاً، ويرى انها تهدف الى ايقاف الانتفاضة وحسب، ومنح اسرائيل المزيد من الوقت للخروج من أزمتها الراهنة، ويكتفي هذا الموقف بعرض تخوّفاته من دون ان يسعى الى عرقلة الخطة الاسرائيلية أو تغيير مفهوم الانتخابات؛ فيما يقوم الثاني على رفض الانتخابات التي وردت في مقترحات شامير ولا يغلق الباب نهائياً، اذ يضع شروطاً للموافقة عليها ترفضها غالبية الاسرائيليين من ناحية فعلية، وهذا الموقف يضع مضموناً واقعياً لرفضه ويدفع الكرة، بذكاء، الى ملعب الطرف الآخر، الذي عليه هو ان يردّ على هذه الشروط، ويعلن رفضه، او قبوله، لها. مع ملاحظة ان دعاة الموقفين الفلسطينيين يتفقان تماماً على اعتبار م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وعلى ان أية مفاوضات بشأن مستقبل الاراضي المحتلة يجب ان تجرى معها هي، وحدها دون سواها. وتعتبر المواقف الرسمية الفلسطينية من النوع الثاني الذي تضمّن رفض مقترحات شامير باعتبارها طبعة جديدة من اتفاقيتي كامب ديفيد، وانها لا تحقق الاهداف الوطنية للشعب الفلسطيني، وتهدف الى خلق قيادة بديلة من م.ت.ف. وزرع الشقاق بين الفلسطينيين في المناطق المحتلة وممثلهم الشرعي م.ت.ف. وتخفيف الضغط الواقع على اسرائيل بفعل الانتفاضة، والتخلّص من صيغة المؤتمر الدولي الذي تحضره م.ت.ف. ويلقى تأييداً ودعماً عالميين. وتتجاوز صيغة الرفض الفلسطيني الايجابي طرح مسبّباته الى نقل أسئلة واجوبة الى الطرف الآخر، لابقاء الكرة مستقرة في ملعبه أطول مدة ممكنة. فقد طرحت أوساط الداخل الفلسطيني الخطوط العامة لموقفها الذي يتماثل تماماً مع موقف الخارج الفلسطيني، ويتضمّن الشروط التالية: ان تكون الانتخابات جزءاً من عملية تنتهي الى عقد المؤتمر الدولي للسلام؛ وان يرافقها انسحاب اسرائيلي؛ وان تؤدي الى استقلال فلسطيني. أمّا الاسئلة الملحقة بها، فهي حول طبيعة الانتخابات، وما اذا كانت بلدية ام سياسية، ودور سكان القدس العرب فيها، وما اذا كانوا سيشاركون فيها أم لا، وعلاقة الفلسطينيين في الخارج بها، ونوع وشكل الاشراف الدولي عليها.

استناداً الى هذه الافكار والاسئلة، طوّرت مجموعة، ضمّت شخصيات بارزة من المناطق المحتلة، مشروعاً تضمّن ردّاً على غالبية الاسئلة التي قد تطرح على الجانب الفلسطيني. وذكر ان تفاصيل هذا المشروع نقلت، كتوصية، الى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، عبر مدير مكتب الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، واشتمل على النقاط التالية: ١ ـ انسحاب اسرائيلي جزئي من المدن والبلدات الرئيسة في الضفة والقطاع؛ ٢ ـ اجراء انتخابات حرّة وديمقراطية يشرف عليها مراقبون من الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ومصر؛ ٣ ـ التفاوض لمدة قد تصل عامين على القضايا الاسرائيلية ـ الفلسطينية الداخلية، مثل السيادة على الموارد الطبيعية في البلاد، ومهام الامن، والقضايا الاقتصادية؛ ٤ ـ اجراء مفاوضات مع ممثلي م.ت.ف. على الوضعية النهائية للاراضي المحتلة، على ان تضمن واشنطن، خطياً، ان تؤدي هذه المفاوضات الى تقرير المصير الفلسطيني في دولة مستقلة تدخل في اتحاد كونفدرالي مع الاردن. ويبدو انه أُجري بحث في هذه المقترحات خلال لقاء الاسماعيلية الذي ضمّ الرئيس المصري، حسني مبارك، والرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، والملك الاردني حسين، حيث توصلوا الى تصوّر عربي مشترك عماده ثلاث مراحل: انسحاب القوات الاسرائيلية؛ واجراء انتخابات تحت اشراف دولي، ويتمّ، بعدها، اختيار فريق فلسطيني توافق عليه م.ت.ف. ويدخل في مفاوضات مع اسرائيل، خلال فترة تمتدّ عامين، يتمّ خلالها خلق اجواء من

الثقة التي تعتقد واشنطن بضرورتها؛ ثم يصار الى التفاوض بين م.ت.ف. واسرائيل لتحديد مستقبل الاراضي المحتلة في اطار التسوية النهائية. ونقل مصدر فلسطيني تفصيلات اضافية تلقي ضوءاً على نوعية الاشراف الدولي الذي قد تقبل به م.ت.ف. وهو النموذج الناميبي الذي «تعتبره م.ت.ف. حالة قياس، وتطالب بسريانه على الاراضي الفلسطينية، ومستقبلها»، وملخصه اتفاق على الهدف (الاستقلال)؛ وانسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية (تركيز انتشارها ـ مؤقتاً ـ في مناطق محددة)؛ وانتخابات باشراف دولي.

مخاوف اسرائيلية

على الرغم من ان فكرة الانتخابات، بتلاوينها المختلفة، ليست ممّا يرغب فيه الفلسطينيون أو يسعون اليه، في الظروف الراهنة، وعلى الرغم ممّا تلقاه من تأييد اسرائيلي، فان دعوة شامير تخفي قدراً من المخاوف لدى بعض الاوساط الاسرائيلية، وبالذات داخل صفوف اليمين الاسرائيلي وداخل الليكود الذي يتزعّمه شامير، بصورة خاصة. فقد حازت مقترحات شامير على تأييد الحكومة في الجلسة التي عقدتها بتاريخ ١٦/٤/١٩٨٩، مع تحفظ ومعارضة ثلاثة وزراء، هم اريئيل شارون واسحق موداعي ودافيد ليفي، انطلقوا، جميعاً، من مواقع الى يمين زعيمهم. فليفي اعتبر مقترحات شامير تنازلاً خطيراً من شأنه ان «يعطي شرعية لتمثيل م.ت.ف. لدى المواطنين في الاراضي المحتلة»، وحيث «يجرى انتخاب المحرضين على الانتفاضة بموافقتنا». وموداعي اعتبرها «الطريق الذي يقود الى جهنم». واكتفى شارون بتأكيد مواقفه المعروفة من رفض أي انسحاب وعدم الرضوخ لأية تنازلات مهما صغرت، والاستمرار في ممارسة القمع، كأسلوب وحيد لوضع حدّ للانتفاضة. أما معسكر اليسار، فقد رفضها، لأنها لا تقدّم حلاً فعلياً ولا تلبّي مطالب الشعب الفلسطيني. ورحّبت بها أوساط الوسط، فتحمس لها وزير الدفاع، اسحق رابين، الذي يحتفظ بين ملفاته بمقترحات شبيهة سبق وتقدم بها، واعتبرها «مبادرة طيبة تلقي الكرة في الملعب الفلسطيني، والعربي». وحازت مقترحات شامير على موافقة زعيم حزب العمل وزير المالية، شمعون بيرس، الذي اعتبر موافقة واشنطن عليها، في ظل متابعتها حوارها مع م.ت.ف. هي «دخول اسرائيلي مرحلة التفاوض مع م.ت.ف. عبر طرف ثالث». وهو ما سعت اسرائيل، ولا تزال تسعى، الى تجنّبه دون جدوى. وعكست أوساط أخرى مخاوف ذهبت الى ما هو أبعد من مجرد الاعتراض، حيث «يمكن لـ م.ت.ف. ان تستغل الانتخابات كمقدمة أولى لتحقيق اهدافها في اقامة دولة مستقلة» في وقت لاحق. وعلى أية حال، تتمحور المخاوف الاسرائيلية، أساساً، في موضوع الانسحاب، الذي اعتبره شامير «موازياً لقيام دولة فلسطينية»، سمّاها دولة م.ت.ف. التي تقع على مشارف تل ـ أبيب والقدس؛ وفي صيرورة العملية الانتخابية والتداعيات التي يمكن ان تقع في اثناء البحث في كيفية اجرائها وطبيعة شروطها والتعامل مع نتائجها، اذ تشكّل المأسَسَة التي اصبحت طابعاً مميّزاً لكثير من الاطارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، في الضفة والقطاع، والتي تقترب، الى جانب التشكيلات التنظيمية للانتفاضة، من صورة دولة فلسطين ما قبل الاستقلال، عامل رعب حقيقي لاسرائيل، التي تعترف بأن هناك جهاز دولة شبه كامل، يعمل بانتظام دون انتظار نتائج الانتخابات، ويشتغل بفعالية عالية تحت سمع وبصر الجنود الاسرائيليين، ويقوم بتسيير دفّة الحياة للمواطنين في ظروف الانتفاضة، ووفق متطلباتها. وفي هذا الصدد، لم يفت مستشار شامير المقرّب، يوسف بن أهارون، في ندوة «مؤسسة واشنطن للشرق الادنى»، التحذير من ان أية حركة تقع من جانب من يتمّ انتخابهم باتجاه اعلان دولة فلسطنية، سوف يؤدي الى الغاء العملية بكاملها.

ولكن لكل عملة وجهين كما يقولون. فاذا كان الوجه الاول للانتخابات يؤمن لاسرائيل بعض الفكاك من مأزقها، فان اسئلة كثيرة مطروحة، لن تكون الاجابة عنها من النوع السهل، ومنها ما اذا كان بن أهارون، على سبيل المثال، يقصد عودة القوات الاسرائيلية الى احتلال المناطق بعد ان تكون قد غادرتها تمشّياً مع أصول اللعبة الانتخابية! ان اسرائيل تدرك انه لا يمكن لأية عملية انتخابية ان تتمّ من دون حرية حركة للناخبين والمرشحين، والاّ فقدت أهمّ شروطها وشروط اجرائها اصلاً والمتعلق بها كممارسة ديمقراطية. وهذا يعني ان اسرائيل مضطرة الى ترك باب الحركة مفتوحاً للحملات الانتخابية، التي سوف تحيل الضفة والقطاع الى مسرح لمهرجانات واحتفالات انتفاضية قوامها تجمّعات وحشود وشعارات ممّا لا يستسيغه الاحتلال؛ ومن الجائز ان تأخذ هذه الحركة، في ظروف الانتفاضة، شكل احتفالات الاستقلال، خصوصاً ان أي انتخابات لن تحصل على موافقة أي طرف فلسطيني ما لم ينسحب الجيش الاسرائيلي الى خارج المدن والتجمّعات الرئيسة في البلاد، أي، بصورة أوضح، سحب جميع أدواته الامنية، وتوفير مناخ لقيام ادارة ذاتية وطنية، حتى قبل ظهور نتائج الانتخابات. وهي أمور لا يمكن لاسرائيل ان تتفاداها الاّ من معبرين: التسليم لـ م.ت.ف. بسلطتها على المناطق، بصورة أو بأخرى، وهي سلطة قائمة، في الواقع، غير انها مطوّقة بسياج الجنود وفي حالة اشتباك دائم معه؛ او تفويض قوات المراقبة الدولية لأن تصبح قوة فصل، تمهيداً للبحث في صيغة الحل النهائي للمشكلة.

تدرك الاوساط الاسرائيلية صعوبة هذا المأزق وتعقيداته. لهذا تبدو معركة الشروط المتبادلة الدائرة، حالياً، بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، حول الموقف من الانتخابات من أعقد معارك الطرفين، اللذين يخوضان مفاوضات غير مباشرة من خلال معركة مباشرة. لهذه الاسباب تصرّ حكومة شامير على استبعاد م.ت.ف. وترفض، بقوة، أي شكل من أشكال الانسحاب. غير ان ذلك لا يزيد موقفها الاّ تعقيداً. فخياراتها محدودة؛ فامّا الموافقة على اجراء انتخابات بشروط م.ت.ف. أو ما هو أساسي منها، على الأقل (انسحاب جزئي، ومراقبين دوليين)، وامّا سحب مقترحاتها، واعلان فشلها، والعودة الى مأزقها عند درجة الصفر؛ وهنا قد تكون جميع الاحتمالات مفتوحة.

مصاعب الفلسطينيين

هذا لا يعني ان م.ت.ف. وعموم الفلسطينيين هم في حالة راحة واسترخاء. فهم يواجهون، بدورهم، عدداً من الصعوبات والعقبات، منها انه لن يكون هناك انسحاب اسرائيلي من المناطق المحتلة، ما لم تقتنع غالبية الاسرائيليين بمزايا هذا الانسحاب، وأفضليته على الوضع الراهن، وهو أمر لم يتحقق حتى الآن، ويتطلب تحقيقه المزيد من مراكمة انتصارات الانتفاضة ورفع مستوى وفاعلية تفوّقها على الاحتلال، واجبار العدو على دفع ثمن أعلى ممّا دفعه حتى الآن، ممّا ينشىء حالة عامّة تستجيب، مرغمة، أو مقتنعة، لخيار الانسحاب. هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، فان م.ت.ف. لا تستطيع تجاهل الدعوة الى الانتخابات بما هي دعوة الى ممارسة الديمقراطية من منظار أوروبي غربي وأميركي يجد غرابة في رفض ممارسة من هذا النوع. ويبدو ان الموقف الفلسطيني الرسمي استوعب في تنظيمه رده على أفكار شامير الحساسية الاوروبية ـ الاميركية، فجاء، في جوهره، محافظاً على رغبة فلسطينية حقيقية في ممارسة العملية الانتخابية بصورة ديمقراطية كاملة. وذهب مصدر فلسطيني، في القاهرة، الى التأكيد ان الفلسطينيين معنيين بممارسة هذا الحق الذي حرموا منه طويلاً. وأظهرت مواقف مسؤولين فلسطينيين ان رفضهم الانتخابات يتعلّق برفض الشروط الاسرائيلية

التي تنزع عن العملية طابعها الديمقراطي، الذي يجعل منها مدخلاً الى تطبيق صيغة الحكم الذاتي الذي رفضه الفلسطينيون قبل عشر سنوات، وهم غير معنيّين بقبوله حالياً، وفي ظل ظروف تبدو فيها الحركة الوطنية الفلسطينية في ذروة تقدمها على غير صعيد، محلياً واقليمياً ودولياً.

يفهم من الحركة السياسية الفلسطينية الراهنة انها وضعت في جوهر عملية تصديها لمقترحات شامير الابتعاد من ممارسة الرفض المطلق في صورته العدمية، والتزام جانب الرفض الايجابي بوضع الشروط المضادة التي من شأنها ان تحوّل العملية برمّتها الى مواجهة وطنية مع الاحتلال، فلا تبدو م.ت.ف. عائقاً أمام تقدّم عملية السلام، وهو هدف تسعى اليه كل من تل ـ أبيب وواشنطن، اللتان تدفعان بكرة شامير الى الملعب الفلسطيني، بعد ان فشلت الادارة الاميركية، خلال جولتي الحوار السابقتين مع م.ت.ف. في حشرها في خانة «الارهاب»، وبعد نجاح م.ت.ف. في اجتياز حاجز الاعتراض الأول الذي وضعته واشنطن على طريقها، دون ان تقدم تنازلاً، او تدفع ثمناً. كما نجحت في افهام الطرفين الآخرين، اميركا واسرائيل، ان لا مساومة على الانتفاضة، ودفعت وزير الخارجية، جيمس بيكر، الى التصريح تلميحاً، وعلانية، الى امكان اجراء الانتخابات من دون وقف الانتفاضة. هذه القضايا، مجتمعة، تجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن المعركة المقبلة مع اسرائيل لن تتمحور في رفض، أو قبول، الانتخابات. فمن المستبعد تماماً ان تعلن م.ت.ف. موافقتها؛ كما انها لم تعلن رفضها من دون وضعه في اطار شروطها الوطنية، وهذه سمة المعركة الراهنة التي قد تتواصل شهوراً، ويبدو خلالها الطرف الاسرائيلي هو الاضعف الذي تعوزه مفاتيح اللعبة السياسية، حتى وان امتلك المبادرة في لحظة عابرة أوجدتها الحركة السياسية الاميركية وما خلّفته من مناخات معيّنة. فاسرائيل لا تملك القدرة على ايقاف الانتفاضة، مثلما لا تملك أية قدرة على اجبار الفلسطينيين على الدخول في عملية سياسية لا يرغبون فيها، ولديهم انتفاضتهم التي تمثّل اداة الرفض الحادّة التي يصعب على الاحتلال مواجهتها والقضاء عليها، او اضعافها، على الرغم من مرور أكثر من ١٦ شهراً. وهي، أخيراً، لا تملك الوسيلة لتهيئة اجواء «تفاهم» مع أي من الشخصيات الفلسطينية الوطنية حول افكار شامير وملحقاتها.

وسط كل هذه التقديرات، تتواصل المعركة السياسية التي يتوقع ان تدخلها عناصر جديدة، خصوصاً بعد لقاء بيكر ـ شيفاردنادزه المتوقع، وزيارة الرئيس الفلسطيني لفرنسا، ممّا قد يعدّل في بعض خطوط المعركة باضافة عوامل أخرى، تغذّي بالذخيرة السياسية هجوم السلام الفلسطيني، الذي يتابع، بنجاح، تطويق المواقف الاسرائيلية، لدفنها في رمال الاحتلال قبل ان تصل شوارع الانتفاضة.

الصهيونية والهاجس الديمغرافي

د. محمود محارب

«يجب ان يكون واضحاً لنا انه لا مكان للشعبين معاً في البلاد... والحل الوحيد هو ارض ـ اسرائيل، على الاقل ارض ـ اسرائيل الغربية، بدون عرب. لا مكان، هنا، لحلول وسط. وما من طريق اخرى سوى ترحيل العرب من هنا الى الدول المجاورة، ترحيلهم جميعاً... يجب ان لا تبقى اية قرية، او قبيلة؛ يجب ترحيلهم الى العراق وسوريا وحتى الى شرق الاردن. ولتنفيذ هذا الهدف، يمكن توفير اموال كثيرة. وبعد الترحيل فقط تستطيع البلاد ان تستوعب الملايين من اخوتنا، وتجد المسألة اليهودية نهاية وحلاً» (يوسف فايتس، القدس، ٩/١٢/١٩٤٠).

كما كانت عليه الحال في الماضي، لا يزال مجرد وجود شعب مسالم يكد ويعيش في وطنه من عرق جبينه منذ آلاف السنين يشكل هاجساً دائماً للحركة الصهيونية واسرائيل. وفي الآونه الاخيرة، اخذ هذا الهاجس يزداد حدّة، فشرع اولئك الذين حلّت بهم ارواح مشاهير الطغاة يضعون خططاً، ويصدرون بيانات، تدعو الى طرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه. ولعل التصريحات العلنية، والمتكررة، لشخصيات واحزاب اسرائيلية لها نفوذها وتأثيرها في المجتمع الاسرائيلي، المطالبة، جهاراً، بطرد الفلسطينيين، بعد ان كان هذا الموضوع يحاط بالسرية عادة، لخير مؤشر الى جدية المنادين بالطرد، ومدى استعدادهم للمضي قدماً في تحقيق نواياهم.

جذور فكرة الترحيل

تعود جذور فكرة طرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه الى صلب الصهيونية. فقد انبثقت هذه الفكرة من الحركة الصهيونية، ورافقت تطور المشروع الصهيوني في فلسطين، منذ نهاية القرن الماضي وحتى يومنا هذا. وما كانت الاهداف الصهيونية الاساسية لتتحقق دون طرد الفلسطينيين جميعاً، او معظمهم، من فلسطين. فمجرد وجود الشعب الفلسطيني في وطنه يتناقض، تناقضاً حاداً، مع الصهيونية واهدافها في فلسطين. ولكي يتسنّى فهم ذلك، لا بدّ من التوقف عند اهداف الصهيونية.

يتفق الباحثون، سواء المؤيدون للصهيونية او المعارضون لها، على ان اهداف الحركة الصهيونية الاساسية تتمثل في النقاط التالية: اولاً، نفي «المنفى» وجمع «شتات» يهود العالم في «ارض ـ اسرائيل»؛ ثانياً، انشاء دولة يهودية في «ارض ـ اسرائيل»؛ ثالثاً، تكون هذه الدولة ملجأ آمناً لليهود، ونبراساً يستضيء به الاغيار.

لو ان فلسطين كانت خالية من السكان، أو ان آباء الصهيونية وجدوا منطقة في العالم خالية من البشر، لما واجهت الحركة الصهيونية مشاكل تعرقلها في تحقيق اهدافها. اذ كان بالامكان، وخاصة في ضوء انتشار اللاسامية في اوروبا، نقل اليهود، او من شاء منهم، الى البلد المنشود. ولكن، لمّا كان

من المستحيل ايجاد منطقة على وجه البسيطة خالية من السكان، دأبت الحركة الصهيونية على تنفيذ اهدافها في فلسطين ضمن رؤية تتجاهل رسمياً ولفظياً، بصورة ممجوجة ومفضوحة، وجود الفلسطينيين، وتسعى، عملياً وبصورة غير رسمية، الى طرد هذا الشعب «غير الموجود».

يتناقض مبدأ نفي «المنفى» وجمع «الشتات» تناقضاً حاداً مع وجود الشعب العربي الفلسطيني في وطنه؛ وبالتالي اعتمد على نفي القائم وتشتيت الفلسطينيين واقتلاعهم من وطنهم. كما ان مبدأ تأسيس دولة يهودية في «ارض ـ اسرائيل» يتناقض مع تطلّعات الشعب الفلسطيني في انشاء دولة مستقلة في فلسطين، وبالتالي اعتمد على انكار حق الفلسطينيين في انشاء دولة خاصة بهم في وطنهم فلسطين؛ اما الهدف الصهيوني الثالث، الذي سعى الى جعل الدولة اليهودية ملجأ آمناً لليهود، فقد تمخّض عنه عدم توفّر مكان آمن للفلسطينيين، وتحويل غالبية الفلسطينيين الى لاجئين غير آمنين.

وخلافاً للحركات الاستعمارية الاخرى، لم يكن هدف الحركة الصهيونية الاساسي استغلال السكان الاصليين كمصدر عمل رخيص وسوق لمنتجاتهم. فقد استنتج القادة الصهيونيون ان اتباع هذا النموذج، الذي لن يتمخّض عنه دولة يهودية بل دولة يكون فيها المستوطنون اليهود اقلية تحتل الشريحة العليا في المجتمع، بينما يشكّل الفلسطينيون والذين يحتلون الشرائح الدنيا في المجتمع، الاغلبية، يحمل في ثناياه خطراً يؤدي الى وأد المشروع الصهيوني على المدى البعيد. لذا، قرر القادة الصهيونيون العمل على «التخلّص» من الفلسطينيين، وطردهم الى خارج فلسطين. ومن الجدير بالذكر ان الصهيونيين، وخاصة «المعتدلين» منهم، تجنّبوا، في معظم الاحيان، استعمال كلمة «طرد»، لكونها تحمل صفات الوحشية والعنف، واستعاضوا عنها بكلمات تؤدي المعنى ذاته، لكنها تُجمِّل وتنمِّق الفكرة، مثل «نقل» و«تبادل سكان» و«اعادة اسكان» و«تخفيف الكثافة السكانية».

آراء المنظّرين الصهيونيين

عندما كان يضع الخطوط العريضه للبرنامج الصهيوني الهادف الى تأسيس دولة في فلسطين وجوارها، كتب مؤسس الحركة الصهيونية، ثيودور هرتسل، في يومياته، في العام ١٨٩٥ ، حول موقف الحركة الصهيونية من العرب الفلسطينيين: «سنحاول نقل الشرائح الفقيرة الى ما وراء الحدود، بهدوء ودون اثارة ضجة، بمنحهم عملاً في الدول التي سينقلون اليها. لكننا سوف لن نمنحهم اي عمل في بلادنا»[1].

ما كتبه هرتسل، في يومياته، بهدوء وترو، دون ذكر كلمة العرب، او الفلسطينيين، عبّر عنه، بحماس، يسرائيل زنغويل، احد مساعديه الاوائل. ففي العام ١٨٩٧، زار زنغويل فلسطين واطلع، عن كثب، على الاوضاع فيها، ولمس وجود الشعب العربي الفلسطيني. ومنطلقاً من ان فلسطين وجوارها يجب ان تكون وطناً لليهود فقط، دعا زنغويل الى طرد الفلسطينيين بالقوة. فقد اشار، في احدى خطبه الصريحة، في نيويورك، الى ان «ارض ـ اسرائيل نفسها يسكنها العرب». واضاف، «علينا ان نستعد لطردهم من البلاد بقوة السلاح، تماماً كما فعل آباؤنا بالقبائل التي سكنتها؛ والاّ، فعلينا مواجهة مشكلة وجود سكان غرباء كثيري العدد، غالبيتهم مسلمة، وقد اعتادوا على احتقارنا منذ اجيال. اننا، اليوم، لا نشكل سوى ١٢ بالمئة من مجموع السكان، ونملك اثنين بالمئة، فقط، من الارض».

لم يقتصر الموقف الصهيوني المعادي، والمنادي، بطرد العرب، على هرتسل وزنغويل، بل امتدّ ليشمل التيار الصهيوني اليساري. فبعد مرور عام على تأسيس الحركة الصهيونية، نشر نحمان

سيركين، العام ١٨٩٨، كتيّباً عنونه «المسألة اليهودية ودولة اليهود الاشتراكية». أرسى هذا الكتيّب الحجر الاساس لبلورة ما يطلق عليه «الصهيونية الاشتراكية» التي قدّر لها ان تقود الحركة الصهيونية في مطلع الثلاثينات، وتنشىء، وتوسّع، الدولة اليهودية فيما بعد. في حديثه عن الوسائل التي ينبغي اتباعها لتحقيق اهداف الصهيونية وانشاء دولة يهودية، اقترح سيركين، في كتيّبه المذكور، ترحيل العرب الفلسطينيين الى الدول المجاورة. فقد طالب الصهيونيين بالاتصال بالشعوب المضطهدة الخاضعة لحكم الاتراك والتعاون معها للتحرر من نيرهم. وبعد التخلص من حكم الاتراك «يجرى تبادل سكان بطرق سلمية، من خلال تقسيم البلاد على اسس قومية. وارض ـ اسرائيل غير المزدحمة بالسكان، التي يشكل اليهود فيها حوالى عشرة بالمئة من سكانها، يجب أن تفرغ لهم»[٢].

شاطر جير بروخوف، القطب الآخر الذي بلور التيار الصهيوني اليساري، سيركين الرأي في استهتاره بالفلسطينيين العرب وانكار حقوقهم القومية في فلسطين. ففي العام ١٩٠٦، نشر بروخوف أربع مقالات بعنوان «منهاجنا» ساهمت في تطوير الاسس النظرية لما يطلق عليه «الصهيونية الاشتراكية». وان كان بروخوف لم يطالب بطرد الفلسطينيين ـ كما فعل زميله ـ فانه استهتر بهم «وغيّبهم» عن فلسطين وعن حقوقهم القومية فيها. فالفلسطينيون ـ في اعتقاد بروخوف ـ «لن يقاوموا المشروع الصهيوني»، لانه «ينقصهم اي طابع اقتصادي وحضاري مستقل، وهم منشقّون ومفتتون... ولا يشكلون شعباً». علاوة على ذلك، فانهم «يكيّفون انفسهم بسهولة كبيرة، وبسرعة، مع حضارة اكثر تقدماً من حضارتهم قد تأتي من الخارج». واستخلص بروخوف ان الفلسطينيين، مع مرور الزمن، سينصهرون اقتصادياً وحضارياً في المستوطنين الصهيونيين، وبالتالي لن تكون مشكلة عربية داخل الدولة اليهودية العتيدة[٣].

لقد اتفق جميع قادة الحركة الصهيونية ومفكريها، وبخاصة في العقدين الاولين من القرن العشرين، على تجاهل الشعب الفلسطيني، والاستهتار به، وبحقوقه القومية في وطنه. وبلغ هذا التجاهل والاستهتار درجة اضطرت الاديب والمفكر اليهودي، اسحق ابشتاين، الى اطلاق صرخة احتجاج اخرجته على اجماع بني قومه وعرّضته لهجوم ونقد لاذعين من قادة المستوطنين الصهيونيين. ففي العام ١٩٠٦، كتب ابشتاين مقالة في احدى الصحف العبرية في فلسطين بعنوان «المسألة المجهولة»، انتقد فيها، بشدة، سياسة وممارسات الحركة الصهيونية تجاه الفلسطينيين، وخاصة وسائل انتزاع الارض من الفلسطينيين وطردهم منها. ووجّه انتقاداً لاذعاً الى القيادة الصهيونية التي «شغلت نفسها في مسائل عليا»، بينما «مسألة الشعب الموجود في فلسطين، بعمّاله وفلاحيه وسادته الحقيقيين، لم تُثَر، عملياً، ولا نظرياً»؛ وذلك لأن القادة الصهيونيين يتجاهلون انه «يوجد في البلاد شعب كامل يتمسّك بها منذ مئات السنين، ولم يدر في خلده ان يغادرها اطلاقاً»[٤].

أثارت محاولة ابشتاين، غير المجدية، البحث عن الضمير المفقود وتحذيره للمستوطنين الصهيونيين من مغبّة الاستهتار بالعرب، ممّا قد يؤدي الى نتائج وخيمة لا تحمد عقباها، حفيظة المستوطنين وسخطهم، خاصة وانه امتدح خصال العرب الحميدة. وتهافت للرد عليه كثير من الكتّاب والقادة الصهيونيين، واعتبروا افكاره خطراً قومياً، واعلنوا، مجدداً، تمسكهم بالاهداف الصهيونية الرامية الى تكوين اغلبية يهودية و«وطن قومي» في فلسطين[٥]. وفي خضم هذه الاجواء، قدّم آرثر روبين، العام ١٩٠٧، على اثر زيارته لفلسطين، خطة الى اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية، اقترح فيها تشكيل أغلبية يهودية في مناطق متعددة من فلسطين، ثمّ ربطها ببعضها بواسطة الاستيطان[٦].

تأثير وعد بلفور

عزّز وعد بلفور ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني موقف الحركة الصهيونية، خاصة موقفها المتجاهل للفلسطينيين والمنكر لحقوقهم القومية. فقد نصّ الوعد على انشاء «وطن قومي» لليهود في فلسطين، متجاهلاً الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني، الذي كان يشكل الغالبية الساحقة من مجموع السكان. كان ماكس نورداو، ذو النفوذ الواسع في الحركة الصهيونية وساعد هرتسل الأيمن، اول من صاغ موقف الصهيونية من العرب الفلسطينيين، بعد اعلان وعد بلفور. ففي السنوات الثلاث التي تلت الوعد، وضع نورداو عدداً من المبادىء الاساسية، التي تلقّفها وطوّرها، فيما بعد، بنيامين جابوتينسكي، مؤسس الحركة التصحيحية.

دعا نورداو الى تعزيز وتطوير الاستيطان الصهيوني في فلسطين، بمنأى ومعزل عن سكانها الاصليين. وميّز بين المستوى العملي الذي ينبغي على الحركة الصهيونية اتباعه تجاه الفلسطينيين، وبين الموقف المبدئي حول السيادة في فلسطين وجوارها. على الصعيد العملي، حاول نورداو تهدئة العرب الفلسطينيين «وطمأنتهم» بأن الصهيونية لا تهدف الى اقتلاعهم، وذلك تحسّباً من اثارتهم ضد المشروع الصهيوني. امّا بخصوص الموقف المبدئي، فقد تشدّد نورداو في ادعائه بأن لليهود، فقط، الحق التاريخي والسيادة في فلسطين. ومن اجل «احقاق الحق التاريخي»، وبالتالي السيادة اليهودية على الارض الفلسطينية، دعا الى جلب اكثر من نصف مليون مستوطن يهودي، فوراً، الى فلسطين، كي يصبح اليهود اغلبية في البلاد. واضاف انه ما دام اليهود لا يشكلون اغلبية في فلسطين، وجوارها، فان «حقهم التاريخي» وسيادتهم على البلاد ستبقى حولهما علامة استفهام[٧].

تلقف بنيامين جابوتينسكي، مؤسّس وقائد التيار التصحيحي في الحركة الصهيونية ـ ذلك التيار الذي ناوأ التيّار العمالي وانشق عن المنظمة الصهيونية الأم وأسّس منظمة صهيونية موازية، لفترة من الزمن، وصعد الى سدة الحكم في اسرائيل منذ العام ١٩٧٧، تحت قيادة مناحيم بيغين، «تلميذ» و«خليفة» جابوتينسكي ـ آراء ماكس نورداو وطوّرها وعدّل فيها.

في العام ١٩٢٣، نشر جابوتينسكي مقالتين تحت عنوان «على الجدار الحديدي» و «اخلاقية الجدار الحديدي» أرسى فيهما اسس نظرية الحركة التصحيحية، وحدّد وجهة نظره تجاه العلاقة مع بريطانيا، والموقف من العرب، وسياسة الادارة الصهيونية.

اعتقد جابوتينسكي بأنه لا يمكن التوصّل الى اتفاق بين الحركة الصهيونية والعرب الفلسطينيين، لا في زمنه ولا في المستقبل المنظور، بالنسبة الى جيله، وذلك بسبب طبيعة الانسان ودروس التاريخ. فلم يحدث في التاريخ البشري أن وافق سكان أصليون بمحض ارادتهم على قبول مستوطنين من الخارج وتنازلوا لهم عن السيادة في وطنهم. وأكد ان هذا المبدأ ينطبق على العرب الفلسطينيين الذين يدركون اهداف الصهيونية، ومخاطرها عليهم، ويعارضونها، ويقاومون مظاهرها الاولية، في فلسطين[٨].

وسخر من اولئك الصهيونيين الذين اشترطوا تحقيق الصهيونية بالتوصّل الى اتفاق مع العرب، وناشدهم الاقرار باستحالة الحصول على ذلك الشرط، والاّ فعليهم التنازل عن الصهيونية. وطرح فكرته بحدّة اكثر، عندما اكد ان على الاستيطان الصهيوني امّا التوقف، او الاستمرار به دون لفت الانتباه الى موقف المواطنين الاصليين. ووصل الى بيت القصيد بتأكيده ان «بامكان الاستيطان التطور تحت حماية قوة غير مرتبطة بالسكان المحليين، خلف جدار حديدي، لا يمكن للسكان المحليين اختراقه»[٩]. وقد قصد جابوتينسكي بـ «الجدار الحديدي» القوة العسكرية اليهودية الرسمية.

لقد اشترط جابوتينسكي تحقيق الاهداف الصهيونية وانشاء دولة يهودية في فلسطين وجوارها بتأسيس ثورة عسكرية يهودية رسمية تقوم بفرض المشروع الصهيوني على العرب. واكد ان هدف الصهيونية كان، وسيبقى، تشكيل اغلبية يهودية في «ارض ـ اسرائيل». ومن اجل تحقيق هذا الهدف، دعا جابوتينسكي الى تعزيز التحالف مع بريطانيا واقامة «الجدار الحديدي»، الذي سيوفر الحماية لاستقبال خمسين الف مهاجر يهودي سنوياً خلال ثلاثين عاماً، بدءاً من اواسط العشرينات. وعرض منح العرب الفلسطينيين حكماً ذاتياً، بعد ان يصبح اليهود أغلبية ويقيموا الدولة اليهودية(١٠).

لجنة بيل والطرد

على اثر اندلاع ثورة ١٩٣٦، واشتداد حدّتها، بادرت الحكومة البريطانية الى تشكيل لجنة تحقيق ملكية لتقصي الاوضاع في فلسطين، اطلق عليها «لجنة بيل» باسم رئيسها اللورد بيل. وقد اوصت اللجنة، في تقريرها الذي قدمته الى الحكومة البريطانية، والذي صادقت عليه الاخيرة في تموز (يوليو) ١٩٣٧، بتقسيم فلسطين الى دولتين، يهودية وتضم حوالي ٢٠ بالمئة من مساحة فلسطين، وعربية تقام على المساحة المتبقية من فلسطين ومنطقة شرق الاردن. وعلى الرغم من ان توصيات لجنة بيل كان مصيرها الفشل، كلاحقاتها من اللجان، الاّ انها، في الوقت عينه، احتلّت اهميّة خاصة، لأنها اضفت شرعية على ثلاث قضايا اساسية:

اولاً: مطالبتها بانشاء دولة يهودية في فلسطين، الامر الذي لم تتجرّأ الحركة الصهيونية على المطالبة به رسمياً، وان كانت تدعو الى انشاء «وطن قومي يهودي» في فلسطين.

ثانياً: ربطها مصير المناطق الفلسطينية الواقعة خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة بشرق الاردن.

ثالثاً: مطالبتها بـ «تبادل سكان» بين الدولة اليهودية والدولة العربية.

ذكرت لجنة بيل ان هناك داخل المساحة التي خصصتها للدولة اليهودية اكثر من ٢٢٥ الف عربي، بينما يوجد داخل الدولة العربية المقترحة ١٢٥٠ يهودياً. واعتبرت اللجنة ان وجود هذا العدد من العرب داخل المساحة المخصصة للدولة اليهودية من شأنه ان يعرقل انشاء الدولة اليهودية، وبالتالي يفشل التقسيم. واقترحت اللجنة حلاً لانجاح التقسيم تمثّل في ان تُطرَد غالبية العرب بالقوة تحت غطاء «تبادل السكان».

موقف دافيد بن ـ غوريون

أثارت توصيات لجنة بيل نقاشاً حادّاً بين القادة الصهيونيين. واتسمت ردود الفعل الصهيونية الاولية بمعارضة شديدة، لأن توصيات اللجنة قسمت «ارض ـ اسرائيل» ومنحت اليهود «جزءاً صغيراً» منها فقط. غير ان هذه المعارضة اخذت تتضاءل وتخفت، رويداً رويداً، وتتحول الى تأييد متحفظ امام حقيقة توصية اللجنة بطرد العرب الفلسطينيين من الدولة اليهودية المقترحة. ويمكن ملاحظة التحوّل في الموقف الصهيوني عبر متابعة موقف زعيم التيار العمالي الصهيوني دافيد بن ـ غوريون. ففي البداية، تشدّد بن ـ غوريون في رفضه لتوصيات لجنة بيل، ونعتها بشتى النعوت السلبية. غير ان موقفه هذا اخذ يتغير ويتحوّل من الرفض القاطع الى القبول المتحفظ. ويعود هذا التحول في موقفه الى اعتقاده بأنه اذا ما مارس الصهيونيون ضغوطاً على الحكومة البريطانية لتنفيذ الطرد، فانه لن تكون هناك عراقيل تذكر امام اقامة الدولة اليهودية. وقد أولى بن ـ غوريون

اهمّية قصوى لتوصية اللجنة بطرد الفلسطينيين، واكد ان على الحركة الصهيونية «التمسّك بالتوصية كما كنّا تمسّكنا بوعد بلفور، بل كما هو تمسّكنا بالصهيونية ذاتها. يتوجب علينا التمسك بهذه التوصية باقصى قوتنا وارادتنا وامانينا، لأن في هذه التوصية، من مجمل التوصيات، تعويضاً ما عن سلخ بقية اجزاء البلاد... ان بند الترحيل، حسب اعتقادي، اهم من جميع مطالبنا لزيادة المساحة... واذا لم يكن بامكاننا اخراج العرب من بين ظهرانينا الآن ونقلهم الى مناطق عربية، الامر الذي تقترحه لجنة ملكية بريطانية، فانه لن يكون بمقدورنا القيام بذلك بسهولة (هذا اذا امكننا القيام بذلك اصلاً) بعد انشاء الدولة، عندما يكون كل العالم المعادي لنا ينظر الينا بسبع عيون، لمراقبة تصرّفنا نحن تجاه اقليتنا»[١١].

شارك بيرل كتسنلسون، منظّر اليسار الصهيوني الذي يلصق به انصاره صفات اخلاقية ومواقف مبدئية، بن ـ غوريون الرأي في موقفه من الطرد. ففي خضم النقاش حول توصيات لجنة بيل، ذكر كتسنلسون، في اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، ان «مسألة الترحيل اثارت نقاشاً حادّاً لدينا ـ هل هو مسموح ام ممنوع [؟] ضميري مرتاح جداً. جار بعيد خير من عدو قريب. هم لن يخسروا عند نقلهم، ونحن، بالتأكيد، لن نخسر. فان هذا الامر يعتبر، في نهاية المطاف، اصلاحاً سياسياً استيطانياً، لصالح الطرفين. كنت اعتقدت بأن هذا افضل الحلول، وخلال ايام الشغب تيقّنت ان هذا الامر يتوجّب ان يأتي في يوم من الايام. ولكن، لم يدر بخلدي ان النقل الى خارج ارض ـ اسرائيل يعني النقل الى جوار نابلس. آمنت، وما زلت اؤمن، بأنهم سينقلون، في المستقبل، الى سوريا والعراق»[١٢].

اجماع «قومي» على الترحيل

مع اقتراب الصراع الفلسطيني الصهيوني من ذروته، تشكّل، في نهاية الثلاثينات، اجماع «قومي» بين الاحزاب الصهيونية في فلسطين على طرد الشعب العربي الفلسطيني الى الدول العربية، خاصة الى سوريا والعراق.

وقد تزعّم هذا الاجماع حزب مباي الذي قاد الحركة الصهيونية، ومن ثمّ اسرائيل، منذ العام ١٩٣٣ الى العام ١٩٧٧، والذي كان يضمّ في صفوفه، في الثلاثينات، حزب احدوت هعفودا الاكثر تشدداً في موقفه تجاه العرب، والذي انشق عن مباي ليتّحد مع مبام في الاربعينات، ثمّ لينشق عنه ويستقل بنفسه منذ بداية الخمسينات، الى ان اتحد مع حزب مباي ثانية العام ١٩٦٥. لم يستثن هذا الاجماع في صفوف التيار العمالي الصهيوني حزب مبام الذي كان يطلق عليه هشومير هتسعير (الحارس الفتى) في تلك الفترة، والذي كان يتغنّى بالاخوّة العربية ـ اليهودية، ويرفع شعار اقامة الدولة ثنائية القومية للعرب واليهود. ويستشفّ ذلك من موقف اهرون تسيزلينغ، أحد قادة الحزب، الذي اكد: «انني لا انفي حقّنا الاخلاقي في طرح اقتراح تبادل السكان. ليس هناك أي مسّ اخلاقي بهذا الاقتراح الهادف الى تركيز وتطوير حياة قومية... ان هذا قد يحدث في ظل نظام عالمي جديد». واشار الى ان مسألة تبادل السكان غير عملية في تلك الظروف، لكنه اكد انه، على المدى البعيد، «من المنطق تبادل سكان بين ارض ـ اسرائيل، من ناحية، والعراق ودول عربية اخرى، من ناحية ثانية، بواسطة نقل يهود تلك الدول الى ارض ـ اسرائيل»[١٣].

وعلاوة على تيّار الاحزاب العمّالية الصهيونية، ايّد الطرد قادة حزب «الصهيونيين العموميين»، بزعامة حاييم وايزمان، اول رئيس لاسرائيل، الذين هدفوا الى «تحويل فلسطين الى دولة يهودية

نقيـة تمـامـاً كما هي انجلترا انجليزية». كذلك طالبت منظمة «ليحي» (المحاربون من اجل حرّية اسرائيل)، والتي عرفت بعصابة «شتيرن»، بطرد الفلسطينيين. ففي البند الرابع عشر من مبادىء ليحي الاساسية، والتي صاغها مؤسسها ومنظّرها ابراهام شتيرن ـ الذي خلفته قيادة ثلاثية بعد مصرعه، كان ابرزهم اسحق شامير ـ جاء نص واضح يؤكد ان «حل مشكلة الغرباء يتمّ عبر تبادل السكـان»[١٤]. وبـانتهـاء عقـد الثـلاثينـات، تشكـل اجمـاع صـهيوني ينادي بالطرد، بانضمام جابوتينسكي الى الداعين اليه، في رسالة بعث بها عشية موته الى احد اعوانه في فلسطين[١٥]. وفي هذه الظروف، ظهر بعض النشطاء المستقلين الذين ادلوا بوجهة نظرهم الخاصة في هذه المسألة. وكان ابرزهم د. ابراهام شارون صاحب نظرية «الصهيونية الشرسة»، الذي دعا الى طرد العرب نهائياً الى العراق، «بحيث لا يبقى في دولتنا سوى عدد ضئيل جداً من الافراد والنوعيّات الذين يستحيل نقلهم بأية وسيلة»[١٦].

بعد مرحلة التبشير لفكرة الطرد، والمناداة بها، وتبنّيها، خطت الحركة الصهيونية خطوة اخرى نحو هدفها، بتعيينها لجنة متخصصة اسمتها «لجنة النقل»، ومهمّتها اجراء دراسات ووضع خطة عملياتية شاملة لـ «نقل» الفلسطينيين عندما تسنح الفرصة.

لم يقتصر التبشير لفكرة طرد الفلسطينيين، والمناداة بها، ووضع الخطط العملياتية لتنفيذها، على الحركة الصهيونية ومجتمع المهاجرين والمستوطنين في فلسطين، بل امتد ليشمل فئات وشرائح واسعة في اوروبا واميركا، لها نفوذها في دولها. فعلى سبيل المثال، طالب حزب العمّال البريطاني، والذي خضع للنفوذ الصهيوني لفترة طويلة من الزمن، في مؤتمره العام الذي عقد في حزيران (يونيو) ١٩٤٤، ليس بطرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه فحسب، بل بتوسيع حدود الدولة اليهودية ايضاً، التي طالب باقامتها، لتشمل ـ علاوة على فلسطين ـ مناطق واسعة من شرق الاردن وسوريا ولبنان[١٧]. كذلك، أيّد اليهودي المتموّل، ادوارد نورمان، الذي يوصف بأنه غير صهيوني، طرد الفلسطينيين الى العراق، وعمل على تنفيذه. وفي اطار مساعيه الى تحقيق هذا الهدف، جنّد نورمان العديد من اصحاب النفـوذ في اوروبـا، وكـان احدهم الصحافي الشهير مونتغيو بيل ذو العلاقات الحسنة مع القيادة البريطانية. وفي اطار هذه المساعي، زار مونتغيو العراق لدراسة الوضع عن كثب واجتمع مع اعضاء في الحكومة العراقية، لاقناعهم بفكرة الطرد، وحضّهم على قبول الذين يزمع طردهم مقابل مبالغ مالية، غير ان مساعيه باءت بالفشل[١٨].

بالاضـافـة الى هذه المحـاولات، أُجريت محاولة اخرى كان لها تأثيرها الكبير في الرأي العام الاميركي، لجهة تقبّل فكرة طرد الفلسطينيين من وطنهم. وكان البطل الظاهري لهذه المحاولة الرئيس الاميركي السابق هربرت هوبر (١٩٢٥ ـ ١٩٣٣) الذي دعا الى نقل الفلسطينيين الى العراق والعمل على اقامة صندوق دولي يقدّم المساعدات المالية الى العراق مقابل قبولها بتهجير الفلسطينيين اليها. وقـد كان صاحب الفكـرة والمبـادرة الصهيـوني اليهـودي الياهو بن حورين، احد كوادر الحركة التصحيحية الذي عمل صحافياً في الولايات المتحدة ومستشاراً للمجلس الصهيوني الاميركي لشؤون الشرق الاوسـط. وقد نشر أُسس خطته، للمرة الاولى، في كتابه «الشرق الاوسط»، الذي ظهر سنة ١٩٤٣، وطالب فيه بطرد الفلسطينيين الى العراق. وفي أواخر العام ١٩٤٣، اجتمع الياهو بن حورين مع الرئيس الاميركي السابق، هوبر، واطلعه على خطته. وقد تحمّس هوبر لهذه الخطة، وبشّر لها من على صفحـات صحيفة «نيويورك تايمز»، في اطار مقابلة أجرتها معه الصحيفة[١٩]. وبعد نشر تلك المقـابلة عرفت هذه الخـطة المـطالبـة بطرد الفلسطينيين الى العراق بـ «مشروع هوبر». وقد اثار

هذا المشروع اهتماماً ملحوظاً في الاوساط الاميركية، ونال موافقة العديد من اعضاء مجلس الشيوخ والنواب وادباء وصحافيين وفئات اخرى لها تأثيرها في المجتمع الاميركي. وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية واندلاع الحرب الباردة، حاول هوبر دمج مشروعه بمشروع مارشال المعروف، وتخصيص خمسين مليون دولار من ميزانية مشروع مارشال لمشروعه الخاص، لكنه فشل[٢٠].

ومن الجدير بالذكر ان المصادر الاسرائيلية ذكرت ان الحكومة الاسرائيلية أجرت، في العام ١٩٤٩، مفاوضات مع العميد حسني الزعيم، الذي كان وصل لتوّه الى الحكم في سوريا، بعد انقلابه العسكري، حول نقل اللاجئين الفلسطينيين الى سوريا. واضافت هذه المصادر ان الزعيم اقترح توطين اكثر من ٣٥٠ ألف لاجىء فلسطيني في سوريا، غير ان المفاوضات بين الطرفين تعرقلت وباءت بالفشل.

بعد ان تشكل اجماع صهيوني شامل حول طرد العرب الفلسطينين، وعند وصول القضية الفلسطينية ساعة الحسم، في العامين ١٩٤٧ و ١٩٤٨، قامت التنظيمات العسكرية الصهيونية، ومن ثمّ الجيش الاسرائيلي، بطرد اكثر من ٧٥٠ ألف فلسطيني، عشية، وبعد، اقامة اسرائيل.

محاولات الترحيل بعد قيام اسرائيل

لم تكد حرب العام ١٩٤٨ تضع اوزارها حتى ظهرت اصوات تطالب، علانية، بطرد البقية المتبقية من الفلسطينيين من اسرائيل حديثة التأسيس. وكان اكثر الاصوات الحاحاً واصراراً على استكمال عملية الطرد صوت د. ابراهام شارون الذي كرّس السنوات المتبقية من حياته للتحريض والدعوة الى التخلّص من العرب الفلسطينيين. ففي العام ١٩٤٩، نشر شارون افكاره في كتيّب بعنوان «ملاحظات عنصرية بشأن العرب»، علّل فيه مواقفه العنصرية الداعية الى طرد العرب بتشديده على عدم امكانية التعايش السلمي ما بين الاكثرية اليهودية والاقلية العربية. فالتعايش السلمي بين الشعبين يتناقض، حسب اعتقاده، مع طبيعة الانسان، لأن طبيعة البشر تميل الى انسجام الفرد مع بني قومه، وليس مع الطرف المضاد. واستخلص ان بقاء عرب في اسرائيل، وان كانت نسبتهم ضئيلة جداً، تخلق دولة ثنائية القومية في الواقع، الامر الذي يتناقض مع جوهر الصهيونية. ومن اجل وضع حلّ نهائي للمشكلة التي سيطرت على ذهنه، طالب شارون باقتلاع البقية المتبقية من العرب الفلسطينيين وطردهم الى الدول العربية. وفي العام ١٩٥٠، ناقش شارون، مرة اخرى، مسألة وجود عرب في اسرائيل، وانتقد، بشدة، سياسة الحكومة الاسرائيلية التي اتّهمها بأنها ترفض الطرد، وتقبل بوجود العرب، وتعمل على اعداد، وخلق، زعامة من بين صفوفهم موالية لها[٢١]. وفي العام ١٩٥١، عاد شارون وانتقد موقف الحكومة الاسرائيلية من الاقلية العربية، وخصوصاً لأنها لم تطرد الفلسطينيين من منطقة المثلّث، التي سلّمها ملك شرق الاردن لاسرائيل في نيسان (ابريل) ١٩٤٩[٢٢].

وفيما كان شارون وغيره من الصهيونيين يكيلون التهم للحكومة الاسرائيلية، بدعوى تقصيرها في طرد البقية المتبقية من الفلسطينيين، سعت الحكومة الاسرائيلية، التي كانت تتغنى، علناً، بشعارات السلام، الى طرد الفلسطينيين من اسرائيل دون اثارة ضجة. ففي الفترة الممتدة ما بين العامين ١٩٤٩ و ١٩٥٣ هجّرت السلطات الاسرائيلية سكان اكثر من ٢٣ قرية جديدة في الجليل والمثلّث وجنوب فلسطين الى الدول العربية، ودمّرت قراهم[٢٣]. وعندما تبيّن للسلطات الاسرائيلية مدى صعوبة المضيّ قدماً في تهجير الفلسطينيين، لما يثيره هذا الطرد من ردود فعل، عربية ودولية، وضعت هذه السلطات مخططاً سريّاً يهدف الى طرد الفلسطينيين الى الارجنتين وليبيا. ففي ١٩٥١/٨/٢٥، عقد

يوسف فايتس، مدير دائرة الاحراج واستثمار الاراضي في الكيرن كاييمت، والذي كرّس معظم حياته للدعوة والعمل على طرد الفلسطينيين، اجتماعاً مع اسحق نافون، احد نشطاء حزب مباي، والذي اصبح، فيما بعد، رئيساً لاسرائيل، ويعقوب تسور، سفير اسرائيل في الارجنتين في تلك الفترة، والذي اصبح وزيراً في الحكومة الاسرائيلية، للبحث في خطة فايتس الرامية الى تهجير العرب الفلسطينيين من الجليل[٢٤]. وبعد ثلاثة ايام، اجتمع فايتس وتسور مع وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي شاريت، للغرض ذاته. وفي نهاية الاجتماع، تقرر ارسال فايتس الى الارجنتين لتقصّي الوضع، ودراسة امكانية توطين الفلسطينيين في مناطق زراعية هناك، وذلك بعد اطلاع رئيس الوزراء الاسرائيلي، بن ـ غوريون، على تفاصيل المشروع[٢٥]. وفي ٣١ آب (اغسطس)، صادق بن ـ غوريون على خطة التهجير التي اقترحها فايتس[٢٦]. وفي شتاء العام ١٩٥١، سافر فايتس الى الارجنتين واستطاع ايجاد قطعة ارض كبيرة مساحتها ٦٠٠ ألف دونم يملكها يهودي صهيوني ابدى استعداده لوضعها تحت تصرّف الحكومة الاسرائيلية مقابل مبلغ من المال تمهيداً لتنفيذ الترحيل[٢٧]. بعد دراسته للاوضاع في الارجنتين ونجاحه في ايجاد قطعة ارض كبيرة هناك، لم يبق امام فايتس لتنفيذ الترحيل سوى مقابلة الضحايا ومحاولة اقناعهم بقبول التهجير، بتقديمه اليهم شتّى المغريات. ففي آذار (مارس) ١٩٥٠، زار فايتس وبعض الرسميين الاسرائيليين قرية الجش الجليلية واجتمع مع بعض سكانها العرب، محاولاً اقناعهم بالقبول بمشروعه والهجرة الى الارجنتين. وبعد ان اسهب فايتس، في حديثه، عن الارجنتين ووصفها بأنها جنّة الله على الارض، ردّ عليه احد الفلسطينيين قائلاً: «لكن لا توجد بلاد افضل من بلادنا هذه. ان جبالنا اروع من سهولهم. فكل صخرة تخرج نبتاً وكل حجر يؤتي ثمراً». وقد وصف فايتس شعوره، لدى سماعه حديث الفلسطيني الذي لم يعارضه أي من الحاضرين، بأنه اصيب بالقشعريرة والغثيان، بعد ان تيقّن استحالة تهجير الفلسطينيين[٢٨]. لم تتوقف مساعي الحكومة الاسرائيلية لتهجير الفلسطينين بعد فشل مشروع فايتس. فقد ظلت «لجنة النقل»، والتي اطلق عليها احياناً «لجنة اللاجئين»، تعمل لايجاد السبل للتخلّص من الأقلية العربية وتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية[٢٩]. وكشف فايتس، في مذكراته، النقاب عن تلك اللجنة، وذكر انها ضمّت، بالاضافة اليه، كثيراً من المتخصصين والقياديين الاسرائيليين، منهم عزرا دنين والياهو ساسون وبهوشواع بلمون وتيدي كوليك. واضاف ان هذه اللجنة وضعت خطة، صادقت عليها الحكومة الاسرائيلية في نهاية العام ١٩٥٥ ، تقضي بتهجير اللاجئين الفلسطينيين الى ليبيا. وقد سافر كثير من الرسميين الاسرائيليين الى ليبيا، في العامين ١٩٥٥ و ١٩٥٦، لدراسة الوضع هناك، وشراء الاراضي لتوطين اللاجئين الفلسطينيين فيها[٣٠]. غير ان هذه الخطة «الطموحة» لم تلاق النجاح، كسابقاتها.

الترحيل بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧

عمّت نشوة الانتصار والهوس المجتمع الاسرائيلي واحزابه المختلفة بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وما ترتب عليها من هزيمة الجيوش العربية واحتلال مناطق عربية واسعة. وممّا ساعد في تفشّي هذا الهوس المشحون بجنون العظمة وقوع الضفة الفلسطينية وقطاع غزه ومناطق عربية اخرى تحت الاحتلال الاسرائيلي، التي كانت الحركة الصهيونية واسرائيل تعتبرانها، على الدوام، جزءاً من «ارض ـ اسرائيل» الغربية، الامر الذي فتح لدى الاسرائيليين شهيّة التوسّع والتهويد والضمّ. وفي هذه الاجواء، وبعد اسبوعين فقط على انتهاء الحرب، عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعاً خاصاً لرسم سياستها وصوغها وفق الواقع الجديد. وحتى اليوم، لم يكشف النقاب، رسمياً، عمّا دار في

تلك الجلسة. غير ان الباحث الاسرائيلي مئير افيدان نشر جزءاً ممّا دار في تلك الجلسة الحكومية، بعد اطلاعه على اليوميات الخاصة بيعقوب هرتسوغ، الذي شغل، في حينه، منصب مدير عام مكتب رئيس الوزراء. وتفيد هذه المعلومات بأن الحكومة الاسرائيلية ناقشت، بالتفصيل، «المسألة الديمغرافية» و «مشكلة» بقاء الفلسطينيين في المناطق المحتلة، الامر الذي يضع عراقيل امام ضمّ اسرائيل لتلك المناطق. وخلال النقاش والبحث في هذه «المشكلة»، طرح عدد من الاقتراحات والحلول للتخلّص ممّا اسموه « الخطر الديمغرافي»، تمهيداً للتغلّب على العراقيل التي حالت دون ضمّ المناطق الفلسطينية المحتلة. فقد اقترح بنحاس سابير، مدعوماً من ابا ايبن، وكلاهما يعتبر من معسكر الحمائم داخل حزب العمل، طرد اللاجئين الفلسطينيين و «اعادة توطينهم» في الدول العربية، وخاصة في سوريا والعراق[٣١]. امّا مناحيم بيغن، فقد طالب، في تلك الجلسة، بالشروع في تدمير مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في المناطق المحتلة و«نقل» سكانها الى صحراء سيناء[٣٢]. وذكرت المصادر الاسرائيلية ان روح الجلسة، وخلاصتها، كانت تنسجم مع افكار نائب رئيس الوزراء، يغئال آلون، الذي دعا الى «نقل» اللاجئين الفلسطينيين الى سيناء والدول العربية[٣٣].

جهاز خاص بتهجير الفلسطينيين

لا تذكر المصادر الاسرائيلية اذا ما كانت الحكومة الاسرائيلية اطلعت الولايات المتحدة ودولاً اخرى على عزمها على طرد الفلسطينيين، لكن يبدو ان الخشية من ردود الفعل الدولية، والعربية، علاوة على تكاليف النقل واعادة التوطين في سيناء قد حالت دون تنفيذ مخطط طرد الفلسطينيين الجماعي، وادّت الى وضعه على الرف، والاستعاضة عنه بمخطط سرّي يهدف الى طرد الفلسطينيين، تدريجياً، من المناطق المحتلة. فقد اقامت الحكومة الاسرائيلية، عقب حرب حزيران (يونيو) «جهازاً» خاصاً، شاركت فيه وزارات اسرائيلية عدّة، مكلفاً بتهجير الفلسطينيين من المناطق المحتلة الى اميركا الجنوبية وليبيا. وقد ترأس هذا الجهاز وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي دايان[٣٤]. وافادت المصادر الاسرائيلية بأن هذا الجهاز اشترى اراضي في كل من البرازيل وبراغواي وليبيا خلال السنتين اللتين تلتا حرب حزيران (يونيو)، تمهيداً لتهجير الفلسطينيين الى تلك الدول. واضافت ان الجهاز، بوسائله المتعددة التي اعتمدت على الترهيب والترغيب، تمكّن من ارغام الف فلسطيني من قطاع غزة على الهجرة الى براغواي، وانه قدّم الى كل عائلة تذاكر سفر باتجاه واحد ومبلغ ٤٠٠٠ دولار ووعود كثيرة، منها تزويدهم بجوازات سفر جديدة وتوفير أماكن عمل[٣٥]. ويبدو ان هذا الجهاز حنث بوعوده التي قطعها لضحاياه، الامر الذي اضطر بعضهم الى الردّ. ففي أيار (مايو) ١٩٧٠، دخل شخص «مجهول» القنصلية الاسرائيلية في براغواي وطلب مقابلة القنصل الاسرائيلي موشي فرون. وعندما تلكأ القنصل في الاستجابة لمقابلته، قام الشخص المجهول باطلاق النار، في ظروف غامضة، فقتل شخصاً واصاب آخر، ثمّ فرّ هارباً، ولم يعثر عليه. وافادت المصادر الاسرائيلية بأن الشخص المجهول لم يكن سوى طلال دماسي، احد مواطني غزة الذين هجّرهم الجهاز الى براغواي. واضافت، انه عندما تبيّن لطلال وزملائه ان الجهاز لا يعتزم تنفيذ الوعود التي قطعها على نفسه، قام وبعض زملائه بمهاجمة القنصلية، الامر الذي وضع حداً لخطة الجهاز الطموحة[٣٦].

المشكلة الديمغرافية

منذ احتلالها لبقية التراب الفلسطيني العام ١٩٦٧، تواجه اسرائيل معضلة اساسية لم تستطع حلّها، او التغلّب عليها، حتى الآن. فالحكومة الاسرائيلية والحركة الصهيونية باحزابها

المختلفة تعتبران الضفة الفلسطينية والقطاع المحتلين جزءاً من «ارض ـ اسرائيل الغربية»؛ وبالتالي، فان العقيدة الصهيونية تستدعي ضمّ هذه المناطق المختلفة الى اسرائيل. والمعضلة التي واجهتها، وما زالت تواجهها، اسرائيل تكمن في انها اذا ما اقدمت على ضمّ هذه المناطق، انطلاقاً وانسجاماً مع الأسس والمبادىء الصهيونية، فانها، بذلك، تخلق دولة ثنائية القومية، يشكل العرب الفلسطينيون فيها اكثر من ٤٠ بالمئة من مجموع السكان، الامر الذي يضع حداً للمشروع الصهيوني، الرامي الى تأسيس دولة احادية القومية. ومن ناحية اخرى، يشكل انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة العام ١٩٦٧ تناقضاً مع الاسس الصهيونية التي اعتبرت هذه المناطق جزءاً من «ارض ـ اسرائيل الغربية». وممّا يزيد هذه المعضلة حدة جفاف مصادر الهجرة اليهودية وتقلّص عدد المهاجرين اليهود الى اسرائيل، من ناحية، والتكاثر الطبيعي في عدد الفلسطينيين، الذي يقارب ثلاثة اضعاف نسبته لدى اليهود الاسرائيليين، من ناحية اخرى.

وعلى ارضية هذه المعضلة، التي يطلق عليها «المشكلة الديمغرافية» عموماً، تمخّض تياران اسرائيليان اساسيان حاولا التعاطي مع ما اسمياه بالمسألة الديمغرافية وايجاد حل لها ينسجم مع الاهداف الصهيونية. مثّل التيار الاول حزب العمل الاسرائيلي وحلفاؤه من الاحزاب الصغيرة، بينما مثّل التيار الآخر تكتل غاحال (حيروت والاحرار) الذي شكل العام ١٩٧٣، مع احزاب اخرى، تكتل «الليكود».

كعادته عند اشتداد المصاعب، لجأ حزب العمل، في سعيه الى حل المعضلة التي واجهها، الى النظام الاردني الذي يعتبره حزب العمل حليفاً تاريخياً، تجمعه به مصالح مشتركة ثابته تتمثل في رفضهما للحقوق القومية للشعب الفلسطيني، وفي مقدمها حق تقرير مصيره واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. ففي تموز (يوليو) ١٩٦٧، قدّم يغئال الون مشروعاً حاول فيه انقاذ اسرائيل من الخطر الديمغرافي. وقد عدّل هذا المشروع في حزيران (يونيو) وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ وايلول (سبتمبر) ١٩٧٠، وذلك في اثناء المفاوضات التي كانت تجريها القيادة الاسرائيلية مع ملك الاردن[٣٧]. تقترح خطة الون التوصل الى حل اقليمي وسط ما بين اسرائيل والاردن، بحيث تضمّ اسرائيل المناطق غير المكتظة بالسكان في الضفة والقطاع، بينما يعيد ملك الاردن سيطرته على المناطق الفلسطينية المكتظة بالسكان ويضمّها الى مملكته. ان خطة الون، التي يطلق عليها احياناً «الخيار الاردني»، والتي كانت، وما زالت، تشكل اساساً لبرامج حزب العمل، تسعى، في حقيقة الامر، الى التوصل الى «حل وسط» ما بين نزعة التوسّع وشهية الضمّ، من ناحية، والتخلص من المشكلة الديمغرافية، من ناحية اخرى. وممّا يعزز ذلك ان الحكومة الاسرائيلية، التي قادها حزب العمل حتى العام ١٩٧٧، تجنّبت، بصورة عامّة، اقامة المستوطنات الصهيونية في المناطق المكتظة بالسكان الفلسطينيين، وعملت، جاهدة، على تأسيس المستوطنات في المناطق غير المكتظة، والتي تعتزم ضمّها في المستقبل.

امّا الليكود وحلفاؤه الذين كثروا رويداً رويداً بعد احتلال الضفة والقطاع، ليشمل معسكره الاحزاب الدينية والتي غدت تتخذ مواقف تلتقي مع مواقف الليكود، بل تبزّه احياناً في تطرفها وهوسها بعد ان كانت، تاريخياً، حليفاً لحزب العمل، فقد استخفوا، عموماً، بالمسألة الديمغرافية، واستهانوا بها، وتمسّكوا بالعقيدة الصهيونية الداعية الى فرض السيادة الاسرائيلية على «ارض ـ اسرائيل الغربية»، وطالبوا بضمّ المناطق الفلسطينية المحتلة.

وممّا ساعد معسكر الليكود في كسب جولات عدة، وخاصة في السنوات الاولى للاحتلال، في

النقـاش حول المسألة الديمغرافية، ان نزعة الضمّ والتوسّع لدى حزب العمل تغلّبت على محاولته التخلّص من المشكلة الديمغرافية. ففي معرض ردّه على موقف التيار العمالي الصهيوني تجاه المشكلة الديمغرافية، التي احتدم النقاش حولها في العام ١٩٦٨، سخر مناحيم بيغن من ادعاءات حزب العمل بأن برنـامجه يقدّم حلاً للمشكلة الديمغرافية، وهزأ من قادته الذين «يقولون لنا انه سيضاف الى الـ ٣٢٠ الف عربي ودرزي، الموجودين في اسرائيل المقسّمة اذا ما عارضنا تقسيم ارض ـ اسرائيل الغربية، اكثر من مليون عربي... ولكن عند الحديث عن قطاع غزة، الذي يبلغ عدد سكانه ٣٤٠ ألف عربي، فانهم جميعاً يقولون لنا اليوم: كان ملكاً لنا وأخذ منا، وسوف يبقى لنا الى أبد الآبدين. وعند الحديث عن هضبة الجولان، فكلهم يقولون: ستكون لنا، ولن نتنازل عنها. وعند الحديث عن القدس الموحّدة التي يسكنها ٧٠ الف عربي، يقولون، جميعاً، لقد وحّدت ولن تقسم ابداً. وعند الحديث عن الخليل وجبل الخليل وسكانه العرب الاكثر من ٨٠ الفاً، يقولون: لنا... وعند الحديث عن قلقيليه وفيها تسعة آلاف عربي، كلهم يقولون: هي لنا، فقد قصفت منها تل ـ ابيب...». وبعد ذلك يجري بيغن عملية حسابية بسيطة، ليستنتج ان خارطة حزب العمل تضمّ، في ثناياها، ما يقارب مليون عربي، وانها تستثني، فقط، ٤٤٠ الف عربي «الذين بسببهم يلقون علينا بالرعب الديمغرافي». واضاف: «اذا كانت صادقة تلك الفرضية التي تقول انه مع هذا الرقم ' المليون ' سنصل الى وضع يتساوى فيه عدد العرب واليهود بعد ٢٠ سنة، فاننا بدون الـ ٤٤٠ ألفاً سنصل الى الوضع ذاته بعد فترة زمنية، لنقل، ٢٧ سنة. هل هذه هي الحدّوتة الديمغرافية ؟ شعب يعيش على سبع سنوات ؟»[٣٨].

منـطلقاً من الاسس والمبادىء الصهيونية التي تعتبر المناطق الفلسطينية، والسورية، المحتلة جزءاً من «ارض ـ اسرائيـل الغـربيـة»، ومستخفاً بالمسألة الديمغرافية، دعا الليكود وحلفاؤه من الاحزاب الصغيرة الى «احقاق الحق التاريخي» وفرض السيادة اليهودية في المناطق المحتلة، وضمّها الى «دولة اليهود».

يبدو واضحاً ان محاولات الليكود الاستخفاف بالمشكلة الديمغرافية، والتظاهر بأنها لا تؤثر فيه وفي سياساته تجاه مصير الاراضي الفلسطينية المحتلة، لم يكن ما يبرّرها على ارض الواقع. فعند وصوله دفّة الحكم العام ١٩٧٧، لم يقم الليكود بتطبيق القانون والسيادة الاسرائيليين في المناطق الفلسطينية المحتلة، كما كان ينادي؛ ولم يجرؤ على ضمّها الى اسرائيل، ليس خشية من جيوش وقادة وملوك الدول العربية، بل لمعرفته بأن خطوة كهذه ستقود، عاجلاً او آجلاً، الى وأد المشروع الصهيوني ووضع حدّ لاسرائيل كدولة يهودية وتحويلها الى دولة عربية ـ يهودية. فقد قامت الحكومة الاسرائيلية، بزعـامـة الليكود، بضمّ هضبة الجولان السورية العام ١٩٨١، دون ان تأبه كثيراً بالرد السوري والعربي، ليس لأنها تعتبر ان لها حقوقاً تاريخية في الجولان السورية المحتلة اكثر منها في الاراضي الفلسطينية المحتلة، وانما، اساساً، لعدم وجود كثافة سكانية عالية في الجولان، وتوفّرها في المناطق الفلسطينية المحتلة العام ١٩٦٧.

الحكم الذاتي، حل للمشكلة الديمغرافية

وفي محاولته التغلّب على المشكلة الديمغرافية وحلّ المعضلة التي تواجهه والمتمثلة في نزعة التوسّع والضمّ وفرض السيادة اليهودية، من ناحية، والخشية من الكثافة السكانية الفلسطينية، من ناحية اخـرى، تبنّى الليكـود برنـامج الحكم الاداري الذاتي، الذي اقترحه زعيمه مناحيم بيغن، تلميذ جابـوتينسكي، العـام ١٩٧٧، والذي يمنـح الفلسـطينيـين في المنـاطق المحتلة حكماً ادارياً ذاتياً

للسكان فقط، مع الاحتفاظ بالسيادة اليهودية على الارض. وضمن رؤيته هذه، قام الليكود وحلفاؤه من الاحزاب الصغيرة، منذ استلامهم السلطة العام ١٩٧٧، بانشاء المستوطنات اليهودية في المناطق الفلسطينية المكتظة بالفلسطينيين بالذات، في محاولة لخلق وقائع جديدة على الارض تغيّر، تدريجياً، من ناحية، الميزان الديموغرافي في تلك المناطق المكتظة بالفلسطينيين لصالح اليهود تمهيداً لضمّها، وتسعى، من ناحية اخرى، الى عرقلة برنامج حزب العمل الذي يبدي استعداده للتنازل عن تلك المناطق المكتظة لصالح ملك الاردن، اذا ما تسلّم العمل دفّة الحكم، مرة اخرى.

وفي الوقت الذي دار صراع بين الاحزاب الاسرائيلية الصهيونية حول افضل السبل لحل المعضلة التي تواجهها اسرائيل خلال اكثر من ٢٠ عاماً، احتدم صراع متواز بين المفكرين والكتاب والخبراء الاسرائيليين حول الموضوع ذاته. وخلال العشرين سنة ونيّف من الأحتلال والمعضلة التي نشأت بسببه، كتبت المئات من المقالات والدراسات والكتب الاسرائيلية التي عالجت هذه المعضلة من جميع جوانبها وأثرت الفكر الصهيوني باتجاهات واقتراحات خطيرة للغاية، تذكّر بالحلول النهائية التي اقترحها ونفذها النازيون بحق اليهود انفسهم ابّان تفشّي اللاسامية في اوروبا. وتماماً كما كان مجرد وجود اليهود ومعيشتهم في المجتمعات الاوروبية يعتبر مشكلة المشاكل بالنسبة الى الجماعات والقوى اللاسامية في اوروبا، فان مجرد وجود الانسان العربي الفلسطيني في وطنه، مهما كانت اتجاهاته السياسية والاجتماعية، ومهما كانت مهنته، وسواء أكان طفلاً او عجوزاً، رجلاً او امرأة، هادئاً أو مقاوماً، فقيراً او غنياً، يعتبر مشكلة خطيرة للمفكرين والمتخصصين الاسرائيليين ويعتقدون بأنها تهدد اسرائيل، ويدعون الى التخلص منها. ويختلف هؤلاء على كيفية التخلص من هذه «المشكلة». ويمكن تقسيمهم الى فئتين اساسيتين: الاولى تدعو الى الانسحاب، او «الهرب»، من المناطق الفلسطينية المحتله العام ١٩٦٧، او من معظمها، والثانية تدعو الى الاحتفاظ بهذه المناطق المحتلة وتهجير الفلسطينيين، او معظمهم، الى الخارج.

ونظراً الى الضعف العربي الذي بات يضع اي مفكر اسرائيلي جدي يحذّر من امكانية قيام قوة عربية او «جدار حديدي» عربي موازٍ لـ «الجدار الحديدي» الاسرائيلي وقد يتفوق عليه في المستقبل لما تحمله الشعوب العربية من طاقات وامكانيات مختزنة، موضع الاستخفاف، فان الفكر الصهيوني الداعي الى طرد الفلسطينيين، او معظمهم، اخذ ينتعش ويتفشّى في اوساط اسرائيلية واسعة، ليمهّد الطريق لضمّ هذه المناطق المحتلة الى اسرائيل. وممّا لا شك فيه انه لو توفّر «جدار حديدي» عربي، لحوّل هذا النقاش الدائر في اسرائيل حول مسألة الطرد ليس الى ترف فكري محض فحسب، بل لما ظهرت المطالبة بالطرد اصلاً. ولكن لمّا كان الوضع على عكس ذلك تماماً، فان التيار الصهيوني الداعي الى الضمّ اصبح يعتبر الوجود الفلسطيني في الاراضي المحتلة العائق شبه الوحيد امام ضمّ هذه المناطق واقامة ملكوت اسرائيل في «ارض ـ اسرائيل الغربية»، وبالتالي أخذ يضغط، بقوة، باتجاه الطرد، ويكسب موقعاً بعد آخر في المجتمع الاسرائيلي واحزابه. فعقب حرب حزيران (يونيو) مباشرة، نشط غلاة المتطرفين من المفكرين واصحاب الاختصاص الصهيونيين في مجابهة المعضلة مباشرة وقدّموا حلولاً تبدو بسيطة، تدعو الى عدم الانسحاب من اي شبر من الاراضي الفلسطينية المحتلة والعمل على التخلص من الفلسطينيين وطردهم الى الخارج. وقد نشروا افكارهم وبرامجهم في الصحف والمجلات الاسرائيلية الصادرة باللغة العبرية، التي تجاوبت، بدورها، مع الهوس وروح الغطرسة التي اصابت اسرائيل بعد حرب حزيران (يونيو). ولا مجال، هنا، لمتابعة جميع الآراء التي طرحت حول المعضلة وطالبت بضمّ المناطق المحتلة، وانما سيتمّ الاكتفاء ببضعة نماذج عالجت الموضوع،

وشابرت، اكثر من غيرها، على متابعته. وقد برز من اصحاب هذه الآراء موشي شامير[٣٩] ويوفال نئمان[٤٠] وتسفي شيلواح[٤١] واليعيزر ليفنه[٤٢] ونتان الترمان[٤٣] والحاخام تسفي يهودا كوك[٤٤] والياهو عميكام[٤٥] ويهودا دون[٤٦] واهرون امير[٤٧] واسحق طبنكين[٤٨] وعزريا الون[٤٩] وراحيل سبورائي[٥٠] وموشي طبنكين[٥١] وزئيف فون فايزل[٥٢] ومئير بارايلي[٥٣] ويسرائيل الداد[٥٤] وافرايم بن حاييم[٥٥] واهرون بن عامي[٥٦] وابراهام هلر[٥٧] وغيرهم.

طالب تسفي شيلواح، الذي يوصف بأنه «خبير» في الشؤون العربية، ربما لكونه شغل منصب الحاكم العسكري في الجليل بعيد اقامة اسرائيل، عبر العشرات من المقالات و«الدراسات» بضمّ المناطق الفلسطينية المحتلة وطرد الفلسطينين منها. ففي مقالة كتبها بعد مرور شهر على احتلال الضفة والقطاع، حذّر شيلواح من انه يوجد في «المناطق المحرّرة» مئات الالوف من العرب، وان «احتواء هؤلاء السكان داخل حدود اسرائيل يعتبر قنبلة زمنية في قلب الدولة»؛ اذ ان ابقاءهم في هذه المناطق يعرّض اسرائيل للمخاطر ويشكل خطراً على طابعها «القومي اليهودي». واستخلص ان «الحل الوحيد هو تنظيم هجرتهم وتوطينهم في البلدان العربية كثيرة المياه والارض، مثل سوريا والعراق»[٥٨].

عشّشت فكرة طرد الفلسطينيين، وخاصة اللاجئين منهم، واستوطنت في مخيّلة عالم الذرّة الاسرائيلي يوفال نئمان، الذي اصبح، فيما بعد، احد ابرز قادة حركة «هتحياه»، حيث ما انفك يبشر بها ويطالب بتحقيقها منذ عشرين عاماً ونيّف.

مع اشتداد الحوار والنقاش حول افضل السبل لحل «المعضلة»، بين التيار المطالب بحل اقليمي وسط والانسحاب من المناطق المكتظة بالسكان، وبين التيار المطالب بضمّ المناطق الفلسطينية المحتلة، اخذ المفكرون من المنتمين الى التيار الاخير يجرون الدراسات حول المشكلة الديمغرافية ومدى خطورتها، ويقدمون حلولاً تنسجم مع المصالح الصهيونية التوسّعية. وفي هذا الاطار، نشر ابراهام هلر، في العام ١٩٧٠، فصلاً من كتابه «لمن الحقوق في هذه البلاد» تحت عنوان «الشيطان الديمغرافي» في مجلة «هؤماه» (الامة) التي اصبحت، بعد العام ١٩٦٧، منبراً لدعاة الضمّ والطرد، حاول فيه التخفيف من حجم «الخطر الديمغرافي». استهل هلر دراسته بالرد على من وصفهم باصحاب الشعار الواهم «سلام مقابل اراض» الذين يستندون الى الخطر الديموغرافي لتسويق افكارهم، وسأل: «هل كان وضعنا الديمغرافي في البلاد، في بداية عهد الانتداب، افضل، عندما كان عددنا بين ٦٠ الى ٨٠ الفاً، ونشكل اقل من عشرة بالمئة من مجموع سكان البلاد ؟ علماً بأن الهجرة اليهودية كانت، في تلك الفترة، مرتبطة ومحدّدة بنوايا الادارة البريطانية». واضاف قائلاً: «لو اجرت قيادة الييشوف والحركة الصهيونية حسابات ديمغرافية العام ١٩٤٧، فهل كان من المعقول الموافقة على قرار التقسيم واقامة الدولة اليهودية في الوقت الذي كان عدد العرب في تلك المنطقة المخصصة للدولة اليهودية اكثر من ٤٠ بالمئة ؟ ولو وافقوا، في تلك الفترة، على توسيع حدودنا بمناطق يقطنها العرب، ألَم نكن نقبل ذلك بحماس ؟». ثم اضاف: «لقد اتخذ الشعب وقيادته في تلك الفترة قرار تأسيس الدولة بحماس عظيم، لانهم آمنوا بالفكر الصهيوني وبارادة الانقاذ التي تمثلت بالهجرة وبجمع الشتات. وايمانهم لم يخيّب»[٥٩].

وفي الوقت الذي تجاهل هلر قيام القيادة الصهيونية ـ التي امتدحها كثيراً ـ بطرد الفلسطينيين عشية، وبعد، قيام اسرائيل، للتخلّص من خطر تحوّلها الى دولة ثنائية القومية، فانه حرص على اظهار دور الهجرة اليهودية الى اسرائيل بُعيْد قيامها، والتي بلغت مئات الآلاف من المهاجرين، في

مواجهة الخطر الديمغرافي. واستخلص من ذلك ان بامكان الهجرة اليهودية، وخاصة من الاتحاد السوفياتي التي توقع زيادتها، ان تلعب دوراً جوهرياً في حل المشكلة الديمغرافية التي تواجهها اسرائيل جرّاء احتلالها الضفة والقطاع، لصالح اليهود(٦٠). ثم انطلق الى معالجة الفجوة ما بين التكاثر الطبيعي بين العرب واليهود ووصفها بأنها «حقيقة مقلقة». فالتكاثر الطبيعي لدى العرب في البلاد يبلغ ثلاثة اضعافه عند اليهود الاسرائيليين. وعلّق هلر على ذلك قائلاً، ان هذا الامر ليس «قانوناً ثابتاً»، وتوقّع ان يتناقص تكاثر العرب الطبيعي نتيجة العوامل الاقتصادية والاجتماعية؛ ثم اشار الى ان الهجرة العربية من الضفة والقطاع تحدّ من تكاثر العرب، وبالتالي تحسّن الميزان الديمغرافي لصالح اليهود؛ وراهن على ان هذا النمط من الهجرة العربية الى الخارج سيستمر في المستقبل ايضاً(٦١).

حزب العمل يتخبّط في الحلول

في الوقت الذي ثابر دعاة الضمّ والطرد على التبشير لافكارهم وبثّها في الجمهور الاسرائيلي دون لبس او غموض، مستندين، في دعواهم، الى القوة الاسرائيلية، اصاب الارتباك والتخبّط قادة حزب العمل؛ ذلك ان نزعة التوسّع وشهيّة الضمّ والسعي الى التخلص من الفلسطينيين جذبتهم، في كثير من الاحيان، بعيداً حتى من برنامجهم السياسي الرسمي المعلن، والذي يطالب بحل اقليمي وسط. ففي بداية العام ١٩٧٣، اعلن اسحق رابين ان «مشكلة اللاجئين في قطاع غزة ينبغي الّا تحلّ في قطاع غزة، او في العريش، بل في الضفة الشرقية». واضاف انه يسعى الى التخلص من اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الفلسطينية ويعمل على نقل السكان العرب، ليس باستخدام القوّة، وانما بتوفير شروط تكفل تحركاً سكانياً طبيعياً الى الضفة الشرقية خلال العشرة الى العشرين سنة المقبلة»(٦٢).

ومن المرجّح ان تصريحات رابين، الذي اخذ يلبس جلد الاسد، منذ حرب العام ١٩٦٧، بعد ان اصيب بانهيار عصبي عشية تلك الحرب، تلك التصريحات التي كان هدفها خدمة المشروع الصهيوني، من ناحية، وتعزيز مكانة حزبه في اوساط الجمهور الاسرائيلي، من ناحية اخرى، لم تقدّم خدمات كثيرة الى حزبه بقدر ما اثارت البلبلة حول مواقف الحزب الحقيقية تجاه المسألة الديمغرافية. فتارة يدعو الى حل اقليمي وسط، للتخلص من الازمة الديمغرافية، وطوراً يعلن عن عزمه على نقل اللاجئين، والفلسطينيين عموماً، الى الاردن.

قادت المواقف المتناقضة هذه الناخب الاسرائيلي الى التساؤل: اذا كان حزب العمل يسعى الى نقل الفلسطينيين الى الاردن، فما الحاجة، اذاً، الى حل اقليمي وسط والتنازل عن اجزاء من «ارض ـ اسرائيل» بعد طرد العرب منها ؟ ماذا يريد حزب العمل حقاً ؟ هل يريد التنازل عن المناطق المكتظة بالسكان، ام طرد الفلسطينيين من المناطق المكتظة، وغير المكتظة، بالسكان ؟

على ارضية فشل القيادة الاسرائيلية في ايجاد حل للمعضلة التي واجهتها اسرائيل منذ احتلال الضفة والقطاع، وفي ضوء تكاثر الفلسطينيين ومواصلة الرسميين الاسرائيليين الاعلان عن سعيهم، بين الفينة والاخرى، تلميحاً او تصريحاً، الى طرد الفلسطينيين، ظهرت في اسرائيل، في بداية السبعينات، حركة يهودية ـ صهيونية لم تشغل فكرها كثيراً في ابداع نظرية تعالج المعضلة، وانما استوردتها جاهزة من اواسط اوروبا. وكان جلّ ما فعلته انها غيرت اسم الضحية من «يهودي» الى «فلسطيني». وعلى الرغم من ان حركة كاخ، هكذا، لم تتبدع نظرية، فانها ملأت اسرائيل والدنيا صراخاً تحذّر من خطر مجرّد ميلاد طفل فلسطيني، وخطر مجرّد وجود العرب الفلسطينيين، الذين يعيشون في وطنهم وتحت الاحتلال والحكم الاسرائيلي، على اسرائيل، تماماً كما كانت تفعل الجماعات

والقوى اللاسامية ضد اليهود، وطالبت علانية، ورسمياً، بوضع «حل نهائي» لهذه المشكلة، وطرد جميع العرب الفلسطينيين من فلسطين. وتكمن المفارقه في ان كهانا واقرانه من دعاة الطرد يتبنّون النظريات الاكثر انحطاطاً وعدواناً ضد الانسانية في التاريخ البشري.

وجهتا نظر لتيّارين متناقضين

ادّى ظهور حركة كاخ على الخارطة السياسية الاسرائيلية، وخاصة بعد حصول كهانا على مقعد في الكنيست و «كفاحه» المستمر للتخلص من الفلسطينيين، وكذلك ازدياد القوى الصهيونية المطالبة، رسمياً، بطرد الفلسطينيين، كحركات هتحياه وتسومت ومولیدت وقوى لها وزنها داخل الاحزاب الدينية الصهيونية وداخل الليكود، الى زيادة المعضلة التي تواجهها اسرائيل حدة وتعميق الاستقطاب في المجتمع الاسرائيلي حول كيفية حلّ هذه المعضلة. على ارضية هذا الاستقطاب في المجتمع الاسرائيلي وحول حلّه الذي يقترحه للمعضلة التي تواجه اسرائيل منذ عشرين عاماً، ثمة كتابان حول ذلك، الاول وعنوانه «الدولة اليهودية والمشكلة العربية» للدكتور مردخاي نيسان، الاستاذ المحاضر في الجامعة العبرية في القدس، والثاني ألّفه البروفيسور يهوشفاط هركابي، المحاضر في الجامعة العبرية في القدس، وعنوانه «قرارات مصيرية». ونظراً الى اهمية وجهتي نظرهما في معالجة المعضلة ومحاولتهما معالجتها بصورة شاملة، ولكونهما طرفي نقيض، ويمثّلان، في نهاية المطاف، تيّارين اساسيين في المجتمع الاسرائيلي، فانه ينبغي التوقّف عند كيفية رؤية كل منهما الى حل المعضلة.

ينطلق نيسان من فرضية ان «ارض ـ اسرائيل» هي ملك الشعب اليهودي وحده. علاوة على ذلك، فان «ما انتجه وبناه الاغيار في ارض ـ اسرائيل، يعود كله الى شعب اسرائيل، لسبب بسيط هو ان ارض ـ اسرائيل تابعة لشعب اسرائيل بصورة مطلقة». وتشمل ملكية اليهود كل ما تنتجه «ارض ـ اسرائيل» من كل نوع وكل ما وجد فيها عبر العصور[٦٣]. وبعبارة اخرى، يقول نيسان ان كل ما يملكه العرب الفلسطينيون من اراض مسجلة في «الطابو»، وبيوت، ومؤسسات، وكل ما يأكلونه ويلبسونه ويشربونه، ليس ملكاً لهم، وانما هو ملك لليهود.

لدى تطرّقه الى مسألة طرد العرب، في الفصل الخامس من الكتاب الذي جاء تحت عنوان «خط العزل؛ فكرة نقل العرب من ارض ـ اسرائيل الغربية»، استهّل نيسان بـ : «ان هناك اموراً تجرى في اماكن معيّنة يمنع حتى الحديث عنها في اماكن اخرى»، وهو يحاول ان يبحث ويثير قضايا جوهرية لعرضها على الرأي العام الاسرائيلي، بعد ان كانت مثل هذه القضايا لا تطرح علانية، على حدّ رأيه.

يعتقد نيسان بأن «المشكلة العربية» تطارد الصهيونية منذ مئة عام، وانها تشكل تهديداً لاحتمال عيش المجموعتين العرقيتين في بلد صغير. واضاف ان كثيرين من الاسرائيليين، اليوم واكثر من اي وقت مضى، يسألون: «اذا كان اليهود والعرب لا يستطيعون العيش معاً، فما العمل ؟». وقبل ان يقترح الحل الذي يرتأيه، اكد نيسان انه ما من حل سياسي يستطيع الغاء خطر وجود العرب في وطنهم الى جانب اليهود، وانه لا يمكن التوصّل الى اي حل سياسي، خاصة اذا كان الحديث يدور عن حل دائم. واضاف انه كلما ازدادت صعوبة التعايش اليهودي ـ العربي، ازداد احتمال طرح حل واضح ومتطرف لوجود العرب في البلاد. واشار الى الحل الذي يتمنّاه، ويسعى الى تحقيقه، بقوله ان فكرة اخراج العرب من «ارض ـ اسرائيل الغربية» تشعّ بالامل وتثير الاهتمام، مقابل التقصير والعجز اللذين ابدتهما حكومات اسرائيل في الفترة الاخيرة. وذكر ثلاث «ايجابيات» اساسيّة لتهجير العرب الفلسطينيين من وطنهم: «١ ـ انتهاء الخطر الامني الداخلي، ووضع حدّ لعذاب وقلق اليهود؛

٢ ـ يستطيع الشعب اليهودي ان يتمتع بسيادته الوحيدة على ' الوطن' دون ان يحتج احد؛ ٣ ـ انتهاء خطر الاندماج والزواج المختلط وخطر التشويش على كون اسرائيل دولة يهودية نقيّة»(٦٤). ثم أكد نيسان ان «ايجابيات» الطرد، على المستويات الامنية والسياسية والثقافية، تعزّز اسرائيل وتجعلها مكاناً اكثر راحة واكثر اماناً واكثر هدوءاً واكثر يهودية. فطرد العرب من البلاد «مغر، فعلاً، في بساطته، وفي غنائم نتائجه المرتقبة. فهو يبدو كخطوة ايجابية وعملية تقدم حلاً ابدياً للصراع المرّ؛ وبذلك، توفر حياة جيدة لشعب اسرائيل الذي تطلع دهراً طويلاً الى ايجاد زاوية هادئة في العالم. هل هو سر ان هذا الحل يعتمل في سرائر عدد كبير جداً من الاسرائيليين ؟ ان كل مطّلع على الحياة في اسرائيل، وعلى مشاكلها واحلامها، يعرف ذلك من مصدر أولي»(٦٥).

بعد ان ساق نيسان كل الحجج والذرائع المنادية بطرد العرب، وبروح مؤيدة للطرد، دون ان يقولها بلغة قانونية، وكأنه متّهم يدخّر لنفسه دفاعاً قانونياً في محكمة ما، انتقل الى انتقاد الحركة الصهيونية، واتّهمها بالتقصير، وبأنها احسنت للعرب في البلاد ومنحتهم حقوقاً على الرغم من كراهيتهم للصهيونية. ومع انه ذكّر، لاحقاً، في الكتاب، بتمسك معظم القادة الصهيونيين بحل الطرد منذ بداية القرن، فانه اختار ان يتّهم الصهيونية بأن «خط المصالحة وضبط النفس والتنازل والمبادرة الحسنة مغروس، بعمق، في روحها، منذ بداية طريقها...». واستخلص انه «في ضوء ذلك، أُبعدت فكرة اخراج العرب من البلاد من اضواء العقل الواعي» الصهيوني. وفي محاولة منه انقاذ الصهيونية من «انسانيتها المفرطة» و «تقاعسها» في طرد العرب، فانه استعان بجمل جاءت في الكتب المقدسة لدى اليهود، مثل «حياتك اولاً، ومن يأتي ليقتلك، فباشر بقتله» ليبرر للحركة الصهيونية طرد العرب الفلسطينيين، دون ان يكون هناك تأنيب ضمير.

والى ان يتمّ «التخلّص» من العرب الفلسطينيين، وطردهم، اقترح نيسان معاملة الفلسطينيين، الذين يعيشون على «ارض ـ اسرائيل»، وفق الشريعة اليهودية، وبالذات حسب تفسيره هو لهذه الشريعة. ادعى نيسان بأن نقطة انطلاق الشريعة اليهودية بخصوص تنظيم العلاقات بين اليهود وغير اليهود تتمحور في تعزيز قوة «شعب اسرائيل» في «ارض ـ اسرائيل». فالبلاد «منحت هدية من السماء لابراهيم ونسله». لذلك، فان «ارض ـ اسرائيل ملك لشعب اسرائيل فقط». امّا «ابن الجارية، فليس تابعاً لقوم ابراهيم»(٦٦). واضاف ان غير اليهود يستثنون من النشاط السياسي ـ الاجتماعي. فالشعب اليهودي فقط هو الذي يقرّر النظم والأسس للحياة القومية في «ارض ـ اسرائيل».

وأكد نيسان ان الشريعة اليهودية لا تمنح حقوقاً متساوية لغير اليهود. وحاول ان يعزّز ذلك باستناده الى سوابق تاريخية، حين طبقت الشريعة اليهودية في مملكة اسرائيل في العصور القديمة على سكان غير يهود. ففي فترة الملك سليمان، فرضت ضريبة خاصة، بل فرضت العبودية على غير اليهود من الشعوب السبعة التي بقيت وعاشت داخل مملكة سليمان. ثم نحى باللائمة على الحركة الصهيونية، وخاصّة التيّار الديني فيها، لعدم تهيؤها لمعاملة الاغيار وفق الشريعة اليهودية، قولاً وفعلاً، ولعدم استفادتها من السابقة التاريخية.

هركابي والمسألة الديمغرافية

علاوة على تبوّئة قمّة الباحثين الاسرائيليين المختصين بالصراع العربي ـ الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، شغل يهوشوفاط هركابي مناصب رسمية عالية عدة في اسرائيل. ففي العام ١٩٤٩، كان عضواً في الوفد الاسرائيلي في مفاوضات رودس بين اسرائيل والملك عبدالله. وفي الخمسينات

شغل منصب رئيس الاستخبارات العسكرية. وفي اواسط السبعينات عيّن مستشاراً لرئيس الحكومة الاسرائيلية. ركّز هركابي، في كتبه العديدة وابحاثه الكثيرة التي نشرها حتى منتصف السبعينات، على رفض الدول العربية التوصّل الى سلام مع اسرائيل، علماً بأن الحقيقة كانت مغايرة لذلك تماماً. فدول الطوق العربية، وبالتحديد مصر والاردن وسوريا ولبنان، لم تكن فقط على استعداد لتوقيع اتفاق هدنة بينها وبين اسرائيل، وانما طالبت، كل على حدة، في السنتين الاخيرتين من الاربعينات، بعقد اتفاقية سلام مع اسرائيل؛ الّا ان اسرائيل؛ بقيادة بن ـ غوريون، رفضت ذلك. ومن المرجّح ان هركابي كان على اطلاع على محاولات الحكومات العربية التوصّل الى سلام مع اسرائيل، بحكم قربه من صانعي القرار الاسرائيلي، ولكونه باحثاً لامعاً مختصاً بالصراع العربي ـ الاسرائيلي. غير انه اختار، طوال اكثر من ربع قرن، قلب الحقيقة وجيّر ابحاثه لصالح الدعاية الاسرائيلية التي جعلت من اسرائيل حملاً وديعاً يطالب بالسلام محاصراً بذئاب شرسة ترفض السلام وتوشك ان تنقضّ عليه وتقطعه ارباً. وقد راجت ابحاثه في اوساط كثيرة، خاصة بين غلاة المتطرفين الاسرائيليين الذين لا يزالون يعتمدون عليها في رفضهم التوصّل الى سلام مع العرب.

وفي النصف الثاني من السبعينات، اخذت مواقف هركابي ودراساته تتحوّل، وتتغير، وتقترب اكثر الى الموضوعية. وقد توّج هذا التغيّر في كتاب «قرارات مصيرية»، الذي نشر العام ١٩٨٦. ومنذ تلك الفترة، وهركابي يجوب اسرائيل ويجري المحاضرات حول القرارات المصيرية التي يتوجّب على اسرائيل اتخاذها للتخلص من المسألة الديمغرافية.

في السطور التالية، سنوجز آراء هركابي من المسألة الديمغرافية، كما وردت في كتابه «قرارات مصيرية»، محاولين الحفاظ على روح النص.

أكد هركابي ان المشكلة الرئيسة التي يدور حولها النقاش «القومي» في اسرائيل هي السياسة التي يتوجّب على اسرائيل اتباعها تجاه المناطق المحتلة. وقد تمخّض عن هذا النقاش توجّهان اساسيان: الضمّ او الانسحاب. الخيار بينهما ليس بين الجيد والسيىء وانما بين السيىء والاسوأ. وتقف الاعتبارات التالية ضد الانسحاب من المناطق الفلسطينية المحتلة:

- الاعتبار الاستراتيجي الاقليمي ـ قوى معادية تتمركز في المناطق المحتلة يكون بامكانها قصف المراكز الحيوية الاسرائيلية، كالمطارات والمدن، وقد تصبح تلك المناطق قاعده «للارهاب».
- مساحة اسرائيل تتقلّص.
- ضربة قوية للنضال الايديولوجي القومي المطالب باسرائيل الكبرى.
- الانسحاب يكون نهائياً.
- ليس هناك ضمان بأن الانسحاب سيفي بمطالب العرب وينهي الصراع.
- مصادر المياه في الضفة تكون خارج سيطرة اسرائيل.
- مسألة تحديد الحدود معقّدة وشائكة، خاصة بالنسبة الى القدس.
- قد تظهر معارضة داخلية في اسرائيل تتحوّل الى حرب اهلية.

في مقابل جميع هذه الاعتبارات هناك اعتبار واحد اساسي وهو اذا ما ضُمّت المناطق المحتلة، سواء اكان ذلك رسمياً ام عملياً، فان اسرائيل لا تزيد مساحتها فحسب، وانما، ايضاً، عدد

السكان العرب داخلها. لو اختفى العرب بأعجوبة، لكان بالامكان ضمّ المناطق الفلسطينية المحتلة بهدوء. ولكن، ما داموا موجودين، وعددهم يزداد، فان ضمّ المناطق المحتله يخلق مشكلة ديمغرافية تفوق خطراً مخاطر جميع الاعتبارات الاخرى. ففي العام ٢٠٠٠، ووفق احصاءات قسم الاحصاء التابع للجامعة العبرية، سيكون عدد الاطفال العرب، الذين دون الرابعة من عمرهم، بين البحر والنهر، اكثر بـ ٢٠ بالمئة من عدد الاطفال اليهود في العمر نفسه.

○ مهما يكن حجم الاستيطان اليهودي، فانه لن يغير الطابع العربي للمناطق المحتلة. فبعد اكثر من ١٨ سنة من حكم المعراخ و سبع سنوات من حكم الليكود ما زال عدد المستوطنين في الضفة الغربية اقل من ٤ ـ ٣ بالمئة من مجموع سكان الضفة. ويقتصر نجاح الاستيطان، على الصعيد التقني الفيزيائي، في بناء البيوت وشق الطرقات. وهو فشل على الصعيد البشري. فعلاوة على قلة عدد المستوطنين وتقلّص المصادر البشرية للاستيطان، فان المستوطنات توفّر اماكن عمل محدّدة للمستوطنين، وهي بمثابة اماكن مبيت، فقط، لغالبيتهم.

○ يقترح العديد من رجالات الليكود منح المواطنة الاسرائيلية لسكان المناطق المحتلة في صيغة الاوتونوميا الاولى التي اقترحها بيغن. وهم يأملون في ان يرفض العرب قبول المواطنة الاسرائيلية، وبذلك تبقى اسرائيل دولة يهودية. ولكن هذا الامل ليس له ما يبرّره. فعندما يظهر للعرب انهم سينتصرون على اسرائيل، قد يتغير موقفهم خلال ليلة واحدة. لماذا يرفضون، اذا كان في استطاعتهم، بهذه الطريقة، السيطرة على الدولة وتغيير طابعها؟ انهم يستطيعون الحصول على ٥٠ ـ ٦٠ عضواً في الكنيست، اذا ما اضفنا العرب في اسرائيل اليهم. أليس هذا الاقتراح مغامرة تنقصها المسؤولية ؟

○ ان الخطر الديمغرافي الذي يتهدّد اسرائيل اذا ما اقدمت على الضمّ، او اتبعت سياسة تؤدي اليه، يتميّز في كونه مساراً طويلاً. وما دام هذا المسار لم يتحوّل الى حدث، فانه لا يثير الضجة والصراخ. لذا، فان فهم المسار يستوجب حكمة لتفادي تحوّله الى حدث. واذا ما تحوّل هذا المسار الى حدث، وعندما يتضح لليهود انهم اصبحوا اقلية او يقتربون من التحوّل الى اقلية، فان الوقت يكون متأخراً لتفادي المخاطر الناجمة عن ذلك.

○ هناك من يدعي بأن الاستيطان والطرق والمنازل قد خلقت واقعاً جديداً لا يمكن التراجع عنه، وان الضمّ هو الطريق الوحيد. وابحاث د. ميرون بينبنستي تؤيد ذلك الى درجة انها اصبحت اوراق دعاية تستعملها حكومة الليكود وانصاره. ولكن تحليلات بينبنستي تبسيطية ومبالغ فيها. فجبلنا الذي شهد نقل حوالى مليون مستوطن فرنسي من الجزائر بعد حكم فرنسي استمر ١٣٠ عاماً، يصعب عليه الاقتناع بأن ٤٠ الف مستوطن، او اكثر، يخلقون واقعاً لا يمكن تغييره.

واختتم هركابي نقاشه حول المعضلة التي تواجه اسرائيل، واي الخيارين اقل ضرراً، الانسحاب ام الضم، بقوله: «الانسحاب يبقي دولة يتوجب عليها الدفاع عن نفسها وشقّ طريقها في ظروف صعبة. الضمّ يأتي بحدود مريحة اكثر، ولكن من المشكوك فيه ان تبقى دولة تدافع عن تلك الحدود»(٦٧).

منذ احتلالها لبقية الارض الفلسطينية العام ١٩٦٧، تواجه اسرائيل معضلة أساسية لم تتمكن من حلّها حتى الآن. وتنبع هذه المعضلة المزمنة من التناقض القائم ما بين مطلب الضمّ، من ناحية، والحفاظ على اسرائيل كدولة يهودية، من ناحية أخرى. فضمّ المناطق المحتلة الى اسرائيل يلغي على ارض الواقع اسرائيل كدولة يهودية ويحوّلها، موضوعياً، الى دولة ثنائية القومية، يزداد عدد

العرب الفلسطينيين فيها باطراد ليتحوّلوا، بعد عقدين ونيّف، الى اغلبية. أمّا الانسحاب من المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، والذي عاشت اسرائيل مع احتلالها اياها اكثر منه بدونها، فانه يتناقض مع العقيدة الصهيونية التي تعتبر الضفة والقطاع جزءاً من «ارض ـ اسرائيل الغربية»، ويحدّ، ايضاً، من دوري اسرائيل، الصهيوني والامبريالي، في المنطقة.

خلال العقدين الأولين من الأحتلال، حال الوجود الفلسطيني في الضفة والقطاع دون ضمّ اسرائيل لهذه المناطق المحتلة. ومع بداية العقد الثالث أخذ هذا الوجود المنتفض على الأحتلال يلعب دوراً اكثر فعالية، ليس فقط في منع الضمّ، وانما لازالة الأحتلال. وبامكان هذا الوجود ان يلعب دوراً اكثر فعالية وتأثيراً، اذا ما تمّ تعزيز البنية الاقتصادية ـ الأجتماعية، في الارض المحتلة، بحيث توفّر العمل وتقدم الخدمات الى الفلسطينيين في الارض المحتلة، الأمر الذي يحدّ من الهجرة الى الخارج، ويقلّص احتياجهم الى سوق العمل في اسرائيل.

---

(١) **اعمال ثيودور هرتسل المختارة** (عبري)، تل ـ ابيب: م. نيومان، ١٩٣٤، الجزء الاول من اليوميات، يوم ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٨٥.

(٢) نحمان سيركين، **المؤلفات** (عبري)، المجلد الاول، تل ـ ابيب: دافار، ١٩٣٩، ص ٢٠.

(٣) بير بروخوف، **المؤلفات** (عبري)، الجزء الاول تل ـ ابيب: الكيبوتس الموحّد ومكتبة العمّال، ١٩٥٥، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٤) اسحق ابشتاين، «المسألة المجهولة»، **هشيلواح**، العدد ج، المجلد ١٧، السنة ١٩٠٧.

(٥) للمزيد من التفاصيل انظر يوسف غورني، **المسألة العربية والمشكلة اليهودية** (عبري)، تل ـ ابيب: عام عوفيد، ١٩٨٥.

(٦) آرثر روبين، **ثلاثون عاماً في بناء ارض ـ اسرائيل** (عبري)، تل ـ ابيب: شوكن، ١٩٣٧، ص ١ ـ ٨.

(٧) للمزيد من التفاصيل حول موقف ماكس نورداو من العرب الفلسطينيين، راجع مقالاته «نحن والعرب» و «الفلسطينية المعادية للصهيونية»، في ماكس نورداو، **مؤلفات صهيونية** (عبري)، المجلد الرابع، القدس: بلا ناشر، ١٩٦٢.

(٨) غورني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٢٩.

(٩) **المصدر نفسه**.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(١١) دافيد بن ـ غوريون، **مذكرات** (عبري)، المجلد الرابع، تل ـ ابيب: عام عوفيد، ١٩٧٤، ص ٢٩٩ ـ ٢٩٨.

(١٢) بيرل كتسنلسون، **المؤلفات** (عبري)، المجلد ١٢، تل ـ ابيب: حزب عمّال «ارض ـ اسرائيل»، ١٩٦٢، ص ٣٦١.

(٣١) غورني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(١٤) لجنة نشر كتابات ليحي (جمع وتحرير)، **وثائق المحاربين من اجل حرية اسرائيل** (عبري)، المجلد الاول، تل ـ ابيب: لجنة نشر كتابات ليحي، ١٩٥٩، ص ٢٧.

(١٥) يوسي ملمان ودانيئيل رفيف، «هذا تاريخ الترانسفير»، **ملحق دافار**، ١٩٨٨/٢/١٩.

(١٦) ابراهام شارون، «ملاحظات ليست في صلب الموضوع»، **هآرتس**، ١٩٣٧/٨/٢٣.

(١٧) عبدالحفيظ محارب، **هاغاناه، اتسل، ليحي؛ العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلّحة، ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٨١ ، ص ٢١١ ـ ٢١٢.

(١٨) يوسف ندفه، «خطط تبادل السكان لحل القضية الفلسطينية»، **غيشر**، العدد ٩٢ ـ ٩٣.

(١٩) **المصدر نفسه**.

(٢٠) **المصدر نفسه**

(٢١) ابراهام شارون، «خروج اسرائيل»، **بطيرم**، ١٩٥٠/١١/١٠.

(٢٢) ابـراهـام شارون، «فـرعون الاسرائيلي»، **بطيرم**، ١٩٥١/٣/١٥.

(٢٣) صبـري جريس، **العـرب في اسرائـيـل** (عبري)، حيفا: دار الاتحاد، ١٩٦٦.

(٢٤) يوسف فايتس، **يومياتي** (عبري)، المجلد الرابع، ص ١٥٤.

(٢٥) **المصدر نفسه**

(٢٦) **المصدر نفسه**، ص ١٦٤.

(٢٧) **المصدر نفسه**، ص ١٦٨.

(٢٨) **المصدر نفسه**، ص ١٨٧.

(٢٩) **المصدر نفسه**، ص ٣٠٠.

(٣٠) **المصدر نفسه**، ص ٣٢٤ ـ ٣٣٠.

(٣١) ملمان ورفيف، **مصدر سبق ذكره**.

(٣٢) **المصدر نفسه**

(٣٣) **المصدر نفسه**

(٣٤) كشف النقـاب عن دور موشي دايـان في مخطط الترحيل ورئاسته لـ «الجهاز» عضو الكنيست رعنان فايتس، في محاضرة القاها في «المركز الدولي من اجل السلام في الشرق الاوسط»، في تل ـ ابيب، بتاريخ ١٩٨٥/٦/٢. انظر مردخاي نيسان، **الدولة اليهودية والمشكلة العربية**، تل ـ ابيب: هدار، ١٩٨٦، ص ١١٩.

(٣٥) ملمان ورفيف، **مصدر سبق ذكره**.

(٣٦) **المصدر نفسه**

(٣٧) للمزيد من التفاصيل حول مباحثات الملك حسـين مع القيادة الاسرائيلية، انظر الى كتاب يوسي ملمـان ودانئيـل رفيف، **مشـاركـة عدائية: العلاقات السرية بين اسرائيل والاردن** (عبري)، تل ـ ابيب، بلا ناشر، ١٩٨٧.

(٣٨) **هيوم**، ١٩٦٨/١٢/٦.

(٣٩) موشي شامير، «لا طريق للرجوع»، **معاريف**، ١٩٦٧/٦/٣٠؛ كذلك «من الفلسطينية الى الجبل»، **معاريف**، ١٩٦٧/٧/١٤.

(٤٠) يوفـال نئمـان، «كيف يمكننا الحفاظ على منجزات حرب الشجاعة»، **معاريف**، ١٩٦٧/٦/١٨.

(٤١) تسفي شيلواح، «المهم ما يفعله اليهود»، **دافار**، ١٩٦٧/٧/٣؛ وايضاً مقالته «حدود بدون توسّع والمدافعون عنها»، **دافار**، ١٩٦٧/٨/٧.

(٤٢) اليعيزر لفنه، «دولة جديدة وآفاق جديدة»، **معـاريف**، ١٩٦٧/٦/٢٢؛ ومقالته «مشكلة اللاجئين العرب هي مشكلتنا»، **هآرتس**، ١٩٦٧/٨/٢٨.

(٤٣) نتان الترمان، «سلام كهدف وليس كبديل»، **معـاريف**، ١٩٦٧/٦/٣٠؛ ومقـالته «الضفة الغربية بلاد تخفي اسمها»، **معاريف**، ١٩٦٧/٦/٢٣.

(٤٤) الحاخام تسفي يهودا كوك، «تسعة عشر مزماراً لدولة اسرائيل»، **هتسوفيه**، ١٩٦٧/٦/٢٣.

(٤٥) الياهو عميكام، «منطق نواقيس المخلّص»، **يديعوت احرنوت**، ١٩٦٧/٦/٢٣.

(٤٦) يهودا دون، «بالامكان عدم الانسحاب من المناطق»، **هآرتس**، ١٩٦٧/٦/٢٨.

(٤٧) اهـرون امير، «اهمية الجدية»، **يديعوت احـرنـوت**، ١٩٦٧/٧/٧؛ كذلك مقـالتـه «الكـل»، **معـاريف**، ١٩٦٧/٦/١٦؛ وكذلك «كيف التحرّر من عقدة التقسيم»، **يديعوت احرونوت**، ١٩٦٧/٨/٤.

(٤٨) اسحق طبنكـين، «فقط الاستيطان في كل المناطق يأتي بالسلام»، **لمرحاف**، ١٩٦٧/٧/١٤.

(٤٩) عزريـا الون، «حـدود دائمـة»، **لمرحـاف**، ١٩٦٧/٧/١٤؛ كذلك مقالته «الحدود غير المقدسة»، **لمرحاف**، ١٩٦٧/٧/٧.

(٥٠) راحيـل سبورائي، «الارض الكاملة»، **عل همشمار**، ١٩٦٧/٦/٢٣.

(٥١) موشي طبنكـين «لا لاعـادة مناطق، وانما الاستيطان بها»، **دافار**، ١٩٦٧/٧/٢١؛ كذلك «جراة قيد التحقيق»، **دافار**، ١٩٦٧/٨/٤.

(٥٢) زئيف فون فايزل، «شهران بعد الانتصار»، **هيوم**، ١٩٦٧/٨/٤.

(٥٣) مئير بار ـ ايلي، «تهويد ارض ـ اسرائيل»، **دافار**، ١٩٦٧/٨/٤.

(٥٤) يسرائـيـل الداد، «منـطق الانتصـار»، **هحزيت**، عدد آب (اغسطس) ١٩٦٧.

(٥٥) افـرايم بن حاييم، «تغيـير واحتمـال»، **لمرحاف**، ١٩٦٧/٨/١١.

(٥٦) اهرون بن عامي، «حدود البيت الثالث»، **مباط حداش**، ١٩٦٧/٦/١٥؛ كذلك مقالته «العدوى الفلسطينية»، **المصدر نفسه**، ١٩٦٧/٨/٨.

(٥٧) ابراهام هلر، «الشبح الديمغرافي»، **هؤماه**، العدد ٢٩، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠.

(٥٨) شيلواح، **مصدر سبق ذكره**.

(٥٩) هلر، **مصدر سبق ذكره**.

(٦٠) **المصدر نفسه**.

(٦١) **المصدر نفسه**.

(٦٢) **معاريف**، ١٩٧٣/٢/١٦.

(٦٣) مردخاي نيسان، **الدولة اليهودية والمشكلة العربية** (عبري)، تل ـ ابيب: هدار، ١٩٨٦، ص ٣٦٠.

(٦٤) **المصدر نفسه**، ص ١٠٨.

(٦٥) **المصدر نفسه**.

(٦٦) **المصدر نفسه**، ص ١٠٩.

(٦٧) يهـوشـوفـاط هركـابي، **قرارات مصـيرية** (عبـري)، تل ـ ابيب: عام عوفيـد، ١٩٨٦، الطبعـة الثالثة، ص ٦٠ ـ ٧٢.

الابعاد الاستراتيجية والتكنولوجية للقمـر الاصطنـاعي الاسرائيـلي

هشام فهيم

جاء اطلاق القمـر الاصطناعي الاسرائيلي «أفق ـ ١» في التاسع عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٨، والذي حمله الى مداره في الفضـاء الخارجي صاروخ دافع من طراز «أريحا ـ ٢» ليجعل اسرائيل ثامن دولة في العالم لديها قدرة صاروخية قادرة على اطلاق أقمار اصطناعية ووضعها في مدارات في الفضاء، وليثير اسئلة عديدة حول المدى الذي يمكن أن يذهب اليه تطور تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية في اسرائيل، وآثار استخدامها لأغراض عسكرية، وتأثيرها في توازنات القوى في المنطقة، وما يترتب على ذلك من ردود فعل في النطاق العربي.

وتجدر الاشارة الى أن ردود الفعل في الوطن العربي تجاه إطلاق اسرائيل لقمرها الاصطناعي الأول قد انصبّت على رؤيتين متناقضتين: الأولى، تضخيم الحدث على نحو يكاد يوقعنا في حبائل «خرافات» القوة الاسرائيلية، والثانية «التهوين المخلّ» الذي يتجاهل حقيقة الحدث وأبعاده وتأثيراته بعيدة المدى.

لذلك، سوف نحاول، في ما يلي، أن نلقي نظرة موضوعية الى: أولاً، تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية وأنواعها بشكل عام؛ ثانياً، القمر الاصطناعي الاسرائيلي، من حيث التطور الفكري والعملي في صنعه، ومواصفاته، وتصنيفه، وتأثيراته الاستراتيجية (العسكرية) والعلمية (التقنية) والمعنوية (الاعلامية) في المنطقة؛ وأخيراً، أسس ومنطلقات المواجهة العربية للقمر الاصطناعي الاسرائيلي.

تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية وأنواعها

لعل تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية والتطور المذهل الذي طرأ عليها في السنوات القليلة الماضية هي العنصر الحاسم وراء تسمية عصرنا بعصر الفضاء. فقد أصبحت هذه الأقمار متعددة الغرض والهدف. ومنذ أوائل السبعينات، أُطلقت الآلاف منها، وباتت أقمار التجسّس والرصد الالكتروني وتحديد الاحداثات الأرضية ومسح المحيطات والانذار المبكر والاتصالات والبثّ التلفزيوني وغيرها تتزاحم في مدارات ثابتة لتقوم بمهامها المختلفة، المدنية والعسكرية. وقد أصبحت الأقمار الاصطناعية عنصراً حاسماً في علاقات القوى الدولية، خصوصاً بين القوتين العظميين؛ فهي تراقب التفجيرات النـوويـة، وخطوط الهدنة، وتساهم في التحقق من تنفيذ اتفاقيات الحدّ من التسلّح ونزع السلاح النـووي، على الرغم من وسـائل الاخفاء والتمويه، بما يعني أن دورها بات لازماً في حفظ السلام والتوازن العسكري.

وقد بدأ عصر تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية[1] عندما أطلق الاتحاد السوفياتي، في الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧، قمره «سبوتنيك»، فردّت الولايات المتحدة الأميركية باطلاق «اكسيلورا»، في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨. ثمّ طرأت تطورات عديدة على تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية بعد إطلاق «تلستار»، العام ١٩٦٢، و«انتلسات»، العام ١٩٦٥، الذي قدمت شبكاته خدمات في مجال نقل الأحداث من أنحاء العالم، وغير ذلك من الأغراض المدنية[2]، في الوقت الذي حدثت فيه تطورات مماثلة على تكنولوجيا أقمار التجسّس، من طراز كوزموس وساموس، التي ازدادت أهمّيتها بين مختلف أنواع الأقمار الاصطناعية، بالنظر الى طبيعتها العسكرية والاستخبارية، وما توفّره من كمّ هائل من المعلومات عن الأوضاع الجيو ـ استراتيجية في أراضي الخصم، أو حلفائه.

ويمكن تصنيف الأقمار الاصطناعية الدائرة في الفضاء، حالياً، في ثمانية أنواع[3]:

١ ـ أقمار الاستطلاع: أهمّها أقمار التصوير من الفضاء، سواء من طريق التصوير الالكتروني أو بالمجالات الطيفية. وهي ترصد، وتصوّر، ما على الأرض من أهداف وظواهر. ومنها أقمار تستخدم لأغراض مدنية، مثل «لاندسات» الأميركية و «سبوت» الفرنسية، ومنها ما يستخدم لأغراض عسكرية وتدور في مدار بيضاوي ارتفاعه من ١٥٠ الى ٣٠٠ كيلومتر.

٢ ـ أقمار التجسّس الالكتروني: هدفها الرئيس الرصد الالكتروني وتحديد مواقع رادارات الدفاع الجوّي وقواعد الصواريخ المنتشرة وترددات ومدى قدرة الرادارات. وتحليق هذه الأقمار يرتفع، عادة، الى ما يتراوح بين ٢٥٠ و ٤٠٠ كيلومتر، وهي من أكثر الوسائل فعالية في اعطاء بيانات ومعلومات عن المنشآت الرادارية.

٣ ـ أقمار الانذار المبكّر: وهي خاصة بالكشف الفوري عن انطلاق الصواريخ العابرة للقارات ومتوسطة المدى من مواقعها، حتى يمكن اعطاء الفرص ـ ولو لدقائق ـ للكشف عن انطلاقها والعمل على تدميرها. وهذه الأقمار توجد في المدار الثابت حول خط الاستواء، وعلى ارتفاع آلاف الكيلومترات، وتدور متلازمة مع دوران الأرض، ولا تدور حولها.

٤ ـ أقمار خاصة بالتفجيرات النووية: وتتميّز بما تحمله من أجهزة حساسة للكشف عن الاشعاعات، بتحديد مكان وزمان أي تفجيرات نووية، تحت، أو فوق، الأرض، وتوضع في مدارات ارتفاعها يبلغ عادة عشرة آلاف كيلومتر.

٥ ـ أقمار خاصة بالاتصالات والبثّ التلفزيوني[4]: وهي من أهم أنواع الأقمار الاصطناعية، ولها استخداماتها المدنية، كتيسير اتصالات البثّ المباشر في أنحاء العالم، واستخداماتها العسكرية، كتسهيل الاتصالات بين مراكز القيادة والقوات والوحدات الميدانية على مسافات بعيدة. وتوضع هذه الأقمار في المدار الثابت حول خط الأستواء على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر.

٦ ـ أقمار خاصة بالتنبؤات الجوية: وتتراوح ارتفاعاتها بين ٥٠٠ وألف كيلومتر، وتختص، كما هو واضح من تسميتها، برصد الأحوال الجوية، والظواهر المناخية، والتنبؤ بما قد يطرأ على مناخ الكرة الأرضية من تغيّرات.

٧ ـ أقمار خاصة بالرصد الجيو ـ ديسي: وتختص بتحديد أحداثيات المعالم الأرضية، وربطها بشبكات المساحة الأرضية. وتستخدم معلوماتها لأغراض مدنية، وعسكرية، كتحديد

المواقع العسكرية بدقة، لامكان اسقاط هذه المواقع على الخرائط المساحية الدقيقة، وهي توضع في مدارات بيضاوية حول الأرض على ارتفاعات تتراوح بين ٧٠٠ وألف كيلومتر.

٨ ـ أقمار اعتراض وتحطيم الأقمار[٥]: تخلق مجالات الكترونية للتشويش على الأقمار المعادية وتعطيلها، كما تستخدم تكنولوجيات متقدمة لأشعة الليزر في تدمير الأقمار المعادية. ويتراوح ارتفاعها، في مداراتها، بين ٣٠٠ و ٣٠٠٠ كيلومتر.

وفضلاً عن هذا التقسيم للأقمار، من حيث الغرض والاستخدام، فهناك تقسيم آخر لها، من حيث مدة البقاء في الفضاء، حيث توجد أقمار تطلق للدوران لأيام، وأخرى مخصّصة لفترات طويلة تمتد لسنوات؛ ولدى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي أنواع عديدة منها[٦].

وكما ذكر آنفاً، فإن الأقمار الاصطناعية، لا سيما أقمار الاستطلاع والتجسّس، قد لعبت دوراً متعاظماً في العلاقات الدولية، وعلاقات العملاقين بوجه خاص. فالأقمار الأميركية، مثلاً، هي التي اكتشفت ارسال الدبابات السوفياتية الى تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٦٨؛ وساهمت، أيضاً، في كشف «ثغرة الدفرسوار» في حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ لصالح اسرائيل؛ وكذلك جمعت معلومات عن انتشار الوحدات السورية والقوات الفلسطينية في لبنان، وخاصة مواقع الصواريخ السورية[٧].

القمر الاصطناعي الاسرائيلي

١ ـ التطور الفكري والعملي: يمكن القول ان اطلاق اسرائيل لقمرها الاصطناعي «أفق ـ ١»، والذي وصفته بأنه تجريبي، كان نتاج أكثر من عشرين عاماً من أستغراق الفكر والعمل الاسرائيليين في التطوير والتعاون الذي حدث بوجه خاص بين «هيئة تطوير الوسائل القتالية» (Armament Development Authority)، التي انبثقت من سلاح العلْم العام ١٩٤٨، بهدف تطوير وسائل قتالية جديدة من طريق التقنية المتقدمة، و«مؤسسة الصناعة الجوية» و«مؤسسة صناعة الطائرات» الاسرائيليتين اللتين تقومان على خدمة أغراض «الدفاع» الاسرائيلي.

فمنذ نهاية الخمسينات، يسعى العسكريون الاسرائيليون الى الحصول على قمر اصطناعي أسرائيلي، لاستخدامه في أغراض التجسّس والتقاط المعلومات بدون الاعتماد على الأقمار الأميركية. ومن بين الذين سعوا الى تحقيق هذا «الحلم» دافيد بن ـ غوريون وحاييم بار ـ ليف[٨]. فاستراتيجية اسرائيل العسكرية ـ كما بلورها قادتها العسكريون ـ تقوم على فكرة «الردع» والحدّ من القدرة العسكرية العربية[٩]، التي يمكن أن تشكّل تهديداً محتملاً لها، وذلك من خلال الوسائل العسكرية المضادة والاجهاض المبكر لهذه القوة. وفي هذا الاطار، قوّضت اسرائيل، مثلاً، البرنامج المصري الطموح لبناء الصواريخ، في أوائل الستينيات، عبر اغتيال العلماء المشاركين في هذا البرنامج، فضلاً عن اغتيال علماء الذرة العرب، وضرب المفاعل النووي العراقي «أوزيراك» في حزيران (يونيو) ١٩٨١؛ يضاف الى ذلك، سعي اسرائيل الدائم الى تجاوز القدرات العربية القتالية التقليدية لتحقيق التفوّق العسكري النوعي على العرب المبنيّ على التفوق العلمي ـ التقني، بما يتضمنه من تطوير ترسانة نووية. ولعل من أبرز الدلائل على هذا التصور الاستراتيجي ان اسرائيل قد خصصت، منذ نشأتها، ميزانية كبيرة للبحث العلمي، وصلت، الآن، الى أكثر من ٥٠٠ مليون دولار، ووجّهت أكثر من ٤٥ بالمئة من أرصدتها للبحوث العلمية في المجال العسكري، مقابل ثمانية بالمئة للدول المتقدمة، علاوة على انشاء مجموعة من الجامعات التكنولوجية (سبع جامعات حالياً)، وعشرات المجالس

والمشروعات العلمية المشتركة مع الولايات المتحدة بوجه خاص، وتوفير وتطوير مخزون بشري «علمي» يضم أكثر من ٣٠ ألف مهندس وفنّي في مجال البحوث والصناعات العسكرية، بوجه خاص[١٠].

وعلى هذا، فإن إطلاق اسرائيل لقمرها الاصطناعي الأول جاء في إطار سعيها الحثيث الى تحقيق تفوّق نوعي على القدرات العسكرية العربية، خاصة بعد أن أصبح واضحاً أن تحقيق التفوّق «الكمّي» هو أمر صعب مع تزايد المخزون وتكديس الأسلحة التقليدية في الترسانات العربية؛ وفي اطار تطوير منظومة متكاملة للانذار والتحكّم والتوجيه ضد الصواريخ العربية.

وقبل استعراض الخطوات التي قطعتها إسرائيل قبل، وعلى طريق، إطلاق قمرها الاصطناعي، من الهامّ أن نشير الى أن تعاونها التقني مع الولايات المتحدة ساهم في اختصار وقت طويل ومجهود كبير كان يمكن أن تستنفده قبل إطلاق قمرها الاصطناعي، وكان سينعكس ذلك، بالتالي، على تأخير تحقيق هذا الانجاز لسنوات عدة.

وفي هذا المجال، يمكننا رصد خطوات التعاون العلمي ـ التقني بين اسرائيل والولايات المتحدة على النحو التالي:

○ في العام ١٩٧٠، وقّعت اسرائيل والولايات المتحدة اتفاقية تبادل معلومات حول تطوير التسلّح، وتتعلق، على وجه الخصوص، بالمدرّعات والصواريخ جو ـ جو وجو ـ أرض ونظم الحرب الالكترونية.

○ في العام ١٩٧٢، أضيف الى الاتفاقية ١٩ ملحقاً مستقلاً تضمّنت مشروعات محددة، من بينها ترخيص يشمل التكنولوجيا المتقدمة. وبمقتضى هذه الملاحق، حصلت اسرائيل على مئة مجموعة من المعلومات الهامّة مجاناً، فيما بين العامين ١٩٧٥ و ١٩٧٧.

○ في العام ١٩٧٥، أضافت الولايات المتحدة تعهداً الى اتفاقية فضّ الاشتباك الثاني على الجبهة المصرية، وافقت، بموجبه، على انشاء مشروعات مشتركة مع اسرائيل في مجال انتاج الدبابات والصواريخ والتجهيزات البحرية، وقطعت تعهدات مماثلة بعد اتفاقيتي كامب ديفيد، العام ١٩٧٨[١١].

○ في العام ١٩٨٠، بدأت اسرائيل تلحّ على الدعوة الى تطوير قمر اصطناعي بزعم أن شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية مزدحمة للغاية، وثمّة حاجة الى قمر اصطناعي للاتصالات، ليستعمل كمحطة ارسال واستقبال متطوّرة لكافة الاتصالات[١٢]. وعليه، بدأ التعاون الاسرائيلي مع الهيئات الأميركية المتخصصة في تكنولوجيا واستخدام الأقمار الاصطناعية.

○ في العام ١٩٨٣، أقدم رئيس الموساد الأسبق الجنرال مائير عميت، والدبلوماسي والصحفي السابق، غازي كرمئيل، على تأسيس شركة في لندن باسم «جنرال ساتيلايت» بغرض تطوير قمر اصطناعي اسرائيلي بتمويل من مستثمرين أجانب واسرائيليين؛ وفي العام عينه، شكّل وزير الاتصالات الاسرائيلية، مردخاي تسيبوري، لجاناً عدة للبحث في المشروع، وجدواه. وأنتهت اللجان الى تقرير حاجة اسرائيل اليه، فعقدت اتفاقية مع «جنرال ساتيلايت» نصّت على منح الشركة حق تشغيل قمر اصطناعي للاتصالات في مدار فضائي على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر[١٣].

○ في العام عينه، تأسّست وكالة الفضاء الاسرائيلية كهيئة حكومية رسمية مختصة بشؤون الفضاء، بما في ذلك إطلاق أقمار اصطناعية للاتصالات، بالتعاون مع وكالة الفضاء الأميركية

«ناسا» وخبراء صناعة الطائرات الاسرائيلية.

○ في حزيران (يونيو) ١٩٨٤، وقّعت شركة فيرشيلد الأميركية للصناعات الفضائية وشركة «أحيت» الاسرائيلية اتفاقاً سرياً يتيح لاسرائيل الافادة من خبرات الشركة الأميركية في مجال تطوير الأقمار الاصطناعية والافادة من برنامج الأقمار الأميركية[١٤].

○ في العام ١٩٨٥، تلقّى برنامج اسرائيل لتطوير قمر اصطناعي خاص دفعة كبيرة، حيث اقترح المسؤول عن برنامج بحوث «حرب النجوم» الاميركي، الجنرال جيمس ابرامسون، اشراك اسرائيل في المرحلة الأولى من المشروع، من طريق ثلاثة بحوث، أحدها بناء قمر اصطناعي صغير؛ وقامت وكالة الفضاء الاسرائيلية على تنفيذ برنامج لبناء قمر يطلق مادة كيميائية في الفضاء، يمكن بواسطتها فحص تأثير الاشعاع الكوني والرياح والشمس على أشعة الليزر، التي تتحرك في طريقها لاصابة الصواريخ[١٥].

○ في نيسان (ابريل) ١٩٨٦، تأسّس مركز للبحوث الفضائية في اسرائيل؛ وتلا ذلك توقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجي مع الولايات المتحدة في أيار (مايو) ١٩٨٦، وانضمت اسرائيل، بموجبها، رسمياً، الى برنامج «حرب النجوم»، ممّا وضع في يدها أحدث تكنولوجيات الفضاء في مجال البحوث والتجريب.

○ في العام ١٩٨٧، توصّلت شركة جنرال ساتيلايت الى اتفاق ثان مع الصناعات الجوية الاسرائيلية، تمّ بموجبه انشاء شركة مشتركة للقمر الاصطناعي الاسرائيلي، برئاسة مائير عميت.

○ في العام عينه، اعلن رئيس وكالة الفضاء الاسرائيلية، دوروسديه، أن لدى اسرائيل تكنولوجيا تطوير قمر اصطناعي، وأنها ستنفّذه وفق برنامج محدّد، وان أول عملية اطلاق تجريبي له ستكون في العام ١٩٩١، توطئة لاطلاق قمر لبحوث البحار والمحيطات في العام ١٩٩٢، ثمّ قمرين خاصين بالاتصالات في العام عينه، يحملان اسمي عاموس ـ ١ و عاموس ـ ٢، مشيراً الى أن تصنيع الصاروخ الدافع لأقمار الاتصالات يتمّ بالتعاون مع الشركة الفرنسية «أوريان اسبايس»[١٦].

○ في آب (أغسطس) ١٩٨٨، أكدت مجلة «تايم» الأميركية ان اسرائيل على وشك اطلاق أول قمر اصطناعي للتجسّس الى مدار منخفض، لتصبح ثامن دولة في العالم تتمكن من اطلاقه بقدراتها الخاصة وبعد امتلاكها للصاروخ القادر على اطلاقه، الذي تمّ تجريبه في أيار (مايو) من العام عينه، حسبما ذكرت المجلة؛ الّا ان اسرائيل نفت الخبر[١٧].

○ في ١٩/٩/١٩٨٨، وبعد أقل من ٢٤ ساعة من النفي الاسرائيلي، أُعلن، بالفعل، عن اطلاق القمر الاصطناعي من قاعدة ساحلية جنوب تل ـ أبيب. ووصف مدير وكالة أبحاث الفضاء الاسرائيلية، يوفال نئمان، القمر بأنه أطلق لأغراض علمية واجراء اختبارات للتأكد ممّا اذا كان سيحصل على طاقة من اللوحات الشمسية، ولمعرفة آثار الجاذبية الأرضية، وآثار انعدام الوزن.

ويهمّنا، قبل الانتقال للبحث في مواصفات القمر الاسرائيلي، وتوصيفه، وتصنيفه من بين أنواع الأقمار الاصطناعية، أن نشير الى مجموعة من المؤسسات والشركات التي ساهمت، بدرجات مختلفة، في تطوير القمر الاسرائيلي وصناعات الفضاء وتكنولوجيتها بوجه عام، في اسرائيل. من هذه المؤسسات والشركات مؤسسة الصناعات الجوية، ومركز بحوث الصناعات الجوية، والشركة الاسرائيلية لتصنيع معدّات الحرب الالكترونية والرادار (ايليا)، وشركة ايلوب المتخصّصة في انتاج أجهزة الأشعة تحت الحمراء والليزر ومعدّات الاستطلاع، وشركة تامان التي تصنع أجهزة الملاحة الأوتوماتيكية[١٨].

مواصفات القمر الاسرائيلي وتصنيفه

وصفت البيانات والتصريحات، التي صدرت عن قادة اسرائيل وساستها، القمر الذي أُطلق في ١٩/٩/١٩٨٨ بأنه قمر تجريبي ـ علمي، وان كانت له امكانات عسكرية. وقال مدير وكالة بحوث الفضاء الاسرائيلية، ان القمر أُطلق الى مدار منخفض وعبر سماء المتوسط في اتجاه معاكس لدوران الأرض، لتلافي سقوطه في إحدى الدول العربية، وان مدة بقائه في الفضاء ستستمر شهراً، ثمّ عاد ليعلن ان القمر سيظل مدة أطول، لأن نجاح إطلاقه وفّر له قدرة أكبر من الطاقة، ممّا أتاح له تمديد مدة مكوثه قبل أن يحترق في الفضاء.

وقد سجّلت قيادة مركز الفضاء الأميركي في كولورادو عن القمر الاصطناعي الاسرائيلي، بعد دقائق من اطلاقه، انه يدور في مدار يتراوح ارتفاعه بين ٢٥٠ و ١١٥٥ كيلومتراً، وله قدرة على الدوران حول الأرض مرة كل ٩٨,٨٣٦ دقيقة، ويعمل بالطاقة الشمسية، ولديه قدرة على تحمّل ظروف انعدام الوزن وجمع المعلومات حول البيئة في الفضاء والمجال المغناطيسي وبزاوية ميل للأرض تبلغ ١٤٢,٨٦ درجة، ويغطي، بوضوح، أفريقيا الشمالية والخليج والشرق الأوسط، ويتراوح وزنه بين ١٥٥ كيلوغراماً و١٦٥ كيلوغراماً[١٩].

ويمكن تقديم وصف دقيق للقمر الاسرائيلي من أربعة زوايا:

(أ) تفاصيل الشكل والوزن: له ثمان زوايا، وارتفاعه ٢,٣ متر، وقطر قاعدته السفلى ١,٢ متر، وقطر قاعدته العليا ٠,٧ متر؛ وزن الهيكل الخارجي ٣٣ كغم، وجهاز الامداد بالكهرباء ٥٨ كغم، والحاسب الآلي سبعة كيلوغرامات، وأجهزة الاتصال ١٢ كغم، وجهاز المراقبة الحرارية ١٢ كغم، والاسلاك تسعة كيلوغرامات، وأجهزة القياس وحفظ التوازن ما بين ٢٠ ـ ٢٥ كغم.

(ب) بيانات التزوّد بالوقود: إمداد كهربائي متولّد من الطاقة الشمسية ٢٤٦ واط؛ متوسط استهلاك القمر للكهرباء ٥٣ واط؛ استقبال البطاريات سبعة أمبيرات في الساعة؛ طرق تجميع غير مثبت: جهد ٢٥ ـ ٤٢ فولت.

(ج) بيانات الاتصال في المجال S: معدّل اذاعة القناة التليمترية ٢,٥ كيلوبايت في الثانية؛ استقبال الذاكرة التليمترية ١,٢٨ كيلوبايت في الثانية[٢٠].

(د) بيانات أخرى: مزوّد بآلة تصوير بولارويد ٦,٦ ملم تستطيع التقاط وتحليل الصور وترجمتها لنبضات واشارت لاسلكية ترسل اذاعياً الى مراكز الاستقبال الأرضية. أمّا الصاروخ الدافع للقمر، والذي يحمل اسم «شافيت» (الشهاب)، فقد تمّ بناؤه بشكل مشترك بين مؤسسة رفائيل لتصنيع الصواريخ ومؤسسة الصناعات الجوية الاسرائيلية، وهو طراز معدّل من الصاروخ أريحا ـ ٢ متوسط المدى، والقادر على حمل رؤوس نووية؛ والصاروخ المعدّل الذي أطلق القمر الاسرائيلي مؤلف من طابقين، ويصل مداه ١٦٠٠ كيلومتراً، ويعمل بالوقود الجاف؛ وقد بدأ تصميمه وتطويره في الستينات والسبعينات بمساعدة شركتي «داسو» و «بريجبيه» الفرنسيتين، وكانتا صنعتا لاسرائيل صاروخ أرض ـ أرض من طراز أم، دي ـ ٦٢٠، ثمّ صنعتا لها نسخة من طراز أقوى هو أم، دي ـ ٦٦٠.

تصنيف الصاروخ

على الرغم من وصف اسرائيل قمرها الاصطناعي بأنه «تجريبي ـ علمي» دون أن تنفي، في الوقت عينه، امكاناته العسكرية، وعلى الرغم من قول الاميركيين بأنه تجريبي للبحوث والاتصالات، الاّ اننا لا يمكننا التسليم المطلق بالوصفين، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ لو كان القمر الاصطناعي للاتصالات، لكان تمّ إطلاقه الى مدار يرتفع كثيراً عن المدار الذي أُطلق إليه. فالقمر أُطلق الى مدار منخفض مائل فوق خط الاستواء، بينما قمر الاتصالات العادي يطلق الى المدار الاستوائي الثابت على ارتفاع أكثر من ٢٥ ألف كيلومتر[٢١].

٢ ـ لو كان القمر، فعلاً، تجريبياً للاتصالات، فَلِمَ لم تسجّل اسرائيل عملية إطلاقه لدى المؤسسة الدولية لتسجيل الذبذبات (الترددات) في جنيف، لكي توزّع نشرة على أعضاء الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية (I.T.U) عنه، وعن مواصفاته، لأخذ الاحتياطات من تأثيراته. فالمعمول به، دولياً، ان أي دولة تطور قمراً خاصاً للاتصالات، عليها الابلاغ الى الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية، قبل ثلاث سنوات على الأقل، معلومات وبيانات شاملة عن مواصفاته لاعطاء الفرصة لأي دولة للتحقق من انه لن يضرّ بها وبأنظمة اتصالاتها الخاصة، وضمان عدم حدوث تداخل أو تشويش من دولة على دولة أخرى، وضمان حصول كل دولة على نصيب عادل من الترددات والأستخدامات الفضائية، بوجه عام[٢٢].

٣ ـ الوزن المعلن للقمر يؤكد انه ليس قمر اتصالات. فهذا الوزن لا يؤهله لحمل أجهزة تصوير ومسح أرضي وارسالها، لأن مثل هذه الأجهزة التي تحملها أقمار الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا يزيد وزنها على أطنان.

٤ ـ ليس من المنطقي القول ان اسرائيل أنفقت نحو مليار دولار ـ وهي تكلفة تطوير انتاج القمر وصاروخ الدفع الخاص به حسب المصادر العلمية والعسكرية الغربية، وليس كما أذاعت اسرائيل عن أن تكلفته تبلغ ٢٥٠ مليون دولار ـ بهدف إطلاق قمر لأغراض معرفة آثار انعدام الوزن والجاذبية الأرضية، وغير ذلك من أغراض علمية كان يمكن أن تحصل عليها بتكلفة أقل من ذلك بكثير وبوسائل أخرى.

٥ ـ أكدت مجلة «جينز»، المتخصصة في الشؤون الاستراتيجية في العالم، أن القمر الاصطناعي الاسرائيلي يحمل، على الأقل، ثلاثة كيلوغرامات من أجهزة ومعدات التجسّس أميركية الصنع؛ وقد سبقتها مجلة «تايم» في توصيف القمر بأنه قمر تجسّس[٢٣].

٦ ـ يثير تضارب تصريحات المسؤولين الاسرائيليين عن المدة التي سيمضيها القمر في الفضاء ـ من شهر لدى إطلاقه الى أكثر من ذلك، شهرين أو ثلاثة ـ الشك في حقيقة غرض هذا القمر، والهدف من إطلاقه، خاصة أن الاطار العام لتلك التصريحات ينصرف الى تأكيد أهمية الأمكانات العسكرية للأقمار الاصطناعية، واعتبارها أنسب أداة لرصد ما يدور في الأقطار الأخرى، في غير أوقات الحرب، وبما توفره من معلومات دقيقة، في الوقت المناسب، عن تحركات الدبابات والقوات والحشود العسكرية وأماكن وجود الصواريخ وتحركات أسراب الطائرات وبناء الموانىء والمطارات، دون أن تشكل انتهاكاً للسيادات الدولية، أو تثير مشكلات سياسية، كتلك التي تسبّبها طائرات الاستطلاع.

٧ ـ يمكن القول أن القمر الاصطناعي الاسرائيلي الأول، بكل المعلومات التي توافرت عنه، بما في ذلك نطاق مداره وبيانات إطلاقه وظروف وملابسات الاطلاق وغموض الهدف المعلن عن

سبب إطلاقه وغموض وتضارب ما هو معلن عن المدة التي سيقضيها في الفضاء، يصحّ ادراجه ضمن أقمار الاستطلاع والتجسّس التي يتراوح مدى مداراتها بين ٢٥٠ و ٥٠٠ كيلومتر دون أن ينفي ذلك عن القمر وجود امكانات علمية ـ اتصالية توفّرها له أعلى نقطة لمداره (١١٥٥ كيلو متراً)، أي أنه قمر عسكري ـ تجسّسي في الأساس، له إمكانات علمية ـ إتصالية،، وليس كما يزعم قادة اسرائيل بأنه قمر علمي ـ تجريبي له إمكانات عسكرية.

واذا كان القمر الاسرائيلي الأول بمختلف الأدلة والدلائل العلمية هو قمر استطلاع وتجسّس له إمكانات علمية واتصالية، فينبغي الاشارة الى أن هذا القمر قد يكون بداية سلسلة من الأقمار العسكرية (أقمار الاستطلاع والتجسّس)، حتى لو زعمت اسرائيل، منذ الآن، أنها بصدد تطوير وإطلاق أقمار اتصالات فقط. علاوة على ذلك، فانه لا يمكن تجاهل، أو استبعاد، الامكانات العسكرية في أقمار الاتصالات، وبالتالي لا يمكن التغاضي عن استغلال هذه الأقمار لأغراض عسكرية أيضاً.

تأثيرات القمر الاسرائيلي على المنطقة

يمكن تناول تأثيرات القمر الاسرائيلي على المنطقة على مستويات ثلاثة: ١ ـ المستوى الاستراتيجي وميزان القوى؛ ٢ـ المستوى العلمي ـ التقني؛ ٣ ـ المستوى المعنوي ـ الاعلامي.

المستوى الاستراتيجي وميزان القوى

لاشك في أن الأقمار الاصطناعية تعدّ إحدى حلقات التقدّم التقني النوعي المؤثّر في أي صراع عسكري. لذا، فان القلق من القمر الاصطناعي الاسرائيلي له ما يبرّره، لما قد يؤدي اليه من اخلال بالموازين العسكرية في المنطقة. ولعل تصريح أحد المسؤولين العرب بأن القمر يعطي لاسرائيل تفوّقاً استراتيجياً خطيراً على العرب ليس من قبيل المبالغة في شيء[٢٤]. والواقع، ان إطلاق اسرائيل للقمر الاصطناعي الأول يضيف واقعاً جديداً الى المعادلة الاستراتيجية القائمة في المنطقة، وهي معادلة تميّزت برجحان كفّة القوة العربية التقليدية، خاصة في السنوات الأربع الماضية.

وبطبيعة الحال، فإن اسرائيل هي أول من أدرك خطورة رجحان قوة العرب التقليدية، في ضوء استراتيجيتها العسكرية القائمة على ضمان التفوّق الكميّ والنوعي على القوة العربية مجتمعة. وعلى ذلك، كان تطوير وإطلاق القمر الاصطناعي، وقبله تمّ تطوير وصنع القنابل النووية والصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية، كإحدى حلقات الاستراتيجية الاسرائيلية القائمة على ضمان التفوق النوعي على العرب، بعد أن فقدت قدرتها على التفوق الكمّي، وذلك في إطار نظرية الردع كأحد أهم أسس العقيدة العسكرية الاسرائيلية. ويمكن حصر دلائل وتأثيرات القمر الاسرائيلي، من الناحية الاستراتيجية ـ وبافتراض انه مجرّد حلقة في سلسلة من أقمار التجسّس والاستطلاع والاتصالات التي قد تطلقها اسرائيل في المستقبل ـ في ما يلي:

أولاً: يخفض القمر الاصطناعي من احتمال تلقّي اسرائيل لضربة مفاجئة، وذلك من خلال مراقبته للمنشآت والتحركات العسكرية العربية، وارسال انذارات مبكرة عنها. والواقع، ان هناك صعوبة في عمليات الاخفاء والتمويه بفعالية، لارتباط ذلك بمعلومات عن نوعية ومواصفات أجهزة الاستشعار التي يحملها القمر، ودوراته[٢٥].

ثانياً: يزيد برنامج القمر الاصطناعي، عموماً، في قدرة اسرائيل على التجسّس، وتحديد أماكن بطاريات المدفعية والصواريخ، وتجمّعات الدبابات، والقواعد الجوية، ورسم الخرائط للمناطق

المدنية، والعسكرية، العربية، ورصد ما يطرأ عليها من متغيّرات وتطوّرات.

ثالثاً: يعطي برنامج القمر الاسرائيلي ميزة نوعية لاسرائيل. فهو يوفّر لها وسيلة استطلاع استراتيجي متقدّمة لا يملكها العرب حتى الآن؛ وهو يوفّر لها في وقت الحرب، وفي غير أوقات الحرب، كمّاً هائلاً ومخزوناً من المعلومات التي أصبحت عنصراً حاسماً في التعامل الدولي والعلاقات الدولية في عالم اليوم؛ وهي معلومات لن تخضع للانتقاء، أو الحذف، أو أي عمليات «غربلة» مثلما كانت تشكو اسرائيل من المعلومات التي تمدّها بها الولايات المتحدة، من طريق أقمارها[٢٦].

رابعاً: لا تقتصر امكانات البرنامج الاسرائيلي للقمر الاصطناعي على التجسس. فليس من المستبعد أن تكون له امكانات وقدرات عسكرية أخرى، ومن ذلك توجيه الصواريخ أرض ـ أرض وصواريخ الدفاع الجوي والأنظمة المضادة للصواريخ العربية متوسطة المدى؛ وبالتالي، فقد يفقد العرب ميزة إستراتيجية نسبية حصلوا عليها وتوفّرت لديهم، مؤخراً، بحيازة بعض الدول العربية لصواريخ متوسطة المدى تطاول اسرائيل، وهو ما يطرح على العرب تحدياً يتمثل في ضرورة البحث عن ميزة استراتيجية جديدة.

خامساً: يطرح القمر الاصطناعي الاسرائيلي، وبرنامجه بوجه عام، على العرب تحدياً نووياً يتمثّل في أن الصاروخ الذي أطلق القمر الى مداره في الفضاء الخارجي قادر على حمل رؤوس نووية، تشير دلائل عديدة الى أن اسرائيل تمتلك مئة منها على الأقل.

سادساً: يمكن للقمر الاصطناعي الاسرائيلي اعاقة الاتصالات السلكية واللاسلكية ووسائل الاستطلاع الاشعاعية، والتشويش عليها، والسيطرة على الاتصالات الهاتفية للعالم العربي، والتقاطها، وتسجيلها، والتشويش على القمر الاصطناعي العربي في المدى والوقت الذي تحدّده، سواء على كل خطوطه أو بعضها.

سابعاً: يسقط القمر الاصطناعي الاسرائيلي، بامكاناته التجسّسية والاستطلاعية والعسكرية، التقسيم التقليدي لدول المنطقة (كدول مواجهة وغير مواجهة)[٢٧]، ويضعها، جميعاً، تحت مظلة التهديد العسكري، والنووي، الاسرائيلي؛ ومن ثمّ، فلم تعد هناك دولة عربية بعيدة من احتمالات تلقي ضربة اسرائيلية ضد منشآتها العسكرية والاستراتيجية، طالما سقط هذا التقسيم بما يفرضه القمر الاسرائيلي من واقع جديد على المنطقة.

ثامناً: يمكن القول ان القمر الاصطناعي الاسرائيلي، وبرنامجه عموماً، أدخل عنصراً استراتيجياً جديداً في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وأضاف الى ساحاته التقليدية (البر والبحر والجو) ساحة جديدة هي ساحة الفضاء الرحب، بأسلحته وأنظمته المتقدمة وحرية الحركة التي تميّز هذه الأنظمة، بالمقارنة بالأسلحة والأنظمة التقليدية التي يمكن مواجهتها بأسلحة وأنظمة مضادة، علاوة على ما توفّره الأقمار الاصطناعية من امكانات اضافية للأسلحة والأنظمة التقليدية، من طريق الانذار والتوجيه والتتبّع.

المستوى العلمي ـ التقني

لا شك في أن اطلاق القمر الاصطناعي الاسرائيلي يمثّل انجازاً تكنولوجيا هامّاً لا ينبغي تجاهله؛ وهو انجاز لا يقتصر مجاله على تصميم وتطوير القمر واطلاقه، وانما يمتدّ الى التقنيات كافة المستخدمة في تصميم وتنفيذ صاروخ الاطلاق وأجهزة التحكّم والتوجيه للمدار المحدد لاطلاق القمر،

وتصميم وتنفيذ كبسولته وأجهزة استقبال المعلومات الأرضية والصور الالكترونية المجمّعة بواسطته، والتتبّع وتصميم المسار، الأمر الذي يعني دخول اسرائيل عالم الصناعات الالكترونية المتقدمة والنادي الدولي لصناعات الفضاء، وهي صناعات يمكنها انتاج وتطوير الكثير، بدءاً بالصناعات الغذائية والنسيج وحتى أشعة الليزر.

والواقع، ان القمر الاصطناعي الاسرائيلي يدفع الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى مرحلة متطورة من التنافس التقني والعلمي؛ كما انه يمثل نقلة نوعية للصراع تجعل منه، بالاضافة الى كونه صراعاً عسكرياً وسياسياً، صراعاً تقنياً علمياً، أحد أهم عناصر النصر والغلبة فيه سيكون للأقدر على التكيّف مع متغيرات ومتطلبات العصر ومسايرته تكنولوجياً وعلمياً، لا سيما في مجال التقدم العلمي الفضائي، الذي بات يمثّل أحد أهم مفاتيح القوة والسيطرة والتحكم في عصرنا الراهن.

واذا كانت اسرائيل، بإطلاق قمرها الأول، انضمّت الى نادي الفضاء الدولي، الذي يضمّ بضع دول، فانها، بذلك، سوف تصبح شريكاً في مساومات الكبار، في معلومات الفضاء، وهو ما قد يعزّز، نسبياً، ويطوّر، مكانتها الدولية، من خلال اهتمام الدول الكبرى ببرنامج الفضاء الاسرائيلي وتعاونها العلمي معها (الولايات المتحدة أو غيرها من الدول التي قد تطلق اسرائيل لحسابها أقماراً اصطناعية باستخدام قدرتها الصاروخية القادرة على إطلاق الأقمار الاصطناعية). وبتعبير آخر، فان التطور العلمي الاسرائيلي في مجال الفضاء قد يزيد في درجة «اعتمادية» الولايات المتحدة على اسرائيل، كحليف استراتيجي، نظراً الى قدراتها التقنية في مجال الفضاء وتكنولوجيته، فيصبح للتطور العلمي ـ التقني، في هذه الحالة، آثار ونتائج استراتيجية.

المستوى المعنوي ـ الاعلامي

ليس ثمّة شك في أن إطلاق القمر الاصطناعي الاسرائيلي، في توقيته الذي تمّ تقديمه عمّا كان مخططاً له أصلاً، يحمل أكثر من رسالة ذات مغزى الى العرب. فهو، أولاً، يأتي في اطار المحاولات الاسرائيلية المستمرة خلق شعور عربي بالعجز والشك في امكانية ملاحقتها، تكنولوجياً وعسكرياً؛ ثم هو يأتي في هذا التوقيت على وجه الخصوص ليحاول التأثير في «معنويات» أبطال الانتفاضة وشباب الحجارة الذين تزداد ثورتهم تأجّجاً، يوماً تلو الآخر، في الأراضي الفلسطينية المحتلة؛ كما أنه استهدف، من ناحية ثالثة، رفع معنويات الاسرائيليين الذين يصدمهم، يوماً تلو الآخر، واقع يزداد تأزماً على الصعيد الاقتصادي، والسياسي، والعسكري، ومن أبرز ملامحه معدلات التضخم المتزايدة ومعدلات النزوح المتنامية من اسرائيل، علاوة على الفشل في قمع الانتفاضة الفلسطينية.

ومن جهة أخرى، فإن القمر الاسرائيلي، وبرنامجه عموماً[٢٨]، له تأثيرات بعيدة المدى من الناحية الاعلامية على دول المنطقة. فأقمار الاتصالات الاسرائيلية التي ستطلق مستقبلاً (ربما بعد عامين أو ثلاثة) سوف تستخدم أسلوب البثّ المباشر، بما في ذلك بثّ أية برامج تستقبلها أجهزة التلفزة العربية؛ وبالتالي، فإنها ستنقل رسائل إعلامية ذات أهداف محدّدة ومقصودة، وستفرض على المشاهد العربي رسائل إعلامية معيّنة، وبرامج دعائية تستهدف نمط حياته، وقيَمه، وتصوراته، وثقافته، وحضارته، وغير ذلك من آثار ما يصطلح على تسميته بالغزو الثقافي للأقمار[٢٩].

ومن ناحية أخيرة، فإن برنامج القمر الاسرائيلي وقدراته التي قد تزداد تطوراً مع إطلاق أقمار أخرى في المستقبل، سوف تعرقل وتشوش ـ كما ذكر آنفاً ـ على قمري الاتصالات العربيين، عربسات ـ ١ وعربسات ـ ٢، اللذين أطلقا العام ١٩٨٥[٣٠]، ومن ثمّ إعاقة أهدافهما الاتصالية

والاعلامية المتمثلة في ربط العالم العربي، من خلال توصيل رسالة اعلامية متزامنة تساهم في خلق وجدان عربي مشترك، عبر متابعة البرامج والأحداث العربية التي تُبَثّ الى مختلف أنحاء العالم العربي.

المواجهة العربية للقمر الاسرائيلي

اذا كنّا عدّدنا، في ما سبق، التأثيرات والآثار الاستراتيجية، والعلمية، والاعلامية، المتوقعة والمحتملة نتيجة إطلاق القمر الاصطناعي الاسرائيلي، فإننا سنحاول أن نطرح، في ما يلي، أهم التصوّرات لأساليب وأنماط المواجهة العربية الممكنة، وقدرات الأحتواء لهذه التأثيرات، ولو بصورة نسبية.

١ ـ أن الأمر الذي يجب أن يحتل أولوية مطلقة هو تطوير وإطلاق قمر اصطناعي عسكري عربي، ليس فقط لمواجهة آثار ونتائج إطلاق اسرائيل لقمرها الاصطناعي الأول، وانما، أيضاً، مجاراة للعصر الذي أصبحت فيه تكنولوجيا الفضاء أحد أهم عناصر القوة والنفوذ على الصعيد الدولي. والواقع ان لدى العرب من الخبرات المكتسبة من إطلاق عربسات ـ ١ وعربسات ـ ٢ ما يمكن الاستفادة بها في تطوير وإطلاق أقمار اصطناعية عسكرية خاصة بهم. لذا، فإن تحقيق هذا الهدف يجب أن يحتل أولوية عربية قصوى، خاصة انه لا يمكن، على المدى البعيد، الاعتماد على صور الأقمار الاصطناعية للدول الكبرى في توفير متطلبات الاستطلاع الأستراتيجي، في ضوء حقيقة ان العلاقات مع هذه الدول عرضة للتقلّبات، نتيجة تبدل المصالح والتوازنات الدولية.

٢ ـ اذا كان إطلاق القمر الاصطناعي العسكري العربي، وتطوير برنامج متقدم للأقمار الاصطناعية العربية بوجه عام، يجب أن يحتل الأولوية، فإنه، والى حين تحقيق هذا الهدف، يتعيّن على العرب أمران: (أ) تعزيز شبكات الدفاع الجوي والبنية التحتية للاستخبارات العربية؛ (ب) البحث في وسائل وسبل التشويش الألكتروني على القمر الاسرائيلي، وهو أمر يتطلب، بطبيعة الحال، معلومات كافية عن مكوّناته، ومداره، والذبذبات التي يعمل عليها، وتفاصيل أخرى عن البرنامج الاسرائيلي للفضاء؛ وكل ذلك يحتاج الى تنسيق ومجهود عربي كبير، وتعاون مع الدول الحليفة القادرة على المساهمة في توفير مثل هذه المعلومات.

٣ ـ يرى البعض أن لدى العرب امكانات احتواء آثار القمر الاسرائيلي، من خلال الحصول على صواريخ أرض ـ أرض متوسطة المدى التي تطاول اسرائيل[٣١]. وليس هناك شك في ان هذه الصواريخ أصبحت من أهمّ عناصر التفوّق التكتيكي، والاستراتيجي. غير ان الاعتماد على ذلك فقط لمواجهة آثار إطلاق القمر الاسرائيلي غير كاف، لأن تطور امكانات القمر الاسرائيلي في المستقبل قد يهدر هذه الميزة الاستراتيجية، وذلك من خلال القدرة على الانذار المبكر وتتبّع لحظة، ومكان، ومسار، إطلاق هذه الصواريخ، وتدميرها قبل وصول أهدافها في اسرائيل بواسطة تكنولوجيا الأنظمة المضادة للصواريخ التي توجّهها الأقمار الاصطناعية.

٤ ـ يطالب بعض المفكرين والعلماء العرب بإنشاء مدن علمية عربية وبعودة العلماء من المهجر، بإعتبار أن ذلك هو البديل العلمي الوحيد أمام العرب لدخول عصر الفضاء. وتدخل في هذا السياق، أيضاً، الدعوة الى انشاء وكالة فضاء مصرية، باعتبار أن مصر لديها قاعدة علمية وفنية بشرية زاخرة تحتاج، فقط، الى الدعم والتمويل العربي، على أن تكون هذه الوكالة نواة لوكالة فضاء عربية في المستقبل[٣٢].

٥ ـ وفي مواجهة أخطار الغزو الثقافي والبثّ المباشر، فإن بعض الدول لجأ الى بيع أجهزة استقبال تلفيزيوني تقتصر على التقاط تردّدات معيّنة، هي ترددات محطات التليفزيون المحلية، علاوة على ضرورة توعية المواطنين العرب بالمخاطر الثقافية والقيَمية التي قد يتعرّضون لها، في حالة التقاط البرامج والرسائل الاعلامية الاسرائيلية على أجهزة التلفزة العربية[٣٣].

وفي الحقيقة، فانه، بالاضافة الى ما سبق، يتعيّن على الدول العربية أن تتوفر لديها «ارادة سياسية» راغبة في التعامل مع التحدّي الاسرائيلي الجديد، وقادرة على مواجهة واحتواء آثاره، ونتائجه، وذلك لأن توفّر هذه الارادة السياسية هي الشرط الموضوعي اللازم لضمان بذل، ونجاح، أي مجهود فردي ـ على مستوى كل دولة على حدة ـ أو ثنائي، أو جماعي مشترك على الصعيد العلمي ـ التقني والعسكري.

وعلى ذلك، فان الاطار العام لنمط المواجهة العربية لآثار ومخاطر القمر الاصطناعي الاسرائيلي، يرتبط بمدى ادراك القيادات والحكام العرب لحجم المخاطر التي يمثّلها القمر الاصطناعي الاسرائيلي على الأمن القومي العربي المشترك، وأمن دولهم كل على حدة، وبمدى وعي المثقفين والعسكريين العرب لأبعاد هذه الأخطار، وإعلام الشعوب العربية بها.

---

(١) حول ظهور فكرة الأقمار الاصطناعية والعلماء الأوائل الذين يرجع اليهم الفضل في تطوير أبحاث اكتشاف الفضاء، أنظر حمدي قنديل، **اتصالات الفضاء**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص ١٤ وما بعدها.

(٢) د. محمد عبدالهادي، «الاسئلة الرئيسية حول القمر الاسرائيلي»، **المصوّر** (القاهرة)، العدد ٣٣٤٠، ١٤/١٠/١٩٨٨، ص ٣٠ و ٣٥.

(٣) حول تفاصيل إطلاق تلستار وانتلسات، أنظر محمد بشار الحفّار، **ملوك الفضاء والأقمار الصناعية**، بيروت: مؤسسة الايمان، ١٩٨٦، ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول أقمار الاتصالات واكتشاف آرثر س. كلارك للنظرية التي قامت عليها، أنظر **المصدر نفسه**، ص ٧٦ وما بعدها.

(٥) حول طبيعة وفكرة الأنظمة المضادة للأقمار الاصطناعية، أنظر د. عميد علي محمد رجب، «الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية»، **الدفاع** (القاهرة)، العدد ٢٨ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٢٦ ـ ٢٩؛ وأيضاً قنديل **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٤ ـ ٢١٠.

(٦) قنديل، **المصدر نفسه**، ص ٣٨.

(٧) عبدالكريم أبو النصر «خطر جديد على العرب»، **المستقبل** (باريس)، العدد ٣٩٩، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٤ ص ١٨.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ١٨ ـ ٢٠.

(٩) حول أسس العسكرية الاسرائيلية، أنظر معين أحمد محمود، **أسرار العسكرية الاسرائيلية**، بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٨، ص ١٠٣ وما بعدها.

(١٠) حول ميزانية البحوث العلمية والمؤسسات الأكاديمية في اسرائيل أنظر صلاح جلال، «القمر الاسرائيلي بداية لسلسة خطيرة»، **الأهرام** (القاهرة)، من ٢٥/٩/١٩٨٨ الى ٢٨/٩/١٩٨٨.

(١١) **القبس** (الكويت)، ٢٧/٩/١٩٨٨.

(١٢) **الاتحاد** (أبو ظبي)، ٢٠/٨/١٩٨٨.

(١٣) **المصدر نفسه**.

(١٤) ابو النصر، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨.

(١٥) طلعت أحمد مسلّم، «العرب والقمر الصناعي الاسرائيلي»، **الاهرام**، ٢٨/١٠/١٩٨٨.

(١٦) عبدالمنعم مصطفى، «القمر الاسرائيلي عدوان أم تحد؟»، **عكاظ** (جدة)، ٢٢/٩/١٩٨٨.

(١٧) *Time*, 29/8/1988, p. 15

(١٨) محمود، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٢٧ ـ ٦٣٨.

(١٩) البيانات الصادرة عن مركز كولورادو بثّتها وكالة **اسوشيتدبرس** في ١٩/٩/١٩٨٨.

(٢٠) حسين السراج، «انهم يهربون الى السماء من مشاكل الأرض»، **اكتوبر** (القاهرة)، العدد ٦٢٣، ٢/١٠/١٩٨٨، ص ١٠ ـ ١١.

(٢١) محمد شاهد اسماعيل، **الدستور** (عمّان)، ٢٠/٩/١٩٨٨.

(٢٢) ابراهيم فؤاد عباس، «في مواجهة القمر الاسرائيلي»، **عكاظ**، ٢٨/٩/١٩٨٨.

(٢٣) مقتطفات ممّا نشرته **جينز ويكلي** البريطانية نقلتها **اسوشيتدبرس** في ١٩/٩/١٩٨٨؛ وتشير كذلك الى احتمال كون القمر ذا استخدامات عسكرية *Le Figaro*, 23/9/1988, p. 2

(٢٤) عبدالهادي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٨.

(٢٥) **المصدر نفسه**؛ **والقبس**، ٢١/٩/١٩٨٨.

(٢٦) تصريحات لمائير عميت، **اسوشيتدبرس**، ١٩/٩/١٩٨٨، يعرب فيها عن رفض اسرائيل المعلومات التي تقدّم اليها كـ «فتات»؛ وتصريحات لموردخاي غور، **ليبراسيون**، ٢٠/٩/١٩٨٨.

(٢٧) انظر حمدي الشامي، **الشعب** (القاهرة)، ١١/١٠/١٩٨٨.

(٢٨) يرى البعض ان التوقيت المختار قد استهدف، أيضاً، الانتخابات الاسرائيلية والتأثير فيها لصالح قوى اليمين، وابراز أن الليكود، بعد عشر سنوات من الحكم، أنجز تقدماً علمياً وتكنولوجيا تاريخياً، انظر علي الدين هلال، **الشباب وعلوم المستقبل ـ الملحق العلمي** (القاهرة)، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٢ ـ ٤.

(٢٩) حول الغزو الثقافي، أنظر قنديل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٣٠ ـ ٢٤٠؛ وتصريحات د. جيهان رشتي، **الوطن** (الكويت)، ٣٠/٩/١٩٨٨؛ وحول الأبعاد النفسية والمعنوية لاطلاق القمر الاصطناعي الاسرائيلي، أنظر د. عبدالله مسعود القباع، **عكاظ**، ١٠/١٠/١٩٨٨.

(٣٠) للمزيد من التفاصيل حول قمري الاتصالات العربيين، عربسات ـ ١ وعربسات ـ ٢، أنظر قنديل، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٣ ـ ١٣١.

(٣١) جمال الدين حسين، **روز اليوسف** (القاهرة)، ٣/١٠/١٩٨٨.

(٣٢) حمدي الشامي، **الشعب**، ٢٧/٩/١٩٨٨؛ وكذلك عبدالهادي، **مصدر سبق ذكره**.

(٣٣) قنديل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٣٠ وما بعدها.

المأزق الوجودي الاسرائيلي

عماد شعيبي

عندما كتب أحدهم ان مشروع اقامة اسرائيل محكوم عليه بالفشل، جاءت الردود صاخبة بأن هذا ليس أكثر من أمنيات، أو ذرّ للرماد في العيون؛ ذلك ان نجاحات اسرائيل كانت تضع هالة كبرى أُخذت بالآنيات السياسية.

واذا كان قولنا ان اسرائيل لم تنتصر في مشروعها، انما العرب خسروا جولتهم مرحلياً، فقد يبدو هذا للبعض مُداورة لفظية. اننا نذهب أبعد الى القول ان اسرائيل لا تمتلك اصلاً مشروعاً استراتيجياً بالمعنى التخطيطي للكلمة، حتى تنتصر به.

فالواقع، ان اسرائيل تضع «أحلاماً» استراتيجية تصوغها، في بعض الاحيان، الاعتبارات المثيولوجية، او الرغبات، او الايديولوجيا البنائية التي تنطلق منها الحركة السياسية بهدف التعبئة. وثمّة، في رأينا، فرق هائل بين المشروع الاستراتيجي للامم وبين التعبئة الايديولوجية. فالمشروع الاستراتيجي يُرسم على أساس ان مسألة الوجود، بالمعنى الحقوقي والتاريخي، محسومة اصلاً، وذلك بالامتداد في العمق التاريخي اولاً، وبالوزن الدولي ثانياً، وبالحجم البشري، الكمّي والنوعي، ثالثاً. وهو لا يرسم خططه على أساس «التنبؤ» الايديولوجي ـ الميثولوجي، انّما على أساس «الممكن» الواقعي. أي انه يتوقع الممكنات، ولا يتنبأ بالحتميات؛ بينما قد تنجح التعبئة الايديولوجية ـ في ظروف ضعف الخصم ـ في بناء اوضاع مقلقة وذات حجم تهويلي، الاّ انها لا تنجح، اطلاقاً، في بناء اوضاع دائمة الاستمرارية على المستوى التاريخي. في اسرائيل، ذاتها، ادراك ان انتصارات اسرائيل مسقوفة بالتاريخ. وان هذه الانتصارات، وان كانت نجحت على مستوى ابرازها كهالة صعبة في المنطقة، الاّ انها لم تستطع ان تحوّلها الى هالة مستحيلة. هذا على الجانب المضاد. أمّا داخل المشروع الاسرائيلي ذاته، فان هذه الانتصارات قد أخفت على اسرائيل جوهر اشكالية وجودها، وهي اشكالية مركّبة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١ ـ مشكلة الموقع الجغرافي المعزول وغير المفتوح الاّ على البحر.

٢ ـ مشكلة تعداد السكان الصغير، والذي لا يبني مشروعاً له استمرارية في عالم الكتل البشرية، التي تتفاعل مع النوعية المفروزة لبناء وجود مضمون؛ حيث اثبتت الاحداث المتلاحقة هزال تصوّر امكان ان تغطي «النوعية» غياب كمّية كافية. وجوهر المشكلة يتلخّص في ان عدد سكان اسرائيل الذين لا يتجاوزون الخمسة ملايين، لا يمكن، عند «احتمال» استقدام كل يهود العالم، ان يزيد على ١٦ مليوناً، وهو احتمال تنفيه مقارنات الهجرة المعاكسة والهجرة الى اسرائيل، خاصة في السنوات الخمس عشرة الاخيرة؛ كما تنفيه اعتبارات الاستقرار «القومي» والوجود الاقتصادي لليهود في العالم،

فضلاً عن الاعتبارات السكانية الاخرى[١].

٣ ـ في صدد العلاقة بين المشكلة الجغرافية والمشكلة السكانية، تبدو المسألة في وضعية انسداد. فحتى التوسّع الجغرافي عبر القوة العسكرية لا يمكن ان يكون حلاً للمشكلة الجغرافية. ويبدو ان قدر اسرائيل ان تبقى «إسفيناً» معزولاً؛ ذلك ان أي توسع جغرافي يستدعي ان يملأه حجم عسكري بشري كبير، وهو غير متوفّر لدى الجيش الاسرائيلي الذي جلّه من الاحتياط، وكذلك الحجم البشري السكاني، وهذا ما يبدو مستحيلاً.

٤ ـ مشكلة التشريع التاريخي التي لا يبدو انها تحلّ بالتقادم.

كتب اوري أفنيري بصدد انتصارات اسرائيل المسقوفة بالمأزق الداخلي وبالتاريخ ما يلي:

«يجب على اسرائيل ان تنظر الى احداث الحرب الصليبية كمرشد لها؛ اذ حكمت الحركة الصليبية على نفسها بالدمار، حينما اعتمدت، كليّة، على تنظيماتها العسكرية المتفوّقة، وعلى ما حقّقته من انتصارات في ميادين الحروب. وقد أوصلتها هذه الانتصارات الى قلب مصر نفسها. ولكن، على الرغم من ذلك، فقد أُلقي بهم في البحر؛ ذلك لأن الانتصارات كانت تخفي وراءها المشاكل الحقيقية الكامنة وتحجبها، ممّا حدّد مصيرهم في النهاية. وتركزت تلك المشاكل في ان الصليبيين اخفقوا في الانتماء الى المنطقة التي ارادوا ان يعيشوا فيها. واذا فشل الاسرائيليون في اقناع شعوب المنطقة بتقبلهم، فان أمن اسرائيل سيكون أمناً وقتياً. ألم يستولِ الصليبيون على القدس في شهر تموز (يوليو) ١٠٩٩ ؟ ألم يحتفلوا بمذبحة مروّعة راح ضحيتها آلاف المسلمين واليهود، لدرجة ان فرسانهم كانوا يشقّون طريقهم وسط الجثث، وقد غاصت سيقانهم في الدماء ؟ ولكن لم يُجْدِهم ذلك نفعاً، فانسحبت آخر وحداتهم من عكا العام ١٢٩١، ولم يتمتّعوا، خلال تلك الحقبة، بالسلام ليوم واحد، بالرغم من اتفاقيات الهدنة... وما أشبه احداث تلك الحقبة بما تمرّ اسرائيل به الآن»[٢].

وكتب باروخ كيمرلينغ مؤكداً ان مشكلة الشرعية تبقى المشكلة الاولى بالنسبة الى اسرائيل، على الرغم من كل نتائج الصراع العسكري: «ان مشكلة الشرعية او عدم وجود حق لليهود في المحافظة على كيان اجتماعي وسياسي... كانت رافقت الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ البداية تقريباً، وبخاصة منذ ذلك الوقت الذي اصبحت فيه هذه المشكلة نوعاً من الصراع السياسي بين حركتين قوميتين»[٣].

ويدرك الاستراتيجيون المطلب الوجودي لاسرائيل في التناقض بين مسألة الشرعية ومسألة البناء القومي المفترض حدوثه على الطريقة الديمقراطية، او العلمانية، حيث ان عملية الشرعية، كبناء سيكولوجي ليس له أساسه الواقعي او التاريخي، قد استدعت جملة من الطرق لخدمتها كآليات شرعنة: كالمصطلح الايديولوجي المتمثل بالمزاوجة بين الصهيونية والعبرية، وكالرموز الجماعية، وكاستخدام المحرقة (Holocaust)[٤]، باعتبارها رمزاً «للشرعية» عبر آلية استجداء لعواطف التجميع القائمة على أساس ان ثمّة خطراً انسانياً مشتركاً يشكل قاعدة للقاء تاريخي، وقد افتقد، واقعياً، بحكم التوزّع الجغرافي لليهود، وبحكم الاندماج الواقعي ضمن الدول القومية الام التي ينتمون اليها. ولكن، مع ذلك، فان كل هذه العناصر لم تكن قادرة على ايجاد المبرّرات الايديولوجية ـ السيكولوجية للشرعية، لولا الوزن الذي اضطلع به الرمز الديني، سواء من حيث مكانة الدين اليهودي المرفوعة الى مرتبة محرّم، او من حيث رموز التراثيات الدينية التي نشأت من القوة السياسية للقطاع الديني، بحيث استطاع هذا القطاع ان يقوّي شعور الناس «بحقهم في الارض». وقد اصبحت

مسألة «الشرعية» أكثر الحاحاً بشكل رئيس منذ العام ١٩٦٧، عندما بدأت اسرائيل ممارسة سيطرتها على عرب الضفة الفلسطينية، الأمر الذي أدّى الى ازدياد ميل النظام الاسرائيلي الى السقوط في هوّة الرموز الدينية(٥).

اذن، من المؤكد، بالنسبة الى اسرائيل، ان محصلة ٤٠ سنة من الصراع لاثبات «الشرعية»، اقليمياً وتاريخياً وشعبياً، ليست بالمحصلة التي تنبىء بأن ثمّة امكانية للقول ان المشروع الاسرائيلي باقٍ.

هذه الدوّامة تشكّل المأزق الذي يقف خلف التخبّط السياسي في اسرائيل حالياً حول تخريجة ممكنة للخلاص من عدم القدرة على صوغ سياسة استراتيجية واضحة المعالم، حيث ان أول عقبة تقف في مواجهة مثل هكذا صياغة انّما تتمثّل في «الشرعية». فبعد انتصارات اسرائيل في حرب العام ١٩٦٧، وبعد سياق من التهويل الوجودي القائم على مبدأ القوة، جاءت حرب العام ١٩٧٣ لتضع مقولة موشي دايان حول ان الحرب ستستمر اذا وصل الاسرائيليون الى قناة السويس موضع الحقيقة المطلقة. فالنصر الدراماتيكي الحاسم في حرب العام ١٩٦٧، لم يؤدّ الى ارساء اسرائيل كحقيقة شرعية، ولم يحوّل الموقف الداخلي الى موقف ايمان كلي بحقيقة الوجود، او استمراريته.

في بحث في العيّنة، أُجري العام ١٩٧٨ على مجموعة من المستوطنين(٦)، تمّ سؤالهم عن احتمالات تحقيق العرب لاهدافهم المتمثّلة في تدمير اسرائيل في المستقبل المنظور (خلال ٢٠ عاماً). كانت النتيجة ان ٣٤ بالمئة رأوا ان هذا الاحتمال مستحيل، بينما رأى ٣٩ بالمئة ان هذا الامر محتمل بنسبة عشرة بالمئة الى ٠,١ بالمئة، كما رأى سبعة بالمئة منهم ان هذا الاحتمال يصل الى ٥٠ بالمئة، فيما رأى ٤,٦ بالمئة منهم ان الاحتمال المذكور قد يحدث بنسبة تزيد على ٥٠ بالمئة. كما ان هذه العيّنة المتمثّلة وسطياً بـ ١٣ بالمئة رأت ان احتمال تدمير اسرائيل يتأتى من ان الوقت يعمل لصالح العرب. وعندما يقارن الاستراتيجيون الاسرائيليون يجدون ان المتفائلين يعتقدون بأن الزمن يعمل لصالح اسرائيل، وان احتمال تدمير هذه الدولة سيضعف في المستقبل، بينما يرى المتشائمون ان احتمالات تدمير المجتمع الاسرائيلي تزداد مع مرور الزمن، وان ثمّة توازناً بين الاتجاهين. وهذا التوازن سينعكس بطبيعة الاحوال على الاداء الشعبي، والعسكري، في المدى البعيد، اذا استمر الصراع في أشكاله الدرامية السابقة.

أكدت حرب العام ١٩٦٧، على الرغم من نتائجها التي بدت لنا، كعرب، قاسية، وكأنها تجسيد حيّ لاستراتيجية ناجحة، ان اسرائيل لا تمتلك أية استراتيجية بالمعنى السياسي للعمليات العسكرية التي تقوم بها(٧). فالقرارات السياسية الأولية قد انتهكت من قبل ما هو عسكري، حتى اننا نستطيع القول ان اللحظات كانت مع حرب محدودة بهدف تخريج الازمة الخانقة، سياسياً وعسكرياً، بعد اغلاق المضائق وسحب القوات الدولية، التي رابطت في سيناء منذ العام ١٩٥٦؛ أمّا النتيجة، فقد كانت حرباً غير محدودة تجاوزت كل حساب سياسي، وكلّفت اسرائيل ثمناً لم يكن في واردها لو انها كانت تخطط استراتيجياً:

١ ـ كلفت هذه الحرب اسرائيل حرباً أخرى ومأزقاً سياسياً ـ عسكرياً مستمراً حتى الوقت الراهن.

٢ ـ أوقعت اسرائيل في مأزق الوجود السكاني العربي الذي يهدّد مقولة «الديمقراطية» الاسرائيلية بوضعها في نهاياتها الطبيعية المكشوفة المتناقضة مع طبيعة انشاء الدولة ذاتها.

٣ ـ أوصلت اسرائيل، بعد الانتفاضة الفلسطينية، الى مأزق هائل يتمثّل في اللهاث وراء حلّ؛ أي انها أوصلت اسرائيل الى مرحلة تصفية انجازات الحرب ذاتها بعد عشرين سنة ونيّف، وكأن هذه الحرب تعني محصلة صفرية في النهاية.

وقد أكدت القرارات السياسية المتخذة والنتائج العسكرية للحرب ان ما هو تخطيط استراتيجي لا ينطبق على «الحلم» الاستراتيجي لما يتمثل في الايديولوجيا، أو الميثولوجيا، الصهيونية، على الرغم من ان النتائج الآنية للحرب بدت وكأنها تجسيد للحلم الايديولوجي في صورة واقعية. ولكن النتائج الاستراتيجية الواقعية أكدت ان مجال الحلم الاستراتيجي غير مجال الواقع، وأن الحلم الايديولوجي لا ينفع الّا لغرض التعبئة، لكنه قد أوصل هؤلاء المعبّأين الى مأزق ما بعد تحقق الدولة، وهو، عملياً، مأزق «انسداد». وأكد د. تسفي لانير هذه الحقيقة بقوله: «بعد مضي بضعة شهور على حرب الأيام الستة، اتضح ان الحل الفوري للنزاع انما هو هدف لم تقرّبه الحرب، بل، على العكس، يبدو حتى الآن، انه قد عاد ليبتعد». ثمّ أضاف: «ان حرب الأيام الستة قد بدأت بأهداف حربية وقائية مقلّصة لم يتمّ توضيحها كفاية بعمل مشترك بين المرتبتين، السياسية والعسكرية؛ وبالتالي دون فهم كاف، او اقناع كاف، للمرتبة السياسية، ومن دون ان يكون للمرتبة العسكرية أهداف حربية استراتيجية محددة... لقد كان تقدير المنتصرين انه ازاء نتائج الحرب لم يبق أمام عبدالناصر من خيار سوى التوجّه اليهم، والشروع في مفاوضات فورية، في محاولة لاستعادة سيناء. لقد كانت الحكومة الاسرائيلية، خلال تلك الشهور، مستعدة للانسحاب من مناطق احتلتها خلال الحرب في مقابل اتفاق سلام. وقد بدا ان الاستراتيجية الاحباطية الشاملة المندمجة في استراتيجية عسكرية تسعى الى الحسم في الحرب هي قصّة نجاح بارز. فهي لم تحقق الاحباط فحسب، بل اتضح انها الطريقة الناجعة لتحقيق السلام.

«بيد ان اللاءات الثلاث لمؤتمر الخرطوم، الذي عقد كردٍ على نتائج الحرب: ' لا اعتراف، لا تفاوض، لا سلام مع اسرائيل ' قد عكست تصلّب العرب الزائد... ومنذ خريف ١٩٦٨ بدأ المصريون حرب الاستنزاف... وجسّدت تصميماً سياسياً على عدم التسليم بالانجاز الاسرائيلي»[٨].

وتأكيدنا ان اسرائيل لا تمتلك استراتيجية بالمعنى الواسع للكلمة، وان نتائج معاركها انما هي نتائج للوضع السائد، يتوافق مع ما أكده د. يائير عفرون، حين قال: «ان الانقسام بين الدول العربية ثروة أساسية للأمن القومي الاسرائيلي»[٩].

واذا كنّا نذهب الى ان النجاح الاسرائيلي الآني ليس نجاحاً سياسياً انّما نجاح عسكري ينمو في غياب استراتيجية عربية، فاننا نستطيع القول ان النجاح العسكري ليس الّا نجاحاً تعويضياً عن استراتيجية سياسية واقعية مفتقدة؛ ولكن هذا النجاح لا يقدم ـ كما رأينا عبر عشرين سنة ونيّف ـ استراتيجية بديلة، وأكثر ما يمكن ان يقدّمه لا يتجاوز تغطية مرحلية انعكست مأزقاً على المستوى البعيد.

وفي السياق ذاته، اعتبر دان هوروفيتس، أيضاً، ان اسرائيل لا تمتلك استراتيجية للمستقبل عندما كتب: «ان صيغة ' الحدود التي يمكن الدفاع عنها ' لم تظهر الى حيّز الوجود ' كهدف استراتيجي سياسي ' الّا بعد تحقيق مكاسب اقليمية كبيرة في حرب الايام الستة. وقد دعا هذا المفهوم الجديد عن الحدود التي يمكن الدفاع عنها الى توسيع هامش الامن الجغرافي لاسرائيل، لكي يمكّنها من امتصاص هجوم العدو دون الحاجة الى القيام بضربة[١٠]. وبالمقارنة مع هذا الهدف الامني،

فان الطلب المثير للجدل، والمتّصل بتحقيق ' الحقوق التاريخية ' ضمن حدود أرض ـ اسرائيل، لم يُقدّم، أبداً، من قبل مؤيديه باعتباره هدفاً ظاهراً، أو حتى كامناً، لحرب الايام الستة؛ لكنه جاء نتيجة محتملة للامر الواقع الذي فرض نفسه على الاحداث فيما بعد»[١١].

ولا ندّعي، بطبيعة الحال، بأن اسرائيل لا تملك مخططات بالمعنى السياسي. لكننا نميّز بين المخططات التي تتعامل مع الظواهر السياسية الآنية وبين المخططات شبه الاستراتيجية، وبين المخططات الاستراتيجية. فالمخططات التي تتعامل مع الظواهر السياسية الآنية تبدو لنا متوافرة. ومثال على ذلك دخول اسرائيل على خط المشكلة اللبنانية، التي تجلّت في ظواهر مختلفة، منها، على سبيل المثال، حرب العام ١٩٨٢؛ وكذلك دخولها على خط الحرب الخليجية، وان بشكل غير مباشر، الخ.

أمّا المخططات شبه الاستراتيجية، فهي المخططات التي جرّبتها اسرائيل في سياستها تجاه الطوق المحيط بالوطن العربي. وهي شبه استراتيجية، لأنها محاولات لا تستند الى ثوابت، انّما تدخل في اطار اللعبة الاقليمية والدولية، وهي لعبة احتمالية بدرجة كبيرة، وتتعرّض لجملة تحوّلات واهتزازات وتباينات تبعدها من التخطيط الاستراتيجي. ونستطيع ان نجمل السياسة المخابراتية الاسرائيلية في العالم، وفي الوطن العربي، تحت بند ما هو شبه استراتيجي؛ ذلك انها تجمع ما هو آني مع ما هو استراتيجي، لكن نسبة الآني تبقى الاكثر تأثيراً في جلّ المشاريع المقدمة للتنفيذ.

وعموماً، فان المخططات الاستراتيجية تحتاج الى الاعتماد على وزن بشري قارّي، ووزن اقتصادي عالمي، وقدرة على العمل العسكري الحاسم، وهي القدرة التي لا تستخدم بالضرورة، حيث تترك، بسبب الردع الذي تخلقه، للسياسة الدور الحاسم للفعل الذي احتاجته الدول قديماً للقوى العسكرية لتحقيقه. وهنا تتجلى مقولة كلاوزفيتز الشهيرة «الحرب امتداد للسياسة، وان بوسائل أخرى»، حيث تنقلب في العصر الحاضر الى السياسة بديل مركّب لما كانت الحروب والسياسة مجتمعة تقوم به.

وبمراجعة ما سبق، نستطيع القول ان هذه المبدئيات لا توفّر لاسرائيل «القدرة المبدئية» على ممارسة تخطيط استراتيجي. فكل ما سبق تلخّصه عملية التراكم التاريخي المفتقدة سابقاً، وغير المتوقعة لاحقاً بالنسبة الى النموذج الاسرائيلي.

وعليه، فان اسرائيل لم تستطع، منذ انشائها، ان تقدم اكثر من الهرب الى أمام، وذلك عبر الهاء داخلي ودراما عسكرية وعدوانية لا تعرف حدوداً، ودور مخابراتي يزداد في العالم. فالمأزق الوجودي لاسرائيل يتمثّل في المسافة الحقيقية القائمة بين المشروع في صيغته الايديولوجية النظرية والمشروع في واقعه الحقيقي. وهذه المسافة هي التي تجعل المشكلة تتوضّع في ان التعبئة البشرية والطاقة الكبرى التي بذلت لاقامة هذا المشروع لم تستطع ان تتجاوز الحقائق التاريخية. ان أبسط الامور التي تؤكد ذلك ان اسرائيل عندما قفزت قفزتها المعروفة في حرب العام ١٩٦٧، قد تصوّرت انها استطاعت ان تفرض وجودها على الجميع، فاستهترت بالقوانين الدولية، وبالمنظمات الدولية، وبالاعراف السائدة؛ ولكنها، وبعد أكثر من عشرين عاماً، وجدت انّها لم تنجز شيئاً، وان المصيبة لا تكمن في الانفجار الديمغرافي في قطاع غزة والضفة الفلسطينية فحسب، انما تتعدى ذلك لتطاول من تسميهم «عرب اسرائيل» الذين لم تطبّعهم مسيرة ٤٠ سنة تحت الاحتلال المطلق. هؤلاء العرب الذين يصل عددهم، وفقاً لاحصاء العام ١٩٨٧، ما يقارب ٦٥٠ ألف مواطن، أي ما نسبته ١٥,٢ بالمئة من عدد سكان اسرائيل[١٢]، قد شاركوا في معركة الانتفاضة بأشكال مختلفة، منها الاضراب

واشعال الحرائق في الغابات.

لذلك، فان اسرائيل، تعبث، الآن، بالاوراق السياسية على أمل اطالة الزمن، بهدف الوصول الى حلّ، عبر تحوّلات عالمية ومحلية واقليمية غير محدّدة المعالم، يمكن ان يقبل بوجود اسرائيل غير صغيرة. هذه الرغبة الميتافيزيقية لا تذهب الى حدّ ايجاد محدّدات واضحة لذلك الغد «المطلوب والمأمول». ولهذا، فهي تعبث بالمتحولات السياسية الآنية، بهدف اطالة الوقت الضائع. ذلك ان العودة الى ديناميكية ما للاحداث سوف لن تقدم الى اسرائيل ما ترغب فيه، لأن اسرائيل لم تستفد من الاحداث الديناميكية؛ بل اننا نكاد نجزم ـ كما سنرى لاحقاً ـ ان اسرائيل تقتات من السكونية (الستاتيك) السياسية، لأن الحالة الديناميكية للاحداث سرعان ما تفرز على السطح الواقعي والمعاشي المباشر التناقضات البنيوية في التركيبة الاسرائيلية المؤلفة في المنطقة، هذه التناقضات التي تغطيها اسرائيل بسكونية تعقبها «حركيات نبضيّة»، أي أحداث مفاجئة وغير مستمرة لفترة طويلة. ولهذا، فاسرائيل لا تخوض حروباً طويلة، ليس فقط لاعتباراتها السكانية والاقتصادية والتكتيكية المعروفة، انما لسبب أهمّ هو ان الحروب الطويلة سرعان ما تكشف عجز هذه الدولة الهجين عن تحمّلها واد ائها كما يجب، بل ان نظرية الردع والضربات الاستباقية، والخاطفة، الخ، ليست نظريات لعقيدة عسكرية بالمعنى الاستراتيجي للامم، انما هي نظريات «تمرير مرحلة» ليس غير. كما ان اسرائيل لا تذهب بـ «السلام» الى أبعد الحدود، ولذلك، فهي لا تفاوض العرب مجتمعين، ولا تستتبع خطوة ما بخطوة أخرى، ذلك انها تحتاج الى وقت طويل لقياس نتائج، أو امتصاص نتائج، هذه الخطوة الحركية. انها ليست كما الامم المستقرة التي تستطيع التكيّف مع كل وضع دائم، أو مرحلي؛ فالتكيّف الاسرائيلي رهن بالسكونية.

والسكونية المُعقّبة بحركيات نبضية ـ كما سمّيناها ـ تؤمّن لاسرائيل تمرير المرحلة بالسكونية، واقامة التعبئة السكانية فضلاً عن التهويل الوجودي بالحركيات النبضيّة، سواء عبر الحروب القصيرة، أو المفاجئة، أو عبر المشاريع التي تذهب الى حدّ تصوير اسرائيل وكأنها دولة «مجانين» يمكن ان يتوقع منهم أي عمل مفاجيء، وذلك بهدف تعبئة الرأي العام العالمي لصالحهم، وردع العرب من القيام بأية خطوة حركية بالمعنى الذي يتجاوز الحركية النبضيّة المعتمدة.

تحليل لنموذج من الحلم الاستراتيجي

ثمّة مجموعة كبيرة من النماذج التي تشكّل حلماً استراتيجياً وفق المفهوم الذي حدّدناه سابقاً. ونحن لن نعرّج الى العبارة الشهيرة «حدودك يا اسرائيل من النيل الى الفرات»، لأن الواقع والتحليل الذي قدّمناه عن وضعية السكان اليهود انّما يعلن عن ان هذا الشعار لا يشكّل أكثر من حلم استراتيجي.

والنصّ الذي سنعتمده، هنا، يبدو انه يحاول ان يقدم رؤى بديلة وتخطيطات «استراتيجية» تعتمد النص التحليلي تجاه الوطن العربي في الثمانينات. وها نحن ننهي الثمانينات من هذا القرن، ويمكننا ان نكتفي بمقارنة سطحية بين النص المقترح ومسيرة الواقع.

عنوان النص «استراتيجية لاسرائيل في الثمانينات»، لصحافي وموظف سابق في وزارة الخارجية الاسرائيلية، يدعى عوديد ينيون[١٣]. يبدأ الباحث مقدمة عمله موضحاً الهدف منه بالقول: «اننا نعيش عصراً جديداً في تاريخ البشرية، لا يشبه، مطلقاً، العصر الذي سبقه؛ كما وتختلف سماته

تمام الاختلاف عمّا عرفناه حتى الآن. لذلك، فنحن بحاجة الى فهم المسارات الرئيسة التي تميّز هذه الحقبة التاريخية، من جهة، وبحاجة الى نظرة استراتيجية وعملياتية وفقاً للظروف الجديدة، من جهة أخرى». واعتبر الباحث ان المفاهيم الاساسية للمجتمع البشري، خصوصاً الغربي، تتغيّر، اليوم، نتيجة تغيرات سياسية وعسكرية واقتصادية جذرية، حيث ستقلب قوة السلاح النووي، وغير النووي، بأحجامه ودقّته ونوعيته، معظم عالمنا، رأساً على عقب، بكل المفاهيم وخلال سنوات معدودة. ورسم الباحث صورة الواقع العربي على انه مجزّأ داخلياً، ذو اقتصاد منهار. ووجّه لوماً الى اسرائيل، لأنها لم تعط الفلسطينيين الاردن! وبالتالي، فقد كانت تستطيع ان تجد حلولاً تتمثّل، وفق النموذج السابق، بتحييد المشكلة. واعتبر ان المصريين لن يكونوا مضطرين الى المحافظة على معاهدة السلام بعد استرداد سيناء، وسيعملون ما في وسعهم للعودة الى حظيرة الوطن العربي والاتحاد السوفياتي، بسبب حيوية العالم العربي، والمساعدة العسكرية من الاتحاد السوفياتي. وبسبب عدم وجود النفط، قال ينيون ان على اسرائيل ان تعمل لاعادة الوضع الذي كان سائداً في سيناء حتى قدوم أنور السادات الى القدس واتفاق السلام «الخادع» الذي وُقّع معه في آذار (مارس) ١٩٧٩. وبما ان الخيار المباشر لذلك غير متوفّر، فسيبقى لاسرائيل الخيار غير المباشر لاستعادة سيناء الى حضن اسرائيل، كاحتياط استراتيجي، واقتصادي، وطاقوي، في المدى البعيد. واعتبر ان تجزئة مصر اقليمياً الى وحدات فرعية جغرافية منفصلة هي هدف اسرائيل السياسي في الثمانينات. واعتبر، أيضاً، ان تفتيت سوريا والعراق، لاحقاً، الى مناطق ذات خصوصية اثنية ودينية هو هدف من الدرجة الاولى بالنسبة الى اسرائيل على الجبهة الاخرى، وقال: «ان هذا في متناول يد اسرائيل منذ اليوم». واعتبر، كذلك، ان الاردن هدف استراتيجي آني في المدى القصير، وانه ليس هنالك أي امكان لأن يبقى الاردن قائماً على صورته وبنيته الحاليتين في المدى الطويل، وينبغي على اسرائيل السعي، سواء حرباً أم سلماً، الى تصفية الاردن، الأمر الذي يصفّي مشكلة المناطق الآهلة بالعرب غرب نهر الاردن. الى ذلك اعتبر ان التعايش والسلام الحقيقي لن يسود في البلد الّا متى ادرك العرب انه من دون سلطة يهودية بين نهر الاردن والبحر لن يتوفر لهم، أيضاً، أي كيان أو أمن، ولن يكون لهم قومية وأمن خاصان بهم.

وانتقل الباحث الى مشكلة السكان الاسرائيليين، معتبراً انه، في داخل اسرائيل، «لم يكن هناك قط أي مغزى للتمييز بين مناطق ١٩٦٧ ومناطق ١٩٤٨ في نظر العرب الفلسطينيين»، وانه يجب ادراك انه لم يعد في الامكان العيش مع وجود ثلاثة أرباع السكان اليهود في الشريط الساحلي المزدحم والخطر جداً في العصر النووي. ولهذا، فان توزيع السكان هو هدف استراتيجي داخلي أساسي، والّا فلن تقوم لاسرائيل قائمة في المستقبل ضمن أية حدود كانت. ولهذا، فان «السامرة ويهودا» والجليل ـ حسب تعبيره ـ هي الضمان الوحيد لوجود اسرائيل، بحيث اذا لم يصبح الاسرائيليون أكثرية في المناطق الجبلية، فلن يسيطروا على البلاد، وسيصبحون مثل الصليبيين الذين فقدوا هذا البلد، الذي لم يكن لهم بطبيعة الحال، وكانوا فيه اغراباً منذ البداية. وأضاف ان السيطرة على كامل المرتفعات الجبلية، الممتدة من بئر السبع حتى الجليل الأعلى، هي «الهدف القومي» الناجم عن الهدف الاستراتيجي الاساسي، وهو استيطان المناطق الجبلية الخالية من اليهود حالياً. ورأى ان على اسرائيل ان تقف وحدها خلال الثمانينات، بلا مساعدة خارجية عسكرية، واقتصادية، وأبدى اعتقاده بأن اسرائيل قادرة على ذلك!

وجهة النظر هذه ربّما بدت، في بداية الثمانينات، للقارىء البعيد من الواقع ومن موازين القوى، الخ، وكأنها تخطيط استراتيجي متكامل يضع صورة لما يجب ان يحدث لتمرير السياسة

الوجودية الاسرائيلية. وفي قناعتنا ان النص يفضح نفسه في نهاية الثمانينات، من ناحية، ويفضح نفسه، أيضاً، من خلال الاسقاط (projection) الذاتي الذي اعتمده الكاتب مستخدماً توليفة تجمع بين ما هو خيالي خصب وبين المواد الواقعية. وتقوم عملية التحليل بشدّ المادة الواقعية المعتمدة في المراجع والوقائع المستند اليها، بحيث تغطي المطلب التخيّلي، وبحيث تبدو الثقة الزائدة بالذات، وكأن هذا التحليل التخيّلي مادة «حتمية» الحدوث. وعلى اعتبار ان ليس ثمّة حتمية للحدوث في زمن اثبت ان الاحداث «احتمالية»، فان السياق السابق للتحليل يؤكد لنا، في مقدمته، ان ليس ثمّة تحليل استراتيجي قُدّم في النص سالف الذكر.

فمن الواضح انه يتصور الامور كما لو ان بمقدور اسرائيل القيام بأعمال كازالة الاردن، وتفتيت سوريا والعراق ومصر ولبنان، واستعادة سيناء، وكما لو ان ليس ثمة اطراف أخرى في هذه المعادلات الكبرى، وكما لو ان اسرائيل مطلقة التأثير والمقدرة ودون أي اعتبار لوجود الدول والشعوب والدول العظمى، الخ. وتبدو الصورة أكثر مدعاة للتندّر، عندما أكد الكاتب ان هذه الامور في متناول يد اسرائيل. وعندما عقد الكاتب المقارنة مع الصليبيين التي سبق ان تحدثنا عن الهاجس الذي تشكله هذه التجربة التاريخية بالنسبة الى كل المطلعين على التاريخ، بدا في وضعية الاسقاط الذاتي، حيث يزوّر حقيقة كون اسرائيل، كالصليبيين، غريبة عن المنطقة منذ البداية. وهنا يخرّج الكاتب رغبته في ايجاد صورة «ذهنية» تبدو فيها اسرائيل حقيقة ازلية، ماضياً وحاضراً.

وعندما ذهب الى ضرورة توزيع السكان، بدت المسألة مدعاة الى مزيد من التندّر، خاصة للعارف بحقيقة الصراع النووي واحتمالاته في المنطقة؛ اذ اننا لو سلّمنا بامكان استخدام السلاح النووي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وهذا أمر مستبعد، على الاقل في المدى المنظور، فان اقتراح توزيع السكان لن يقدّم، أو يؤخر، شيئاً في حقيقة ان هذا الصراع سيذهب بالكمّ البشري على مساحة دائرة تغطي فلسطين المحتلة فيما لو توفّرت للعرب ١٢ قنبلة نووية، في حين ستحتاج اسرائيل الى مئة قنبلة نووية لردع غالبية الوطن العربي[١٤]. أي ان الاقتراح، سالف الذكر، بالتوزيع ليس أكثر من اظهار شفوي لا معنى له على الارض، بأن التخطيط الاستراتيجي قائم على قدم وساق في اسرائيل للدخول في عصر الصراع النووي مع العرب، وان هذا الصراع حتمي، وليس على اسرائيل الّا توزيع السكان، وهي مرحلة درء النفس استراتيجياً. وعندما وصل الى استقلالية اسرائيل الاقتصادية، فان المساعدات الاميركية لعام ١٩٨٨ لاسرائيل، والتي وصلت الى خمسة مليارات دولار، تكشف اللااستراتيجية في هذا التحليل.

ببسيط العبارة، يظهر لنا النص السابق ذاته على انه مجرد «حلم» استراتيجي ليس الّا. فهو لا يناقش الاحتمالات، انّما يضع الامور في نصاب ما يجب على اسرائيل ان تفعله، مدّعياً بأنه أمر متيّسر وبسيط بالنسبة اليها. وعليه، فان هذا النص يبدو انه نصّ اعلامي من النوع الذي يستهدف التصدير الداخلي، والخارجي، وذلك بهدف اضفاء صورة غير دقيقة عن امكانات اسرائيل، ومدى تأثيرها في الوعي واللاوعي الاسرائيلي، والعربي، على حد سواء. والحال، اننا لا نجد نصّاً يمكن ان نطلق عليه نصاً استراتيجياً بالمعنى السياسي والشمولي للكلمة. فحتى بعض النصوص التي تتعامل مع الاحتمالات[١٥]، فانها تنطلق من مسلّمة غير معتبرة على انها مسلّمة لدى الاستراتيجيين الحقيقيين، وهي ان لدى اسرائيل القدرة الاكبر والحظ الأوفر في تأمين مستلزمات الاستمرارية. ولعل نص اوري افنيري الذي اوردناه سالفاً يكاد يكون أكثر النصوص الاستراتيجية اعترافاً بلااستراتيجية ما هو سائد. ويؤكد الحقيقة سالفة الذكر يهوشفاط هركابي، بقوله: «اذا لم يكن

لدى الصهيونية أي خطة محددة لحل المشكلة العربية، فمن المؤكد، أيضاً، انه لم يكن لديها برنامج موجّه بصورة واعية ضد العرب كما يتخيّله الاخيرون»(١٦).

المأزق من خلال الحرب والسلام

قلنا ان اسرائيل تتكيّف بالسكونية التي تؤمّن لها تمرير المرحلة. وهذه السكونية يمكن تمثيلها، على المستوى الواقعي، باللاحرب واللاسلم، حيث ان هذه الحالة هي أفضل الحالات بالنسبة الى اسرائيل، لأنها تستطيع ان تغطي الانكشاف الذاتي لمأزق الوجود، حيث تصوّر الحالة لاسرائيل انها المستفيد الاكبر من مرور الزمن، ومن التقادم. وهذه الحقيقة تطرق اليها هورورفيتس عندما كتب: «ان مخططي نظرية أمن اسرائيل ليسوا اتباعاً لمدرسة الدراسات الاستراتيجية الاميركية، بل انهم سبقوها في تبنّي الفرضيات المتّصلة بأوضاع الصراع، وعملوا على تعتيم الحدود بين الحرب والسلم... ان الدروس المستفادة من الحروب التي كانت اسرائيل بدأتها قبل عملية ' سلامة الجليل ' ، والتي كانت هذه الدولة تتعرّض فيها لتهديد مباشر، لم تشجّع على تبنّي الاهداف السياسية المقررة مسبقاً للحرب. وقد قدمت حملة سيناء مكاسب معيّنة الى اسرائيل، على الرغم من فشلها في تحقيق اهدافها الاكثر بعداً... وقد تمثّلت هذه الانجازات في استقرار وضع اللاسلم واللاحرب»(١٧).

ان وضعية اللاسلم واللاحرب هي الوضعية السكونية المثلى لاسرائيل. فهي تكرّس الوجود بمقتضى وزنه العسكري، مغفلة ابعاد الوجود الاخرى، الاقتصادية والسياسية والتاريخية.

لقد استفادت اسرائيل، الى ابعد الحدود، من وضعية اللاحرب واللاسلم. ولكن، مهما بدت لنا هذه الفائدة كبيرة، فانها، في ظل حسابات موازين القوى وحسابات الاوضاع التاريخية، قد أفادت العرب أيضاً. ونستطيع القول، ان الفائدة من هذه الوضعيّة قد تبدو استراتيجية بالنسبة الى الجانب الاسرائيلي، بينما هي لا تعدو، في الواقع، الاّ ان تكون تكتيكية بهدف تمرير المرحلة. امّا من الناحية العربية، فهذه الوضعية، مهما بدت قاسية، فانها، حتى ولو أجّلت عملية الانكشاف البنيوي لاسرائيل، فانها تذهب الى ان تخدم ما هو استراتيجي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، متمثلاً في تأخير الصراع. وهذا التعاكس بين ما يظهر بشكل مباشر وما هو في حقيقة الامر فعلاً يشكّل الصورة الغائبة عن الوعي الاستراتيجي المطلوب في ادراك الصراع وابعاده.

وواقع الحال، ان هذه الوضعية، اذا كانت بالنسبة الى العرب ممكنة الاستمرار على المدى الزمني الطويل دون ان يكون في ذلك خطر كبير، فان الاحداث اثبتت ان اسرائيل، على الرغم من الفائدة الآنية التي تجنيها من هذه الوضعية، فانها لا تستطيع ان تستمر فيها الى أبعد الحدود، خاصة اذا عدنا الى تجربة الانتفاضة التي اثبتت انها لغم داخلي تنام عليه هذه الدولة الهجين، متصوّرة انها تنام في ارتياح. ولهذا، فان اسرائيل تلجأ، غالباً، الى القفزات التي سمّيناها (الحركيات النبضيّة)، وهي محاولات للتحريك المؤقت للاحداث، سواء عبر الحروب بصيغتها الخاطفة، أو عبر محاولات السلم في المجال الضيّق.

ان الحروب الواسعة كما السلم المطلق يكشفان هزال تجربة المشروع الاسرائيلي في المنطقة العربية. ولكن الحروب أكثر خطراً بالنسبة الى اسرائيل من السلم؛ لذلك، فان القائمين على التعامل مع السياسة الاسرائيلية كثيراً ما تجنّبوا الحروب الواسعة. ذلك ان الحروب الواسعة تعني

نهاية المشروع برمّته. ويتوقع بعض الاسرائيليين الآن (خاصة حزب العمل الاسرائيلي)، ان الذهاب الى السلام قد يوفّر فرصة غير واضحة المعالم لتخريج مأزق الوجود التاريخي، وليس فقط مأزق الاوضاع الداخلية. وعندما نحلّل موقف قادة حزب العمل، يمكن القول ان الاخيرين يدركون ان ثمّة مأزقاً وجودياً يكمن في المشروع الاسرائيلي. ولهذا، فالسلم المقترح مدخل الى تخريج الموقف المأزقي حول عدم وضوح الصورة عن الوجود المستقبلي، علّ الاسرائيليين يستطيعون ان يجدوا طريقة لتوظيف الشرعية الحقوقية، التي تمّ الحصول عليها بمبادلة الارض المحتلة بالسلام لصالح شرعية وجودية وتاريخية، يتمنّاها الأخيرون.

هذه المحاولة تعلن ان السكونية السياسية قد سُقفت بعد استثمار دام أربعين عاماً، وانها لم تعد تصلح، بوجهها الحالي، لبناء صورة واقعية للاستمرار. وهنا تأتي محاولات السلام على شكل تحريك صوب المجهول، طالما ان المعلوم لا يقدم حقيقة وجودية مستقرة. وفي هذا أكّد هركابي «ان على اسرائيل ان تختار لا بين السيىء والحسن، ولكن بين السيىء والاسوأ، وان عليها ضرورة الفصل بين الخطة الكبرى والسياسة، ذلك ان سياسة الضمّ ستحوّل اسرائيل الى دولة فلسطينية، وان اسرائيل المنتصرة على المستوى التكتيكي لا تمثّل موقفاً رابحاً على المستوى الاستراتيجي»[١٨].

هذا الموقف الاستراتيجي في الرؤية يتجاوز اطروحات حزب العمل. لكنه يكاد ان يتقاطع واياها في الاحساس بضرورة ايجاد التخريج المطلوب لأزمة واضحة. ولعل ابا ايبن أكثرهم احساساً بالأزمة، بقوله: «ان اسرائيل، الآن، عند مفترق الطرق؛ فامّا ان تتعارض وتبادل الارض بالسلام وتحافظ على ' حلم ' اقامة الدولة اليهودية، وامّا ان تتخلى عن هذا الحلم وتصبح دولة قمعية مستبدة يحكم مصيرها صراع داخلي رهيب»[١٩].

وفي الجانب الليكودي، ذهب الاسرائيليون الى استخدام القوة والتشديد على اتباعها واستثمار الموقف العسكري، حتى ولو خاض الحكام الحروب بدون اجماع، كما حدث العام ١٩٨٢. وهذا الاتجاه رأى بأن تخريج الازمة لا يكون الاّ بمزيد من الهرب الى أمام. ولكن هذه السياسة العسكرية تعاني، اليوم، من مفارقات واضحة؛ فهي ادركت، بعد تجربة حرب العام ١٩٨٢، ان سياسة القوة العسكرية ليست ناجحة على المدى الاستراتيجي، بل انها تكاد ان تحقق رؤية هركابي آنفة الذكر بأن المنتصر على المستوى التكتيكي لا يمثّل منتصراً على المستوى الاستراتيجي. وهذا، بالضبط، ما أعاد القوة العسكرية الى حدودها الطبيعية، حيث أصبح، الآن، مفهوماً ان العمل العسكري المباشر لم يعد ناجعاً تماماً، وهذا ما يفسّر كيف انسحب الاسرائيليون وعادوا الى التعامل مع «الخطر الفلسطيني» في لبنان على طريقة نموذج حرب الليطاني في آذار (مارس) ١٩٧٨، وليس على طريقة ما دعي «بعملية سلامة الجليل» العام ١٩٨٢.

لقد اثبتت حروب اسرائيل انها فاشلة في صناعة مستقبل أوضح لهذه الدولة الهجين. ومع ذلك، فان الليكود يواصل التشدّد، حيث يرى ان على اسرائيل ان تعيش في خطر الحروب، على ان تتقدم بتنازل يعرّضها للفناء. وهذه الرؤية المتوارثة عن سياسة درجت عليها اسرائيل لفترة طويلة دونما أي فائدة، انّما تشكّل الوجه الآخر لعملة أسمها «المأزق الاسرائيلي»، أي مأزق الوجود ذاته، في بنيته وتاريخه وآفاقه.

ان الاتجاه الداعي الى التشدّد، خاصة في شقّه العسكري، انما يؤكد اعتباراته انطلاقاً من المأزق الآخر الذي يمكن ان تخلقه حالة السلام، حيث تواجه اسرائيل بسببها ـ وفق هذه الرؤية

«خطر الذوبان في المحيط العربي، أو التحوّل الى دولة شرق أوسطية»[٢٠]. وهنا يلتقي المتشددون، سواء أكانوا من الليكود أو من غيرهم.

وتكمن أزمة هذا الاتجاه في انه لا يفرّق بين المعركة والحرب، وان خيار اسرائيل الأبدي انها قد تربح معارك عديدة، لكنها لن تستطيع ان تربح الحرب[٢١]. والفارق كبير بين المعارك، خاصة تلك التي تبعثها محاولات كسر استمرارية السكونية، وبين الحروب كقافلات للتاريخ. بل ان مشكلة هذا الاتجاه انه يعبث بالموقف الآني، ولا يدرك ان تراكم المعارك التي يربحها طرف ما لا يعني النهاية، الى ان يربح الحرب، وان تراكم «الآني» لا يؤدي الى الربح «الاستراتيجي»، خاصة اذا أدركنا ان المعارك الاسرائيلية ليست الاّ اداة لتجنّب الحروب طويلة الأمد.

اننا نميّز بين الحروب كفعاليات تغيير درامي على المستوى العسكري، وبالتالي على المستوى السياسي، وبين المعارك الخاطفة التي لا تغيّر سمات الواقع المحيط تغييراً جذرياً، لأنها غير قادرة على الحسم المطلق عسكرياً، ولا يمكن استثمارها على المستوى السياسي، بسبب ضآلة الطبيعة اللااستراتيجية الموجّهة اليها، وتخبّطها بين اللاتخطيط السياسي المسبق وردود الفعل السيكولوجية التي تؤخذ بالانتصارات الآنية.

---

(١) في بحث احصائي قدمته مجلة **نوفيل اوبزيرفاتور** الفرنسية، في ١٩٨٨/١/٢٨، جاء ان عدد اليهود في العالم، بمن فيهم سكان اسرائيل، في العام ١٩٨٧، هو ١٢,٧ مليوناً. وتنبأت المجلة بأن عدد اليهود سينخفض العام ٢٠٠٠ الى ثمانية ملايين، والى ستة ملايين في العام ٢٠٢٥. وهذا يعني انقراض اليهود العام ٣٠٠٠. وسبب التناقص يعود الى كثرة عدد الشيوخ (نسبتهم وصلت الى ١٩ بالمئة العام ١٩٨٧) وميل اليهود الى الانخراط في مجتمعاتهم الأم بالزواج المدني المختلط، حيث تصل نسبة المواليد لكل زوجين في اسرائيل ٢,٢ بالمئة و١,٥ بالمئة بين يهود العالم.

(٢) أمين هويدي، **كيف يفكر زعماء الصهاينة ؟** القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥؛ وللكاتب نفسه، «فجوات في الامن الاسرائيلي حتى العام ٢٠٠٠»، **شؤون عربية** (تونس)، العدد ٥٥، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨، ص ١٧٧.

(٣) Kimmerling, Baruch (Ed.); *Israel Society and Its Defense Establishment*, London: Frank Gass, 1984.

(٤) Liebman, Charles; "Myth, Tradition and Values in Israel Society", *Midstream*, Vol. 24, January 1978, pp. 44 - 53.

(٥) Kimmerling, *op. cit.*

(٦) **المصدر نفسه.**

(٧) قال حاييم بنجامين: «طالما ان السياسيين لم يريدوا، أو لم يعرفوا كيف يحددون الاهداف، فقد كان على العسكريين المحترفين ان يحدّدوها بأنفسهم، **المصدر نفسه**، .

(٨) انظر تسفي لانير: «الغايات السياسية والاهداف العسكرية لحروب اسرائيل»، **دافار**، ١٧ ـ ١٩٨٣/٤/٢٢.

(٨) د. يائير عفرون، «اتجاهات في نسب القوة العربية ـ الاسرائيلية»، **سكيراه حودشيت**، شباط (فبراير) ـ آذار (مارس) ١٩٨٣، الرقم ٣/٢، ص ٣٦ ـ ٤٧.

(٩) **المصدر نفسه**. وكتب عفرون: «ان هذه العيوب في القدرة العربية قد ساعدت، بالطبع، اسرائيل على تحقيق اهدافها الاستراتيجية العملياتية». ونلاحظ انه لم يقل السياسية.

(١٠) ان فكرة «الحدود الآمنة» كما تبلورت بنتيجة حرب الايام الستة عُبّر عنها في آن تقريباً من قبل ثلاثة وزراء في الحكومة الاسرائيلية، كانوا، جميعهم، ضباطاً سابقين في الجيش، وهم يغئال الون وموشي كارميئيل وموشي دايان، **هآرتس**، ١٩٨٧/٩/٥.

(١١) Horowitz, Dan; "Israeli War In Lebanon", in "Israeli Society and Its Defense Establishment", Kimmerling (Ed.), *op. cit.*

(١٢) عميرام كوهين، «ما الذي سيأتي به العام ٢٠١٠»، **عل همشمار**، ٣٠/١٠/١٩٨٧.

(١٣) عوديد ينيون، «استراتيجية لاسرائيل في الثمانينات»، **كيفونيم**، العدد ١٤، شباط (فبراير) ١٩٨٢، ص ٤٩ ـ ٦١.

(١٤) د. خليل الشقاقي، «المتطلبات التقنية للردع النووي في الشرق الاوسط»، **الفكر الاستراتيجي العربي** (بيروت)، العددان ٢٣/٢٤، كانون الثاني (يناير) / نيسان (ابريل) ١٩٨٨.

(١٥) يمكن، على سبيل المثال لا الحصر، مراجعة موشي ماعوز، «اسرائيل وجاراتها العربية بعد حرب لبنان»، **غيشر**، شتاء وربيع ١٩٨٣، ١٠٨/١، ص ١ ـ ٨.

(١٦) يهوشفاط هركابي، **الازمنة الحديثة** (ابو ظبي)، العدد ٢٥٣، ١٩٦٧، ص ٤٩٥.

(١٧) Horowitz, *op. cit.*

(١٨) يهوشفاط هركابي، **اسرائيل والخيارات المصيرية**، تونس: مركز التخطيط ـ م.ت.ف. ١٩٨٨.

(١٩) هويدي، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٦٧.

(٢٠) يسرائيل بيلد، **يديعوت احرونوت**، ٢٨/١١/١٩٧٧؛ نقلاً عن صبري جريس، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٧٤/٧٥، شباط (فبراير) ١٩٧٨، ص ٢٣١.

(٢١) شاؤول فريدلان، **تأملات حول مستقبل اسرائيل**، دمشق، دار البعث، بلا تاريخ نشر، ص ١١.

سيغموند فرويد والصهيونية

د. قدري حفني

ان بوّاباتنا الشرقية لم تعد تحول، منذ سنوات، دون دخول الاسرائيليين الى بلادنا، خاصة اذا ما كانوا من العلماء. وما أكثر علماء التحليل النفسي في اسرائيل. وآلاف من طلابنا يدرسون التحليل النفسي، فينبهرون به ايّما انبهار. وقد لا يتاح لهم، دائماً، من يبصّرهم بابعاد الفكر الصهيوني، واستثماره للتحليل النفسي، فنّاً وفلسفة ومؤسسة، لبلوغ غايات الصهيونية.

ولقد سبق ان حاولت التنبيه الى خطورة ما يطرحه الفكر الفرويدي من تفسير حضاري، وذلك منذ ثلاثة وعشرون عاماً في مجلة «المجلة» القاهرية (كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٦٥). ولم تمض سنوات قليلة بعد ذلك، حتى استوقفتني محاولة اقدم عليها أحد المحلّلين النفسيين المصريين استهدفت تفسير موقف الشعب المصري من نكسة العام ١٩٦٧، تفسيراً نفسياً يعتمد على مقولة «اللاشعور» وغيرها من مفاهيم التحليل النفسي. وقد تناولت تلك المحاولة بالنقد في مقالة نشرتها آنذاك مجلة «الفكر المعاصر» القاهرية، في شباط (فبراير) ١٩٧٠. واقتصرت محاولاتي للتنبيه والتحذير بعد ذلك على طرح قضايا الفكر الصهيوني والشخصية الاسرائيلية، خلال محاضراتي في الجامعة. غير انه وقد تصاعد المدّ الصهيوني من حولنا، وانتشرت، مع تصاعده، دعاوى وادعاءات التحليل النفسي في تفسير الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ فقد اصبحت صيحة التحذير العامة واجبة، ولم تعد الجهود الفردية في هذا المجال بكافية.

الارض المحتلة جوهر الصراع

ليس من شك في ان جوهر الصراع العربي ـ الاسرائيلي يتمثّل في الارض، أرضنا الفلسطينية والعربية التي احتلتها اسرائيل. وعلى قضية احتلال هذه الارض ـ وهي قضية مادية ملموسة ـ تقوم، وتتعدد، أوجه الصراع الأخرى كافة، السياسية والاقتصادية والعسكرية والسكانية، وكذلك النفسية.

ولقد سعى الفكر الصهيوني، وما زال يسعى، الى تمييع قضية الاحتلال هذه، ودفعها بعيداً من مكانتها، باعتبارها البؤرة الرئيسة للصراع. واحد البدائل الرئيسة التي يطرحها الفكر الصهيوني لذلك الجوهر المادي الملموس للصراع العربي ـ الاسرائيلي، هو تصويره كما لو كان صراعاً نفسياً في جوهره. ومن ثمّ، فان كل ما نشهده، ونعايشه، من معاناة واحتلال وقتال وشهداء، ليس سوى نتائج ومظاهر لذلك الصراع النفسي؛ وما الارض واحتلالها ومقاومة ذلك الاحتلال الاّ ذرائع تتخفى وراءها ديناميات صراع نفسي عميق الجذور. ولقد وجد هذا الطرح الصهيوني ضالّته في فكرة واحدة من مدارس علم النفس المعاصر، هي مدرسة التحليل النفسي، والتي تكاد ان تنفرد، من بين مدارس علم النفس جميعاً، باقدامها على طرح تصوّر نفسي شامل للتاريخ، وللحضارة، وللفن، وللمرض،

وللدين، وللحرب، الخ. ولعل تلك النظرة النفسية الشاملة هي سرّ انبهار الدارسين بالتحليل النفسي، وهي، أيضاً، مكمن خطورته، وسبب تناغمه وملاءمته لأهداف المخطط الصهيوني.

التحليل النفسي والصهيونية

لقد تصدّت مدرسة التحليل النفسي الفرويدي، بجسارة نادرة، لتفسير الحضارة البشرية، بكافة أوجهها، البنّاءة والهدّامة، على حد سواء، باعتبار ان تلك الأوجه، جميعاً، انما هي استجابات لصراعات نفسية عميقة تكمن في اغوار النفس الانسانية. يستوي في ذلك بناء السدّ العالي وقصف هيروشيما بالقنبلة الذرية؛ ولا فرق في ذلك بين الصلاة والقتل، ولا بين نظم الشعر واطلاق الرصاص، ولا بين ممارسة الجنس ورياضة الملاكمة. فكل ذلك لا يعدو ان يكون صوراً متباينة، امّا للتعبير عن تلك النزعات التدميرية الجنسية المغروسة بالوراثة في اغوار النفس الانسانية، وامّا للتعبير عن محاولات التغلّب على تلك النزعات واعلائها. بل ان تلك المحاولات الاخيرة محكوم عليها بالقصور، حيث «لا فائدة من محاولة التخلّص من ميول الناس العدوانية». وخلاصة القول، اذاً، ان التركيب السيكولوجي يصبح لدى مدرسة التحليل النفسي سبباً وأصلاً لكل ما عداه، بدلاً من ان يكون نتاجاً للظروف الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية.

ولم يأل أصحاب التحليل النفسي جهداً، منذ قامت مدرستهم وحتى يومنا هذا، في تطبيق منهجهم على مناحي الحياة وظواهرها كافة، بل وشخصياتها التاريخية أيضاً. وحظت ظاهرة النازية بقدر كبير من اجتهادات المحلّلين النفسيين، لتفسيرها وفقاً لمنطلقاتهم الفكرية. وتركّزت جهودهم، في هذا الصدد، على ترسيخ ما يسمى بخاصية «معاداة السامية»، وارجاعها الى خصائص ثابتة عميقة، تميّز اليهود، من ناحية، وتميّز غير اليهود، من ناحية أخرى.

ولم يكن غريباً، والأمر كذلك، ان يجد الفكر الصهيوني ضالّته في الاختزالية السيكولوجية الفرويدية. فتحت عباءتها، وحدها، يمكن التحدث برطانة علمية حديثة عن «سيكولوجية يهودية واحدة» تمتد من العهد القديم الى القرن العشرين، وتضمّ، تحت جناحيها، يهود الفلاشا ويهود الحضارة المسيحية الاوروبية ويهود الحضارة الاسلامية الشرقية. فالكل يهود، لهم نفس التكوين السيكولوجي المتوارث عبر الاجيال، والذي لم تستطع آلاف السنين من الشتات ان تنال من جوهره شيئاً. وتحت عباءة التحليل النفسي، وحدها، يمكن التحدّث برطانة علمية جذّابة عن الرفض العربي للاحتلال الاسرائيلي للأرض، باعتباره «غيرة من الشقيق الاكثر تفوّقاً وحضارة»، أو «محاولة للتنفيس عن تلك العدوانية الكامنة، التي لا تجد لها متنفّساً في نظم التربية العربية السائدة»، الخ.

فرويد والانتماء الصهيوني

لسنا بصدد الخوض في حديث ساذج عن علم يهودي وآخر غير يهودي. فالعلم انجاز بشري ملك للبشر جميعاً، اذا ما كان علماً بحق. ولسنا، كذلك، بصدد التعرّض الى مدى عملية التحليل النفسي، فمكان ذلك هو البحوث الاكاديمية العلمية المتخصصة. ولسنا، أيضاً، ممّن ينكرون ان بضعة أفراد من المحللين النفسيين قد اتخذوا مواقع عملية نضالية، بدرجة او بأخرى، من أمثال فرانز فانون وايريك فروم وفيلهام رايخ. ولكنهم، في النهاية، افراد لا يعبّرون عن مؤسسة التحليل النفسي وأفكارها الرسمية.

لقد نشأ التحليل النفسي، تاريخياً، في نفس الحقبة التي تبلور فيها الفكر الصهيوني، حيث

كان ثيودور هرتسل معاصراً لسيغموند فرويد الذي ولد قبله بسنوات أربع فحسب، وكان كلاهما من يهود الحضارة الالمانية؛ أولئك اليهود الذين أفرزوا الفكر الصهيوني والفكر الفرويدي في الوقت عينه تقريباً.

وموقف فرويد من الصهيونية غني عن البيان. وهو موقف لا يتعارض، بحال، مع ما هو معروف عنه من الحاد صريح؛ فالصهيونية، في النهاية، ليست سوى موقف فكري عنصري يقوم على التسليم بتمايز اليهود عن غيرهم، وعداء هؤلاء الأغيار لهم، وان حل تلك المشكلة لا يتأتى الّا بتمسّك اليهود بيهوديتهم، وتأكيد تمايزهم، ومقاومة أية مساعي لدمجهم في مجتمعاتهم الأصلية. وبالتالي، فان الحاد فرويد لم يمنعه من تأكيد انتمائه الى اليهودية، والتزامه بالصهيونية، فكراً وتنظيماً. فلقد أنضم فرويد الى جمعيـة «بنـاي بريث» (ابنـاء العهد) الصهيونية منذ العام ١٨٩٥، أي وهو في سن التاسعة والثلاثين؛ واستمرت عضويته فيها طوال ٤٤ عاماً حتى وافته المنيّة. كما ظل مواظباً، لعدة سنوات، على حضور اجتماعاتها نصف الشهرية، وفيها ألقى اولى محاضراته عن تفسير الاحلام. ولقد عرفت له الجمعية الصهيونية فضله، فاحتفلت، في السادس من أيار (مايو) ١٩٢٦، بعيد ميلاده السبعين؛ وكان خطاب فرويد في هذه المناسبة بالغ الدلالة والوضوح، حيث ورد فيه: «... ان كونكم يهوداً لأمر يوافقني كل الموافقة، لأنني نفسي يهودي... انني مدين بالفضل لطبيعتي اليهودية في ما أملك عن صفتين مميزتين لم يكن في وسعي الاستغناء عنهما حيال حياتي الشاقة... فلأنني يهودي، وجدت نفسي خلوا من التحيزات التي ضلّلت غيري دون استخدام ملكاتهم الذهنية؛ وكيهودي، كنت مستعداً للانضمام الى المعارضة وللتصرّف دون موافقة الاغلبية الساحقة. وهكذا، وجدت نفسي واحداً منكم، اقـوم بدوري في اهتماماتكم الانسانية والقومية. واكتسبت اصدقاء من بينكم، وحثثت الاصدقاء القليلين الذين تبقوا لي على الانضمام اليكم...».

ولعل تلك الكلمات ليست في حاجة الى تعليق. فالرطانة الصهيونية عن الخصائص اليهودية تعلن عن نفسها، وكذلك الحديث عن الاهتمامات القومية للحركة الصهيونية، والسعي الى كسب الانصار لها. وعلى أي حال، فقد كان هذا خطاباً عاماً، حرص فيه فرويد على الّا يذكر «الصهيونية» صراحة، تاركاً اياها لقليل من فطنة القارىء. وبطبيعة الحال، فان مثل ذلك الحذر لم يكن له مبرر في خطابات فرويد الشخصية التي كان يتبادلها مع زملائه وتلامذته ومريديه. ففي خطاب شخصي أرسل فرويد به الى احدى تلميذاته من المحللات النفسيات، وهي اشبيلراين، بعد ان علم بأنها توشك على ان تضع طفلاً، كتب فرويد: «... وأود لو خرج الطفل ذكراً ان يصير صهيونياً متعصباً... اننا يهود، وسنظل يهوداً... وسيبقى الآخرون، على استغلالهم لنا، دون ان يفهمونا، او يقدرونا حق التقدير». والخطاب مؤرخ في آب (اغسطس) ١٩١٣، وان كان نشره قد تأخر الى العام ١٩٨٢.

ولعلنا نستطيع ان نكتفي بتلك النماذج للتدليل على انتماء فرويد الى الفكر الصهيوني، وارتباطه بالتنظيمات الصهيونية. ولكن ذلك كله قد لا ينال من الرجل كعالم، بل كمؤسس لفرع من فروع العلم نال من الشهرة والذيوع الشيء الكثير. وقد يبدو للبعض ان فكر الرجل لم يؤثر في علمه، وان استثمار الصهيونية لعدد من الافكار الاساسية للتحليل النفسي كان محض مصادفة. فكثير من اليهود ـ بل ومن غير اليهـود ـ استهـواه الفكـر الصهيوني. وكثير منهم ارتبط، بدرجة أو بأخرى، بالتنظيمات الصهيونية. ومن بين هؤلاء، بطبيعة الحال، عدد من مشاهير العلماء في مختلف فروع المعرفة. وليس من المنطق في شيء ان نرفض علمهم لمجرد انهم صهيونيون، قولاً أو فعلاً. ولكن الامر بالنسبة الى فرويد كان مختلفـاً تمـامـاً. فهو لم يكن مجرد عالم يهودي ملحد ينتمي الى الفكر الصهيوني ويتعاطف

مع المنظمات الصهيونية القائمة، بل انه قد تفرّد باقامة تنظيم صهيوني جمع فيه، باقتدار، بين اسس التنظيم السياسي السرّي، والهدف الصهيوني المتميّز، في غلالة علمية جذّابة حاكتها، فاحكمت نسيجها يد درية وعقل عبقري.

التنظيم الصهيوني الفرويدي

لعل القارىء لمؤلفات فرويد، بل لمؤلفات الرعيل الاول من اصحاب التحليل النفسي، لا يكاد يستبين شيئاً من ملامح ذلك التنظيم الصهيوني الذي نتحدث عنه. فهو جماعة من العلماء يكتبون في مجال جديد، وبرؤية جديدة. قد تستهويك رؤيتهم، أو قد تثير نفورك، ولكنها، غالباً، لن تثير ريبتك. وحتى لو استوقفتك فكرة الاختزالية السيكولوجية، واستوقفتك كذلك معالجات هؤلاء الروّاد للمشلكة اليهودية، بوصفها مشكلة سيكولوجية خالصة، فان ذلك كله قد لا يوحي لك بشبهة التنظيم الصهيوني. ولكن الامر لا يصبح غريباً، اذا ما كنّا بصدد تنظيم طابعه الأساسي هو السرية، وهو الامر الذي يستحيل ان نتلمسه في المؤلفات الفرويدية العلنية. ولكننا نجده دون عناء في الخطابات الشخصية المتبادلة بين الفرويديين خلال الاعوام الاولى للقرن العشرين، والتي لم تعرف طريقها الى النشر الّا مع خمسينيات ذلك القرن؛ وما زالت عملية النشر هذه مستمرة في اضافة الجديد، حتى ايامنا هذه.

لقد نشر فرويد، العام ١٩١٤، كتيّباً بعنوان «تاريخ حركة التحليل النفسي». ولم ترد في هذا الكتيب أية اشارة الى ذلك التنظيم الصهيوني السري الذي نحن بصدده. وكل ما اورده فرويد في كتيّبه متعلقاً بتشكيل الرابطة الدولية للتحليل النفسي هو انه «في العام ١٩٠٢ تشكّلت حولي مجموعة من اطباء شبان، كان هدفهم المعلن تعلم وممارسة ونشر التحليل النفسي... وبعد سنتين من المؤتمر الاول الخاص للمحللين النفسيين، انعقد المؤتمر الثاني في نورمبرغ هذه المرة في آذار (مارس) ١٩١٠. وفي الفترة الفاصلة ما بين هذين المؤتمرين... وازاء العداء المتزايد الذي كان يواجه به التحليل النفسي في المانيا... صمّمت مشروعاً، وافلحت، في اثناء ذلك المؤتمر الثاني، في وضعه موضع التنفيذ، بمساعدة صديقي س. فيرنزي. وكان هذا المشروع يرمي الى تزويد حركة التحليل النفسي بتنظيم... تحاشياً للتجاوزات التي يمكن ان ترتكب باسم التحليل النفسي ما ان تتوطد شعبيته... وكنت أرغب، ايضاً، في ان تقوم بين انصار التحليل النفسي علاقات صداقة وتآزر... ولهذا، وليس لأي شيء آخر، كنت أرغب في قيام الرابطة الدولية للتحليل النفسي...».

كان ذلك هو اقصى ما صرّح به فرويد علناً آنذاك. امّا ما نشر بعد ذلك بأعوام طوال، فقد كان مختلفاً تماماً. لقد قام المحلل النفسي المعروف، ارنست جونز، ابتداء من العام ١٩٥٣، بالشروع في نشر سيرة حياة فرويد. وكان جونز آنذاك هو آخر الاحياء من القيادة السرية للتنظيم الصهيوني الفرويدي. وتضمّنت تلك السيرة، التي نشرت في ثلاثة اجزاء، العديد من الخطابات المتبادلة بين فرويد وخلصائه، ومن بينهم أعضاء تلك القيادة السرية، والتي كانت تضمّ، الى جانب فرويد، كلاً من جونز وفيرنزي وساخس ورانك وابراهام، وايتنغتون الذي انضم الى تلك القيادة بعد تشكيلها بعدة أعوام.

أشار جونز الى ان بداية التفكير في تشكيل تلك القيادة السرية ترجع الى تموز (يوليو) ١٩١٢، حيث اقترح جونز على فيرنزي اقتراحاً مؤداه «... ان علينا... ان نشكّل جماعة صغيرة من المحللين الموثوق فيهم كنوع من الحرس القديم الذي يحيط بفرويد». ونوقش هذا الاقتراح، بالتفصيل،

مع فرويد، الذي استجاب له فوراً وبصورة ايجابية... وتتضح تفاصيل هذا الاقتراح، وكذلك طبيعة استجابة فرويد له، في خطاب بعث فرويد به الى جونز يحمل تاريخ الاول من آب (اغسطس) ١٩١٢، أي بعد مرور أقل من شهر على بزوغ الفكرة، ذكر فيه: «... ان ما استولى على خيالي فوراً هو فكرتك عن ' مجلس سري ' يتـألف من خيرة رجالنا وأكثرهم استحقاقاً للثقة، للقيام على امور التطورات اللاحقة للتحليل النفسي، وللدفاع عن القضية في مواجهة الاشخاص والاحداث بعد وفاتي... وقبل كل شيء، ينبغي ان تلتزم تلك اللجنة بالسرية المطلقة، سواء في ما يتعلق بوجودها اصلاً، او في ما يتعلق بأعمالها... ومهما أتت به الايام المقبلة، فان القائد المقبل لحركة التحليل النفسي ينبغي ان يخرج من بين هذه الحلقـة الصغـيرة المختـارة من الرجال...». ولم يمض عام حتى عقدت تلك القيادة أول اجتماعاتها في منزل فرويد، الذي اهدى لكل من اعضائها فصّاً اغريقياً قديماً من مجموعته، وقام هؤلاء بتـركيب هذا الفصّ على خاتم ذهبي، كان فرويد يلبس مثيلاً له. وحين انضم ايتنغتون الى القيادة، بعد عدة أعوام، أهدى فرويد اليه خاتماً مماثلاً كذلك.

تُرى ما الذي يدفع عالماً الى تشكيل قيادة سرية للمشتغلين بذلك العلم ؟ ألا يضفي ذلك طابعاً سيـاسيـاً مريباً على القضية بأسرها ؟ وعلى أي حال، فان ايريك فروم، وهو من المحللين النفسيين البارزين الذين اخرجوا حتى من اطار التنظيمي العلني لحركة التحليل النفسي، لا يتردد في ان يفرد، في كتابه «رسالة سيغموند فرويد»، فصلاً بعنوان «الطابع شبه السياسي لحركة التحليل النفسي». بل انه يرى في هذا الكتاب «... ان فرويد كان يمكن ان يصبح قائداً اشتراكياً، أو قائداً لحركة ثقافية اخلاقية، او، لأسباب أخرى، واحداً من قادة الحركة الصهيونية».

ولقد كان فرويد، منذ البداية، على وعي بالطابع الصهيوني لحركة التحليل النفسي. ولذلك، فقد كان حريصاً، دوماً، على ان تضم واجهة هذه الحركة وجوهاً غير يهودية، وحبذا لو لم تكن صهيونية. وقد صادف مسعاه النجاح حيناً، والفشل حيناً آخر. لقد نجح، مثلاً، في المحافظة على ارنست جونز، المحلل النفسي والمسيحي الملحد والصهيوني المتعصّب، عضواً في القيادة السرية للتنظيم حتى النهاية. ولكنه واجه اخفاقاً شديداً في المحافظة على بقاء كارل يونغ، المحلل النفسي المسيحي في اطار الحركة، على الرغم ممّا قدمه اليه من اغراءات وصلت حدّ محاولة تنصيبه خليفة له في قيادة الواجهة العلنية لحركة التحليل النفسي.

وقد قرر اريك فروم، في هذا الصدد، انه، في المؤتمر الثاني لحركة التحليل النفسي الذي عقد في نورمبرغ، في آذار (مارس) ١٩١٠، ادرك فرويد ميزة توسيع الحركة الى ما هو أبعد من النطاق الضيّق ليهود فيينا. وادرك، أيضاً، ان عليه اقناع زملائه من هؤلاء اليهود بوجهة نظره، التي كان مؤداها اسناد بعض المناصب الرئيسة في الحركة الى غيرهم، وفي مقدمهم يونغ. «وحين نمي الى علم فرويد ان بعضاً من زملائه يهود فيينا يعقدون اجتماعاً في الحجرة التي يشغلها شتيكل في الفندق لحق بهم وادار معهم مناقشة حامية، كان جوهرها ابراز الجو المعادي الفظيع المحيط بهم، والحاجة الى غطاء خارجي لمواجهته... ثم قام، بصورة درامية، بخلع سترته قائلاً: ' ان اعدائي سوف يسعدهم رؤيتي اتضوّر جوعاً؛ انهم سوف ينزعون سترتي عن ظهري ' ».

ولعل احساس فرويد بحاجة تنظيمه الى غطاء يخفي جوهره الصهيوني يتضح في خطاب بعث به الى كارل ابراهام، الذي أصبح واحداً من أعضاء القيادة السرية للتنظيم، يحثّه فيه على كسب مودة يونـغ، وذلك في أيـار (مايـو) ١٩٠٨، جاء فيـه: «... ان يونـغ، لكـونـه مسيحياً وابناً لقسيس،

يجد مقاومات داخلية شديدة تعوق اقترابه مني... ونحن لا غنى لنا، اطلاقاً، عن رفاقنا الآريين كافة، والاّ سقط التحليل النفسي ضحية لمعاداة السامية».

وعلى أي حال، فقد أخفق فرويد في الاحتفاظ بهذا الغطاء الذي كان يتمثل في يونغ، والذي لم يلبث ان انشق عن التيار الفرويدي واتخذ له نهجاً مستقلاً متميزاً. وواصل فرويد ورفاقه سعيهم نحو غاياتهم التي تمثّلت في تقديم الغطاء الفكري المناسب لتدعيم أفكار من نوع ان معاداة السامية خاصية سيكولوجية ضاربة الجذور، وان لليهود من الخصائص السيكولوجية ما يميزهم عن بقية البشر، الى آخر تلك الافكار التي تمثّل ركناً أساسياً من اركان الفكر الصهيوني.

وكان طبيعياً والامر كذلك ان يجد المتأمل في سير حياة العديد من أقطاب حركة التحليل النفسي ان الخيوط متداخلة متشابكة بين ممارستهم العملية للنشاط الصهيوني والتحليل النفسي. فماكس ايتنغتون، مثلاً، وهو احد اعضاء القيادة السرية للتنظيم الفرويدي الصهيوني، قرّر، في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣، ان يغادر المانيا الى فلسطين، حيث أقام هناك بقية حياته، وأنشأ «الجمعية الفلسطينية للتحليل النفسي» التي ما زالت قائمة حتى الآن، بعد ان تغيّر اسمها طبعاً. وقال المحلّل النفسي سيدني بومر: «لم يكن انتقال اتينغتون الى اسرائيل مجرّد استجابة لضرورات الحرب، بل كان نتيجة طبيعية لميله، طول حياته، الى الصهيونية». امّا المحلل النفسي الشهير، ارنست سيميل، والصديق الصدوق لماكس اتينغتون، فهو صاحب الكتاب المعروف «المعاداة للسامية مرض اجتماعي»، وفيه يرجع المشكلة اليهودية برمّتها الى اسباب نفسية خالصة. ولقد بلغ من تقدير فرويد لسيميل انه اهداه، العام ١٩٣٩، ذلك الخاتم الشهير ذاته الذي سبق ان اهدى مثله لاعضاء القيادة السرية للتنظيم قبل ذلك بسنوات طوال. اما سيغموند برنفيلد، المحلّل النفسي الذي يزكيه فرويد، في خطابه المؤرخ في ١٩٣١/١/٢٢، بقوله «... انه خبير بارز في التحليل النفسي. واعتبره واحداً من أقوى العقول بين تلامذتي واتباعي...»، فانه ـ أي برنفيلد ـ هو نفسه ذلك العضو البارز في المنظمات الصهيونية، الذي تبنى أفكار الفيلسوف الصهيوني مارتن بوبر، وكرّس جانباً كبيراً من كتاباته النفسية لابراز خصائص الشعب اليهودي، والدفاع عن فكرة «فلسطين كوطن قومي لليهود»؛ وكذلك الحال بالنسبة الى الطبيب والمحلل النفسي فيلكس دويتش، الذي كان، منذ شبابه، من أنشط اعضاء التنظيم الطلابي الصهيوني في فيينا، والذي التقى، في صفوف هذا التنظيم، بمارتن فرويد، ابن سيغموند فرويد؛ ومن خلال لقائهما، عرف دويتش طريقه الى فرويد والفرويدية.

مقتضيات السياسة تسبق قواعد العلم

ترى كيف أمكن لفرويد، ولتنظيمه الصهيوني السري، ان يحققا ما حققاه ؟ ان الامر لا يرجع، فحسب، الى تلك العبقرية التي تميّز عقلية فرويد المنظّمة؛ ولا، أيضاً، الى مجرد ذلك الحضور الغلاّب الذي ميّز شخصية فرويد. ان الامر انما يرجع الى قاعدة عملية أدركها فرويد والتزم بها دوما، شأنه في ذلك شأن قائد أي تنظيم سياسي: «المعيار السياسي قبل المعيار العلمي». ووفقاً لتلك القاعدة التنظيمية، قاتل فرويد من أجل ضمّ يونغ الى الواجهة العلنية لقيادة حركة التحليل النفسي، وأشاد، علناً، بعبقريته العلمية ونفاذ بصيرته التحليلية؛ ولكنه أفضى الى رفاقه في قيادة التنظيم السري بالمبرّرات الحقيقية لهذا الضمّ؛ وليس من بين تلك المبررات، التي ساقها فرويد، مجرّد اشارة، ولو من بعيد، الى عبقرية يونغ العلمية. فهو ـ أي يونغ ـ ليس سوى مسيحي آري «يلزمنا لتغطية

حقيقة هويتنا». وحين أخفقت محاولات الضمّ والتغطية هذه، كان ما يبدو علناً وعلى السطح هو ان ثمّة خلافاً علمياً بين فرويد ويونغ هو الذي أدى الى التباعد. ولكن الحقيقة، كما تكشّفت بعد ذلك، هو ان يونغ ذلك المسيحي الالماني الذي وصفه فرويد بالآرية، قد خرج على الخط السياسي الصهيوني الذي كان يقضي، آنذاك، بتضخيم أبعاد المشكلة اليهودية، وحشد مشاعر التعاطف مع اليهود، في مواجهة الخطر النازي. ولم تتردد القيادة الفرويدية الصهيونية في تشجيع محاولات الصاق تهم معاداة السامية والتعاون مع النازيين بيونغ؛ وهي الاتهامات التي ثبت زيفها بعد ذلك.

والامر كذلك بالنسبة الى اريك فروم وفيلهام رايخ. لقد أُلقي بهما خارج أسوار التنظيم الفرويدي؛ وكان السبب المعلن، كالمعتاد، هو خروجهما على الافكار الاساسية للتحليل النفسي. أما السبب الحقيقي، فلا يصعب تبيّنه، اذا ما نظرنا، مرة أخرى، الى الموقف السياسي الصهيوني للتنظيم الفرويدي. ان ما يجمع بين فروم ورايخ هو تأثرهما بالماركسية وسعيهما الى الجمع بين الفكر الماركسي وفكر التحليل النفسي، وممارسة هذا الجمع عملياً. والماركسية كانت تنادي، في ادبياتها المبكرة، بأن حل المشكلة اليهودية لا يتأتى الاّ بقبول اليهود، بداية، على انهم جزء من الاوطان التي يعيشون فيها، ومن ثمّ، فان عليهم الاندماج في شعوب تلك الأوطان. وتتناقض تلك الدعوة الى الاندماجية، تناقضاً تاماً، مع ما تدعو اليه الصهيونية من ان الحل هو تأكيد تمايز اليهود ودعم سعيهم الى خلق وطن يهودي. ولا تتضح طبيعة الموقف الذي يتخذه التحليل النفسي الفرويدي من الفلسفة الماركسية في المؤلفات المعلنة لفرويد وأعوانه، ولكنها تبدو جلية في الخطابات الشخصية التي تبادلها فرويد مع العديد من الشخصيات المعاصرة له. ويكفي ان نشير، في هذا الصدد، على سبيل المثال، الى الموقف الذي اتخذه فرويد حين طلب منه صديقه أرنولد زفايغ ان يوقع على بيان يتضمّن ادانة الاضطراب الاقتصادي الرأسمالي الذي أدى الى الازمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات. لقد أفصح فرويد عن موقفه بوضوح، في خطاب شخصي بعث به الى زفايغ، في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٠، قال فيه: «... لقد كان يسعدني ان أضع توقيعي على البيان، لولم يتضمّن هجوماً على الاضطراب الاقتصادي الرأسمالي. الاّ ان توقيعي سوف يعني، آنذاك، تدعيمي للنموذج الشيوعي؛ وانني لأنأى بنفسي عن ذلك. فعلى الرغم من كل ما احس به من ضيق بالنظم الاقتصادية الراهنة، فانني لا اتصور ان الطريق الذي يتبعه السوفيات سوف يؤدي الى أي تحسّن». وفي خطاب تال بعث به فرويد الى زفايغ، في السابع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٠، جاء عن التجربة السوفياتية: «... لقد حرمتنا من آمالنا... ولم تقدم الينا شيئاً بديلاً...». وكان فرويد صادقاً في ذلك، كل الصدق، كقائد لتنظيم سياسي صهيوني. فلقد تعلقت آمال الصهيونية العالمية، في البداية، بالثورة البلشفية، على رجاء ان تحصل، من خلال هذه الثورة، على دعم لاقامة الدولة اليهودية الموعودة. وبالفعل، فقد ظل حزب احباء صهيون موجوداً قانوناً في روسيا حتى العام ١٩٢٦. ومع مشارف الثلاثينات، منعت كل الاحزاب الصهيونية في روسيا. وفي ذلك الاطار، نستطيع ان ندرك مدى صدق كلمات فرويد، ونستطيع، أيضاً، ان نفهم طرد رايخ من الجمعية الدولية للتحليل النفسي في حزيران (يونيو) ١٩٣٤، بعد ان طلب منه ايتنغتون، في العام السابق، ان يستقيل، فرفض. لقد حاولت قيادة التنظيم الفرويدي الصهيوني ان تصور الأمر كما لو كان خلافاً علمياً بين فرويد ورايخ، يتمثّل، أساساً، في كتاب رايخ المعنون «وظيفة الاورغازم». ولكن الكتاب كان مضى على اصداره، آنذاك، ستة أعوام. فقد أُصدر في ٦/٥/١٩٢٧ احتفاء من رايخ بعيد ميلاد فرويد. بل ان فرويد نفسه قد بعث الى رايخ بخطاب شخصي يمتدح فيه الكتاب، مشيراً الى انه «... هام وغني بملاحظته... وكما تعرف، فليس لدي اعتراض على محاولتك تفسير مشكلة

النوريستانيا بعجز عن تحقيق أولية تناسلية». الأمر ليس بحال امر خلاف علمي اذاً. فأي خلاف علمي ذلك الذي يتطلب الطرد والادانة والتشويه ؟ انه خلاف سياسي مع التوجهات الصهيونية للتنظيم الفرويدي. لقد انضم رايخ الى الحزب الاشتراكي النمساوي، ومنه الى الحزب الشيوعي، ثم ارتكب «خطيئته الكبرى» بزيارته الاولى للاتحاد السوفياتي، في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩، أي بعد ذبول آمال الصهيونيين في اقامة دولتهم القومية هناك، وبعد تحريم قيام الاحزاب الصهيونية. الامر، اذاً، امر صراع سياسي، وما الخلاف العلمي الّا محاولة للاستخفاء.

وفي حقيقة الامر، فان الطابع السياسي المتعصّب للتنظيم الفرويدي الصهيوني السري يفصح عن نفسه، أيضاً، في ذلك الاسلوب الحادّ، والشخصي، الذي ميّز، ويميّز، الفرويديين في ادانة، ومهاجمة، من يخرجون عليهم. ولننظر، مثلاً، الى حوار أُجري مكتوباً، وعلانية، بين فرويد وادلر، ابّان اختلافهما. قال فرويد عن فضله على ادلر: «لقد صنعت من القزم عملاقاً». فردّ ادلر: «... حتى القزم، اذا ما احتل مكانه على كتفي عملاق ضخم، فانه يستطيع ان يرى لأبعد ممّن يحمله». فردّ فرويد، مرة أخرى، قائلاً: «... قد يصدق ذلك على القزم، ولكن لا يصدق، بحال، على قملة في شعر ذلك العملاق». تُرى، هل يمكن لمثل تلك الحدّة ان تكون مجرد استجابة لخلاف علمي ؟ بل ان الامر ليمضي الى ما هو أبعد من ذلك. فبعد وفاة ادلر، في الأول من أيار (مايو) ١٩٣٧، كتب ارنولد زفايغ الى فرويد معبّراً عن تأثره لذلك، اذ ان ادلر قد وافته المنيّة فجأة وهو يسرع الخطى عبر احد شوارع اسكتلندا في طريقه الى القاء احدى محاضراته، فاذا بفرويد يكتب لزفايغ، في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٧، مؤنّباً اياه، لابدائه مثل تلك المشاعر، قائلاً: «... انني لا أفهم تعاطفك من اجل ادلر. ان ملاقاة الموت في احد الشوارع الفاخرة في اسكتلندا ليعد، بالنسبة الى طفل يهودي خرج من ضاحية متواضعة من ضواحي فيينا، حدثاً رائعاً في حد ذاته، ودليلاً على مدى ما بلغه من رفعة. لقد كافأته الدنيا بسخاء نظير ما قدمه من خدمات بمعارضته للتحليل النفسي...». تُرى، هل يمكن تصور ان يتخذ العداء مثل تلك الصورة الحادة المتشنجة، الّا اذا كان صادراً عن قائد سياسي متعصّب ؟ ولم يكن الامر قاصراً على الموقف من ادلر بطبيعة الحال. فقد كتب فرويد الى جونز، في ١٩١٩/٢/١٨، مشجّعاً اياه على طرد انصار يونغ من جمعية لندن، مستخدماً، في خطابه، مصطلحاً لا يستخدم الّا في أوساط سياسية معيّنة، اذ كتب: «... ان عزمك على تطهير جمعية لندن من انصار يونغ لأمر رائع...».

لقد كان فرويد طموحاً الى أقصى الحدود في ما يتعلق بالآفاق التي يرجوها لتنظيمه السياسي الصهيوني. ولم يكن يألو جهداً في مدّ شبكة التنظيم الى كل دولة يستطيع الوصول اليها. «فقد كان للحركة منظمات أو مجموعات دولية؛ لكل دولة مجموعة يقودها مسؤول مرتبط، مركزياً، برابطة التحليل النفسي الدولية، ومركزها زيورخ. وتعمل الحركة على كسب العناصر النشيطة، علمياً واجتماعياً، وتوظيفها لخدمتها...». وقد كان ذلك الطابع الدولي امراً تفرضه الطبيعة الصهيونية للتنظيم الفرويدي. ولكي لا يختلط علينا الامر بالتنظيمات الدولية العلمية الاخرى، والتي لا تأتمر بأمر قيادة سياسية سرّية، يكفي ان ننظر الى رؤية فرويد الى آفاق الطابع الدولي لحركة التحليل النفسي. فهو قرّر في كتابه عن تاريخ حركة التحليل النفسي «... انه لمن الواضح ان القتال من اجل التحليل النفسي ينبغي خوضه حتى نهاية فاصلة، حيث تتعاظم المقاومة التي يواجهها؛ أي، بالتحديد، في البلدان ذات الحضارات القديمة...». ان عبارة فرويد هذه لم تلفت الانتباه آنذاك (في العام ١٩١٥) وانصرفت الاذهان الى انه يعني بها الحضارة الاوروبية في مقابل الحضارة الاميركية الأحدث. ولكن ألا يحق لنا، اليوم، ان نسأل من جديد عمّا كان يعنيه فرويد بعبارته ؟ أليس من المحتمل ـ مجرد

احتمال ـ ان تكون مصر وفلسطين معنيّتين بتلك الاشارة الى بلدان الحضارات القديمة هذه ؟ أليس احتمال ان يكون فرويد قد استشرف، ببصيرته النفاذة، ان المقاومة الاكبر لتنظيمه الصهيوني، وللصهيونية بعامة، ستكون على هذه الارض ؟ وانها سوف تشهد القتال الحاسم من اجل نهاية فاصلة ؟

المراجع

Alexander, F. *et. al* (Eds); *Psychoanalytic Pioneers,* Basic Books, 1966.

Cartenuto, A.; *A Secret Symmetry,* Pantheon, 1982.

Freud, E.L.; *The Letters of Sigmund Freud and Arnold Zweig,* The Harvest Books, 1970.

Freud, S.; *The Basic Writings of Sigmund Freud,* The Modern Library, 1938.

Fromm, E.; *Sigmund Freud's Mission,* Harper & Brothers, 1959.

Jones, E.; *The Life and Work of Sigmund Freud,* 3 Vols, Basic Books, 1953 - 1957.

صبري جرجس، **التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي**، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٠.

قيس خزعل جواد، **رايش والتحليل النفسي**، بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٣.

الذكرى الثالثة عشرة لـ «يوم الارض»

البركان الفلسطيني مهيّأ للانفجار

تميّزت الذكرى الثالثة عشرة لـ «يوم الارض» عمّا سبقها بتواصل أبناء الشعب العربي الفلسطيني في الداخل مع اخوتهم في الخارج، وبوحدة قيادتهم في الداخل ومركزية قيادتهم الشرعية في الخارج، وشمولية الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة، وعمق الوحدة والمشاعر في كامل فلسطين.

أكدت الاحتفالات التي أُجريت جملة حقائق، في مقدمها ان قضية الدفاع عن الارض ـ الوطن، بكل الوسائل المتاحة، تحتل المرتبة الاولى في سلّم العمل الوطني، وتشكل احد الجوامع المشتركة للنضال الفلسطيني في الداخل والخارج. والحقيقة الثانية تأكيد الجماهير الفلسطينية، مجدداً، انها على استعداد مستمر للارتقاء بنضالها وصراعها من اجل الارض، الى حدّ الصدام العنيف، الدامي، مع السلطات الاسرائيلية واجهزتها القمعية. والحقيقة الثالثة كانت ذلك الهلع الذي أصاب السلطات الاسرائيلية، الرسمية والحزبية، وأجهزتها القمعية والاعلامية، جرّاء وحدة الصف التي تجلّت في ذلك اليوم في الاستعدادات التي سبقته، فحاولت تحطيمها وتحطيم معانيها وما قد يترتب عليها من ابعاد، باللجوء الى العنف الدموي، وذلك من خلال ادراكها (أي السلطات) لأهمية الارض كعنصر رئيس في الصراع من اجل الوجود، ولخطورة وحدة الصف حولها، واحتمالاتها كسابقة يحتذى بها في معارك نضالية أخرى تتصل بالمستقبل السياسي للعرب الفلسطينيين داخل الاراضي المحتلة العام ١٩٤٨، وبمصير المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، وبالقضية الفلسطينية، كقضية وطنية لكل الفلسطينيين.

التحضيرات لاحياء الذكرى

في اطار الاستعدادات، اصدرت اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي العربية بياناً خاصاً بالمناسبة دعت فيه الى تكريس كل الجهود لانجاح الاضراب العام في الثلاثين من آذار (مارس). وممّا جاء في البيان: «لقد قررت اللجنة ان تكون القضية المركزية في ذكرى يوم الارض... قضية التضامن مع انتفاضة شعبنا الباسلة ضد الاحتلال، ومن اجل اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، ومن اجل السلام، وذلك باعلان الاضراب الشامل لشعبنا العربي الفلسطيني في اسرائيل، في الثلاثين من آذار (مارس)، والقيام بحملة واسعة لجمع التبرّعات والمواد التموينية والطبية لاغاثة أهلنا في المناطق المحتلة» (**الاتحاد**، حيفا، ٢٣/٣/١٩٨٩). وأكد البيان ان هذه القضية المركزية لا يمكن فصلها عن القضايا والمطالب اليومية للجماهير العربية وابرزها:

- «○ الغاء اوامر سلخ الاراضي التي ضمّت الى مناطق نفوذ المجالس الاقليمية واعادتها الى مناطق نفوذ السلطات المحلية العربية.
- «○ ايقاف عملية هدم البيوت العربية في الجليل والمثلّث والنقب وحل قضايا البناء غير المرخّص بتوسيع مناطق البناء وترخيصه وليس بالهدم وانما باقامة لجان تنظيم محلية في القرى العربية.
- «○ حل قضية القرى والتجمّعات السكانية العربية التي يبلغ عددها أكثر من ستين قرية بالاعتراف بها كقرى، واصدار الخرائط الهيكلية المصدّقة لهذه القرى.
- «○ اعادة أهالي قريتي كفربرعم واقرت وتحرير أراضيهم.
- «○ تحرير الاوقاف الاسلامية في البلاد، ووضعها تحت مسؤولية ادارة منتخبة من المسلمين

أنفسهم، ليصرف ريعها لمصلحة جماهير المسلمين في البلاد.

«○ الغاء ضريبة الاملاك الباهظة التي يعاني منها جميع المواطنين العرب في البلاد» (المصدر نفسه).

وفي السياق ذاته، وافقت لجنة المتابعة لشؤون المواطنين العرب في اجتماعها بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٩، في شفاعمرو، بالاجماع، على توصية لجنة الدفاع عن الاراضي العربية، باعلان الاضراب العام للجماهير العربية في اسرائيل، في ٣٠/٣/١٩٨٩. وأجمع الحاضرون على ما أكدته لجنة الدفاع عن الاراضي بخصوص الدوافع الملحّة للاضراب، وفي مقدمها التضامن مع الانتفاضة ضد جرائم الاحتلال، وفي سبيل السلام الاسرائيلي ـ الفلسطيني العادل، والمطالبة بالمساواة التامّة للجماهير العربية في اسرائيل، واحتجاجاً على هدم البيوت ومصادرة الاراضي، وغيرها. وقرروا مطالبة حكام اسرائيل بايقاف سياستهم العدوانية والعنصرية، وبايقاف مقاومتهم لـ م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني.

وقد افتتح الاجتماع وترأسه رئيس اللجنة ابراهيم نمر حسين، عارضاً اقتراح لجنة الدفاع عن الاراضي، ودعا كلاً من رئيس لجنة الدفاع عن الاراضي، القس شحادة شحادة، وعضو سكرتاريتها، فضل نعامنة، الى الكلام، فقاما بشرح دوافع القرار؛ ثم تحدث اعضاء اللجنة على النحو التالي:

رئيس بلدية الناصرة عضو الكنيست، توفيق زياد، قال: «ان الانشغال في معركتي الانتخابات للكنيست والسلطات المحلية ترك فراغاً معيّناً. فخلال الاشهر الماضية لم يكن هناك عمل تضامني جدّي مع الانتفاضة وضد المجزرة... لذا، فمن الضروري ان يكون يوم الارض، اولاً وقبل كل شيء، مثل قضايانا اليومية، أيضاً، موجهاً ضد المجزرة الاحتلالية» (المصدر نفسه، ١٧/٣/١٩٨٩). ثمّ أعرب عضو الكنيست عبدالوهاب دراوشة عن موافقته على توصية لجنة الدفاع عن الاراضي، داعياً الى توسيع اطار اللجنة التمثيلي، والى تجديد حملة الاغاثة، وذلك بسبب وجود نقص خطير في المواد الغذائية في قلقيلية وغيرها. كذلك فعل رئيس الحركة الاسلامية، الشيخ عبدالله درويش، فدعا الى ان يكون الاضراب سلمياً. ومن ثم تحدث رئيس القائمة التقدمية للسلام، محمد ميعاري، فقال: «هناك قضيتان يجب التركيز عليهما: اولاً، الانتماء الفلسطيني لجماهيرنا العربية... ثانياً، حصل ارتخاء في موقف جماهيرنا من الانتفاضة؛ ويوم الارض يجب ان يكون مشرقاً وفعّالاً» (المصدر نفسه).

وعلى اثر قرار لجنة المتابعة باقامة أربعة مهرجانات في دير حنا وكفركنا، في الجليل، وفي الطيرة، وفي المثلث، وراهط، في النقب، واعلان الاضراب العام، أعلن الوزير الاسرائيلي المكلّف بمعالجة شؤون المواطنين العرب، ايهود اولمرت، ان هذا الاضراب لا حاجة اليه، داعياً الى الغاء القرار، زاعماً ان قرار الاضراب ليس موجهاً ضد سياسة الحكومة بل جاء تعبيراً عن الصراعات الداخلية في الوسط العربي. وقال اولمرت ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي يريد ان يبرهن على انه القوة المهيمنة التي تقود الشارع في الوسط العربي، وان من شأن هذا الاضراب توتير العلاقات اليهودية ـ العربية.

وفي السياق ذاته، دعا الرئيس الاسرائيلي، حاييم هرتسوغ، المواطنين العرب في اسرائيل الى التحلّي بما اسماه «الجرأة الجماهيرية» خلال الاضراب العام والمسيرات الاحتجاجية والانسانية في «يوم الارض». وكعادته منذ سنوات عشية كل اضراب احتجاجي، حذّر الجماهير العربية من الانجرار وراء الاوساط المتطرفة، وطالب المواطنين بالاعتدال في هذا اليوم (المصدر نفسه، ٢٣/٣/١٩٨٩).

وفي اطار الانشطة والاستعدادات للقيام بالمسيرات وعقد الاجتماعات الاحتجاجية، قال رئيس اللجنة القطرية للمجالس المحلية العربية، ابراهيم نمر حسين: «لقد دعونا المواطنين العرب الى المشاركة في الاضراب العام الذي يجرى اليوم، لكن طلبنا منهم المحافظة عى القانون والنظام... وأصدرنا توجيهات الى منظمي المسيرات والاحتفالات تقضي بعدم السماح برفع اعلام م.ت.ف. أو شعارات قومية. كما أقرّت اللجنة الشعارات التي سوف ترفع خلال التظاهرات وهي: تأييد الانتفاضة؛ تأييد مسار السلام عبر عقد مؤتمر دولي؛ اجراء مفاوضات بين اسرائيل وم.ت.ف.؛ ايقاف عمليات هدم البيوت ومصادرة الاراضي؛ الاعتراف بحق الشعب

العربي الفلسطيني باقامة دولته المستقلة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة؛ استنكار اجراءات البطش والقمع الاحتلالي» (**معاريف**، ٣٠/٣/١٩٨٩).

اجراءات اسرائيلية وقائية

استعداداً لمواجهة الاحتفالات وتحسباً لوقوع تظاهرات وصدامات في اثناء الاضراب العام الذي دعا اليه رؤساء المجالس المحلية في الجليل والمثلث والنقب والقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة في ندائها الرقم ٣٧، وضعت القوات الاسرائيلية في حالة تأهب قصوى. وأكد مسؤول عسكري ان السلطات الاسرائيلية اتخذت سلسلة من الاجراءات العسكرية المشددة، وذلك خشية ان تتخذ هذه المناسبة طابعاً أشد عنفاً، بسبب الانتفاضة المستمرة منذ ستة عشرة شهراً في الضفة والقطاع المحتلين، وعلى أرضية التماثل الآخذ بالتصاعد من جانب العرب في اسرائيل مع سكان المناطق المحتلة العام ١٩٦٧. ومن ابرز هذه الاجراءات:

○ ارسال تعزيزات اضافية قدرت بخمسة آلاف شرطي وجندي، تساندهم المروحيات وفرق الخيّالة والتراكتورات والحفّارات والجرّارات والعربات نصف المجنزرة وسيارات رشّ المياه الملونة وسيارات مموّهة. كما أُلغيت الاجازات كافة لافراد الشرطة وحرس الحدود، وزوِّدت هذه القوات بأوامر التدخل السريع، في حالة وقوع أعمال عنف.

○ عزل الضفة الفلسطينية وقطاع غزة عن العالم الخارجي وقطع الاتصالات السلكية واللاسلكية، مع اعلانهما منطقتين عسكريتين مغلقتين، وفرض تعتيم اعلامي، عبر منع الصحافيين من دخولهما، ومصادرة كميّات الصحف الفلسطينية الصادرة في القدس المرسلة الى المدن والقرى والمخيمات.

○ تزويد قوات الاحتلال وعصابات المستوطنين المشاركة في أعمال القمع بأوامر صريحة باطلاق النار على المتظاهرين، وعلى كل من يرفع علم دولة فلسطين (**الاذاعة العبرية**، الساعة ٨,٠٠، ٣٠/٣/١٩٨٩).

وتمشّياً مع هذه الاجراءات، صعّدت السلطات الاسرائيلية، في اليومين الاخيرين، حملة التهديد والوعيد للجماهير الفلسطينية عشية الذكرى؛ وشارك في هذه الحملة مختلف المحافل الرسمية والاعلامية. فقد عقد مفتش عام شرطة اسرائيل، دافيد كراوس، مؤتمراً صحافياً في تل ـ أبيب، خصّصه للتحدث عن استعدادات الشرطة للحؤول دون وقوع أعمال «مخلة بالنظام». وكان حديثه مشبعاً بالتحريض والتحذير من ان الشرطة مستعدة للرد على كل ما من شأنه «الاخلال بالنظام». وقال كراوس ان «الاحداث الأخيرة التي شهدتها القرى العربية في الشمال [رفع علم فلسطين وكتابات الشعارات المنددة بالاحتلال والمؤيدة للانتفاضة] والاضراب يوم الخميس، تدل على امكانية اخلال النظام وتصعيد التوتر...». وأضاف: «منذ أسابيع ونحن نسجل عدداً من الاحداث داخل الخط الاخضر... الشرطة، من جانبها، لن تدخل القرى العربية اذا لم تكن هناك ضرورة... وقد استعدّت بشكل خاص وبارز في كل من دير حنا والطيرة وراهط، حيث ستجرى الاحتفالات الرئيسة... وسوف تتواجد في كل المحاور والمداخل الرئيسة للمدن والقرى كافة» (**الاتحاد**، ٢٨/٣/١٩٨٩).

وساهم في هذه الحملة وزير الشرطة الاسرائيلية، حاييم بار ـ ليف، اذ قال ان «الشرطة مهيأة لاستباق الاحداث في القطاع العربي والحؤول دون الاخلال بالنظام... وقد تلقّت قوات الشرطة تعليمات واضحة بعدم الدخول الى المدن والقرى والتجمّعات السكانية العربية. وبهذا استجبنا لرغبة الشخصيات العربية؛ لكن اذا دعت الضرورة، فسوف ندخل، وبقوة» (**معاريف**، ٣٠/٣/١٩٨٩).

وادلى رئيس الاركان الاسرائيلية، دان شومرون، بدلوه في هذه الحملة، فدعا اهالي المناطق المحتلة الى عدم الانجرار وراء المتطرفين والمحرّضين والمحافظة على الهدوء في «يوم الارض»، نافياً وجود تعزيزات خاصة لقوات الجيش الاسرائيلي، لأن مثل هذه القوات متواجدة اصلاً، وفي حالة تأهب منذ فترة. وأضاف مهدّداً بأن هذه القوات سوف ترد بقوة ضد أي ظاهرة عنف من قبل السكان (**يديعوت احرونوت**، ٣٠/٣/١٩٨٩).

من جهتها، قامت «الادارة المدنية» في الضفة الفلسطينية باستدعاء شخصيات من المناطق كافة

وحذّرتها من مغبّة القيام بأعمال مناهضة للاحتلال خلال «يوم الارض». وقد قيل لهذه الشخصيات المقرّبة من اللجان الشعبية والاوساط الوطنية «ان كل خرق للنظام سوف يقمع بشدة». والجدير بالذكر ان القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة قد دعت الى «اشعال الارض تحت اقدام المحتلين» في هذه الذكرى (**المصدر نفسه**).

كذلك ساهم بعض الصحف الاسرائيلية في حملة السلطات الاسرائيلية الموجهة ضد المواطنين العرب، فأشارت احداها الى صدور تعليمات من قبل م.ت.ف. لسكان المناطق المحتلة بجرّ عرب اسرائيل الى الانتفاضة والى محاولات تجنيد شبان عرب في المنظمات الفدائية للقيام بأعمال مناهضة للاحتلال، والى التنسيق والتعاون بين قيادة الانتفاضة وشخصيات مركزية بين صفوف عرب اسرائيل. واعتبرت الصحيفة ان اللجان الشعبية لاغاثة سكان المناطق المحتلة هي علامة من علامات «التطرف القومي» لدى عرب اسرائيل. وذكرت الصحيفة، استناداً الى مصادر في القدس لم تكشف عن هويتها، ان العام الماضي شهد ارتفاعاً حادّاً في عدد العمليات التي نفّذها عرب اسرائيل. وربطت المصادر بين هذا الارتفاع وبين الانتفاضة وتعاطف أوساط معيّنة بين عرب اسرائيل مع نضال سكان المناطق المحتلة (**المصدر نفسه**، ٢٧/٣/١٩٨٩).

كما أوردت صحيفة ثانية تصريحاً لقائد في الشرطة، لم تفصح عن هويّته، جاء فيه ان «عرب حيفا يشكلون عاملاً يخلق المشاكل؛ لذا، يجب عدم الاستهانة به. كما يتحتّم على الشرطة متابعة ما يحدث في أوساط عرب حيفا، في ظل التطورات الاخيرة. والنتيجة الحتمية هي تسرّب الانتفاضة الى منطقة حيفا... والشرطة تقوم بمراقبة ما يجرى في التجمّعات السكانية العربية عن كثب... وان الشرطة واجهزة الاستخبارات تولي اهتماماً خاصاً بـ ١٢٠٠ طالب عربي يدرسون في حيفا» (**معاريف**، ٢٧/٣/١٩٨٩).

مهرجانات ومسيرات

أحيت الجماهير العربية الفلسطينية الذكرى بالاستجابة لنداء لجنة الدفاع عن الاراضي العربية في الثلاثين من آذار (مارس) الماضي، تخليداً لذكرى شهداء «يوم الارض» في العام ١٩٧٦، الذين رووا بدمائهم الزكية الارض الفلسطينية دفاعاً عنها، وتأييداً لانتفاضة اخوتهم الباسلة في المناطق المحتلة العام ١٩٦٧. وقد أُجريت هذه الاحتفالات بأساليب مختلفة.

مهرجان الجليل ـ دير حنا

عقد المهرجان الرئيس في دير حنا الجليلية، عبر بدء الانطلاقة من سخنين، مروراً بعرّابة البطوف، وصولاً الى ساحة دير حنا. وقد شارك الآلاف في المهرجان الاحتجاجي، الذي اختتمت فيه احداث «يوم الارض» في الجليل. وكانت الجموع المنطلقة من سخنين تحمل اليافطات المؤيدة للانتفاضة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وهي تنشد الاناشيد الوطنية. وكان يتقدم المسيرة فتى يحمل علم فلسطين محمولاً على الاكتاف، وشاب آخر في مقدم مسيرة الحركة الاسلامية يحمل علماً أخضر وغصن زيتون (**عل همشمار**، ٣١/٣/١٩٨٩).

افتتح المهرجان رئيس المجلس المحلي سكرتير لجنة الدفاع عن الاراضي، رجا الخطيب، وسط غابة من الشعارات الكفاحية، منها: «كل التضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطيني»، و«نعم لاقامة الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع»، و«عاشت الذكرى المجيدة ليوم الارض الخالد»، و«المجد والخلود لشهداء شعبنا الابرار». وأعلن ان دير حنا باقية على العهد. ورد على تهديدات السلطة بقوله: «هذا الحشد هو أقوى رد». ومن ثم تحدث رئيس لجنة الدفاع عن الاراضي، القس شحادة شحادة، معلناً عن مبادرة اللجنة لتوسيع صفوفها لكل من هو مستعد للانخراط في معاركها. ووجّه كلمة الى مروحية الشرطة التي كانت تحلّق فوق المكان، قائلاً: «لن ترهبنا طائراتكم ولا شرطتكم. نحن شعب قرر الحياة والنضال والتصدي» (**الاتحاد**، ٣١/٣/١٩٨٩).

تلاه السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي عضو الكنيست مائير فلنر، فركّز كلمته على الوحدة واهميتها في معركة الجماهير العربية، وقال: «لا يمكن لأية قوة ان تقهر شعباً موحّد الصف». وعبّر عن تضامنه مع

الشعب العربي الفلسطيني الذي يناضل من اجل اقامة دولته المستقلة. ووصف رابين وشامير بالارهابيين اللذين يقتلان، يومياً، الاطفال في الضفة والقطاع والقدس الشرقية (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٣١).

ثمّ تحدث عضو الكنيست، عبدالوهاب دراوشة، وقال: «اننا نقول للذين ارادوا تحدي قوتنا، ان وحدتنا أقوى من خمسة آلاف شرطي». ثمّ حيّا شعب الانتفاضة، واللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. على انتخاب ياسر عرفات رئيساً لدولة فلسطين. وعبّر عن تأييده لاقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية (**الاتحاد و عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٣١).

وتحدث في المهرجان عضو الكنيست، حسين فارس (مبام)، فندّد بسياسة التمييز تجاه القطاع العربي، وبالاحتلال؛ ودعا الى عقد مؤتمر دولي للسلام بمشاركة م.ت.ف. وباقامة دولة فلسطينية (**المصدر نفسه**).

كذلك ألقى كلمة كل من القس شحادة ودوف يرميهو من حركة «الخط الاحمر». تبعهما رئيس بلدية الناصرة، توفيق زياد، حيث قال: «لقد جعلت هيئات شعبنا، على الرغم من اختلاف الالوان التي تتدثر بها، من يوم الارض ١٩٨٩ يوم اجماع وطني. ونريد ان تبقى وحدة العمل اساساً للعلاقات فيما بيننا، نحن أبناء الشعب الواحد والقضية الواحدة، ليس يوماً واحداً، بل ٣٦٦ يوماً في السنة». وأضاف: «كلنا ممثلون لهيئات وحركات سياسية مهما اختلفت الوان العلم. وفي الوقت ذاته ننتمي الى طوائف مختلفة... الدين لله والوطن للجميع. ووفقاً لهذا المبدأ، امكن اقامة العلاقات في دولة فلسطين المحتلة وشعبها، شعب الانتفاضة الباسل. فاذا صحّ هذا الامر عندهم، فانه يصح ألف مرة عندنا... جميعاً ندرك اننا نعيش مرحلة مصيرية. وعلى أساس هذا الايمان الراسخ نتصرف... اننا نعيش مرحلة قرب طلوع الفجر وفجر الدولة الفلسطينية المستقلة. لقد استمر الاحتلال ٢٢ سنة، كان شعبنا، خلالها، صامداً ومكافحاً حتى وصلنا الى عصر الانتفاضة، فكانت هزّة أرضية... بكل العشق والمحبة لشعبنا الذي يدفن شهداءه وينهض من جديد، يوماً بعد يوم، ليثبت ان لا حل سوى التفاوض مع م.ت.ف. على اقامة دولة فلسطينية مستقلة والتفاوض في مؤتمر دولي» (**الاتحاد**، ١٩٨٩/٣/٣١).

وكانت الكلمة بعد ذلك لرئيس القائمة التقديمة للسلام عضو الكنيست محمد ميعاري، فقال: «نتجنّد، نساء ورجالاً وشيباً وشباناً، لكي نؤدي الامانة؛ لكي نبادل هذه الارض المعطاء حباً بحب، عطاء بعطاء، مستلهمين مسيرة الشهداء، عطاء الشهداء على مر تاريخ شعبنا منذ ثورة ١٩٣٦، أول ثورة تحررية في العالم!». ومن ثم «حيّا الانتفاضة والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات» (**المصدر نفسه**).

وألقى المحامي واكيم واكيم كلمة «ابناء البلد»، فوجه التحيات الثورية الى الانتفاضة والقيادة الموحدة والمعتقلين، ودعا الى اقرار برنامج نضالي زمني للجماهير يحدّد التظاهرات والاضرابات لفترة زمنية محدّدة. ودعا الى توجيه وتوحيد كل القوى الوطنية والتقدمية نحو النضال من اجل برنامج مرحلي لاقامة الدولة الفلسطينية (**المصدر نفسه**).

وكانت الكلمة الاخيرة لرئيس لجنة المبادرة الدرزية، الشيخ جمال معدي، فاستهلها هاتفاً: «الدين لله والوطن للجميع». وأعلن ان حاجز الشرطة عند مدخل البطوف اوقف لجنة المبادرة الدرزية وصادر منشورها حول «يوم الارض». وقد قال ضابط الحاجز: «ما لكم انتم الدروز ويوم الارض». فرد عليه الشيخ معدي قائلاً: «اننا جزء لا يتجزأ من هذا الشعب الفلسطيني». واستنكر، بشدة، جرائم الاحتلال الوحشية، وقال: «اننا نؤكد ان جيش الاحتلال وحرس الحدود يمثلان حكومة اسرائيل في هذه الجرائم. وطائفتنا العربية الدرزية بريئة من الاحتلال وزعرانه وجرائمه، حتى ولو شارك فيها بعض الدروز». هذا واستقبلت الجماهير الغفيرة بالترحاب الحارّ تحية احرار الجولان الى المهرجان و«يوم الارض» والانتفاضة (**المصدر نفسه**).

مهرجان كفركنا

كما في كل سنة، نصب المتظاهرون اكليلاً من الزهور في الساحة التي سقط فيها شهيد «يوم الارض» ابن كفركنا محسن طه. ثمّ واصلت المسيرات توجّهها الى ضريح الشهيد، حيث تجمّعت جماهير المتظاهرين،

وخـطب فيها رئيس المجلس المحلي فرحان الخطيب، فتحدث عن تاريخ نهب الاراضي العربية في ظل اسرائيل وقوانينها وهجماتها. وقال مهاتفاً الشهيد: «ايها الشهيد محسن طه، انك لست الوحيد الذي دفع دمه دفاعاً عن الارض والوطن، فها هم الشهداء يتساقطون في كل ارجاء الوطن الفلسطيني». ودعا حكام اسرائيل الى ان يعتبروا من التاريخ القديم، ودعاهم الى الجنوح الى السلام (**عل همشمار والاتحاد**، ١٩٨٩/٣/٣١).

مهرجان المثلّث

افتتح مهرجان المثلث في قرية الطيرة، في ساحة الشهداء التي احتضنت الآلاف من أبناء البلدة والمئات من وفود قرى المثلث من ام الفحم وقراها في الشمال، الى كفرقاسم في الجنوب، ووفود القوى الديمقراطية اليهودية التي جاءت من جميـع الانحـاء للتضامن مع المواطنين العرب، وتعبيراً عن توقهم الى السلام. وقد استقبلت الجماهير المحتشدة بالتصفيق الحارّ الاعلان عن وصول وفود من فلسطين المحتلة: من طولكرم وقلقيلية وجنين.

افتتح المهرجان عريف الحفل، محمد منصور، بكلمة حيّا فيها أهالي الطيرة والوفود المشاركة. وخاطب الشعب الفلسطيني قائلاً: «من هذا المهرجان نعلنها بأنك يا شعبنا في الدولة الفلسطينية المحتلة لست وحدك في المعركة؛ نعلنها بأننا مع شعبنا ومع أنفسنا هنا داخل اسرائيل» (**الاتحاد**، ١٩٨٩/٣/٣١).

وكـان أول المتحدثين رئيس البلدة المضيفة، طارق عبدالحي، حيث قال: «اننا نتضامن مع أبناء شعبنا الفلسطيني، مادياً ومعنوياً، ونعمل بكل طاقاتنا مع سائر قوى السلام والديمقراطية لاجبار حكام اسرائيل على الاستجابة لليد الفلسطينية الممدودة للسلام». وندّد بحكومة الرأسين الرافضة نداء السلام ومصافحة يد ياسر عرفات الممدودة للسلام، ضاربة بعرض الحائط بارادة شعوب المنطقة والمجتمع الدولي (**المصدر نفسه**).

وعن القـوى الديمقـراطيـة اليهودية، اشاد رئيس لجنة الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني، لطيف دوري، بانتفاضة الشعب الفلسطيني، التي كانت بمثابة «المجرى الذي حوّل التاريخ». وقال ان الاحتلال سينكسر، «ونحن انصار السلام في اسرائيل نقول: الانتفاضة ليست للشعب الفلسطيني فقط، بل هي انتفاضة للقوى الديمقراطية اليهودية أيضاً؛ فالهدف واحد، وهو السلام العادل بين الشعبين» (**المصدر نفسه**).

ثم جاءت كلمة لعضو الكنيست، توفيق طوبي (راكح)، الذي قال: «تلتحم معركتنا المقدسة من أجل حياة المساواة والكرامة في وطننا مع تضامننا العادل والطبيعي مع انتفاضة شعبنا الفلسطيني التي تدخل شهرها السادس عشر، مؤكدة انه بدون الحل العادل للقضية الفلسطينية والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره واقامة دولته المستقلة بجانب اسرائيل، لن يحظى شعبا هذه البلاد بالسلام والامن والاستقرار» (**المصدر نفسه**).

ثمّ تكلم رئيس الحركة الاسلامية، الشيخ عبدالله درويش، فأكد ما قاله توفيق طوبي من ان «يوم الارض» هو اليـوم الذي يجسّد وحدة الجماهير العربية في البلاد. وأضاف: «وهنا نحن نراها بين أيدينا». وقال: «ان اسرائيل ابتليت بقيادة لا تفهم لغة الحوار الحضاري». وتابع: «ان الارض بالنسبة الينا هي الكيان والوجود. ولن نقف مكتوفي الايدي حيال من يعتدي على وجودنا». ثمّ توجّه الى الاخوة الفلسطينيين في الدولة الفلسطينية المحتلة قائلاً: «بشّرونا بالوحدة التي تجمع بين القوى الفاعلة في الساحة الفلسطينية» (**المصدر نفسه**).

مهرجان النقب ـ راهط

شارك المئـات من بلدة راهط والجنوب في المهرجان الشعبي الذي اقيم في البلدة. وقد رفعت على المنصّة شعارات مثل: «تعيش الانتفاضة»، و«ليسقط الاحتلال»، و«يعيش السلام». وقد افتتح المهرجان سكرتير اتحاد الكتـاب العـرب، محمد علي طه، فأكد ان تهديدات الوزير اولمرت وكل الابواق الحكومية والرسمية لن تخيف الجماهير العربية في اسرائيل. وأكد ان المواطنين العرب سيواصلون كفاحهم حتى نيل حقوقهم كاملة.

وتحـدث رئيس مجلس محـلي راهط، جمعة القصاصي، فدعا العرب الى الوحدة «تحت لواء الايديولوجية

الاسـلامية»، التي تؤدي، في رأيه، الى «نهضة الامة العربية والجمهورية الاسلامية، التي بواسطتها يصبح بالامكان تحرير الارض الفلسطينية» (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٣١).

وتحدث عضو الكنيست، شارلي بيطون (راكح)، فطالب سلطات الاحتلال بأن تكفّ عن ارتكاب الجرائم اليومية ضد شعب الانتفاضة. وهاجم بعض الاوساط الحكومية التي لم تتورع عن توزيع الاتهامات والتهديدات ضد الجماهير العربية، على خلفية «يوم الارض»، مؤكداً أن المتطرف الحقيقي هو حكومة اسرائيل التي تواصل تنفيذ سياسة التمييز ومصادرة الاراضي وتصعّد جرائمها في المناطق المحتلة.

ثمّ تلاه عضو الكنيست نوّاف مصالحة (شينوي). وبعده حسين العبرة، الذي دعا حكام اسرائيل الى اجراء الحـوار مع م.ت.ف. من اجل ايجاد تسوية سلمية عادلة وشاملة في المنطقة. وأعلن عن تجديد حملة اللجنة الشعبيـة لاغاثة الاهل في المناطق المحتلة، داعياً الى تقديم التبرّعات المادية والغذائية لنصرة أبناء شعبنا في انتفاضتهم الباسلة.

وأكد اوري سنكرفيلد (مبام)، الذي تحدث باسم القوى الديمقراطية اليهودية، انه يعتزّ بالمشاركة في هذا المهـرجان. وأعلن تضامنه والقوى الديمقراطية والتقدمية اليهودية مع الجماهير العربية في نضالها من اجل المساواة وضد سياسة التمييز. ودعا حكام اسرائيل الى الانسحاب من المناطق المحتلة (**المصدر نفسه و الاتحاد**، ١٩٨٩/٣/٣١).

اتجاهات الرأي العام

حدّد معظم المعلّقين السياسيين في اسرائيل ثلاث علامات بارزة تجلّت في احتفالات «يوم الارض»: التأكيد الصريح والعلني لدعم الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة العام ١٩٦٧؛ وخطر تسرب هذه الانتفاضة الى داخل ما يسمى بـ «الخط الاخضر»؛ والاصرار على المطالبة بالمساواة التامّة لعرب اسرائيل.

كتب احد المعلّقين عن الدلالة السياسية للمناسبة: «يجب القول، بصراحة، لا بالهمس، ان عرب اسرائيل باتوا حمماً تغلي، وأي خطأ من جانب مسؤول وزاري لن يحول دون تدفقها، في حال استمرار سياسة التمييز ضد السكان العرب». فالتوتر كان محسوساً، «وكان من المحتمل، هذه المرة، ان يكون رجال الشرطة هم ضحايا التوتر الاجتماعي الفظيع» (عوزي محنايمي، **يديعوت احرونوت**، ١٩٨٩/٣/٣١).

وربـط معلّق آخـر بين الاجـواء السياسية المتأزمة التي تعيشها الحكومة الاسرائيلية وبين ذكرى «يوم الارض»، فكتب ان البركان العربي ما زال «غير محسوس في المدى المنظور، لكن هياجه اصبح امراً حتمياً... لقد عبّر يوم الارض عن الوضع القابل للانفجار الذي تمرّ به علاقات الأغلبية بالأقلية في اسرائيل» (عوزي بنجيمان، **هآرتس**، ١٩٨٩/٤/٣).

صلاح عبدالله

«مؤتمر التضامن اليهودي»:
أزمــة اسرائيل اليهودية

على مدار ثلاثـة أيام، عقد في «مباني الأمة»، في القدس، بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢٠ «مؤتمر رئيس الحكومة للتضامن اليهودي مع اسرائيل». وقد تمّ الاعداد للمؤتمر بالتنسيق بين الكتلتين الكبيرتين في اسرائيل، الليكود والمعراخ، والحركة الصهيونية وفروعها في مختلف أنحاء العالم. وقد حرص منظّمو المؤتمر على أن يحضر أكبر عدد من زعمـاء الطوائف اليهودية في العالم، وخاصة اولئك المشاهير من الكتاب والفلاسفة والفنانيين، أمثال دانيال بيرنبيوم وكيرك دوغلاس وبرباره سترايسند التي حرصوا على ظهورها في الاحتفال النهائي للمؤتمر الذي أجري في جوار حائط المبكى، وقرىء خلاله «بيان القدس» الذي أعلن عن تضامن يهود العالم مع اسرائيل.

المؤتمر ليس الأول من نوعه في اسرائيل. فمنذ اقامتها نُظّمت أربعة مؤتمرات تشابه، إلى حدّ ما، المؤتمر هذا، وإن اختلفت في بعض أهدافها وطرق تنظيمها. فقد نظّم المؤتمر الأول في السنوات الأولى بعد قيام اسرائيل؛ وأهتم الثاني في توفير أسباب الدعم الاقتصادي إلى إسرائيل بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بمبادرة من رئيس الحكومة الأسبق ليفي أشكول؛ وفي العام ١٩٧٥، عقد المؤتمر الثالث كرد صهيوني ـ اسرائيلي على قرار الأمم المتحدة الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية.

ويدلّ الاسم الذي يحمله المؤتمر الجديد على الهدف السياسي الذي يريد منظّموه الوصول اليه؛ فرئيس الوزراء الاسرائيلي هو الذي قال ان هذا المؤتمر «يثبت ان يهود العالم يؤيدون قرارات حكومة إسرائيل، على الرغم من ان الجميع لا يوافقون عليها دائماً» (فولص، هآرتس، ١٩٨٩/٣/٢٤). وما ميّز المؤتمر الجديد أن أحداً من رؤساء حكومات إسرائيل السابقين لم يقدم، حتى الآن، على محاولة الزام يهود «الشتات» بالحصول على مثل هذا التأييد. فقد حرص دافيد بن ـ غوريون، منذ الأيام الأولى لقيام اسرائيل، على التفريق بين «مواطني إسرائيل» وبين يهود «المهجر». وهو كان كثير الحذر ازاء التحدث عن إسرائيل على إعتبار انها «مركز سياسي» لكل اليهود، أينما كانوا. أمّا اسحق شامير، فقد تصرّف بشكل مغاير. فهو طلب من يهود العالم التضامن كواجب مفروض عليهم. وبالطبع، فإن يهود العالم، ويهود الولايات المتحدة بشكل خاص، ليسوا هم الهدف الوحيد للمؤتمر، بل انه أراد توجيه رسالة إلى الجمهور الأميركي والكونغرس والى الادارة الأميركية، عبر المؤتمر، مفادها ان شامير ذهب بعيداً، «فيهود المهجر لم يدعوا الى اظهار التضامن مع إسرائيل لكونهم يهوداً فقط... لقد طلب منهم تأييد حكومة الوحدة الوطنية التي يرأسها؛ وهي الحكومة التي تقود سياسة هي محل خلاف في اسرائيل ذاتها، وهي موضع جدل حول النهج الذي تتّبعه مع الادارة الأميركية بالذات» (المصدر نفسه).

ومنذ بداية التحضير للمؤتمر، لم يخف المسؤولون الاسرائيليون الأهداف الحقيقية من عقده، التي كانت بارزة على أكثر من صعيد. فقد أوجدت الانتفاضة الباسلة أوضاعاً جديدة على مستوى الرأي العام العالمي وضعت حكومة إسرائيل تجاه تحدّيات قاسية لا يمكن تجاوزها والقفز عنها عبر مناورات من أي نوع. وأصبحت حكومة إسرائيل مطالبة، أكثر من أي وقت مضى، ومن أقرب حلفائها إخلاصاً، باثبات حسن نواياها ازاء أزمة الصراع العـربي ـ الاسرائيـلي ومشكلة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني. وقد أنعكست احداث الانتفاضة على يهود العالم، الذين بدأوا يتلمّسون تآكل مكانة إسرائيل لدى مجتمعاتهم الأم، وهم الذين كانوا، قبل وقت قصير، يتباهون بـ «ديمقراطية» إسرائيل و «فرادتها» في منطقة الشرق الأوسط. في هذا الاطار، قال

أحد منظمي المؤتمر الوزير المعراخي موطي غور، ان التغيّر الذي طرأ على م.ت.ف. يحتمل أن يدفع دولاً عديدة في أوروبا، وربما أيضاً الولايات المتحدة، الى التفكير بأن الضغط على اسرائيل يمكن ان يكون مفيداً، وان الرسالة التي سوف تصدر عن مؤتمر رئيس الحكومة للتضامن اليهودي مع إسرائيل «سوف تكون واضحة: ان إسرائيل [مدعومة] بالتضامن اليهودي، ولن تخضع للضغوط التي يمكن أن تشكل خطراً عليها» (**معاريف**، ١٩/٣/١٩٨٩). وأوضح مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية لشؤون «الشتات»، هاري هوروفيتس، حقيقة دور الانتفاضة وتأثيرها في إحداث التغييرات التي نتجت، وهو الأمر الذي دفع شامير الى التفكير بعقد مؤتمر التضامن: «فأمامنا يقف العرب، وكل من يقفون إلى جانبهم، موحّدين حول فكرة إقامة دولة فلسطينية والاعتراف بـ م.ت.ف. وعرفات... ان هذا المؤتمر هو تأكيد على الأشياء التي توحّدنا، وتقليل الأشياء التي تفرّقنا» (ياكير تسور، **دافار**، ١٧/٣/١٩٨٩).

بدون شك، ان الهدف الحقيقي والأساس للمؤتمر كان رغبة شامير في الامساك بورقة التضامن اليهودي العالمي عشية زيارته الولايات المتحدة. ولم يخف الوزير الليكودي ايهود اولمرت هذه الحقيقة، حينما قال بوضوح، ان فكرة المؤتمر ترتبط بزيارة رئيس الحكومة لواشنطن في نيسان (ابريل)؛ وعندما يسافر شامير الى الولايات المتحدة «سوف يشعر بقوة أكبر، عندما يعلم أن الشعب اليهودي يدعمه» (**معاريف**، ١٦/٣/١٩٨٩).

أوساط إسرائيلية نقلت معلومات جاء فيها انه عشيّة مؤتمر التضامن، طلبت القنصلية الاسرائيلية في نيويورك تنظيم تظاهرة ضخمة تأييداً لشامير، قبل أيام من زيارته لواشنطن. وكشفت الأوساط تلك، ان طلب تنظيم التظاهرة وصل من مكتب رئيس الحكومة، وهو يعكس ـ حسب مصدر دبلوماسي إسرائيلي ـ رغبة شامير في أن يظهر للادارة الاميركية تأييد يهود العالم لسياسته، قبل أن يلتقي مع الرئيس الأميركي، في واشنطن (**يديعوت أحرونوت**، ١٩/٣/١٩٨٩).

وهكذا بدا شامير، قبيل زيارته الولايات المتحدة، في أحسن احواله. فهو حقق نصراً لليكود في الانتخابات المحلية، وجمع يهود العالم في القدس تأييداً له، اعتقاداً منه بأنه بذلك استطاع فك العزلة عن إسرائيل التي بدأت تطوّقها من كل جانب، حتى من الطوائف اليهودية في العالم. وقد عبّر عن ارتياحه بعد انفضاض أعمال المؤتمر، حين قال ان المؤتمر اثبت «ان الشعب اليهودي، بغالبيته الحاسمة، يقف الى جانب إسرائيل. ودولتنا ليست معزولة» (**معاريف**، ٢٤/٣/١٩٨٩).

وإذا كانت اهداف شامير والليكود يمكن فهمها في غير إطار ايديولوجي، أو سياسي ـ تكتيكي، فإن الأمر الذي لا يمكن الاجابة عنه بسهولة هو موقف حزب العمل وبعض زعمائه الذين شاركوا في المؤتمر، وبحماس معيّن في بعض الأحيان. فزعيم الحزب، شمعون بيرس، لقي، خلال جلسات المؤتمر، انتقادات لاذعة بسبب سياسة الحكومة الاسرائيلية في الأراضي المحتلة، وعجزها، حتى الآن، عن المبادرة الى طرح مشروع إيجابي للسلام. أمّا الوزير المعراخي موطي غور، فقد بذل جهداً استثنائياً في التحضير للمؤتمر، والتجوّل في انحاء العالم لاقناع الزعماء اليهود بضرورة الحضور. فالمؤتمر، على الرغم من كل شيء، هو، أولاً وأخيراً، مؤتمر الليكود وشامير، على الرغم من ان الحكومة حكومة «وحدة وطنية». فالرابح من المؤتمر ـ حسب قول عضو الكنيست عوزي برعام (معراخ) ـ هو «حكومة إسرائيل ورئيسها شامير. وان من بادر الى المؤتمر وقدّم اليه المساعدة (يقصد اعضاء المعراخ) كان عليه أن يدرك أن هذا مؤتمر تضامن مع شامير وسياسته» (**المصدر نفسه**).

وقد شارك في نقد مشاركة المعراخ في تنظيم المؤتمر رئيس حركة العمل الصهيونية العالمية يغئال لاكت، حين سأل عمّا اذا أجريت «مشاورات في مؤسسات حزب العمل لتوضيح الانعكاسات المتوقعة عن هذا الاجتماع ؟» (**دافار**، ١٧/٣/١٩٨٩). وأكد لاكت أن الدعوة الى المؤتمر أثارت شكوكاً كثيرة في أوساط زعماء يهود كثيرين. وقد قرر جزء منهم عدم الحضور، على الرغم من الالحاح والضمانات، لأن جدول أعمال المؤتمر لا يعطي الفرصة للحوار المفتوح، والحقيقي.

بعضهم رأى أن مشاركة كل من بيرس وغور لم تكن خالية من الاغراض، اذ لكلّ منهما أهدافه

وغاياته. فبيرس ينتظر الوقت، وهو أيّد شامير في عقد المؤتمر، حتى لا يتّهم بإفشال حكومة «الوحدة الوطنية»، ويمكن تشبيهه بالممثل الذي يؤدي دوراً غير محبب الى نفسه، لكنه، على الرغم من ذلك، مضطر الى لعب الدور بحماس كبير. أمّا غور، فله أهداف مختلفة أيضاً؛ فقد قدّم الى شامير خدمات كبيرة في إنجاح المؤتمر؛ والغريب في الأمر انه كانت لدى غور اعتراضات عديدة على شامير؛ وقد عمل، من خلال المؤتمر، على اطالة أجل حكومة شامير، على الرغم من أن هذا الأخير لم يصبح عضواً في حركة «السلام الآن»؛ كما أن غور لم ينضمّ إلى معسكر أرنس ـ شامير. ويبدو أن غور طامح في التنافس على زعامة حزب العمل؛ وهو، لذلك الهدف، «بحاجة إلى [بعض] الوقت. فاستمرار وجود حكومة الوحدة الوطنية يلائم جدول أعماله. وقد حصل على نقاط لصالحه في اوساط الليكود، نظراً الى نجاحه في تنظيم المؤتمر؛ وبقي عليه، الآن، الهجوم على أعضاء حزبه. وقد منحه مؤتمر التضامن الفرصة الذهبية للعودة الى المواجهة» (ياكير تسور، **دافار**، ٢٤/٣/١٩٨٩).

أزمة اسرائيلية ـ يهودية

ومهما كان أمر الأجواء الاحتفالية التي حاولت حكومة شامير تمييز المؤتمر بها، والعدد الكبير من المشاركين (نحو ١٧٠٠ مشارك)، ومظاهر التأييد التي عبّر بعضهم عنها لاسرائيل وامنها؛ فإن «مؤتمر رئيس الحكومة للتضامن اليهودي» أبرز الحقائق التالية:

○ الأزمة الكبيرة والهوة الواسعة القائمة بين سياسة الحكومة الاسرائيلية، من جهة، ويهود العالم، من الجهة الآخرى، ازاء سياسة القمع التي تتبعها السلطات الاسرائيلية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، والتعنّت الاسرائيلي في رفض دعوات السلام التي يطلقها غير طرف إقليمي ودولي لاحلال السلام العادل في الشرق الأوسط. وقد عمّقت أحداث الانتفاضة الفجوة بين الطوائف اليهودية وبين حكومة إسرائيل. ففي استقصاء جديد اجراه الباحث الاجتماعي اليهودي ستيف كوهين بين يهود الولايات المتحدة تبيّن ان نسبة ٧٤ بالمئة من اليهود الأميركيين يؤيدون إقامة وطن قومي للفلسطينيين، ويؤيد ٥٨ بالمئة المفاوضات بين إسرائيل و م.ت.ف. وأظهر الاستقصاء ان الطوائف اليهودية غير قابلة بالسياسة الحالية لاسرائيل؛ فقد أعرب ٤٥ بالمئة عن قلقهم من السياسة الحالية للحكومة الاسرائيلية؛ و٣٠ بالمئة غير واثقين من هذه السياسة؛ وأعرب ٢٥ بالمئة فقط عن دعمهم غير المتحفظ لسياسة حكومة إسرائيل (**يديعوت احرونوت**، ١٩/٣/١٩٨٩). وأثبت الاستقصاء هبوطاً بين صفوف الشباب اليهودي في مستوى تأييد السياسة التي تنتهجها الحكومة الاسرائيلية (**المصدر نفسه**).

وحقيقة الأمر، ان هدف ردم الهوّة بين حكومة إسرائيل ويهود العالم هو الهدف الأساس لمؤتمر التضامن مع إسرائيل. «فبعد عام ونصف العام من الانتفاضة، يحاول يهود العالم الواقعون تحت ضغط بيئتهم الاجتماعية والاعلامية والمهنية احداث توازن في مواقفهم عبر مسايرة الآراء السائدة في البيئة المباشرة غير اليهودية. وان يهود العالم، وفي مقدمهم يهود الولايات المتحدة، يخشون على مكانتهم وصورتهم بين الشعوب القاطنين بين ظهرانيها، وهم يدعون حكومة إسرائيل الى السير بإتجاه الحل السياسي» (**هآرتس**، ٢٤/٣/١٩٨٩).

رئيسة جامعة براندايس، اولين هندلر، عبّرت عن القلق الذي ينتاب اليهود جرّاء ذلك. قالت انه اذا لم تقرّر إسرائيل، خلال وقت قصير، «القيام بمبادرة سياسية واضحة يكون من السهل تفسيرها، فهناك خطر على أن تفقد اخلاص شبابنا لاسرائيل» (**معاريف**، ٢٤/٣/١٩٨٩).

وكان زعيم الطوائف اليهودية في اسبانيا، ماكس مازين، أكثر وضوحاً، عندما تحدّث، في المؤتمر، عن الخشية من تزايد «معاداة السامية»، بسبب التقارير عن أعمال اسرائيل في المناطق المحتلة. واضاف: «ما حدث في اسرائيل يثير قلقاً في أوساط كثير من اليهود في العالم، نظراً الى انهم يخافون ممّا سوف يحصل لهم في أماكن إقامتهم» (**المصدر نفسه**).

ولاسباب من هذا القبيل، فإن كثيراً من الشخصيات اليهودية في العالم رفضت الدعوات التي وجّهت اليها لحضور المؤتمر. ومن بين الذين رفضوا الفيلسوف اليهودي الفرنسي بيرنارد ليفي، الذي اوضح انه بعد أن

كشفت أهداف المؤتمر المتعلقة بزيارة شامير للولايات المتحدة، وان المؤتمر لن يشكل اطاراً لتبادل الآراء المختلفة لممثلي يهود «الشتات»، بما في ذلك الآراء المعارضة لسياسة الحكومة، فإنه قرّر عدم المشاركة؛ وأضاف: «أنا أؤيد، بلا تحفظ، إسرائيل. لكن يبدو لي، الآن، ان السياسة الحالية لاسرائيل دخلت طريقاً مسدوداً وتراجيدياً. لذلك، لا أستطيع أن أدخل في هذه السياسة» (**معاريف**، ٢١/٣/١٩٨٩).

كذلك لم يحضر المؤتمر نصف عدد المدعوين من بريطانيا. ومن بين الذين رفضوا الحضور عضوان في البرلمان معروفان بانحيازهما الشديد الى اسرائيل، هما غبرييل جانر وايبور لورنس، اضافة الى بعض رجال الفكر والعلم، امثال السير ايزيا باردلين، ورئيس نقابة الاطباء د. غوهان ماركس، ورئيس الاتحاد الصهيوني د. ستيفن روت، الذي قال، في مقابلة مع صحيفة «جويش كرونيكل»، ان لا معنى للمشاركة في هذا المؤتمر، لأنه «لن يؤدي إلى نتائج هامّة» (**عل همشمار**، ٢١/٣/١٩٨٩). وقد أرسلت مجموعة من الكتاب البريطانيين رسالة إلى «جويش كرونيكل»، أعربوا فيها عن الشكوك إزاء الاهداف من عقد مؤتمر التضامن اليهودي، ووصفوا المؤتمر بأنه مناورة في العلاقات العامة، هدفها «تجنيد الدعم لمشروع الحكم الذاتي الذي [يطرحه] شامير». وحسب قولهم، ان هذا ليس الاّ تهرّباً من المفاوضات المباشرة مع الفلسطينيين: «اننا نعتقد بأنه يجب اختبار إعلان عرفات في المفاوضات المباشرة. وبذلك، فقط، يصبح في الامكان اثبات [صحة اقواله]» (**معاريف**، ١٩/٣/١٩٨٩). واعتبر الرئيس الأسبق لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة، آرثر هرتسبورغ، «ان البحث في مسألة التضامن اليهودي، بدون البحث في المشاكل المثارة (المشكلة الفلسطينية والسلام)، هو بحث عقيم». وأضاف، انه لا توجد في جدول أعمال المؤتمر مجموعات عمل للبحث في علاقات إسرائيل مع العرب، أو للبحث في المشكلة الفلسطينية (**يديعوت احرونوت**، ١٩/٣/١٩٨٩).

○ أن أكثرية الزعماء اليهود الذين حضروا المؤتمر فعلت ذلك من اجل إيصال رسالة إلى حكومة شامير، مفادها ان على إسرائيل أن تبادر إلى طرح مسار سياسي يساهم في التقدم بعملية السلام في الشرق الأوسط. وقد حضر هؤلاء، بعد أن تلقوا تأكيدات، من جانب اللجنة المنظمة، التي كانت برئاسة الوزير ايهود اولمرت (ليكود) والوزير موطي غور (معراخ)، انهم سوف يتمتعون بحرية النقاش، وسوف يسمعون اجوبة عن كل اسئلتهم من جانب الطاقم السياسي ـ العسكري في إسرائيل. وقد وجه معظم الزعماء اليهود نقداً الى السياسة التي تتبعها حكومة إسرائيل في معالجة أحداث الانتفاضة في المناطق المحتلة، وإلى التعنّت الاسرائيلي، وعدم التجاوب مع مبادرات السلام المطروحة.

وفي هذا السياق، تساءل رئيس اتحاد اليهود الشرقيين العالمي، نسيم غاؤون، كيف تستطيع إسرائيل «تجاهل تعاظم الوضع الجماهيري لـ م.ت.ف. وحقيقة ان أكثر من ثمانين دولة اعترفت بها ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني ؟» (**دافار**، ٢١/٣/١٩٨٩). وأعرب الحاخام الاميركي الكسندر شيندلر عن معارضته لسياسة الليكود. وأكد ان حضور الزعماء اليهود المؤتمر لا يعني تشجيعهم «لهذا النهج، أو ذاك، وليس من أجل التوقيع على بياض. ولا يعني التضامن انه لا يوجد مجال للخلاف في الآراء، وينبغي عدم إخفاء الخلافات في الآراء، لأننا بذلك نكون نكذب على أنفسنا» (**معاريف**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

ووجّه سكرتير عام المؤتمر اليهودي العالمي، المحامي هنري سيغمان، انتقاداً حاداً الى سياسة شامير، وأعرب عن «القلق من الجمود السياسي، وعن غياب مبادرة سياسية للسلام من جانب رئيس الحكومة» (**المصدر نفسه**، ٢٤/٣/١٩٨٩).

وطلبت رئيسة منظمة هاداسا السابقة، شارلوت جيكوبسون، معرفة الشروط التي توافق عليها حكومة الليكود، من أجل التحدث مع م.ت.ف. بينما أعرب متحدثون آخرون عن رأيهم في أنه على إسرائيل إجراء مفاوضات مع م.ت.ف. (**دافار**، ٢١/٣/١٩٨٩).

○ ان عدداً من الزعماء اليهود المعروفين بمواقفهم الليبرالية والمعارضين لسياسة حكومة إسرائيل لم يدع إلى حضور المؤتمر. ومن بين الذين لم توجّه اليهم الدعوة ستانلي شيبناؤم، وهو أحد الزعماء البارزين بين

الطوائف اليهودية في لوس أنجلوس، وأحد الشخصيات اليهودية الخمسة التي التقت مع ياسر عرفات في ستوكهولم؛ كذلك لم توجّه الدعوة الى شخصيات بارزة أخرى معروفة بقربها الايديولوجي من اليسار في اسرائيل (دافار، ١٧/٣/١٩٨٩)؛ ومن بين الذين لم يدعوا، أيضاً، ريتشارد غانتر، من لوس أنجلوس، ومؤيد لحركة «السلام الآن»، ويعمل نائباً لرئيس «صندوق إسرائيل الجديد» الذي يجمع تبرّعات من الشخصيات البارزة، ويموّل بها مشاريع كثيرة في إسرائيل (يديعوت احرونوت، ٢٠/٣/١٩٨٩).

○ ولم توجّه دعوات لحضور المؤتمر إلى بعض الاحزاب الاسرائيلية (مابام، شينوي، راتس). وقد أصدرت هذه الاحزاب بياناً أوضحت فيه ان المؤتمر سوف يسمع صوت حكومة إسرائيل، لكنه لن يسمع صوت كل إسرائيل. واشارت الى انه كان من الأفضل للزعماء اليهود القادمين من الخارج أن يقفوا على حقيقة سماع ممثلي المعسكر السياسي المعتدل في إسرائيل، وليس إلى شامير ورابين فقط، «والمؤسف أن مؤتمر التضامن مع إسرائيل سوف يتحوّل إلى مؤتمر تضامن مع حكومة إسرائيل» (دافار، ٢٠/٣/١٩٨٩).

وسُمِع، أيضاً، صوت آباء الجنود الاسرائيليين الذين يخدمون في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين. فقد وجهوا رسالة عاطفية إلى المؤتمرين، طالبوهم فيها بالوقوف ضد سياسة الحكومة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعدم إخفاء إنتقاداتهم لتلك السياسة. واضافت الرسالة: «اننا، كآباء للجنود في الجيش الاسرائيلي، ينتابنا القلق الشديد من النتائج الأخلاقية على أبنائنا، نتيجة الخدمة في المناطق [المحتلة]» (يديعوت احرونوت، ٢٣/٣/١٩٨٩). وأكدت الرسالة ان مرسليها يمثلون جزءاً كبيراً من السكان في إسرائيل، وهم يخشون من ان لا تبذل الحكومة «جهوداً كافية لانهاء الاحتلال المهين للفلسطينيين وللاسرائيليين على حدّ سواء، وتوظيف كل الجهود الممكنة للتقدم في مسار المفاوضات مع ممثلي الفلسطينيين، الذين هم على استعداد للالتزام بالسلام» (المصدر نفسه).

تضامن، ولكن...

كانت التقارير والكلمات التي أُلقيت في المؤتمر عبارة عن محاضرات أكاديمية، شارك فيها عدد من الحاضرين والوزراء وضباط الجيش. ولم تتجاوز المجريات سياقها المحدّد مسبقاً. فقد اقتصرت الغاية على اصدار بيان تضامني مع اسرائيل. ويمكن تلخيص نتائج المؤتمر بما يلي:

○ لم تستطع حكومة شامير ـ بيرس أن تخفي آثار الأزمة العميقة التي تعيشها إسرائيل على الصعد كافة، الداخلية والدولية ويهود العالم. فبينما كرّر شامير مواقفه السياسية المعروفة، الرافضة للسلام العادل، وتعهد تقديم أفكار فقط لا خطة للسلام لدى زيارته الولايات المتحدة، فإن تصريحات بيرس في المؤتمر كانت تختلف بشكل كبير عن مواقف شامير. فقد أعلن بيرس، في المؤتمر، أن «لا حرب بعد الآن، وانما سلام. لا مواجهة بعد الآن، وانما حل وسط حقيقي وتاريخي: على العرب التنازل، وعلينا أن نتنازل من دون أن نعرّض أنفسنا للخطر» (معاريف، ٢٢/٣/١٩٨٩). وفي مناسبة أخرى، قال بيرس: «يجب علينا الوصول إلى السلام؛ ويجب علينا التوصّل الى قرارات صعبة وشجاعة... تتعلق بمصير الدولة؛ ويجب أن يكون الحل سياسياً؛ وأنا لا أقترح التنازل أمام العنف والارهاب، ولكن يجب التنازل من أجل السلام» (يديعوت احرونوت، ٢١/٣/١٩٨٩).

وكشف رئيس ادارة الوكالة اليهودية، سيمحا دينتس، في تقريره الى المؤتمر، عمق الهوّة القائمة بين إسرائيل ويهود العالم. وبيّن أن الشعب اليهودي لا يخصص الّا ٣٥ بالمئة من تبرّعاته الى إسرائيل، بينما كانت النسبة ٥٠ بالمئة سابقاً. وأضاف دينتس ان ٨٥ بالمئة من اليهود لم يقوموا بزيارة اسرائيل مطلقاً (يديعوت احرونوت، ٢٢/٣/١٩٨٩). ووجّه دينتس نقداً إلى توجيه جزء من المساعدات في الخارج إلى المتساقطين من المهاجرين، وأضاف: «إنها لسخافة حقيقية، عندما يكرّس يهود تبرعات مالية لنقل يهود آخرين من مهجر إلى مهجر» (المصدر نفسه).

وبرزت الأزمة في مناسبة أخرى عند صوغ البيان الختامي، حيث طلب عدد كبير من أعضاء

المؤتمر المشاركة في اعداد البيان الختامي. فقد رفضت الصيغة الأولية التي أشرفت الحكومة الاسرائيلية على إعدادها، وطلب بعض المشاركين التدخل في إعادة صياغة البيان. وفي هذا السياق، كشف رئيس الطوائف اليهودية في فرنسا، تيئو كلايين، ان المسودة لم تتضمن، ولو تلميحاً، اي ذكر للمشكلة الفلسطينية. وكل ما جاء فيها «ان اسرائيل تريد الوصول الى السلام مع جاراتها» (**دافار**، ٢١/٣/١٩٨٩). وقد حرصت الصيغة الجديدة على ان تتضمن تأييد اليهود لاسرائيل وليس لسياسة حكومة اسرائيل. وكان بعضهم طالب بأن تتضمن الصيغة عبارات تدعو الى المفاوضات مع الدول العربية وم.ت.ف. (**هآرتس**، ٢٣/٣/١٩٨٩).

○ هناك شبه اجماع بين يهود العالم، بمن فيهم اولئك المؤيدون لسياسة حكومة إسرائيل، على انه أصبح من الضروري التقدم بمبادرة سلام إسرائيلية، وهو الأمر الذي دعا اليه اكثر المشاركين في المؤتمر. وقد دعا رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، ادغار برونفمان، وهو من المؤيدين لحكومة شامير، اسرائيل الى الموافقة على تقديم تنازلات عن مناطق معيّنة من أجل حل سياسي (**معاريف**، ١٩/٣/١٩٨٩). وشدّد بعضهم على ان النزاع لا يحلّ الاّ بالسلام. لذلك، فإنهم لا يرون أي تناقض بين التضامن مع اسرائيل وبين اللقاءات مع م.ت.ف. لأن كل حرب، حتى تلك التي تواصلت ثلاثين أو مئة عام، انتهت بالسلام، «وكذلك سوف يكون الامر هنا. فإذا كان شامير لا يريد التحدث مع عرفات، فعليه التحدث مع مسؤولي م.ت.ف. في المناطق [المحتلة] الذين سوف ينجحون في الانتخابات» (**المصدر نفسه**، ٢١/٣/١٩٨٩). وقد لخّص ابيف فوكسمان، من زعماء اليهود الاميركيين، نتائج المؤتمر بالقول إن المؤتمر لم يتسبّب في تغيير مواقف المشاركين، فهؤلاء الذين جاءوا بشعور «انه يجب التحدث مع م.ت.ف. لا يزالون يتمسكون بمواقفهم، وكذلك الأمر بالنسبة الى الذين يعتقدون بأن الولايات المتحدة ترتكب خطأ في التفاوض مع م.ت.ف.» (**المصدر نفسه**، ٢٤/٣/١٩٨٩).

○ لقد حقّق شامير بعض النتائج لصالحه في بعض النقاط. فقد استطاع، مؤقتاً، أن يزيل بقايا قضية «من هو اليهودي ؟». ولا يبدو ان الهدف السياسي قد تحقق بالمستوى ذاته. وعلى ذلك، رأى البعض ان شامير يرتكب خطأ اذا اعتقد بأن نجاحه في جمع اليهود يمكن أن يترجم إلى تأييد سياسي له. وما تسريب تقرير الاستخبارات العسكرية الاّ تذكير لشامير بـ «انه توجد وقائع أخرى خارج جدران ' مباني الأمة ' ... وان التغلّب على هذه الوقائع يحتاج إلى أكثر من تضامن» (ياكير تسور، **دافار** ٢٤/٣/١٩٨٩).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو، هل وصلت الرسالة التي أراد شامير ايصالها الى أهدافها المقصودة ؟ الجواب الصحيح ليس في إسرائيل، وإنما خارج حدود الشرق الاوسط، حيث توجد مراكز القرار في العالم. تلك المراكز التي تبني مواقفها على جملة من الاعتبارات والوقائع. فاسرائيل ـ حسب فهم تلك المراكز ـ هي واحدة من مركّبات الشرق الأوسط، «تقاس قوّتها حسب قوى سكانها، وان [سلاح] المساعدة من يهود الولايات المتحدة لن يغير المعطيات الجغرافية والعسكرية في المنطقة». ولا يبدو للكثيرين أن تبدلاً طرأ على وضع اسرائيل بعد المؤتمر؛ فالانتفاضة المتواصلة تحافظ على زخمها وديناميكيتها؛ وهي لا تزال المحرّك الأساس في أحداث التغييرات المتسارعة في المنطقة. وأكثر من هذا، فإن الاسرائيليين انفسهم لا يتوقعون تخفيف الضغط العربي، والدولي، المطالب بعقد المؤتمر الدولي؛ «وسوف تتابع الادارة الاميركية اجراء مباحثات مع م.ت.ف. ويقدم خبراء الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي تقويمات بأنه لا يمكن ظهور فلسطينيين يقبلون بالتفاوض مع اسرائيل من دون الحصول على تفويض من قيادة م.ت.ف...» (فولص، **مصدر سبق ذكره**).

«لقد كان المؤتمر رواية صحافية استمرت ثلاثة أيام. وسوف تعود وسائل الاعلام العالمية الى تكريس جهدها للمشاكل الهامّة من جديد، حيث لا يوجد في بيان التضامن أي بشرى لحل تلك المشاكل» (**المصدر نفسه**، ٢٣/٣/١٩٨٩).

محمد عبد الرحمن

الشؤون العسكرية الاسرائيلية

شهدت الشهور الثلاثة الاولى من العام ١٩٨٩ قيام كل من الولايات المتحدة واسرائيل بالتوقيع على المزيد من الصفقات والاتفاقيات الهامّة، منها ما هو معقود بين الحكومتين وما تمّ بين شركات لدى الجانبين. وقد شملت العقود تبادل المنتجات العسكرية، وكذلك الاتفاق على اجراء البحوث المشتركة في نظم القتال المستقبلي. من جهة أخرى، أثار القادة الاسرائيليون، مجدداً، موضوع الاسلحة الكيميائية العربية وهدّدوا بالاجراءات المضادة، فيما حذّر قائد سلاح البحرية الاسرائيلي من اختلال الميزان مع القوات البحرية العربية.

مسلسل الاتفاقيات الاسرائيلية ـ الاميركية

بعد ان اتفقت الادارة الاميركية والحكومة الاسرائيلية خلال العام ١٩٨٨ على التعاون في تطوير صاروخ مضاد للصواريخ الباليستيكية التكتيكية، بحيث تقدم الولايات المتحدة ٨٠ بالمئة من التمويل، انتقلت الشركات لدى الطرفين الى الاجراءات التنفيذية مؤخراً. فقد تعاقدت شركة الصناعة الجوية الاسرائيلية مع شركة لوكهيد للصواريخ والفضاء، في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، بعد ان سبق لاسرائيل ان فاوضت، فرفضت الشركات الاميركية الاخرى، مثل رايثيون ومكدونيل دوغلاس ومارتين ماريبتا (**جينز ديفينس ويكلي**، ١٩٨٩/١/٢١). وكانت المباحثات تلك ابتدأت بعد استلام اسرائيل، في تموز (يوليو) ١٩٨٨، لعقد من البنتاغون الاميركي قيمته ١٥٨ مليون دولار لتطوير الصاروخ «حيتس» (السهم)، كجزء من مشروع «مبادرة الدفاع الاستراتيجية» الاميركي (المعروف بـ «حرب النجوم»).

وحسب الاتفاق الاميركي ـ الاسرائيلي الاخير، سوف تقوم شركة الصناعة الجوية الاسرائيلية بتطوير صاروخ «حيتس» خلال المرحلة الاولى، ولن تتدخل لوكهيد الاّ بعد اجراء الاطلاق التجريبي الاول؛ وعندئذٍ، ستشارك في التطوير اللاحق وفي الانتاج (**المصدر نفسه**). وتتطلع الشركتان الى بدء التحليق التجريبي في أواخر العام ١٩٩٠، على ان يتمّ اختبار واستعراض «حيتس»، عملياً، في غضون سنتين، او ثلاث، حسب تأكيد وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين. وأضاف الوزير ان الصاروخ سيعمل ضد الصواريخ الباليستيكية ذات مدى ألف كيلومتر، وليس فقط الصواريخ ذات مدى ٤٨٠ كيلومتراً، حسب بعض المصادر الاخرى. وتتطلع الولايات المتحدة، بدورها، الى البدء بعملية اقتناء «حيتس» في العام المالي ١٩٩١/١٩٩٢، علماً بأنه لم يتأكد اذا كان انتاج الصاروخ لا يخالف بنود الاتفاق الاميركي ـ السوفياتي الموقّع في العام ١٩٧٢، والقاضي بمنع نشر الاسلحة المضادة للصواريخ الباليستيكية.

الى جانب ما سبق، وقّعت الحكومتان، الاميركية والاسرائيلية، مذكرة تفاهم مدّتها خمس سنوات، لتأمين التعاون في جهود البحث والتطوير في مجال انتاج نظام اختبار للدفاع الميداني ضد الصواريخ الباليستيكية. ويشير ذلك الى تأسيس مركز اسرائيلي يحتوي على اجهزة كومبيوتر متقدمة تقدر على «محاكاة» (تقليد) شكل الدفاع ضد الصواريخ على مسرح الشرق الاوسط، استناداً الى أسلحة نظرية، منها الصاروخ «حيتس» (**المصدر نفسه**، ١٩٨٩/٤/٨). وستكلف المرحلة الاولى من المشروع، الذي يديره، من الطرف الاميركي، قيادة الدفاع الاستراتيجي التابعة للجيش، ٣٥ مليون دولار تؤمن الولايات المتحدة نسبة ٧٢ بالمئة منها.

يعكس ما سبق عمق التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل، والذي تجسّد، مؤخراً أيضاً، بتحرك الادارة الاميركية نحو الموافقة على طلبات اسرائيلية جديدة للاسلحة. وتتمثّل المعدّات المطلوبة بمئتي صاروخ أرض ـ جو مضاد للطائرات محمول على الكتف من طراز ستينغر، وثلاثة أجهزة رادار

طراز «أ.ن./ت.بي.كيو ـ ٣٧»، وأربع طائرات مروحية للاستطلاع غير محدّدة النوع (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤ و٥/٢/١٩٨٩). وتضمّ الصفقة المطلوبة، أيضاً، معدات الكترونية لتحديث حوالى ٥٠ طائرة مقاتلة من طراز «ف ـ ١٥» لدى سلاح الجو الاسرائيلي. وقد أوضح المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية، عند تقديم القائمة بموازاة طلبات أخرى للدول العربية في الكونغرس، في الثاني من شباط (فبراير) ١٩٨٩، ان هذه ليست طلبات رسمية حتى الآن، بل توقعات للعام الحالي.

لم يكن طلب المعدات لتحديث الطائرات «ف ـ ١٥» هو الاتفاق الاميركي ـ الاسرائيلي العملي، او المزمع، الوحيد في هذه الفترة. اذ تعاقدت شركة جنرال دايناميكس الاميركية مع شركة «ألبط» الاسرائيلية على قيام هذه الاخيرة بتزويد الحاسبات الالكترونية (الكومبيوتر) لطائرات «ف ـ ١٦» التي ستشتريها اسرائيل من الولايات المتحدة. وتأتي هذه الصفقة ضمن الاتفاق الواسع الذي أبرمه الطرفان، في العام ١٩٨٨، بخصوص ضمان تبادل البضائع والخدمات حسب اسلوب «أوفسيت»، والذي اتفقا على تطبيقه عند صوغ اتفاق التعاون الاستراتيجي في العام ١٩٨١ وعند التوقيع على صفقة طائرات «ف ـ ١٦» الثانية (٧٥ طائرة) في العام ١٩٨٢، حيث تعهّدت الولايات المتحدة، الآن، شراء معدات اسرائيلية، في المقابل، بقيمة ٨٠٠ مليون دولار (**جينز ديفينس ويكلي**، ٤/٣/١٩٨٩). ويتوزّع ذلك المبلغ بين ٣٠٠ مليون دولار تنفق لشراء المعدات الاسرائيلية المستخدمة في مشروع انتاج الطائرات مباشرة، يتمّ صرفها على مدى ثماني سنوات مقبلة، وبين ٥٠٠ مليون دولار تنفق لشراء معدات اسرائيلية أخرى لا تتعلق بصفقة طائرات «ف ـ ١٦»، يتمّ صرفها على مدى ١٢ سنة. وتجدر الاشارة الى ان شركة «ألبط» تسعى الى اقناع جنرال دايناميكس بشراء المزيد من الحاسبات الالكترونية، ليس للاستخدام على متن الطائرات المخصصة لاسرائيل فحسب، بل وعلى متن «ف ـ ١٦» المباعة للبلدان المختلفة الاخرى، وهو الامر الذي خضع للنقاش دون الاتفاق عليه حتى الآن (**المصدر نفسه**).

وفي المقابل، فقد تعاقد سلاح الجو الاسرائيلي مع شركة «لورال» الاميركية، في أواخر آذار (مارس)، على تسليمه عدداً غير محدّد من نظم الاجراءات المضادة للحرب الالكترونية «أ.ل.كيو ـ ١٧٨». وتبلغ قيمة الصفقة، التي تتمّ بهدف تزويد الطائرات «ف ـ ١٦» لدى اسرائيل، ٩٤ مليون دولار (**المصدر نفسه**، ١/٤/١٩٨٩).

ان التحرك نحو تنفيذ بنود الاتفاقيات السابقة بخصوص تنشيط حركة الصادرات العسكرية الاسرائيلية الى الولايات المتحدة يشهد تجدداً للنقاش حول طبيعة العلاقة الاستراتيجية بين البلدين. وقد أثار احد المعلّقين الاميركيين الموضوع، مؤخراً، حين اقترح صوغ معاهدة أمنية اميركية ـ اسرائيلية، من اجل التعبير عن الاستعداد الاميركي لدعم أمن اسرائيل بالقوة (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٦/١/١٩٨٩). ولحق ذلك قيام رئيس الاركان الاسرائيلية، دان شومرون، بزيارة الى الولايات المتحدة، للتشاور مع المسؤولين الاميركيين حول سبل تعزيز التعاون الاستراتيجي (**الحياة**، لندن، ٨/٢/١٩٨٩).

شهدت العلاقة الاميركية ـ الاسرائيلية العسكرية نشاطاً اضافياً خلال الفترة الاخيرة، على شكل المزيد من الصفقات التجارية، حيث تعاقدت شركة «رامتا»، وهي تابعة لشركة الصناعة الجوية الاسرائيلية، على تزويد سلاح المارينز والجيش (البري) الاميركيين بما مجموعه ٤٠٠ جهاز كاسح للالغام، تبلغ قيمتها ٣٠ مليون دولار (**جينز ديفينس ويكلي**، ٢١ و٢٨/١/١٩٨٩). ويتمّ تركيب الجهاز في مقدم الدبابات، بحيث تشق طريقها بذاتها، ويفترض ان تركب على متن دبابات «م ـ ١أ١ ابرامز» الاميركية. وتأمل شركة «رامتا» في بيع عدد اضافي يبلغ ألف كاسح للالغام الى القوات الاميركية خلال السنوات المقبلة، حسب تأكيد مديرها العام اوري لادان. وثانياً، تقوم اسرائيل بالتفاوض مع الجيش الاميركي من اجل استئجار عدد من الطائرات المروحية للابرار القتالي من طرازي «بلاكهوك» و«أباتشي». ويذكر ان اسرائيل كانت اتفقت مع الادارة الاميركية سابقاً على اعارة سرب من طائرات القتال «كفير» لسلاح البحرية الاميركي لاغراض التدريب، على ان يتمّ دفع تكاليف ذلك بشكل اعارة المعدات الاميركية لاسرائيل. غير ان الولايات المتحدة دفعت قيمة تعديل طائرات «كفير» وصيانتها، ولم تدفع ثمن استئجارها؛ ولم تتمكن اسرائيل من استئجار المعدات الاميركية، بسبب العقبات القانونية (**المصدر**

نفسه، ٢٥/٢/١٩٨٩). الاّ ان تعديل القانون الاميركي أتاح لاسرائيل، الآن، ان تسعى الى الحصول على الطائرات المروحية المذكورة دون الاضطرار الى دفع أي أجر، بحجة ان ذلك سيكون لقاء صفقة «كفير». وهكذا يأمل سلاح الجو الاسرائيلي في ان يوفّر مبلغ ٢٥٠ مليون دولار كلفة الحصول على طائرة «أباتشي» وحدها، علاوة على توفير نفقات استئجار، أو شراء، «بلاكهوك»، بحيث يصبح التأجير مجانياً.

واخيراً، تشمل سلسلة الصفقات عروضاً اميركية واسرائيلية متبادلة. فقد عرضت شركة «سولطام» الاسرائيلية برجاً جديداً للعربات المدرّعة الاميركية حاملة مدافع الهاون من طرازي «م ـ ١٢٥ أ ٢» و«ل.أ.في ـ ٨١» (**انترناشونال ديفينس ريفيو**، ١/٢/١٩٨٩). ويتميّز الجهاز الجديد عن مدفع «ك ـ ٦» الاسرائيلي الذي اشتراه الجيش الاميركي سابقاً بأنه يشمل البرج اضافة الى المدفع «ر.م.س ـ ٦» الجديد، الذي يتمتع بقوة صدمة أقل عند الرماية، وبامكانية التلقيم اليدوي، والآلي، علاوة على قدرة الالتفاف الدوراني الكامل، والرماية المباشرة، وتحقيق معدل رمي ١٥ قذيفة في الدقيقة ضمن ظروف الحماية النووية ـ الكيميائية ـ الجرثومية. ومن الناحية المقابلة، قرّر الجيش الاسرائيلي شراء كمية ضخمة من سيارات «جيب» الاميركية لاغراض الاستطلاع والدورية (**عل همشمار**، ١/٢/١٩٨٩). وقد تمّ تفضيل تلك السيارة من طراز «هامر»، على عربة «أفير» المنتجة محلياً، والتي سيحصل الجيش عليها، أيضاً، لاغراض التنقّل والادارة.

التهديدات الكيميائية والمضادة

جدّد القادة الاسرائيليون، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، اثارتهم لموضوع الاسلحة الكيميائية العربية، فيما أدرجوا عنصراً متميزاً ضمن أحاديثهم هو اطلاق التهديدات الصريحة ضد الدول العربية. جاء الحديث الاول في ١٧ كانون الثاني (يناير)، حين اكد وزير الدفاع الاسرائيلي ان أية دولة عربية تستخدم الاسلحة الكيميائية ضد الاهداف المدنية، أو العسكرية، الاسرائيلية ستتعرّض للضرب «مئة مرة، ان لم يكن أكثر» (**السفير**، بيروت، ١٨/١/١٩٨٩). وأضاف رابين ان أربع دول عربية تمتلك مثل تلك الاسلحة مركبة على رؤوس الصواريخ الباليستيكية أرض ـ أرض لديها، وذلك باشارة غير مباشرة الى سوريا والعراق ومصر وليبيا، ثم تجدّد الحديث، بعد أيام، حين صرّح عقيد لم يذكر اسمه في مخابرات سلاح الجو الاسرائيلي بأن سوريا تقوم بتطوير الاسلحة الجرثومية (البيولوجية)، علاوة على جهودها وجهود العراق لتركيب الرؤوس الكيميائية (الغازات والسموم العصبية) على صواريخها الباليستيكية (**المصدر نفسه**، ٢٦/١/١٩٨٩). وأضاف الضابط ان تلك الصواريخ قادرة على ضرب أي مكان في اسرائيل، الاّ ان ضابطاً كبيراً في السلاح، هو العميد اوري (ميخا) رام، أكد قدرة اسرائيل على التصدي للتهديدات العربية. ثم أضاف وزير التجارة والصناعة، اريئيل شارون، صوته الى الحملة، في الثاني من شباط (فبراير)، قائلاً ان مصر في صدد تطوير الصواريخ الباليستيكية القادرة على نقل الرؤوس الحربية حتى مدى ٨٠٠ كيلومتر. وأضاف ان تلك الصواريخ قادرة على حمل الرؤوس الكيميائية، دون ان يوضح اذا ما كانت مصر تقوم بانتاجها فعلاً، علماً بأنه أوضح ان نشاط التطوير يتمّ بالتعاون مع شركة ارجنتينية وخبراء ألمان اتحاديين (**المصدر نفسه**، ٣/٢/١٩٨٩). واتهم شارون سوريا، أيضاً، بتركيب الرؤوس الكيميائية على متن صواريخ باليستيكية قامت بتطويرها بمساعدة خبراء ألمان اتحاديين لتصل مدى ١٣٠٠ كيلومتر. في المقابل، طرح محلّلون غربيون ان الصواريخ الباليستيكية، وخصوصاً تلك المزوّدة بالرؤوس الكيميائية، تقدم رادعاً فاعلاً للدول العربية ضد ليس القوة النووية الاسرائيلية وحدها، بل وضد القوة التقليدية (**ميدل ايست انترناشونال**، ١٧/٢/١٩٨٩). ويفسّر ذلك اشتداد الحملة الاميركية ـ الاسرائيلية لنزع الاسلحة الكيميائية العربية، نظراً الى انزعاج اسرائيل من نشوء ميزان قوى اقليمي مستقر للمرة الاولى.

جاءت هذه التصريحات وسط استعدادات اسرائيلية اضافية للوقاية من الهجوم الكيميائي، او الجرثومي، حيث أجرى سلاح الشؤون الطبية في الجيش وبعض الوحدات تمريناً تجريبياً لاختبار قدرة نقل المصابين من الاحياء السكنية الى المستشفيات، في منطقة تل ـ ابيب (حولون)، في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) الماضي (**بمحانيه**، ١٩/١٠/١٩٨٩). وما لبثت شركة «ألبط» للصناعة الحربية ان كشفت النقاب عن قيامها

بتطوير اجهزة اكتشاف كيميائية للتعرف على وجود المواد السامّة في الهواء. ويتألف الجهاز الاساسي، الذي هو بحجم جهاز لاسلكي صغير، من حاسب الكتروني يقيس لون اللهب الناجم عن حرق الهواء لتشخيص مركباته (**روماح**، ٢٢/١/١٩٨٩). وبفضل مثل هذه التدابير ـ أي انتاج المعدات واجراء المناورات ـ اعتبر بعض المعلّقين الغربيين ان اسرائيل هي «الوحيدة في المنطقة التي لديها خطة للدفاع عن المدنيين ضد أي هجمات بالغازات» (**معاريف**، ١٩/٤/١٩٨٩). ويضاف الى ما سبق، ان اسرائيل قامت، من خلال جهاز الدفاع المدني، بتوزيع آلاف الاقنعة والبزّات الواقية على المدنيين، الى جانب حقنات «الانتروبين» المانعة، ضمن تجربة لاختبار قدرة الجمهور على صون تلك المعدات. ويحتفظ الدفاع المدني ـ حسب التأكيدات الرسمية ـ داخل المخازن، بما يكفي لتزويد جميع سكان اسرائيل اليهود بالاقنعة، والملابس، والمواد الطبية اللازمة. الّا ان تجربة تسليم الجمهور معداته الخاصة لم تعتبر ناجحة، حسب تقدير كبير ضباط الدفاع المدني والدفاع الميداني، العميد اهارون فاردي، الذي أشار الى عدم قيام الناس بالحفاظ على البزّات، والى عدم ملاءمة الاقنعة لجميع الفئات العمرية، والى ضرورة استبدال الحقنة دورياً كل خمس سنوات. غير انه أكد احتمال تكرار التجربة بعد رفع الوعي العام بحقيقة الخطر الكيميائي (**حيل هآفير**، ١٠/١٩٨٩). وشدّد فاردي على الفارق بين الصواريخ الباليستيكية التقليدية التي قد تصيب بضع عشرات من الاسرائيليين لو سقطت في مناطق مأهولة، وبين تلك المزوّدة بالرؤوس المتفجرة الكيميائية التي قد تؤدي الى اصابة الآلاف. وفي هذا السياق، أشار خبير اميركي، على صلة وثيقة باسرائيل، الى قيامها بتخزين غاز الخردل وبانتاج الغازات «العصبية» في منشأة في النقب، علماً بأنه اعتبر ذلك رداً على الجهود الكيميائية المصرية في عقد الستينات (**معاريف**، ١٩/١/١٩٨٩). ورأى ان الجيش الاسرائيلي ينظر الى «القدرة القتالية الكيميائية الهجومية على انها قوة ردع حيوية».

الّا انه، وفيما تنتقل اسرائيل الى استكمال العناصر الدفاعية والهجومية لمواجهة الحرب الكيميائية، يزداد الاهتمام باحتمالات انتاج واستخدام الاسلحة البيولوجية (الجرثومية) في الشرق الاوسط. فبالاضافة الى تصريح ضابط سلاح الجو حول النشاط السوري في هذا المجال، سبق لعضو في مجلس الشيوخ الاميركي وفي لجنة القوات المسلّحة التابعة له ان أكد قيام العراق بانتاج احد الاسلحة الجرثومية الفتّاكة وباجراء البحث في اصناف أخرى («مياكرو توكسين»). وقد استند في ذلك الى المصادر الاميركية والاسرائيلية، علماً بأن تقريراً اميركياً غير رسمي أوضح قيام اسرائيل، أيضاً، بالسعي الى اكتساب قدرة انتاج الاسلحة البيولوجية، بموازاة مصر وايران وسوريا والعراق (**جينز ديفينس ويكلي**، ٢٨/١/١٩٨٩). وأشارت هذه المصادر، وغيرها، الى احتمال قيام سلاح الجو الاسرائيلي بقصف المنشآت العراقية، علماً بأن الموقف الرسمي هو نفي ذلك التهديد، والتأكيد، فقط، ان «على اسرائيل ضمان أمنها لو انتج العراق مثل تلك الاسلحة». وينبع مصدر القلق الاسرائيلي من حقيقة الاعتماد على مصدر واحد رئيس للمياه للبلاد ككل، ألا وهو بحيرة طبريا. هذا، وأوضح كاتب عسكري اسرائيلي مزايا السلاح الجرثومي، الذي اعتبر ان مصر كانت تسعى الى تطويره قبل عشرين سنة، فلخّصها بما يلي: ١ ـ تحتاج الى كميّات صغيرة فسحب لابادة عدد كبير من الناس، على عكس الاسلحة الكيميائية؛ ٢ ـ يمكن انتاج الاسلحة البيولوجية بسرعة كبيرة لا تتجاوز الايام؛ ٣ ـ مصانع الانتاج ليست كبيرة، فاذاً يسهل اخفاؤها؛ ٤ ـ لا تختفي رواسبها بعد الالقاء والاستخدام، بل تنتشر وتتكاثر، على عكس الاسلحة الكيميائية التي تذوب وتتلاشى تدريجياً؛ ٥ ـ تصعب الوقاية منها، خاصة ان غالبية الاسلحة الجرثومية هي من نوعي «الفيروس» و«توكسين»، وخلافاً للمواد الكيميائية لا تعرف هويّتها قبل الاصابة بها (**معاريف**، ٢٧/١/١٩٨٩).

صادف الحديث حول التهديد الكيميائي ظهور التخوّفات الاسرائيلية حول ميزان القوى البحرية. فقد صرّح قائد سلاح البحرية الاسرائيلي، الاميرال افراهام بن شوشان، في ختام مدة خدمته، ان السلاح مهدّد بالزوال مع حلول العام ١٩٩٥، اذا لم يحصل على المقتنيات المقررة، البالغة قيمتها ١,٢ مليار دولار (**جينز ديفينس ويكلي**، ١١/٢/١٩٨٩). وشمل برنامج الاقتناء ثلاثة زوارق صاروخية من فئة ساعر ـ ٥ وغواصتين من فئة دولفين. واتهم بن شوشان هيئة الاركان العامة بمحاولة نسف مشروع التحديث، بعد ان أجّلت التوقيع عليه ومصادقته؛ كما تخوّف من استمرار البناء العسكري البحري السوري، وآثار ذلك على الدفاع الاسرائيلي الذي

سيواجه الغواصات والزوارق الهجومية الصاروخية وصواريخ الدفاع الساحلي المحسّنة. ومن وجهة نظره، ينبغي الردّ «بسلاح بحري هجومي قادر على تسديد الضربات المؤلمة للعدو. ان قوة خفر سواحل يساعدها سلاح الجو لا تقدر على مواجهة الخطر البحري» (**المصدر نفسه**). وكان بن شوشان أوضح، سابقاً، انه يتوقع تهديداً مشتركاً من القوات البحرية السورية والليبية، وانه، في حال نشوء تحالف كذلك، يترتب على اسرائيل ان تبادر الى الهجوم، لأنها ليست «جيدة في الدفاع، وليس لدينا المال اللازم لنشر كثير من الوحدات البحرية على طول الساحل» (**السفير**، ٢/٢/١٩٨٩).

غير انه، وعلى الرغم من جهوده، فقد أكد انه فشل في محاولة ادراج مؤشرات التهديد العربي الى ادراك الكثيرين في قيادة الجيش، مضيفاً ان السلاح على مفترق طرق، اذ انه سيزول بعد العام ١٩٩٥ اذا لم يحصل على المطلوب (**هآرتس**، ٢/٢/١٩٨٩). الاّ ان المعلومات الاخيرة أشارت الى عرقلة التوقيع على اتفاق انتاج الغواصتين في ألمانيا الاتحادية، وهو مشروع يعارضه رئيس الاركان، دان شومرون، في الوقت الذي يشيع الحديث عن احتمال الغاء صفقة انتاج الزوارق ساعر ـ ٥، على الرغم من الاتفاق عليها، وعلى الرغم من وجوب دفع تعويضات الى الشركات الاميركية المعنيّة (**المصدر نفسه**، ٢١/٢/١٩٨٩).

د. يزيد صايغ

اللوبي اليهودي الاميركي والولاء المزدوج

Tivnan, Edward; *The Lobby; Jewish Political Power and American Foreign Policy,* New York: Simon and Shuster, 1987, 304 Pages.

ازاء ادبيات تتحدث عن سطوة «اللوبي اليهودي» في الولايات المتحدة، ينتاب المرء، احياناً، شعوران متناقضان؛ فهو، من ناحية، يرى، او بالاحرى يتصور، ان ترويج مثل هذه الادبيات جزء اساس، او على الاقل هام، للتأثير في عملية صنع القرار وتنفيذه في السياسة الخارجية الاميركية؛ وهو، من ناحية اخرى، يعرف ان امكانات معرفته المتقدمة لتركيبة ونشاط واهداف ووزن هذا «اللوبي»، امكانات محدودة، خصوصاً ان لم يستند الباحث، بدوره، الى معلومات عنه، من خلال ما ينشره احد «محاسيبه».

في حالتنا، يصعب التعليق، بل تصعب الكتابة عن دور «اللوبي اليهودي» دون ان يتنازع الباحث تيّاران: امّا السكوت ومحاولة التناسي بالنظر الى الطابع اللااكاديمي اجمالاً لمثل هذا النشاط، او، على العكس من ذلك، التراخي الى منطق مؤامراتي، يرى «اصابع» اللوبي في كل مكان، ووراء كل ما يحدث، يسيّر، من وراء الكواليس، مجاري السياسة الخارجية للولايات المتحدة في ما خص منطقة الشرق الاوسط.

ليس من السهل تناول الموضوع، ولكن، ليس من السهل، ايضاً، التغاضي عنه. الكتاب الذي نشرته، مؤخراً، دار سايمون وشوستر في نيويورك، عنى مؤلفه ادوارد تيفنان ان يخبر قراءه، في كلمة التقديم، بأن كثيرين، «من بينهم عدد لا يستهان به من سفراء الولايات المتحدة السابقين في الشرق الاوسط ممّن يتعاطون مع العرب»، تنبأوا له بأنه «لن يجد ناشراً نيويوركياً يقبل ان ينشر له كتابه»، وانه ـ حتى ان وجد الناشر ـ «لن يجد المكتبات التي ترضى بعرض كتابه وبيعه»، بل وحذّره البعض من ان «المنظمات اليهودية سوف تبتاع نسخ الكتاب من السوق، لئلاّ يصل الى يد احد». بل اكثر من ذلك، ان الجميع أكّدوا له ان احداً ممّن عقد العزم على مقابلتهم للحصول على مادة كتابه لن يرضى التحدث اليه، لأن الموضوع «حساس وساخن وخطر سياسياً، بالنسبة الى الجميع، ولأن قادة اليهود، واعضاء اللوبي، واصدقاءهم وخصومهم، كل حسب موقعه، يفضلّون ابقاء ما يتعلق به طيّ الكتمان». بيد ان التجربة التي عاشها الكاتب، وهو يشرع في اعداد مادة الكتاب، فاقت كل التوقّعات المتشائمة. فقد وجد تيفنان ان كل من طلب مقابلته والتحدث اليه من القادة اليهود والساسة الاسرائيليين، بلا استثناء، رحّب بذلك، «وكان راغباً، اجمالاً، في الكلام، بل ومتلهّفاً اليه، احياناً» (ص ١٠ ـ ١٢).

تنظم فصول الكتاب العشرة فكرة واحدة، يجهد تيفنان في الالحاح عليها، وهي ان اليهود الاميركيين ظلوا اميركيين اولاً، ويهوداً بعد ذلك، وان ولاءهم ظل لاميركا وليس لأي بلد اخر. وهو بمثابة رد ضمني على منتقدي السطوة السياسية اليهودية، كعضو الكونغرس السابق بول فيندلي، وربّما، ايضاً، لاحتواء الضرر الناجم عن قضية الجاسوس اليهودي الاميركي جوناثان بولارد، والرد على ذيول «الولاء المزدوج» التي رافقت تلك القضية.

في هذا السياق، يلخّص المؤلف «افكاره» في التالي: نعم ان هناك اصدقاء أقوياء لاسرائيل في الولايات المتحدة، وهناك، كذلك، لوبي مؤثر ونافذ، ولكن هناك انتقادات، ايضاً، وهي انتقادات لا يجد اصحابها الجرأة للمجاهرة بها، وهي، على كل حال، انتقادات تنفي مقولة الانقياد الاعمى وراء اسرائيل والانحياز التامّ

الى سياسات قادتها، سواء أكانت خاطئة أم صائبة.

ويبدو واضحاً لقارىء كتاب «اللوبي؛ السطوة السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الاميركية»، انه، على الرغم من تسليم تيفنان بوجود «العضلات اليهودية» في مجال صنع القرار وتوجيه السياسة الاميركية، فانه ذهب في رحلة استطلاع تاريخية للكيفية التي نشأ بها اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، بازاء معارضة قوية ونشطة من جانب غالبية اليهود الاميركيين وزعمائهم. بل وحتى بعد تأسيس دولة اسرائيل، اتخذت تلك الغالبية موقف التعاطف والتأييد من الدولة اليهودية «ليس على اساس الانتماء بالولاء اليها، بل على اساس خيري بحت، تمثّل في تبرّعهم السخي المتواصل بمبالغ ضخمة من المال لمساعدة اليهود المضطهدين الذين وجدوا الملاذ ممّا عانوه، تاريخياً، من اضطهاد ومذابح في روسيا واوروبا الوسطى والغربية، في اسرائيل». وانطلاقاً من هذه الرؤية «الخيرية» لعضلات اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، استشهد المؤلف بقول للحاخام واين، مؤسس الحركة الاصلاحية اليهودية الاميركية: «اننا نعارض، بصورة لا هوادة فيها، الصهيونية السياسية. ان صهيون كانت شيئاً ثميناً امتلكناه في الماضي، الّا انها ليست املنا للمستقبل. فأميركا هي صهيوننا» (ص ١٤ ـ ١٥). وامعاناً في التأكيد، أبرز المؤلف ما ذكره، ذات مرة، الملياردير النفطي جاكوب بلاوستن، عن اليهود الاميركيين، سواء من الصهيونيين او من غير الصهيونيين، بأنهم مرتبطون بأميركا ارتباطاً عميقاً: «فبالنسبة الى هؤلاء، أميركا هي الوطن، وجذورهم ضاربة بعمق في تربتها السخيّة، وأحوالهم مزدهرة فيها» (ص ٣١).

لتدعيم هذه الفكرة، لجأ المؤلف، في الفصل الاول، الى المعطيات الاحصائية، فذكر ان اسرائيل «لم تجتذب الّا عدداً ضئيلاً للغاية من اليهود الاميركيين؛ فخلال السنوات الثلاث الاولى بعد تأسيسها، استوعبت اسرائيل ٦٥٠ ألفاً من المهاجرين، معظمهم من مشرّدي الحرب الاوروبيين... [ومن يهود] عدد من الدول العربية، امّا الاميركيون، فعلى الرغم من ان انشاء اسرائيل حرّك نفوسهم بقوة، الّا انه لم يحرّكهم الى درجة الذهاب اليها. كما لم يبق في اسرائيل من الاميركيين والكنديين البالغ عددهم ٣٥ ألفاً، الذين هاجروا الى اسرائيل خلال العقد الاول من انبثاقها، الّا ٥٤٠٠ اميركي فقط» (ص ٢٩).

على ان تفضيل معظم اليهود الاميركيين لأن يظلوا اميركيين ظل مصدر توتّر وعداء لا يستهان به بين زعماء اليهود الاميركيين، من جهة، وقادة اسرائيل، من جهة اخرى. وضرب تيفنان مثلاً على ذلك «التوتر والعداء» بتصميم دافيد بن ـ غوريون على «تدمير منظمات اليهود الاميركيين»، بدلاً من الدخول في حوار معها، وأشار، بصفة خاصة، الى دور بن ـ غوريون في التخلص من زعامة الحاخام سيلفر للحركة الصهيونية في اميركا، ومباركته لسيطرة «رجال المال غير الصهيونيين، محل سيلفر وغيره، في تزعّم اليهود الاميركيين» (ص ٣١).

هكذا بلور المؤلف الفكرة الناظمة للكتاب بالقول: كان هناك خلاف جذري بين قادة اليهود الاميركيين والزعماء الاسرائيليين تمحور في قضية الهجرة الى اسرائيل، وفي عدم الاعتراف باليهودية «الاصلاحية» و«المحافظة» لدى الاميركيين، من جانب المؤسسة الاسرائيلية. وهذا يبيّن «مقدار الفجوة بين أهداف اليهود الاميركيين وأبناء عمومتهم في اسرائيل». ففي حين أخذ القادة الصهيونيون على عاتقهم القيام بتجربتهم «الاجتماعية الكبرى في الارض الموعودة»، انشغل المهاجرون الى الولايات المتحدة بالقيام برحلة كبرى من «الغيتو» الى «ضواحي المدن الاميركية». وفي غمار تلك الرحلة الاميركية، تكاثرت «المعابد» و«المراكز اليهودية» في انحاء الولايات المتحدة وضواحي مدنها، لكنها كانت اكتسبت سمات اجتماعية اكثر منها دينية. وكما حدث في حالة كل الاقليات المهاجرة الاخرى، ظلّ المهاجرون اليهود متلهّفين على ان يستوعبوا في المجتمع الاميركي. فاليهود الاميركيون انتابتهم هزّة اثارة عندما تحقق الحلم الصهيوني (باقامة اسرائيل على ارض فلسطين)، لكنهم ما لبث اهتمامهم ان انصرف، بالدرجة الاساس، الى الحلم الاميركي (ص ٣٤ ـ ٣٥).

ضمن هذا المنظار، وفي سياق ترسيخ صورة اليهودي الاميركي الملتزم، التزاماً تاماً، بأميركيّته، المرتبط عاطفياً بيهوديته، كان على تيفنان، لكي لا يبدو مؤلفه ممارسة مجانية لا مؤدّى منها، وتحصيلاً للحاصل في ما خص السطوة التي يعرفها الجميع للوبي اليهودي، ان يعطي القارىء المهتم نوعاً من التسلسل المنطقي

لتطور التزام اليهود الاميركيين باسرائيل. وفي المنظور نفسه، طرح تيفنان نشاط زعماء اليهود في الولايات المتحدة لصالح اسرائيل باعتباره نشاطاً انبثق من اعتقادهم بأن العرب سوف يجنحون الى مسالمة اسرائيل وعقد الصلح معها «متى رأوا ان الولايات المتحدة تقف وراء اسرائيل، وتدعمها، وتجعل منها دولة منيعة».

ففي مرحلة التـأسيس، لمس زعماء اليهود الاميركيين «انحيازاً» من جانب وزارة الخارجية الاميركية الى العرب، وان هذا الانحياز اتضح، بصورة فاقعة، في «عجز» الرئيس الاميركي هاري ترومان عن التغلب على مقاومة وزارة الخارجية لمحاولات الاستجابة لما ظل زعماء اليهود الاميركيين يوجّهونه من نداءات لتحويل اكبر قدر ممكن من العون الخارجي الاميركي الى اسرائيل. من هنا، كان الاسرائيليون بحاجة الى مجموعة قوية من الاصدقاء داخل الكونغرس الاميركي، ليقدموا مشروعات قوانين «توازن» ما رآه اليهود الاميركيون من انحياز الخارجية الاميركية الى صف العرب. الامر، اذاً، كما صوّره تيفنان، بدأ كجهد يهودي اميركي لمساعدة اولئك «المساكين» هناك في اسرائيل، وشرع اليهود الاميركيون في تنفيذه من طريق مجموعة من الاصدقاء في الكونغرس.

بعد ذلك، تمثّل نجاح اللوبي اليهودي في ارساء تقليد مزايدة مرشحي الحزبين، الجمهوري والديمقراطي، في صيف العام ١٩٥٢، على اعلان التأييد لاسرائيل، والتأييد القوي مع جهودها «الانسانية» المتمثلة في توفير وطن لليهود «المشردين والمضطهدين»، والحرص على تأمين «السلام» في منطقة الشرق الاوسط، من خلال توجّهات السياسة الخارجية الاميركية.

غير ان خيبة اللوبي اليهودي، في ذلك العام، لم تكن في الحسبان. فقد دخل البيت الابيض الرئيس دوايت آيزنهاور الذي لم يكن مديناً بشيء لاي جماعة ضغط ذات مصالح داخلية او مصالح متعلقة بالسياسة الخارجية. ولهذا اختط الرئيس الاميركي سياسة «ودودة غير منحازة» تجاه العرب والاسرائيليين، على حد سواء. وكان يدفعه الى ذلك هاجسان: النفط العربي، وشبح التغلغل السوفياتي في المنطقة.

وفي تتّبعه لمراحل العملية التي اوصلت اللوبي اليهودي الاميركي الى وضعه المهيمن الراهن، سلّط تيفنان الضوء على «المجلس الصهيوني الاميركي للشؤون العامة» الذي تأسّس العام ١٩٥٤، «وكان ذلك في مرحلة غريبة من الحياة السياسية الاميركية، التحم ابّانها الكونغرس في معركة مدوّية مع وزارة الخارجية»، ومارست اسرائيل، خلالها، عمليات الارهاب الدموي ضد قرية قبية الفلسطينية والغارات الانتقامية على الحدود، والعدوان على الاراضي المصرية، في الوقت الذي ظلّ اللوبي اليهودي يتأوه من «انحياز» الادارة الاميركية ضد اسرائيل «الصغيرة المسكينة الديمقراطية المحاصرة». وذكر تيفنان «ان المسؤولين في وزارة الخارجية الاميركية كانوا يسمعون ذلك الكلام من اللوبي اليهودي، ويقرأون تقارير السفارات الاميركية من المنطقة العربية، فيعضّون شفاههم بأسنانهم حتى تدمى» (ص ٤٠ ـ ٥١).

روى المؤلف، في الفصل الثاني، الكيفية التي وصل فيها جون كنيدي الى سدّة الرئاسة في البيت الابيض. وهنا، ايضاً، بمساعدة اللوبي اليهودي، الذي هيأ، في حفل اقيم في نيويورك، فرصة ذهبية لمرشح الحزب الديمقراطي ان يحصل، من ذلك الحفل، على تبرّعات بلغت نصف مليون دولار لتمويل حملته في معركة انتخابات الرئاسة. أكثر من ذلك، فان كنيدي حصل، في الانتخابات، التي أُجريت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠، على ٨٠ في المئة من أصوات الناخبين اليهود (ص ٥٣ ـ ٥٤).

وأوحى، ضمناً، دون ان يقولها صريحة، ان مطالبة كنيدي بعودة الراغبين من اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم، ربما كانت السبب في مقتله. واستذكر، في هذا السياق، كيف استشاط بن ـ غوريون غضباً ازاء هذا الموقف، وقام بتوجيه رسالة الى السفير الاسرائيلي لدى واشنطن، مع تعليمات مشدّدة بتعميم فحواها على قادة المنظمات اليهودية، جاء فيها ان اسرائيل «سوف تعتبر خطة اعادة توطين اللاجئين هذه خطراً على بقائها، افظع من كل المخاطر التي يمثلها الديكتاتوريون والملوك العرب، وكل الجيوش العربية، وكل صواريخ عبدالناصر، بل وكل طائرات الميغ السوفياتية؛ وعليه، فان اسرائيل سوف تحارب هذه الخطة الى آخر رجل». وذكر تيفنان ان اقدام كنيدي على تلك الزلّة كانت مثالاً كلاسيكياً على المنزلق الخطير الذي يمكن ان ينساق اليه اي رئيس

اميركي يخطىء في تقويم حساباته، فلا يكتشف، قبل الاقدام على عمله، ما يمكن ان يكون عليه ردّ فعل الحكومة الاسرائيلية والطوائف اليهودية الاميركية، والمدى الذي يمكن ان تذهب اليه في مقاتلة من يرتكب عملاً يبدو كما لو كان متعارضاً مع مصالح اسرائيل الحيوية، بصرف النظر عن مصالح الولايات المتحدة (ص ٥٧ ـ ٥٨).

أمّا خليفته ليندون جونسون، فقد كان ـ حسب تيفنان ـ أفضل صديق لاسرائيل دخل البيت الابيض. كيف ؟ لم يكن جونسون متبحّراً في شؤون السياسة الخارجية، فأُضيف جهله بها الى انتمائه بالمصلحة والعاطفة الى مصالح اسرائيل، حيث «كانت السياسة، في ما يخصه، شيئاً لا علاقة له بالسياسة، بل بالمصالح الشخصية (الصداقات والاتصالات والمنافع)، وكان عدد من اخلص اصدقائه يهوداً، ومن أشد أنصار اسرائيل ولاء لمصالحها». ولمّا كان الحال كذلك، فقد احاط جونسون نفسه، عندما اصبح رئيساً للولايات المتحدة، بحلقة محكمة من اليهود: اختار لمنصب مستشار الامن القومي والت روستو، وفي منصب الرجل الثالث في وزارة الخارجية كان شقيق الأخير، يوجين، واختار لمنصب ممثل الولايات المتحدة لدى المنظمة الدولية قاضياً من المحكمة العليا هو آرثر غولدبرغ، وفي منصبه الذي تركه شاغراً، عيّن المحامي اليهودي ابراهام فورتاس، واختار لمنصب غير رسمي، هو مؤرخه الشخصي، اليهودي جون روش. وعليه، لم يكن من المستغرب ان يكون «زاد الرئيس المعلوماتي» عن الشرق الاوسط يتأتى من هؤلاء المسؤولين المحيطين به (ص ٥٩).

اخبرنا تيفنان، في ثنايا الفصل الثالث، ان هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت من اهمّ العوامل التي ساعدت اسرائيل على ان تصبح لها المكانة التي تتمتّع بها اليوم في الولايات المتحدة، اضافة الى عامل آخر، تمثّل في وصول ريتشارد نيكسون الى سدة الرئاسة؛ وهو الذي وصفته رئيسة الوزراء الاسرائيلية السابقة، غولدة مائير، كـ «أحد الاصدقاء القدامى للشعب اليهودي» (ص ٦٩ ـ ٧١). وفي عهده، ايضاً، تولّد واقع استراتيجي جديد، على الرغم من جهد تيفنان للتقليل من اهميته؛ فمع قيام الجسر الجوي الضخم لانقاذ الجيش الاسرائيلي من ورطة خطيرة في حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، تبلورت استراتيجية الربط العربية التي لجأت الى استخدام سلاح النفط، ولعلّها المرة الاولى، وربّما الاخيرة، في تاريخ النزاع العربي ـ الاسرائيلي التي حاولت الدبلوماسية العربية ايجاد شكل متطوّر لاستراتيجية الربط، مع قدر لا بأس به من النجاح. وطبيعي ان سير الاحداث ساعد على ذلك كثيراً. فقد كانت حاجة نيكسون، على الصعيد المحلي، الى موازنة آثار فضيحة ووترغيت من خلال «نجاح» ضخم في السياسة الخارجية، ومتطلّبات الولايات المتحدة، نفسها، من الطاقة واحتمال نضوب احتياطاتها الاستراتيجية. ولذلك، كان واضحاً ان هذا الامر احدث تأثيراً مباشراً على صعيد الولايات المتحدة، وبدرجة أكبر على صعيد حليفها، اسرائيل.

ألحّ المؤلف على تذكيرنا، في الفصل الرابع، بأن جيمي كارتر عني، طوال حملته الانتخابية الطويلة، الفريدة في نوعها، للوصول الى الرئاسة، بين العامين ١٩٧٥ و ١٩٧٦، بأن يؤكد التزامه بصون «سلامة اسرائيل الاقليمية». وفي خطبة من الخطب الرئيسة التي ألقاها في غمار تلك الحملة، وقف في معبد يهودي بولاية نيوجرسي، وخاطب سامعيه اليهود، قائلاً: «انني اعبد نفس الآله الذي انتم تعبدون؛ ونحن المعمدانيون ندرس الكتاب المقدس ذاته الذي تدرسونه»؛ ثم ذهب الى القول: «ان بقاء اسرائيل ليس مسألة سياسية، وانّما هي، قبل كل شيء آخر، واجب أخلاقي». وعلى الرغم من الحاحه على تلك النغمة طوال فترة حملته الانتخابية، ورفعه لكل الشعارات المألوفة عن «العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل»، واعلانه المبالغ فيه عن «هذين البلدين الديمقراطيين»، وتأكيده ضرورة افهام العرب ان «لا مهرب من التفاوض المباشر مع الاسرائيليين»، وان المتطلبات الاساسية لـ «تسوية الوضع» في منطقة الشرق الاوسط تتمثّل، بادىء ذي بدء، بتغيير العرب لمواقفهم، والاعتراف باسرائيل، واقامة علاقات دبلوماسية معها، وابرام معاهدات سلام بينها وبينهم، لم يحظ كارتر برضى اللوبي اليهودي (ص ٩٨ ـ ٩٩).

وبعد انتخابه ـ اضاف تيفنان ـ كان من المتعيّن على كارتر التحرك بأقصى سرعة ممكنة، خلال السنة الاولى من حكمه، والاّ جازف بأن يخسر الدعم المالي لليهود الاميركيين ويستجلب حنقهم على رأسه. غير ان

ذلك الاستعجال اصطدم بحائط من الجمود اليهودي الاميركي والاسرائيلي؛ فمنذ البداية، اوضح مستشار الامن القومي في عهد الرئيس كارتر، زبيغنيو بريجنسكي، انه «لن يتحقق اي اختراق اميركي صوب السلام، ما لم تتمكن الولايات المتحدة من اقناع اسرائيل». وأورد المؤلف قولاً لاحد معاوني كارتر المتخصصين في شؤون الشرق الاوسط (يرجّح انه وليام كوانت) ان كارتر «انتهج، خلال السنة الاولى من رئاسته، سياسة تجاه الشرق الاوسط اتصفت بالطموح، ولم تتصف بالانشغال الواجب بالاعتبارات السياسية الداخلية»، أي بالسطوة السياسية اليهودية. واضاف قائلاً انه «بدا للبعض ان كارتر كان، في الواقع، منشغلاً بالشرق الاوسط اكثر ممّا يجب»، وان ذلك الانشغال «بدا لبعض المحيطين به، نابعاً، جزئياً على الاقل، من شواغل دينية، مثلما نبع من تطلعه الى خبطة كبرى» خلال فترة رئاسته (ص ١٠١).

وتبعاً لذلك، الحّ كبار معاوني كارتر على ان يكتفي «شر السخونة الشديدة التي يمكن ان تهبّ عليه من جانب اليهود الاميركيين». لكن كارتر «ركب رأسه»، واعلن ان من «مستلزمات السلام» في الشرق الاوسط توفير وطن لـ «اللاجئين الفلسطينيين الذين عانوا كثيراً لسنوات طويلة». واضاف تيفنان: «ولقد كان هذا التصريح بمثابة وضع عود ثقاب مشتعل على فتيل الديناميت شديد الانفجار والقائه وسط اليهود الاميركيين». ومن يومها، بدأت الامور تدلهمّ بالنسبة الى كارتر، وكما ذكر تيفنان «احرق الرجل نفسه». وعندما زاره رئيس الوزراء الاسرائيلي آنذاك، اسحق رابين، في البيت الابيض، عامله ببرود واضح. وعندما عاد الى اسرائيل، كان أول تصريح اطلقه ناطقاً بالازدراء؛ اذ قال: «يبدو ان اسرائيل سيتعيّن عليها ان تدفع الكثير الى ان تكتسب الادارة الاميركية الجديدة الحنكة السياسية وتقترب من النضج الذي تفتقر اليه حالياً» (ص ١٠٢ ـ ١٠٣).

واستطرد تيفنان في رواية ما جرى لكارتر، الذي بات عبرة لمن يعتبر، فقال ان زعماء اليهود الاميركين الذين تشككوا في كارتر ومعاونيه «ما لبثت ان تحوّلت شكوكهم الى عداء مكشوف. والواقع ان احداً من الزعماء الاميركيين لم يشهد، طيلة تاريخ اللوبي اليهودي، شيئاً يقارب العداء الذي واجه به اللوبي كارتر، وما أعدّه له من مصائب». وحينها صرح احد حاخامي نيويورك لمجلة «تايم» بقوله: «لو كان كارتر قال ابّان حملته الانتخابية شيئاً ممّا يقوله الآن، لما كان رأى البيت الابيض بعينيه» (ص ١٠٤).

ولعل مسألة «الخبطات الكبرى»، التي حاول الكاتب ان يبثّها في ثنايا فصول كتابه، هي التي جعلته يركّز، في الفصل الخامس، على صفقة طائرات «الاواكس» الى المملكة العربية السعودية في عهد الرئيس رونالد ريغان، دون سواها من القضايا الاخرى المثارة، وما اكثرها، فشدّد (ص ١٣٥ ـ ١٦١) على ان طائرات الاواكس الخمس التي حصلت عليها السعودية، والمعركة المدوّية التي افتعلها اللوبي اليهودي حولها، كانت كسباً اعلامياً لذلك اللوبي. كيف ؟ أورد، في هذا الصدد، قولاً لرئيس اللوبي «ايباك» توماس داين: «كانت معركة الاواكس معركة فاصلة. لقد خسرنا التصويت في الكونغرس؛ لكننا كسبنا القضية». وذكر تيفنان ان ما كسبه اللوبي في تلك المعركة كان انتصاراً دعائياً ضخماً، «فقد اعتبر اليهود الاميركيون بيع الاسلحة الى السعودية دليلاً على تعاظم سطوة ما وصفوه بأنه ' اللوبي العربي ' ، واعتبروا بذلك ان اعداء اسرائيل كانوا بدأوا يقفون على ارجل راسخة، على الرغم من ان ' ايباك ' كانت تعرف ان ذلك لم يكن حقيقياً، وان الذي انجح الصفقة، بالقوة، كان رونالد ريغان وليس ' الرابطة الوطنية للاميركيين العرب ' . الّا أن توماس داين لم يكن على استعداد لتضييع الفرصة الذهبية التي هرع اليهود الاميركيون بفضلها الى الانضمام الى اللوبي ودعمه مالياً». وقال احد اليهود الاميركيين النشطين، في هذا المجال: «ان معركة الاواكس كانت من أهمّ المعارك الحاسمة التي كسبتها ' ايباك ' ». فبعد تلك المعركة، لم يعد هناك من يتضرّر من ضغط توماس داين عليه لتقديم كل دعم الى اسرائيل؛ ولقد كان الضغط عظيماً بحق». فاللوبي اليهودي بارع، كما رأينا، في تحويل الهزيمة الى نصر، وجعل كل «ضارّة» نافعة. وهنا يحسن التذكير بأن اسرائيل استفادت، بالفعل، اكثر من التعويضات الاضافية، الاقتصادية والسياسية والعسكرية، بفضل قضية الاواكس.

تبحث الفصول الخمسة الباقية في موضوع اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة. وهذه الفصول هي

اقل فصول الكتاب اهمّية ونفعاً؛ وفيها علّل تيفنان ووصف دور اللوبي اليهودي المؤيد لاسرائيل وجهوده في ايجاد التحالفات مع القطاعات المختلفة في المجتمع الاميركي، للمحافظة على امدادات اسرائيل العسكرية والاقتصادية كاملة، ولتؤمن استمرار استثنائها من التدقيق (انظر بصفة خاصة الفصل التاسع). وتتبع المؤلف المراحل التي أوصلت «ايباك» الى وضعها المسيطر الراهن، وأخذ هذه القضية كمسلّمة لا تحتمل النقاش، كون هذا اللوبي «اصبح كما لو انه يمتلك الكابيتول هيل» (اي يمتلك الكونغرس الاميركي). يمتلكه، لا يؤثر فيه، او يستميله، او يتفاهم معه)، بل يمتلكه (ص ١٨٧)، الامر الذي جعل واقع السياسات اليهودية في الولايات المتحدة يتمثل في «ان كل ما يقوله اللوبي اليهودي بشأن اي امر يتعلق باسرائيل هو ما تنفذّه الحكومة الاميركية»، وجعل بوسع «ايباك» ان تنفّذ ما تقول، وكما لا يكف توماس داين، رئيس اللوبي، عن القول لسامعيه اليهود: «ظل ذلك اللوبي كالفيل الهندي، لا يُنسى ابداً» (ص ١٦٢ ـ ١٦٣).

واضاف تيفنان: «ولربع قرن، حتى الآن، ظلت ' ايباك ' اللوبي الاميركي اليهودي الرسمي في مقر الكونغرس، والمنظمة الوحيدة في واشنطن المسجلة كلوبي اميركي يمارس الضغط لحساب اسرائيل»، والسمسار المؤتمن بين رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية واعضاء الكونغرس. ومنذ البداية، ظل مبرّر وجود هذا اللوبي مالياً، وظلت وظيفته الاساسية تأمين استمرار تدفق العون الاميركي على اسرائيل (٤٠ مليار دولار منذ اقامة الدولة اليهودية). فالذي لا يماري فيه احد ان الاقتصاد الاسرائيلي يعتمد، اعتماداً كلياً، على سخاء الكونغرس وكرمه، وان جنوح الكونغرس الى التقتير على اسرائيل ـ ان كان مثل ذلك التقتير متصوّراً ـ يعني دمار اسرائيل بأسرع ممّا يمكن ان يدمّرها جيش عربي. و«ايباك» قد باتت سيدة الكونغرس، وكان ذلك هو ما قصدت ان تقوم به.

الّا ان السيطرة على مقدّرات الكونغرس ليست بكافية. ومن هنا كان السعي الى «تملّك» البيت الابيض ايضاً. وكما تشير معركة القاضي روبرت بورك الاخيرة التي هزم اللوبي اليهودي، في غمارها، البيت الابيض، هزيمة منكرة، واحبط سعيه الى تعيين ذلك القاضي الذي وصف بأنه «متحيّز ضد الاقليات»، ظل هناك السعي الى تأمين المحكمة العليا، المرجع الاعلى في تفسير احكام الدستور وارساء السوابق القانونية. وبتأمين السلطات الثلاث، التشريعية (الكونغرس) والتنفيذية (البيت الابيض) والقضائية، وبالذات المحكمة العليا، وفي الوقت عينه امتلاك وسائل الاعلام والنشر ووسائل صنع الرأي، اقترب اللوبي من ان يصبح «سيد الولايات المتحدة»، وليس «سيد الكونغرس» فحسب.

هنا، ليسمح لنا تيفنان بالانتقال الى الهجوم المضاد لندعوه الى الكفّ عن هذه «التفسيرات الجديدة» للولاء المزدوج لليهود الاميركيين، والتي لا تفسّر شيئاً، بينما هي تجعلنا نستشيط غيظاً؛ اذ ان هذه التفسيرات محكومة بالتناقض الذي فرضه منهج الكاتب نفسه، وجعل عدداً كبيراً منها ملتبساً وغير واضح. فبمقدار ما حثّ تيفنان على ضرورة التمييز بين يهودية المرء واميركيته، فانه أوصلنا الى افكار مختلطة ومشوّشة وذات طابع انتقائي في النتيجة.

طبعاً، لم يقل تيفنان لنا ماذا يعرف عن عملية صنع السياسة الخارجية الاميركية، ويبدو انه، هو نفسه، لا يهمّه هذا التفصيل؛ فمن مكانه، يستطيع التعميم، من بعد. ولا ريب، فان ما يثير في صنع السياسة الخارجية الاميركية، منذ هاري ترومان، ليس تقطعاتها، انما استمراريتها المدهشة. ليس الاختلافات بين التأكيدات التي جاء بها هؤلاء الرؤساء بعد الحرب العالمية الثانية الى السياسة الخارجية، انما تماثل مواقفهم تجاه العالم الخارجي. ومن المأمون ان نذهب الى ان الاستمرارية المتجسّدة في مؤسسة متكاملة (كمؤسسة الرئاسة في الولايات المتحدة) هي دالّة التعقيد. والتعقيد، بدوره، لا يلفت انتباه الباحث، أي باحث، الّا اذا كان مجال بحثه سياقياً. وكلّما كان سياق الرؤية اكثر تعقيداً ازدادت استمرارية المؤسسة.

هكذا، يتميّز التيار الرئيس لتفسير صنع السياسة الخارجية الاميركية ازاء الشرق الاوسط بتركيز على «التفسير التاريخي» اكثر منه على التفسير التحليلي، وكأنه تركيز على ما يسمّى بـ «التفسير الحكومي»، أي

على الخطط والنشاطات، أكثر منه على «التفسير النظامي» والتوجّهات. ويبرز هذا، بحد ذاته، مشكلات سوء الفهم: فالافراط في تأكيد ما يسمّى تأثير «اللوبي اليهودي» على مواقف السياسة الاميركية يهبط بمدى رؤية المسائل من مستوى النظام الى المستوى الحكومي البحت، ان لم يكن المستوى القطري. وهكذا، بدلاً من النظر الى هذا العنصر باعتباره واحداً، فقط، من عناصر عديدة يتألف منها السياق الاوسع (لمشروع شمولي)، نظر تيفنان الى هذا الناتج السياسي المعيّن او ذاك على انه ليس اكثر ولا اقل من محصلة عملية بسيطة من عمليات «سياسات الضغط».

ان كتاب تيفنان سيروق للقارىء العادي دون المتخصص. وسيجد قراء معجبين بين المهتمين بالتفسير «التآمري» للتاريخ الدبلوماسي للشرق الاوسط، وبين اولئك الذين كثيراً ما ردّدوا انه يجب انقاذ اسرائيل والولايات المتحدة رغماً عنهما.

د. نبيل حيدري

موقف مشروط من الانتخابات

شهدت الساحة السياسية الفلسطينية نشاطاً على أكثر من صعيد، تمحور في مجمله، في ما أفرزته الانتفاضة من معطيات جديدة، الأمر الذي استدعى البحث في مكنوناتها، والوسائل الناجعة للتعاطي معها.

خلال ذلك، مرّت الذكرى الأولى لاستشهاد نائب القائد العام، خليل الوزير (أبو جهاد). وفي هذه الذكرى، دعت م.ت.ف. عدداً من المفكرين والسياسيين والادباء في الوطن العربي إلى عقد ندوة ما بين ١٦ ـ ١٩ نيسان (ابريل)، في تونس، تحت شعار «الانتفاضة من الصمود الى المواجهة»؛ حضرها الرئيس، ياسر عرفات، والأمين العام للتجمّع الدستوري التونسي، عبدالرحيم الزاوي، ومدير مكتب الرئيس المصري، د. أسامة الباز.

وزّعت الندوة بحوثها على المحاور التالية: الانتفاضة من الصمود إلى المواجهة؛ الانتفاضة ومحيطها القومي؛ الانتفاضة وأثرها في المجتمع الاسرائيلي؛ التعبير الثقافي عن الانتفاضة في مجالات الفن والأدب؛ الانتفاضة وقرارات المجلس الوطني ـ دورة الانتفاضة ـ دورة الشهيد الرمز «أبو جهاد».

وأُجري، خلال الندوة، بحث معمّق ومستفيض في الواقع الراهن، بأبعاده الفلسطينية والعربية والاقليمية والدولية، وما يترتب على المثقفين العرب والقوى السياسية والشعبية العربية من واجبات ومسؤوليات في مختلف المجالات، إسهاماً في معركة التحرير (وفا، تونس، ٢٠/٤/١٩٨٩).

شكّلت الندوة مجالاً لتبادل وجهات النظر حول دور المثقف العربي في تطوير الانتفاضة، وضرورة فتح مجالات ثقافية وسياسية جديدة في سبيل دعمها.

انتخاب رئيس دولة فلسطين

اكتست دورة المجلس المركزي لـ م.ت.ف. التي عقدت في تونس ما بين ٣١/٣/١٩٨٩ و٣/٤/١٩٨٩، أهمية استثنائية خاصة، لا سيما وأن انعقادها جاء بعد إطلاق العديد من التصريحات السياسية أكثرها حدّة ما أطلقته الجبهتان، الشعبية والديمقراطية، إضافة إلى بروز المزيد من الاجتهادات حول ضرورة انتخاب رئيس لدولة فلسطين، وتسمية وزير خارجيتها، لأسباب أملتها طبيعة التحرك السياسي والدبلوماسي الفلسطيني الجديدة وارتباط ذلك بتشكيل حكومة مؤقتة.

لذا، فقد كان جدول أعمال المجلس حافلاً بالمواضيع والمناقشات. وكان هنالك تصوّر حول إمكانية بروز اختلافات كبيرة بين «فتح» وبين الجبهتين، الشعبية والديمقراطية، حول التحرك السياسي، وبعض التصريحات، ومجمل الحركة السياسية الفلسطينية (أنظر مقابلة صلاح خلف، **الوطن العربي**، باريس، ٢١/٤/١٩٨٩). وعلى الرغم من بروز بعض الاختلافات، إلاّ أن الجميع كانوا حريصين على عدم «الخلط بين الخط والاتجاه السياسي اللذين أقرّهما المجلس الوطني، وصحتهما، وبين مواقف أتخذت هنا أو هناك في إطار التطبيق». وفي هذا السياق، أكدت مداخلات عدة حرص الجميع «على البقاء خارج المحاور العربية، وأن نحافظ، في الوقت نفسه، على علاقة طبيعية مع كل بلد عربي، ما دام هذا البلد يعترف بحقوقنا ودولتنا ويحترم قراراتنا» (مقابلة مع ياسر عبدربه، **الحرية**، نيقوسيا، ٩/٤/١٩٨٩).

انتهت مناقشات المجلس إلى ثلاثة بنود رئيسة: الموافقة، من حيث المبدأ، على فكرة اختيار رئيس لدولة فلسطين؛ ويقوم المجلس المركزي بتحديد صلاحيات الرئيس بقرار لاحق؛ واختيار ياسر عرفات لهذه المهمة (**اليوم السابع**، باريس، ١٠/٤/١٩٨٩). وقد تمّ اختيار عرفات بالاجماع. ومن الواضح، أن هذا الاجماع له أسباب، «منها

تكريمية لقائد المسيرة، ومنها لجلال المناسبة كحدث فلسطيني أول من نوعه، ومنها للرد على ما تردده واشنطن من أن عرفات لا يسيطر على منظمته» (أحمد عبدالحق، **فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٩/٤/١٩٨٩). ومن الجدير ذكره، في هذا السياق، انه سبق للجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. أن اتخذت قراراً بشأن انتخاب الرئيس، خلال دورة إجتماعاتها بتاريخ ٢٨/٣/١٩٨٩ في تونس، ثمّ رفعته كتوصية إلى المجلس المركزي لاقرارها. وأجري الانتخاب بعد الاطلاع على النظام الأساسي لـ م.ت.ف. وعلى قرار المجلس الوطني في دورته التاسعة عشرة.

إلى ذلك، كان يظن البعض ان «يعارض قرار انتخاب الرئيس تنظيمان فلسطينيان مشاركان في م.ت.ف. هما الجبهتان، الديمقراطية والشعبية، وذلك بسبب الحملة السياسية التي قاما بشنها ضد سياسة المنظمة، كما عبرت عن نفسها خلال بعض التصريحات السياسية. ولكن مواقف هذين التنظيمين لم تطرح نفسها داخل المجلس كعقبة على طريق الحوار والوحدة الوطنية» (**اليوم السابع**، ١٠/٤/١٩٨٩). وفي هذا السياق، شرح نائب الأمين للجبهة الشعبية، أبو علي مصطفى، مواقف جبهته، وانتقاداتها، مؤكداً التزام الجبهة الشعبية بالوحدة الوطنية داخل إطار م.ت.ف. وكذلك الموافقة على اختيار عرفات رئيساً لدولة فلسطين، والموافقة على المشاركة في الحكومة الفلسطينية، في حال تشكيلها (**المصدر نفسه**). ومن الجدير ذكره، انه، على هامش اجتماعات المجلس، عقدت عدة اجتماعات بين قيادتي الجبهة الديمقراطية و«فتح»، وذلك بحضور رئيس دولة فلسطين، عرفات، والأمين العام للجبهة الديمقراطية، نايف حواتمة. وأُصدر، في الختام، بيان مشترك، أكد «تطابق وجهات النظر حول المهمّات الراهنة لـ م.ت.ف.» كما «تمّ الاتفاق على متابعة هجوم السلام الفلسطيني المستند إلى المبادرة السياسية الفلسطينية من اجل تحقيق المزيد من الانجازات، وصولاً الى دحر الاحتلال وإقامة الدولة المستقلة. وفي هذا الاطار، تمّ تأكيد التأييد الفلسطيني الكامل لمبادرة وزير الخارجية السوفياتية، إدوارد شيفاردنادزه، من أجل عقد المؤتمر الدولي وبحضور م.ت.ف. على قدم المساواة مع بقية الأطراف. كما تمّ الاتفاق على أهمية مواجهة التطورات السياسية اللاحقة بشكل مشترك، وعلى أرضية تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار م.ت.ف. وهيئاتها» (**الحرية**، ٩/٤/١٩٨٩).

من جهته، علّق الأمين العام للجبهة الشعبية، د. جورج حبش، على نتائج دورة المجلس متسائلاً كيف ننتقل بالاستقلال الوطني من مستوى الاعلان إلى مستوى التحقيق الفعلي ؟ وكيف نجسر الفجوة التي تباعدنا من تشييد الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية ؟ وإلى أي حدّ يمكن القول اننا ازاء إمكانية واقعية لنيل استقلالنا الناجز ؟ وما هي العقبات التي تقف في طريقنا ؟ وكيف يمكن أن نذللها ؟ وحدد حبش العقبات باثنتين: الأولى الموقف الأميركي، والثانية الموقف الاسرائيلي. وقال: «لا يجوز أن يقلّل، ولو للحظة واحدة، من حجم العقبات التي تعترض الطريق إلى الدولة، أو يُدفع بعضنا الى استسهال هذه المهمة» (**الهدف**، نيقوسيا، ١٦/٤/١٩٨٩). واعتبر صلاح خلف انتخاب عرفات رئيساً للدولة، وفاروق القدومي وزيراً للخارجية، «خطوة وسط بين إعلان حكومة المنفى وعدم إعلانها، إضافة إلى أنها جاءت لتراعي بعض الاعتبارات البروتوكولية بعد إعلان دولة فلسطين» (**الشرق الأوسط**، لندن، ٦/٤/١٩٨٩).

الموقف من الانتخابات البلدية

طرح رئيس الوزراء الاسرائيلي، إسحق شامير، في أثناء زيارته للولايات المتحدة، مؤخراً، مشروعاً لاجراء انتخابات بلدية في المناطق المحتلة، في محاولة ظاهرة للالتفاف حول هجوم السلام الفلسطيني، وما يحققه من انجازات. لاقى هذا الطرح رداً فلسطينياً مدروساً، تمثل في رفضه رفضاً مشروطاً. وفي هذا الاطار، تساءل عرفات «هل يمكن أن تجرى انتخابات حرة في بلد محتل ؟». وقال: «لا يلدغ المرء من الجحر مرتين»، مذكراً بالتجربة المؤلمة للانتخابات البلدية العام ١٩٧٦ في المدن الفلسطينية، والتي أدت الى فوز أنصار م.ت.ف. بـ ٩٦ مقعداً من المقاعد الـ ١١٦، لكن معظمهم طرد، أو قتل، أو سجن» (**الحياة** لندن، ١٠/٤/١٩٨٩).

من جهته، وصف صلاح خلف هذا المشروع

بأنه «كاذب» ولا «علاقة له بالسلام»، وأن شامير يحاول، من خلاله، «ضرب الانتفاضة وتقسيم الشعب الفلسطيني» (المصدر نفسه، ٦/٤/١٩٨٩). وأكد خلف ان التجربة التي تمّت سنة ١٩٦٧ لا تزال ماثلة؛ لذلك، «نحن نرحب بالانتخابات، ولكن ليس في ظل الاحتلال. ونقول أهلاً وسهلاً بالانتخابات باشراف دولي في الداخل والخارج» (مقابلة مع صلاح خلف، القبس، الكويت، ١٢/٤/١٩٨٩).

الجبهة الديمقراطية، من جهتها، اعتبرت مشروع شامير نوعاً من «إحياء مشروع الحكم الذاتي». وأكد حواتمة رفض جبهته لأية انتخابات تجرى قبل انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلي من الأراضي الفلسطينية المحتلة العام ١٩٦٧، ومجيء قوات دولية حتى يتمّ الانتخاب بحرية تحت إشراف الأمم المتحدة؛ أمّا قبل رحيل الاحتلال، فلا انتخابات. وأضاف: «نحن جرّبنا الانتخابات تحت الاحتلال الاسرائيلي العام ١٩٧٦؛ وفاز مؤيدو م.ت.ف. والجميع انتهوا بين قتيل وجريح ومطرود وتمّ تعيين مجالس بلدية وقروية بديلة من المجالس المنتخبة. النتيجة تقول: في ظل الاحتلال لا قيمة لأية انتخابات، لأن المحتل قادر على إلغائها، كما فعل مع انتخابات ١٩٧٦ (مقابلة مع نايف حواتمة، الحرية، ٢٣/٤/١٩٨٩).

الى ذلك، ذهب بعض الأوساط الصحافية إلى أن التصور الفلسطيني لاجراء انتخابات في المناطق المحتلة يتألف من ثلاث مراحل: انسحاب القوات الاسرائيلية؛ ثم إجراء الانتخابات تحت اشراف دولي، يتم بعدها اختيار فريق فلسطيني، توافق عليه المنظمة، للتفاوض مع إسرائيل، خلال فترة تمتد سنتين، يتمّ خلالها بناء جو من الثقة، تعتقد واشنطن بضرورته؛ وفي مرحلة ثالثة، يصار إلى التفاوض بين المنظمة واسرائيل لتحديد مستقبل الأراضي المحتلة، في اطار التسوية النهائية (الشرق الأوسط، ١٩/٤/١٩٨٩).

وأكدت أوساط دبلوماسية دولية انه ومع استمرار الانتفاضة، فليس من المحتمل اجراء انتخابات في الأرض المحتلة، دون موافقة م.ت.ف. ورأت تلك الأوساط أن الحكومة الاسرائيلية وم.ت.ف. والدول العربية الرئيسة وواشنطن ولندن، كلها متشجعة الى الانتخابات، على الرغم من أن الوقت مبكر جداً للتحدث عن التفاؤل. غير أن تطورات عدة أدت إلى تغيير الوضع الدبلوماسي، وهي أن الحكومة الاسرائيلية وم.ت.ف. تقدمتا بمقترحات متداخلة فيها أشياء مشتركة. «فكلتاهما تتصوران انتخابات في الأراضي المحتلة، ولكنهما تختلفان على ما سيتبع مثل هذه الانتخابات، وذلك على الرغم من أن م.ت.ف. رفضت الخطة الاسرائيلية، وأن إسرائيل تجاهلت خطة م.ت.ف. الاّ أن ذلك يعني أن كلا الجانبين لم يستبعد نوعاً من الحل الوسط (القبس، ٢٧/٤/١٩٨٩؛ نقلاً عن التايمز، بدون ذكر تاريخ النشر).

الى ذلك، رأت أوساط صحافية فلسطينية أن الادارة الأميركية تفكر في حلّين: ١ ـ إنسحاب القوات الاسرائيلية من المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، على أن تطلق اسرائيل على هذا الانسحاب اسم «إعادة توزيع أو نشر القوات»، وقد سبق لشامير أن أبدى استعداداً للاقدام على مثل هذه الخطوة؛ ٢ ـ تأييد إشراف مناسب على الانتخابات، وربما يشارك في هذه العملية أعضاء من الكونغرس الأميركي وآخرون من الكنيست الاسرائيلي وجهات أجنبية أخرى (جلال الأحمد الأفق، نيقوسيا، ٢٧/٤/١٩٨٩). وعلّلت أوساط دبلوماسية دولية أسباب الرفض الفلسطيني المشروط لمبادرة شامير، بحرص م.ت.ف. على التأكيد أن الانتخابات ما هي إلاّ خطوة أولى نحو الانسحاب الاسرائيلي، وليست غاية بحد ذاتها. كما أن الرفض الفلسطيني يتيح للمنظمة الطلب من الولايات المتحدة تقديم تعهداتها بـ «السماح للهيئات المنتخبة في الداخل ببدء المفاوضات حول الانسحاب الاسرائيلي بعد انتخابها مباشرة، وليس بعد فترة طويلة من التهدئة» (القبس، ١٧/٤/١٩٨٩، نقلاً عن الايكونومست، بدون ذكر تاريخ النشر).

سميح شبيب

نشاط عربي في اتجاهين

تركّز النشاط الدبلوماسي العربي، منذ أواخر آذار (مارس) وخلال نيسان (أبريل) ١٩٨٩، على محورين في ما يتعلق بالموضوع الفلسطيني: الاول نحو الولايات المتحدة الأميركية، وتمثّل في زيارة كل من الرئيس المصري، حسني مبارك، والملك الأردني، حسين، إلى واشنطن، حيث بحث كل منهما مع المسؤولين الأميركيين في تطورات المساعي نحو الحل السياسي لقضية الشرق الأوسط، وفي مقدّمها القضية الفلسطينية؛ والثاني، في الاطار العربي، اذ تكثف النشاط حول امكان عقد قمة عربية طارئة، تبحث، في ما تبحث فيه، التحرك الفلسطيني نحو السلام، وكان ملك المغرب، الحسن الثاني، عرّاب هذه الدعوة.

مبارك إلى واشنطن

قرّرت الادارة الأميركية الجديدة أن يكون الرئيس المصري، حسني مبارك، أول ضيوفها من بين المسؤولين في الشرق الأوسط، لتبحث معه في سبل تحريك عملية السلام التي باتت القضية الفلسطينية جوهرها. وتعود أهمية مصر لدى الادارة الأميركية، حسب قول الرئيس الأميركي، جورج بوش، إلى «استعادة مصر لموقعها كدولة رائدة وقائدة للعالم العربي... [و] إلى قدرة الرئيس، حسني مبارك، وممارسة مسؤولياته كرجل دولة، وإلى حكمة مصر والتزامها بالسلام» (**الأهرام**، القاهرة، ٥/٤/١٩٨٩).

وعلى ذلك، شهدت القاهرة، في الأيام الأخيرة من آذار (مارس)، لقاءي قمّة: الأول، ضم رئيس مصر، حسني مبارك، وملك الأردن، حسين، ورئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات؛ والثاني، ضمّ إلى جانب الرئيس المصري، الملك فهد بن عبدالعزيز، ملك العربية السعودية. وتفيد المصادر الصحافية بأنه تمّ الاتفاق، في قمة مبارك ـ عرفات ـ حسين، على «تنسيق الادوار في خطة تحرك محكمة، لا تدع لأي طرف ـ خصوصاً الطرف الاسرائيلي ـ فرصة الافلات من حصار السلام» (مكرم محمد أحمد، **المصور**، القاهرة، العدد ٣٣٦٤، ٣١/٣/١٩٨٩، ص ١٢). وحسب المصدر نفسه، تمّ الاتفاق، في القمّة ايّاها، بين فلسطين والأردن على: «١ ـ ان الأردن لا يمكن أن يكون بديلاً من منظمة التحرير... لأنه لا أحد غير الفلسطينيين يستطيع أن يتحدث باسم الفلسطينيين؛ ٢ ـ ان الأردن يقبل، ويرحّب، بالدولة الفلسطينية المستقلة، وان أي علاقات مستقبلية بين الكيان الفلسطيني والكيان الأردني، انما هي علاقات يقيمها الشعبان طوعاً وبالاختيار الحرّ في اطار رؤيتهما العربية؛ ٣ ـ ان التطور الراهن في جهود السلام يقتضي انشاء لجنة ثلاثية على مستوى عالٍ تضمّ ممثلين عن مصر والأردن والمنظمة، تكون مهمّتها تنسيق المواقف في أوراق عمل محدّدة توحّد مواقف الأطراف الثلاثة، خصوصاً فيما يتعلق بحوار الرئيس مبارك في واشنطن، والحوار الذي يجريه هناك الملك حسين في زيارته... للولايات المتحدة... وسوف يمثل مصر في هذه اللجنة الدكتور أسامة الباز، المستشار السياسي للرئيس مبارك؛ كما سوف يمثل الأردن عدنان أبو عودة، مستشار الملك؛ كما سوف يمثل المنظمة هاني الحسن، مستشار عرفات» (**المصدر نفسه**، ص ١٣).

وقد أكد الملك حسين، في المؤتمر الصحافي الذي أعقب القمّة، «ان الأردن يرى أن المنظمة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وهي التي لها حق الحديث باسم الفلسطينيين، ونحن نصرّ على وجودها طرفاً على قدم المساواة في مؤتمر السلام» (**المصدر نفسه**).

وعلّق الرئيس الفلسطيني، عرفات، على نتائج تلك القمة بالقول: «ان التنسيق المصري ـ الأردني ـ الفلسطيني يستهدف حلاً عادلاً للقضية الفلسطينية يقوم على أساس دولة مستقلة... تدعو

إلى اقامة اتحاد كونفيدرالي مع الأردن، على أساس طوعي واختياري، التزاماً بالعلاقات الخاصة بين الشعبين، الأردني والفلسطيني» (**المصدر نفسه**)؛ وأكد عرفات أن اجتماع القمّة ايّاه، هدفه «وحدة الموقف العربي، وأنا أتمنى أن تنضم سوريا إلى هذه اللقاءات... [وقد] تبنّى مضمون قرار مجلسنا الوطني، ومضمون خطابي الأخير [في] الأمم المتحدة. وقد أكد ذلك كل من الملك حسين والرئيس مبارك» (من مقابلة مع ياسر عرفات، **المجلة**، لندن، العدد ٤٧٨، ٥ ـ ١١/٤/١٩٨٩، ص ١٧).

واستخلص مراقبون من تلك القمة أنه تمّ «اتفاق الرأي على ضرورة تأكيد الاعتراف بالحل الشامل، حتى وأن تمّ على مرحلة، أو مرحلتين، بشرط أن تقوم التسوية على مبدأ الأرض مقابل السلام والحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين، بما فيها حق تقرير المصير واقامة الدولة التي ترتبط في كونفيدرالية مع الأردن» (حسين شعلان، **اليوم السابع**، باريس، العدد ٢٥٦، ٣/٤/١٩٨٩، ص ١٥).

وتلا لقاء القمة الثلاثي قيام ملك السعودية، فهد بن عبدالعزيز، بزيارة لمصر، بعد أن كان زار بغداد. وأفادت مصادر مطلعة بأن القضية الفلسطينية احتلّت «المكانة الأولى في المباحثات التي أُجريت في بغداد والقاهرة والاسكندرية، وأكد الزعماء العرب الثلاثة [مبارك وفهد وصدام] أن المؤتمر الدولي للسلام هو الصيغة المناسبة للطرح العالمي للقضية» (**الحوادث**، لندن، العدد ١٦٩٢، ٧/٤/١٩٨٩، ص ٢٧)؛ وقال الملك فهد: «طبعاً، كما هو معروف، ان القضية الفلسطينية هي الأساس في كل ما يناقشه الزعماء العرب، سواء كانوا مجتمعين أو منفردين؛ فالقضية الفلسطينية حق شرعي لأصحابها بلا شك، والحق الشرعي يجب أن يعود إلى أصحابه؛ وحسب ما أخبرني الرئيس مبارك، فإن ما يجري من مباحثات بينه وبين جلالة الملك حسين ورئيس م.ت.ف. هو من الأمور التي سيكون لها مفعول بعد زيارة الرئيس [مبارك] للولايات المتحدة» (**الأهرام**، ٢٩/٣/١٩٨٩). ومما جاء في البيان المشترك ان الجانبين أعربا «عن استمرار تأييدهما لانتفاضة أبناء الشعب الفلسطيني المناضل في الأراضي المحتلة... كما أعلنا عن تأييدهما لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر، وبإعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة... وأكد الجانبان أن التطورات الايجابية في الموقف الفلسطيني تمثّل فرصة نادرة يتعيّن على كل الأطراف انتهازها للتوصل إلى تسوية سلمية عادلة ودائمة للنزاع في المنطقة، في ضوء التأييد والتعاطف الدولي لقيام الدولة الفلسطينية؛ كما أكد الجانبان أن عقد المؤتمر الدولي للسلام، تحت رعاية الأمم المتحدة، وبحضور الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وكافة أطراف النزاع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة، هو الصيغة المقبولة من المجتمع الدولي لتحقيق السلام الدائم والعادل والشامل في الشرق الأوسط» (**المصدر نفسه**، ١/٤/١٩٨٩، ص ٥).

وقد أثارت زيارة الملك فهد إلى القاهرة اهتماماً عالمياً ـ حسب بعض المصادر ـ لأنها «جاءت غداة القمة الثلاثية، التي ضمّت كلاً من الملك حسين... والرئيس محمد حسني مبارك... والمناضل ياسر عرفات... [وبسبب] تحديد موعد الزيارة عشية زيارة الرئيس مبارك للولايات المتحدة... فقد وجد المراقبون، في هذه الزيارة، ما يؤكد عودة مصر إلى دورها الرائد في المنطقة العربية... على أساس أن الرئيس مبارك، خلال زيارته للعاصمة الأميركية، لن ينطق بلسان مصر وحدها، بل بلسان العرب جميعاً، دفاعاً عن الحقوق الفلسطينية المشروعة، وعن السلام الذي تسمّمه المواقف الاسرائيلية المتعنّتة» (نشأت التغلبي، **الحوادث**، العدد ١٦٩٢، ٧/٤/١٩٨٩، ص ٢٨ ـ ٢٩). ورأى مراقبون «أن السعودية كانت معنيّة، عن قصد، بإظهار دعمها الواضح للرئيس حسني مبارك في مباحثاته مع الرئيس جورج بوش» (شعلان، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٥).

وهكذا، توجه مبارك إلى واشنطن، وقد تعزز دور مصر. وقد ركزت مباحثاته في واشنطن، في جانبها السياسي، على «عملية السلام في الشرق الأوسط، وضرورة الاسراع بحصول بدء المفاوضات المباشرة في نطاق المؤتمر الدولي، وتنشيط جهود السلام بالمنطقة» (**الأهرام**، ٧/٤/١٩٨٩). وقال رئيس هيئة الاستعلامات المصرية، د. ممدوح البلتاجي، الذي رافق الرئيس مبارك في زيارته إلى واشنطن، ان

الرئيس مبارك أبرز «أهمية منظمة التحرير الفلسطينية، وضرورة التعامل معها، موضحاً انه من الخطأ، والخطر، محاولة أن تستبدل بالمنظمة أية قيادات بديلة، مشيداً... باعتدال رئيسها السيد ياسر عرفات. كما أكد الرئيس الأهمية الكبيرة لدور الأردن في عملية السلام» (**المصدر نفسه**، ٩/٤/١٩٨٩). وقال الرئيس مبارك، في ختام لقاءاته مع المسؤولين الأميركيين: «نحن نعتقد بأن منطقة الشرق الأوسط وصلت، الآن، إلى مفترق طرق تاريخي سوف يؤثر على الأجيال القادمة؛ وواجبنا المقدس يقضي منّا أن نبذل قصارى جهدنا لتوسيع دائرة السلام، وازالة العقبات الباقية التي حالت، حتى الآن، دون تحقيق السلام الدائم والعادل... فالتسوية يجب أن تتم من خلال مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وكل الأطراف العربية في اطار مؤتمر دولي للسلام، وأساس التفاوض هو قرار مجلس الأمن الرقم ٢٤٢ والقرار ٣٣٨؛ ومبدأ [مبادلة] الأرض بالسلام، والأمن لكل الأطراف المعنية، والاعتراف بالحقوق المشروعة والوطنية للشعب الفلسطيني» (**المصدر نفسه**، ٥/٤/١٩٨٩، ص ٣). وفي حين أعرب الرئيس مبارك عن اعتقاده، آنف الذكر، أعلن الرئيس الأميركي، بوش، في ختام المباحثات، «أن مصر وأميركا تشتركان في تأكيد توفير الأمن لاسرائيل وانهاء الاحتلال والتوصل إلى الاعتراف بالحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني؛ وذلك يتحقق من خلال تسوية تفاوضية تقود إلى مؤتمر دولي يتمّ الاعداد له اعداداً طيباً، يمكن أن يلعب دوراً مفيداً في الوقت المناسب» (**المصدر نفسه**).

زيارة الملك حسين

فيما بين زيارة مبارك لواشنطن، أوائل نيسان (ابريل)، وزيارة الملك الأردني حسين لها، في النصف الثاني من الشهر ذاته، زار رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، واشنطن حاملاً معه أفكاراً لحل «المشكلة الفلسطينية»، تقوم على أساس اقامة حكم ذاتي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يتمّ الاتفاق عليه بين الحكومة الاسرائيلية ووفد منتخب من قبل أولئك السكان. وشكلت فكرة اجراء انتخابات في الأراضي الفلسطينية المحتلة موضوعاً للبحث، بحد ذاته، اذ قبلته الادارة الأميركية، وطالبت شامير بتقديم تفاصيل حول كيفية اجراء تلك الانتخابات، ودورها في عملية السلام. وعلى ذلك توجّهت الادارة الأميركية الى كل من مصر والأردن وم.ت.ف. لاستجلاء رأيها حول اقتراح شامير.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول ان زيارة حسين لواشنطن قد تحدّد موضوعها مسبقاً، وهو البحث في اقتراح شامير، آنف الذكر. وكما ذهب مبارك إلى واشنطن بموقف متفق عليه بين مصر والأردن وم.ت.ف. كذلك الحال بالنسبة الى الملك حسين. ففي ١٢/٤/١٩٨٩، وصل إلى عمان الرئيس مبارك، وبحث مع الملك حسين في «تطورات قضية الشرق الأوسط وجهود تحريك عملية السلام وعقد المؤتمر الدولي... وقد أطلع الرئيس مبارك الملك حسين على كافة تفاصيل محادثاته مع الادارة الأميركية... وذلك قبل لقاء حسين وبوش في واشنطن... وأوضح الرئيس مبارك انه تدارس مع الملك حسين تصريحات اسحق شامير، وانه يرى ضرورة اجراء اتصال مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات حتى يمكن بلورة الآراء، في ضوء محادثاته مع الملك حسين... وقال ان مصر تريد أن تعرف رأي المنظمة بالتحديد في امكانية اجراء انتخابات في الأراضي الفلسطينية المحتلة... وأوضح مبارك، بشكل قاطع، ان مصر ترفض تمثيل م.ت.ف. في التشاور مع اسرائيل، مشيراً إلى أنه يتعيّن على كل طرف أن يتفاوض بنفسه، لأنها مفاوضات تحدّد المصير» (**المصدر نفسه**، ١٤/٤/١٩٨٩). وقال الرئيس مبارك «أن الانتخابات التي اقترحت اسرائيل اجراءها في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين لن تتمّ دون موافقة م.ت.ف. ولم يستبعد الرئيس مبارك والملك حسين اجراء انتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة... لكنهما يعتقدان بأن مقترحات شامير... غير كافية» (**القبس**، ١٤/٤/١٩٨٩).

ولم يحضر الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، لقاء مبارك ـ حسين، حيث كان في المغرب، وتوجّه منها مباشرة إلى بغداد، والتقى، فور وصوله، بالرئيس العراقي، صدام حسين (**الأهرام**، ١٤/٤/١٩٨٩). وأفادت مصادر صحفية بأن سبب عدم مشاركة عرفات في اللقاء ايّاه يعود إلى خلافات حصلت بين الجانبين، الأردني

والفلسطيني، في أثناء القمة الثلاثية؛ واعتذر عرفات عن حضور لقاء مبارك ـ حسين، قائلاً: «انه على موعد مهم ومفاجيء مع الملك الحسن الثاني» (**المحرر**، باريس، العدد ٦٨، ١٢/٤/١٩٨٩، ص ٣). لكن موقف عرفات تبدل بعد أن اجتمع بالرئيس المصري مبارك، في ١٥/٤/١٩٨٩، حيث «شرح مبارك لعرفات موقف الملك حسين الودّي من المنظمة، ورغبته في التشاور مع عرفات وتنسيق الموقفين، الأردني والفلسطيني، قبل زيارته المهمة لواشنطن؛ ثم اقترح مبارك ضرورة قيام عرفات، يصحبه الدكتور أسامة الباز، بزيارة عمّان والاجتماع مع العاهل الأردني، الذي سيستقبله كرئيس دولة» (**المصدر نفسه**). وصرّح امين سر المجلس الوطني الفلسطيني، محمد صبح، «بأن مباحثات الرئيس حسني مبارك وياسر عرفات، رئيس الدولة الفلسطينية، كانت هامة للغاية، وتمّ خلالها بحث ضرورة اتخاذ موقف عربي واحد تجاه ما تطرحه القيادة الاسرائيلية حالياً من اجراء انتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي... [و] تمّ الاتفاق على ضرورة أن تجرى الانتخابات في الضفة والقطاع بعد الانسحاب الاسرائيلي منها، ومعرفة الموقف النهائي للحكومة الاسرائيلية من الأراضي المحتلة» (**الأهرام**، ١٧/٤/١٩٨٩). وعلق مستشار الرئيس مبارك للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، على مسألة اجراء الانتخابات قائلاً: «لا يمكن اجراء الانتخابات تحت ظل الاحتلال الاسرائيلي، ولا بد أن تجرى الانتخابات في جوّ محايد تماماً، فتخرج القوات الاسرائيلية، ثم تجري الانتخابات هيئة دولية محايدة...[و] لا نقبل اطلاقاً أن يقسّم التمثيل الفلسطيني... [و] يجب أن يكون هناك تمثيل ووجود لمنظمة التحرير منذ اليوم الأول؛ وهذا هو الموقف الأردني، والمصري، والفلسطيني. أمّا من تختار منظمة التحرير، فهذه مسألة عائدة للمنظمة، والمنظمة، طبعاً، سوف تختار عناصر توافق على السلام» (من مقابلة مع د. أسامة الباز، **الحوادث**، العدد ١٦٩٣، ١٤/٤/١٩٨٩، ص ٢٩). وقال الرئيس الفلسطيني عرفات، بعد لقائه مبارك، «انه يريد أن تجرى انتخابات تحت اشراف دولي، أو تحت اشراف الأمم المتحدة... [و] ان الانتخابات تجرى بعد زوال الاحتلال الاسرائيلي، وبعد انسحاب اسرائيل، وتحت اشراف الأمم المتحدة، على الأقل كما حدث في ناميبيا» (**القبس**، ١٧/٤/١٩٨٩).

وتوجه عرفات، بعد القاهرة، إلى عمان للقاء الملك حسين، بهدف: «١ ـ تنقية أجواء العلاقة الأردنية ـ الفلسطينية... والعودة، بالتالي، إلى رحاب التشاور والتنسيق والتعاون المشترك؛ ٢ ـ وضع الجانب الأردني في صورة المحادثات الفلسطينية ـ الاميركية...؛ ٣ ـ الاستماع الى تصوّر العاهل الاردني حول محادثاته مع الرئيس الأميركي، جورج بوش، وما يعتزم طرحه على الرئيس الأميركي، فضلاً عن اطلاع الملك حسين على رؤية المنظمة لمقترحات شامير حول اجراء انتخابات في الضفة والقطاع» («المحرر»، **مصدر سبق ذكره**). وأفادت مصادر صحفية بأن «التساؤلات التي طرحها عرفات على العاهل الأردني، قبيل سفره إلى واشنطن... تعلّقت بجوانب متباينة في مقترحات شامير، منها، مثلاً، حق الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة في التصويت في الانتخابات المقترحة، بحكم كونهم يشكلون جزءاً من جسم الشعب الفلسطيني... من هذه الجوانب، أيضاً، حق فلسطينيي القدس المحتلة في التصويت، وهو أمر يرفضه الاسرائيليون، لما يعنيه من قبول مبدأ 'التنازل' عن القدس الشرقية، واعتبارها بذلك جزءاً من بقية الأرض المحتلة وتتساوى معها في المعاملة» (عصام عبدالعزيز، **كل العرب**، باريس، العدد ٣٤٨، ٢٤/٤/١٩٨٩، ص ١١).

وفي المحصلة، تناول لقاء عرفات ـ حسين، والذي شارك فيه د. أسامة الباز، المواضيع التي سيطرحها حسين في واشنطن، وكان من أبرزها «تطوير الحوار الأميركي ـ الفلسطيني في المرحلة المقبلة، بحيث يسمح بعقد لقاءين مباشرين بين السيد ياسر عرفات، من جهة، ووزير الخارجية الأميركي، جيمس بيكر، ثم الرئيس بوش، من جهة أخرى... وتطرق الاجتماع الثلاثي إلى قضية الانتخابات في الأراضي المحتلة، وتمّ الاتفاق على أن يتولى العاهل الأردني ابلاغ الادارة الأميركية أن مناقشة الأسس التي يمكن ان تجرى عليها هذه الانتخابات لن تتم إلّا بعد موافقة الادارة الأميركية على الشرطين الآتيين: ١ ـ ضرورة حصول الملك

حسين على تعهّد والتزام أميركيين بألّا تجرى هذه الانتخابات في ظل الاحتلال الاسرائيلي؛ ٢ ـ أن يكون هناك اتفاق بين الولايات المتحدة وبقية الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن على ضمان اجراء هذه الانتخابات تحت الرعاية الدولية، مع التزام الحكومة الاسرائيلية النتائج التي سوف تسفر عنها. وأكد العاهل الأردني اتفاقه مع الرئيس الفلسطيني على هذا المضمون؛ كما أكد الباز موافقة الحكومة المصرية على هذا التوجه» (**الحياة**، لندن، ١٨/٤/١٩٨٩). ولخّص مسؤول أردني موقف الملك حسين على النحو التالي: «لن يكون هناك سلام دون قبول اسرائيل بمبدأ مقايضة الأرض مقابل السلام...؛ يجب استناد أي حل إلى المبادىء التي يتضمنها قرارا مجلس الأمن الدوليان ٢٤٢ و ٣٣٨...؛ يجب عقد أي مفاوضات في اطار مؤتمر دولي للسلام...؛ لا يكون هناك عودة عن قرار الملك حسين فك الارتباط بين المملكة الأردنية الهاشمية والضفة الغربية المحتلة، أو التفاوض على مستقبل الضفة وغزة بدلاً من م.ت.ف...؛ يرفض الأردن اقتراح الخيار الأردني...؛ يعارض الأردن اقتراح شامير عقد انتخابات لفترة حكم ذاتي انتقالية... طالما ظلت اسرائيل تحتل الضفة الغربية وقطاع غزة» (**المصدر نفسه**). وعلى ذلك، ذكرت وكالة الأنباء الاردنية «ان الملك حسين والسيد ياسر عرفات نسّقا موقفي الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية عشية قيام العاهل الأردني بزيارة للولايات المتحدة، واجتماعه مع الرئيس الأميركي جورج بوش» (**القبس**، ١٧/٤/١٩٨٩).

وهكذا، توجّه الملك حسين إلى واشنطن يحمل معه رؤيا مشتركة مع مصر و م.ت.ف. لاقتراح شامير الذي تبنّته الادارة الأميركية؛ وأعلن، في مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس الأميركي، جورج بوش، «ان الأردن سيتعاون، عن كثب، مع الولايات المتحدة لتحقيق حل دائم وشامل وسلمي وعادل في المنطقة، وأعلن انه سيؤيد بوش في سعيه إلى تحقيق السلام العادل والدائم» (**الحياة**، ٢١/٤/١٩٨٩). وفي لقائه مع وزير الخارجية الأميركية، جيمس بيكر، ناقش ـ حسبما ذكرت مصادر دبلوماسية مطلعة ـ «بالتفصيل، التصورات الرامية إلى اجراء انتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة» (**المصدر نفسه**). ونقل عن الملك حسين «تفاؤله أكثر من أي وقت مضى لاحتمال تسوية القضية الفلسطينية... [و] ارتياحه للنتائج التي حققتها زيارته للولايات المتحدة... وقال ان الرئيس الأميركي، جورج بوش، يرى أبعاد القضية الفلسطينية بوضوح تام» (**الأهرام**، ٢٣/٤/١٩٨٩).

وعلّق أحد المراقبين على زيارتي حسين ومبارك إلى واشنطن، قائلاً: «أن الملك حسين، طرح الرد العربي النهائي على مزيج التفاهم الأميركي ـ الاسرائيلي بعد زيارة شامير؛ فإذا ما كانت زيارة الرئيس مبارك نقلت التصوّر العربي الجماعي بعد قمة الاسماعيلية مع الملك حسين والزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وزيارة الملك فهد إلى القاهرة، فإن المشاورات الفلسطينية ـ الأردنية ـ المصرية التي سبقت زيارة الحسين لواشنطن قد تمخضت عمّا هو أرقى من تصوّرات لتصل إلى وضع خطوط نهائية تجدد امتحان الادارة الأميركية بقيادة بوش... في ساحة المصداقية» (مازن مصطفى، **الحوادث**، العدد ١٦٩٤، ٢١/٤/١٩٨٩، ص ٣٥).

وقد قلّل الوفد الأردني، المرافق لحسين في زيارته إلى واشنطن، من أهمية المحادثات حول الأفكار المتعلقة بإجراء الانتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة. وأكد الملك حسين «ان الأردن ليس الطرف المعني مباشرة بموضوع الانتخابات، وأن الطرف المعني هو م.ت.ف.» (**الحياة**، ٢٢ ـ ٢٣/٤/١٩٨٩)؛ وقال حسين: «لست الشخص المعني بقبول اقتراح شامير، أو رفضه. والسؤال يجب أن يوجّه إلى الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي، ولست في مركز يسمح لي بالتحدث عن مشاعرهم، أو قرارهم، أو توجههم...» (**المصدر نفسه**). وأفادت مصادر مطلعة بأن «الموقف الأردني، خلال محادثات الملك حسين مع بوش وكبار مساعديه، حض الولايات المتحدة على اتخاذ خطوات تهدف إلى دفع اسرائيل إلى التعاطي مع منظمة التحرير الفلسطينية في اطار المؤتمر الدولي للسلام» (**المصدر نفسه**).

وقال الرئيس الأميركي، بوش، في مأدبة العشاء التي أقامها للملك حسين: «ان زيارة العاهل الأردني لواشنطن تأتي في لحظة حاسمة من تاريخ الشرق

الأوسط... وأكد للملك أنه راغب في العمل معه لحل أزمة الشرق الأوسط... [و] لنبحث عن طرق جديدة لسد ثغرة الخلافات العميقة بين أطراف النزاع، مشيراً إلى الحاجة إلى خفض الشكوك وتحضير الطريق أمام المفاوضات التي ستقود إلى الحل الشامل الذي يريده الجميع» (**المصدر نفسه**).

وتتراوح المواقف العربية من الموقف الأميركي حيال العمل لحل أزمة الشرق الأوسط بين التشاؤم والتفاؤل. وعلّق أحد المراقبين قائلاً: «اننا مع احترامنا لمشاعر المتفائلين العرب والمراهنين على حماس الرئيس الأميركي بوش... نقول ان القضية ما زالت أكثر تعقيداً... وأعمق من مجرد التفاؤل بالنيّات الحسنة؛ ذلك أن القضية، بجوانبها المعقدة، ما زالت بحاجة إلى الضغط بقوة، والدفع بعنف، حتى تنضج الرغبة في الحل عند كل الأطراف، وليس عند بعضها فقط. ومن باب الضغط بقوة، والدفع بعنف، أن يستمر طوفان الانتفاضة الباسلة... وأن يشتد هجوم السلام العربي ويتصاعد في ظل تضامن عربي حقيقي يستمد قوّته من الأفعال، وليس من الأقوال» (صلاح الدين حافظ، **الأهرام**، ١٩/٤/١٩٨٩، ص ٧).

وجوب انعقاد قمة عربية

يشعر الطرف الفلسطيني بالحاجة الى بلورة موقف عربي موحّد من عملية السلام التي بدأتها م.ت.ف. وفي اجتماع المجلس المركزي، ركّز عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، هاني الحسن، «على أهمية العامل العربي في بلورة عوامل الضغط المطلوبة [و] أثناء عملية المفاوضات؛ وشرح كيف أن التكتيكات الأميركية تسعى إلى فصل الفلسطينيين عن العرب، كما تسعى إلى ابعاد القوى الدولية... عن المؤتمر الدولي نفسه» (**اليوم السابع**، العدد ٢٥٧، ١٠/٤/١٩٨٩، ص ٩). وقد دعا المجلس المركزي الفلسطيني «إلى عقد مؤتمر قمة عربي لتعزيز التضامن وخدمة أهداف الأمة العربية، بما فيها انتفاضة الشعب الفلسطيني، ومساعدة لبنان على استعادة وحدته وسيادته واستقراره وأمنه» (**القبس**، ٤/٤/١٩٨٩).

ويبدو أن موضوع عقد قمة عربية لم يعد همّاً فلسطينياً فقط؛ اذ أن معظم الدول العربية يتحدث عن وجوب عقد مثل هذه القمة، ولا يختلف حول الموضوعات التي ستبحث فيها مثل هذه القمة، بل يختلف حول شكلية انعقادها، طارئة أم عادية؛ فقد قال وزير خارجية السعودية، سعود الفيصل: «ان السعودية تعد... للقمة العادية التي ستعقد في الرياض... [و] اذا وجدت ضرورة لعقد قمة طارئة ـ قبل العادية ـ فإن مصر والمملكة السعودية ستكونان أول الحاضرين لهذه القمة» (من مقابلة مع سعود الفيصل، **المصور**، العدد ٣٣٦٥، ٧/٤/١٩٨٩، ص ١١). وفي لقاء الملك الأردني حسين مع الرئيس الفلسطيني عرفات، أوضح الأخير «أنه سبق وطلب من العاهل المغربي، الملك الحسن الثاني، اجراء الاتصالات اللازمة مع القادة والزعماء العرب لعقد قمة طارئة... تخصّص لمناقشة القضية الفلسطينية واتخاذ موقف عربي موحّد من تحركات السلام» (**الحياة**، ١٨/٤/١٩٨٩)؛ كما أكد ملك العربية السعودية، بدوره، «أن القمة العربية ستعقد؛ وأن اتصالات تجرى بين القادة العرب للتفاهم على تحديد موعد القمة بعد شهر رمضان، أي أيار (مايو)» (**المصدر نفسه**، ٢٩/٣/١٩٨٩).

أحمد شاهين

امتحان المصداقية الاميركية

خلال الشهر الماضي، تركزت الاضواء على واشنطن، التي شهدت نشاطاً مكثفاً استهدف البحث في الامكانات والوسائل الكفيلة للتحرك ودفع عملية السلام في الشرق الاوسط، عبر المحادثات التي اجراها الرئيس الاميركي، جورج بوش، وكبار اركان ادارته مع مصر واسرائيل والاردن. ووسط هذا النشاط، الذي سيطر على اهتمامات الادارة وزائريها، تركزت الانظار على واشنطن عمّا نتج عن المحادثات فيها، وما الذي «استكشفته» الادارة الاميركية ؟ وكيف كان ردّها ؟ وهل استجاب رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، لما طلبته الادارة منه لاحراز تقدم على طريق السلام في الشرق الاوسط ؟

الواضح، ان الدبلوماسية الاميركية، في المرحلة الحساسة القائمة على «الحذر» في اثناء مراجعة السياسة الخارجية العامة، تعتمد اسلوب «الخطوة خطوة». ولعل اهمّ ما اظهرته زيارة شامير لواشنطن هو ان الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، على الرغم من تباين مواقفهما التكتيكية وربما الاستراتيجية، تتصرفان، كل لاعتباراته، كأن الظروف لم تنضج بعد لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي. ووفقاً لهذا التصور، لا يزال «التباين» الاميركي يعمل على «حراثة الارض» و «تحسين المناخ» و «انضاج» الظروف المناسبة للتفاوض الحقيقي بين الاطراف المتنازعة. والواضح، ايضاً، ان الولايات المتحدة تحاول، في الوقت الحاضر، العمل على اقناع الاتحاد السوفياتي بتأييد هذه السياسة، خصوصاً في مجال الدعوة الى الانتخابات في الارض المحتلة.

هذه التوجّهات يمكن اعتبارها مبادىء عامة للسياسة الاميركية، وفيها بعض الجديد وتأكيد للقديم، مع تفاصيل تتعلق بكيفية تحريك عملية السلام، علماً بأن «لا انجازات» حتى الآن، وهو أمر متوقع، خصوصاً ان الادارة الاميركية لا تزال في مرحلة «المشاورات وتبادل الافكار» مع اطراف النزاع، وما يتطلبه ذلك من تركيز واضح على خطوات «بناء الثقة» و «تحسين الاجواء» و الانضاج».

ففي خطاب له، في مؤتمر لرؤساء تحرير الصحف الاميركية، قال وزير الخارجية، جيمس بيكر، ان الولايات المتحدة ركزت، خلال الشهرين الماضيين، على «الحاجة الى عملية مرتكزة على اسلوب الخطوة خطوة» بغية «خفض حدّة التوتر وتشجيع الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين، وبناء مناخ يستطيع تقبلّ قيام مفاوضات حول الترتيبات الانتقالية والوضع النهائي» للارض المحتلة. واوضح، ان الولايات المتحدة قرّرت اعتماد سياسة «الخطوة خطوة» لشعورها بأن هناك «فجوة كبيرة» بين اطراف النزاع في الشرق الاوسط تحول دون قيام المفاوضات فيما بينها. واضاف، ان شامير تجاوب مع التوجّه الاميركي لاعتماد سياسة الخطوة خطوة، وحمل الافكار الاسرائيلية التي اوضح فيها «ان الوضع الراهن غير مقبول، وركزّ على رغبة اسرائيل في دفع عملية سياسية يمكنها ان تؤدي، في النهاية، الى حل»، واقترح اجراء انتخابات في الارض المحتلة، «من اجل اختيار ممثلين فلسطينيين يكونون مستعدين للتفاوض على اتفاق انتقالي، على ان تتطور العملية الى مفاوضات حول الوضع النهائي للضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة المحتلين». وتابع: «ان كل الخيارات مفتوحة في هذه المفاوضات، وفي استطاعة جميع الاطراف ان تحمل معها مواقفها المفضّلة الى طاولة المفاوضات، وعلى الجميع التوصّل الى نتيجة مقبولة»؛ واكد انه سيبحث، في خلال الاسابيع القليلة المقبلة، مع «اسرائيل والعرب في تفاصيل هذه الافكار، وكيف يمكن البناء عليها، وكيف ستنسجم مع الصورة الاشمل بالتحضير للمفاوضات ؟» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٥ ـ ١٦/٤/١٩٨٩).

محطة الانتخابات

من هنا، انطلقت واشنطن في مرحلة «استطلاع» و «تطوير» لهذه الافكار، ليس مع الجانب الاسرائيلي فقط، وانما، ايضاً، مع الجانب العربي، لا سيما خلال زيارة الرئيس المصري، حسني مبارك، وعاهل الاردن، الملك حسين، الى واشنطن. فالجميع يتفق على انتخابات «حرّة وديمقراطية»، مع اختلافات عميقة في المحتوى والاهداف والتفاصيل (جويل برنكلي، **المصدر نفسه**، ٢٥/٤/١٩٨٩).

هذه الصيغة «الحريصة» تعني، في التصوّر الاميركي، ان المرحلة المقبلة، هي، في افضل الاحوال، المرحلة الانتقالية الطويلة نسبياً، التي تريد اسرائيل فرضها على الارض المحتلة لاختبار «النوايا الحسنة» للسكان تجاهها؛ عندها، لا يعدو الحديث عن ربط الاجراءات الانتقالية باتفاق لاحق حول الوضع النهائي للارض المحتلة مقبولاً من جميع الاطراف، كما لاحظ الرئيس الاميركي، ولا يعدو كونه موقفاً «مبدئياً» و«نظرياً» بات يردّده على مسامع زائريه حول مسألة مؤجلة ليس لها طابع الالحاح (**المصدر نفسه**). وهكذا سينجح الرئيس الاميركي، من خلال طرحه هذا، في ارضاء اصدقاء واشنطن في العالم العربي، وفي الوقت عينه تفادي مواجهة محتملة، قد تكون مزعجة، مع اسرائيل وأصدقائها في الكونغرس الاميركي. وبما ان واشنطن لا تريد طرح اي مبادرات سياسية جريئة، او القيام بتحركات بارزة في منطقة الشرق الاوسط، فقد وجدت مقترحات شامير «مشجعّة»، على حدّ قول بيكر، وهي تريد، الآن، العمل على تطويرها بأمل اقناع الفلسطينيين بقبولها (مارغريت وارنر، **نيوزويك**، ١٧/٤/١٩٨٩، ص ٣٨).

ولّما كانت مقترحات شامير تقتضي اجراء انتخابات، فتفاوض على المرحلة الانتقالية لادارة الحكم الذاتي، فمفاوضات حول الاتفاق الدائم (**الجيروزالم بوست**، ١٤/٤/١٩٨٩)، فانها، حسب المسؤولين الاميركيين، تعني قبول الحكومة الاسرائيلية بربط المرحلة الانتقالية بالمرحلة النهائية. وما اعلنه الرئيس الاميركي نفسه يعني الالتزام الكافي بترابط وتلازم المرحلتين، حيث ذكر بوش «ان شامير اكد لي، شخصياً، التزام اسرائيل التفاوض على اتفاق في شأن الوضع النهائي يكون مرضياً لجميع الاطراف»؛ واوضح، كذلك، «ان الترتيبات المؤقتة بالنسبة الى الحكم الذاتي الفلسطيني ليست نهاية، في حدّ ذاتها، بل مرتبطة مباشرة بالعملية السياسية الأوسع، والتي تشمل التفاوض للتوصل الى اتفاق على الوضع النهائي للارض المحتلة» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٧/٤/١٩٨٩).

«الانتخابات»، اذاً، تأتي في اطار اسلوب «الخطوة خطوة»، الذي يترابط بالحل «الشامل». وكما قال وزير الخارجية الاميركية، انه يفهم مقترحات شامير على انها تدعو الى مفاوضات سياسية، ستناقش، في مراحلها النهائية، «مسائل تتعلق بالوضع النهائي» للارض المحتلة؛ ورأى ان شامير قال انه سيدرس جميع الخيارات في المفاوضات، وخاصة تلك المتعلقة «بالوضع النهائي» (**الواشنطن بوست**، ١١/٤/١٩٨٩). كما وصفت الناطقة باسم وزارة الخارجية، مارغريت تتويلر، الاقتراح الاسرائيلي تنظيم انتخابات في الارض المحتلة بأنه نقطة انطلاق يجب ان تتطور، وقالت: «قبل ان نتعلم السير نتعلم كيف نحبو»، مكررة بذلك تفضيل الادارة الاميركية اسلوب الخطوة خطوة في شأن ازمة الشرق الاوسط (**نيويورك تايمز**، ١٣/٣/١٩٨٩).

هكذا تشكّلت الخطوط العامة للمفهوم الاميركي للانتخابات، باعتبارها «خطوة اولى الى بدء العملية السياسية»، حسب مصدر اميركي مسؤول؛ واضاف: «اننا نضطر الى الانتخابات ليس كمحصلة نهائية، وانما كجزء من عملية سياسية اذا ما نجحت فانها ستمكّن الفلسطينيين، ولاول مرة، من المشاركة والمساهمة في العملية التمهيدية للمفاوضات، ومن تطوير دورلهم في المرحلة الانتقالية كشركاء في التفاوض». واستطرد: «اننا نرى بعض الجدارة والميزة في الافكار التي تقدّم بها شامير، انما لا بد من توسيعها. ويجب ان نتذكر ان رأي شامير حول الانتخابات يختلف كثيراً عن فكرة الانتخابات في اتفاقيتي كامب ديفيد التي صبّت في خانة البلديات؛ فشامير يتكلم عن تطوير شركاء للتفاوض... ويجب على منظمة التحرير الفلسطينية ان تفوّض الفلسطينيين المحليين بأن يسألوا، ويفهموا، ويتعرّفوا الى ما هو مطروح من الجانب

الاسرائيلي» (**الحوادث**، لندن، ٢١/٤/١٩٨٩، ص ٣٧).

غير ان هذه العملية ليست من البساطة كما تبدو؛ فالانتخابات، حسب مسؤول في وزارة الخارجية، «تبدو لنا انها الطريق الذي يمكن سلوكه»، لكنها «ليست الخيار الوحيد»؛ فهناك خيارات اخرى الى جانب خيار الانتخابات. وكمثال على الخيارات الاخرى، تحدث المسؤول نفسه عن اتفاقيتي كامب ديفيد اللتين «تنطويان على اسلوب مختلف تماماً لاختيار الممثلين الفلسطينيين من قبل الاردن ومصر» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٠/٤/١٩٨٩).

الموقف الاميركي الاخير لا يدعو الى العجب، اذا ما ارجعناه الى ما يقوله مسؤولون اميركيون بأن الفجوة بين الطروحات الاسرائيلية والموقف الفلسطيني كبيرة، والاقتناع بأن الفجوة، في الوقت الحاضر، على الاقل، غير قابلة للتجسير. وفي هذا الصدد، اكدت صحيفة «نيويورك تايمز» ان شامير وحكومته يريدان اجراء انتخابات في الارض المحتلة بصورة يرفضها حتى اكثر الفلسطينيين اعتدالاً. وحسب الصحيفة، فان المسؤولين الاسرائيليين يريدون قصر حرية التعبير على الاجتماعات السياسية التي تسبق الانتخابات، ولن يسحبوا القوات من المدن، حتى في عزّ الحملة الانتخابية، ولن يسمحوا لمراقبين دوليين بمتابعة الانتخابات. واكثر من ذلك، فان الانتخابات ستخضع لاجراءات تبنّتها الحكومة العسكرية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (**نيويورك تايمز**، ٢٣/٤/١٩٨٩).

امّا الموقف الفلسطيني، فانه يؤكد انسحاب قوات الاحتلال من المدن والضواحي الرئيسة في الارض المحتلة قبل الانتخابات، التي يجب ان تكون حرّة، وديمقراطية، وتحت اشراف دولي، تعقبها مفاوضات فلسطينية ـ اسرائيلية للبحث في القضايا الداخلية المشتركة، مثل السيادة على الموارد الطبيعية والشرطة والأمن، والقضايا الاقتصادية الاخرى، ومرتبطة بالوضع النهائي من خلال مفاوضات بين ممثلين من م.ت.ف. وبضمان اميركي «خطّي» لتقرير المصير في دولة ترتبط، كونفدرالياً، مع الاردن (باتريك تايلور، **الغارديان ويكلي**، ٢٣/٤/١٩٨٩، ص ١٨).

على هذه الخلفية، يرى المراقبون ان التوجّه الاميركي ازاء العملية الانتخابية في الارض المحتلة سيكون في نقطة الالتقاء التي افرزتها فعاليات الادارة الاميركية مع رئيس الوزراء الاسرائيلي في واشنطن، ومع الحوار الفلسطيني ـ الاميركي في تونس، والتي كشفت، في مجموعها، عن المنطلقات الاميركية للاجراءات التمهيدية الاولى لانجاز العملية الانتخابية، او ربّما المرحلية على طريق الحل النهائي. وما يلفت الانتباه اليه، في هذا السياق، شهادة وزير الخارجية الاميركية الى لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ، قال: «ان على الاطراف جميعاً ابقاء مسألة الانتخابات حيّة في اذهانهم ضمن اطار عملية سياسية شاملة»؛ وشدد على ان فكرة الانتخابات «لم تتبلور بعد، وان نقاطاً عدة بقيت عالقة، ليس اقلها اهمية الاشراف الدولي ومشاركة الفلسطينيين خارج الارض المحتلة، ودرجة الهدوء الواجب ان يسود في المناطق [المحتلة] لجعل الانتخابات ممكنة»، واضاف: «يصعب، في رأينا، اجراء انتخابات في اجواء العنف. ولهذا السبب، فان واشنطن ستطلب من اسرائيل و م.ت.ف. اتخاذ تدابير متبادلة لتحسين الاجواء». وقال، «ان الهوّة بين مواقف الاطراف واسعة جداً، والوضع غير مستقر من اجل درس تحرك كبير ومباشر نحو المفاوضات في الوقت الراهن». وتابع، ان المطلوب، بدلاً من ذلك، «عملية على اساس الخطوة خطوة لتحسين المناخ، وخفض حدة التوتر، وبدء حوار فلسطيني ـ اسرائيلي، تحضيراً للمفاوضات المباشرة»، التي قال انها يجب ان تؤدي «الى اتفاق يتضمّن مبدأ مقايضة الارض في مقابل السلام، وأمن اسرائيل، والحقوق السياسية للفلسطينيين» (**الواشنطن بوست**، ١٥ ـ ١٦/٤/١٩٨٩).

والظاهر، ان فكرة الانتخابات بدأت تواجه صعوبات جدّية كلما ظهر مزيد من الكلام حول تفاصيلها، وما هو مقبول، او غير مقبول، لدى الطرفين الرئيسين، اسرائيل وم.ت.ف. ولكن ابرز الصعوبات التفصيلية التي يركز عليها الرسميون الاميركيون، في هذا الشأن، قضية مشاركة الفلسطينيين من سكان القدس، وعددهم حوالى ١٣٠ ألفاً، في الانتخابات؛ ويقول هؤلاء ان اسرائيل لن تقبل، بأي شكل من الاشكال، اشراكهم؛ في حين ان م.ت.ف. لن تقبل باجراء انتخابات من

دونهم (ادوارد كودي، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٧/٤/١٩٨٩).

الكلام الاميركي عن الانتخابات بدأ يأخذ في الاعتبار الصعوبات والعقبات الموجودة امامها. من هنا الحديث عن افكار اميركية بالعمل على بدء حوار اسرائيلي ـ فلسطيني داخل الارض المحتلة، وخارجها، باشراف كل من موسكو وواشنطن (**الواشنطن بوست**، ١٨/٤/١٩٨٩). ومن هنا، ايضاً، مطالبة مستشار الامن القومي، برينت سكوكروفت، الفلسطينيين والاسرائيليين، بتقديم بعض التنازلات المتبادلة (**القبس**، الكويت، ١١/٤/١٩٨٩).

في هذا الاطار، صرح مسؤول في وزارة الخارجية الاميركية بأن الولايات المتحدة طلبت من م.ت.ف. الاّ ترفض، على الفور، فكرة الانتخابات في الارض المحتلة التي اقترحتها اسرائيل، واعتبرت الرد على طلبها «مشجعاً». واوضح المسؤول، الذي طلب عدم ذكر اسمه، ان السفير الاميركي في تونس روبرت بلّترو، التقى سفير فلسطين في تونس، الحكم بلعاوي، لمدة ساعتين، بناء على طلب هذا الاخير. وتركز هذا الاجتماع «غير الرسمي» على مقترحات شامير. واضاف المسؤول ان بلّترو اشار الى ان الولايات المتحدة تعتبر هذا الاقتراح «تطوراً مشجعاً»، نظراً الى انه يمثّل بداية «عملية سياسية في المفاوضات». وقال: «ننتظر من الذين يريدون السلام الاّ يرفضوا على الفور»، والرد كان «مشجعاً للغاية» موضحاً، ان م.ت.ف. «مستعدة، على الاقل، للبحث في اقتراح الانتخابات». واضاف المسؤول نفسه، ان بلّترو اوضح، ايضاً، ان الانتخابات، من وجهة النظر الاميركية، لا يمكن ان تجرى «في مناخ يسود فيه العنف» وفي «الفوضى السياسية»؛ واوضح، مرة اخرى، ان واشنطن تنتظر من الفلسطينيين، ومن اسرائيل، اتخاذ اجراءات لتخفيف حدّة التوتر في الارض المحتلة، مشيراً الى ان اسرائيل «اتخذت، من جانبها، بعض الاجراءات، مثل اطلاق سراح السجناء السياسيين، وفك الحصار عن المدن والمخيمات الفلسطينية» (**الحياة**، لندن، ٢٠/٤/١٩٨٩).

تأجيل الحل الشامل

هذه الافكار لم تلق رفضاً فلسطينياً قاطعاً، لأن الولايات المتحدة، كما جاء على لسان الناطقة باسم وزارة الخارجية، تتويلر، «تطالب كل العاملين من اجل السلام بأن يتركوا لنا فرصة استكشاف وتطوير هذه الافكار» (**نيويورك تايمز**، ١٣/٣/١٩٨٩). وذكرت، في تصريح آخر، ان الولايات المتحدة مصمّمة على العمل «مع جميع الفرقاء لاستبدال العنف بحوار سياسي»؛ وطلبت من جميع الذين يسعون، فعلاً، الى السلام «ابقاء اذهانهم منفتحة ازاء مقترحات يمكن ان تدفع العملية الانتخابية في الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة»؛ وقالت، ان «النقاشات في شأن الانتخابات، بصفتها خطوة واحدة في عملية السلام، بدأت للتوّ؛ وبالتأكيد، ستكون هناك، في اثناء هذه النقاشات، افكار عدة، ومختلفة، بعضها يمكن تحقيقه، والآخر لا»؛ وزادت: «من البديهي ان تكون الانتخابات حرة ونزيهة يمكن ان تساهم في عملية السلام» (**الحياة** ٢٦/٤/١٩٨٩).

وهذه الافكار، ايضاً، ليست سوى مرحلة وسطى بين الطروحات الاسرائيلية والطروحات الفلسطينية والعربية، وهي، على كل حال، موسومة بانتقائيتها الشديدة التي تبقي باب الحوار مفتوحاً، وتبقي الخيوط، جميعها، مشدودة الى واشنطن. أول خيوط هذه الانتقائية، استمرار الحوار مع م.ت.ف. حول قضايا تفصيلية لا يبدو لها نهاية معلومة، وحيث لا ضمانات سوى الكلمات التي اطلقها اركان الادارة، في اثناء حفل استقبال، او توديع، الزعماء الثلاثة الذين تقاطروا على واشنطن، الرئيس مبارك اولاً، ثمّ شامير، فالملك حسين. وثاني خيوط هذه الانتقائية، الاعتراض الحادّ على فكرة عقد مؤتمر دولي كنهج عملي اساس لاقرار السلام في منطقة الشرق الاوسط، في حين ما زال هناك تفضيل لاجراء مفاوضات مباشرة بين الاسرائيليين والفلسطينيين، ولا تزال الادارة الاميركية توضح، بصورة لا لبس فيها، انها لا تحبّذ فكرة اقامة دولة فلسطينية مستقلة، وان الحل الشامل يجب ان يرتكز بصفة اساسية، على قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، وخصوصاً على مبدأ «الارض في مقابل السلام» (وارنر، **مصدر سبق ذكره**).

وحسب تقويم خبير مقرّب من مكتب التخطيط

السياسي في وزارة الخارجية الاميركية، فان معالجة هذه الانتقائية تتمّ من خلال «هياكل الحوارات» القائمة. وقال: «ان العلاقة غير المباشرة تتمّ في معادلة الموازاة بين حوارين: الحوار الاميركي مع م.ت.ف. في تونس، من جهة، والتعاطي العملي ما بين اسرائيل والفلسطينيين داخل الارض المحتلة اذا ما اتخذت الحكومة الاسرائيلية مبادرات نحوهم، من جهة اخرى. عندئذٍ يكتمل سيناريو العلاقة غير المباشرة». واستطرد في القول «ان طبيعة الحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية هي التي تفرض قيام هذه العلاقة غير المباشرة». امّا حول دور منظمة التحرير المباشر في مرحلة لاحقة، فانه، حسب قول الخبير نفسه، «دور المقعد الخلفي»، لأن بيكر يقول لعرفات ان المنظمة سيكون لها دور، بلا شك، ولكن « لا يحدد ان كان ذلك الدور سيكون دور اللاعب الرئيس، ام الهامشي». وغرابة تطورات الامور تكمن في الانتقائية الاميركية ازاء م.ت.ف. في هذا المنعطف، والتي يمكن تلخيصها في «ان دور المنظمة لا بد وان يتمّ عبر الولايات المتحدة، لأن اسرائيل ترفض التعاطي معها» (**الحوادث**، ٧/٤/١٩٨٩، ص ٣٥).

وتراهن الادارة الاميركية على صواب انتقائيتها، اذا ما أُتيحت الظروف المناسبة لتحقيق المراحل الاجرائية بايجاد المناخ الملائم للتفاوض المباشر بين م.ت.ف. واسرائيل، ودفع الاتفاقات فيما بينهما الى مراحل تنفيذية تخلق وقائع جديدة تدفع باتجاه الحل النهائي. من هنا، اكد الرئيس الاميركي على هدف «ضمان أمن اسرائيل، وانهاء الاحتلال، واحقاق الحقوق السياسية للفلسطينيين»، وان ذلك كله «يجب ان يتمّ في اطار العمل من اجل التوصّل الى حل عبر المفاوضات، بحيث يمكّن مؤتمراً دولياً، يعدّ له بدقة، من ان يلعب دوراً مفيداً في الوقت المناسب» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤/٤/١٩٨٩). وفي السياق ذاته، شدّد بيكر على ان جوهر الخلاف مع اسرائيل يتمحور في مبدأ «مقايضة الارض بالسلام»، وقال: «نحن ندعم هذا المبدأ، وندعم المفاوضات المباشرة التي توفّر الأمن الاسرائيلي وتحقق الحقوق السياسية للفلسطينيين؛ وهنا نحن نختلف مع موقف اسرائيل» (**الواشنطن بوست**، ١١/٤/١٩٨٩). امّا مدير مكتب التخطيط السياسي في وزارة الخارجية، دنيس روس، فقد جدّد معارضة بلاده فكرة الدولة الفلسطينية في مجلس الشؤون الدولية في الكونغرس، بحجّة انها «غير قابلة للحياة»، مشدداً، في الوقت عينه، على ضرورة اعطاء دور للاردن في اطار الحل (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٧/٤/١٩٨٩).

الادارة الاميركية راغبة، اذاً، في انهاء الاحتلال الاسرائيلي، والعمل على تحويل الانتفاضة الفلسطينية الى ما يسمى بـ «حركة سياسية قادرة على تحقيق مكاسب ملموسة»، ومتابعة العمل على تشجيع «الخطوات الصغيرة»، وتفادي الانزلاق في مشاكل المنطقة (**تايم**، ١٧/٤/١٩٨٩).

وسواء صحّ هذا التقويم، او ذاك، فالامر المؤكد ان النتائج النهائية للجهود التي تبذل للتحرك نحو السلام لن تكتمل، او تنضج، قبل بضعة شهور من الآن، وتجرى خلالها مباحثات عدة، في مقدمها المباحثات التي ستجرى في موسكو بين وزير الخارجية الاميركية، بيكر، ووزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، والتي تتزامن مع انتهاء الادارة الاميركية مراجعة سياستها الخارجية، واعلان اسس سياستها الخارجية الجديدة.

ن. ح.

الانتفاضة توسّع نطاق سيطرتها

في الوقت الذي تسعى الحكومة الاسرائيلية الى الالتفاف حول م.ت.ف. ومبادرة السلام الفلسطينية، من خلال زيارة رئيس الوزراء، اسحق شامير، لواشنطن، وطرح فكرة الانتخابات تحت الاحتلال، تصاعدت حدّة العنف في الاراضي المحتلة، قمعاً ومقاومة؛ فارتفع عدد الضحايا الفلسطينيين باطراد بين ١٦ آذار (مارس) و١٥ نيسان (ابريل)، فيما ازدادت أعمال حرق الاهداف الاسرائيلية ومهاجمتها بقنابل المولوتوف. ولكن السمات اللافتة الاخرى لهذه الحقبة الهامة تمثّلت في ظهور تبدلات معيّنة في سياسة الجيش الاسرائيلي، كمحاكمة، أو اقالة، بعض ضباطه، وتغيير نمط تواجد قواه على الارض، ممّا انعكس في توسيع السيطرة الفلسطينية. كذلك شهدت هذه الفترة استمرار العمليات الفدائية المنطلقة من خارج الارض المحتلة.

مؤشرات العنف

تدل الارقام والاحصاءات الصادرة عن مختلف الاطراف على اشتداد حدة المواجهة في الارض المحتلة خلال الفترة الاخيرة، حيث اكد الاحصاء اليومي، بالاسماء والاعمار وأماكن الاصابة، ان ٤٥ مواطناً فلسطينياً استشهدوا بفعل الرصاص الاسرائيلي، والضرب، واستنشاق الغاز، بين ١٦ آذار (مارس) و١٥ نيسان (ابريل). وارتفع مجموع عدد الضحايا منذ اندلاع الانتفاضة بذلك الى ٥١٤ على الاقل، حسب المصادر الغربية المطلعة، منهم ٣٩٤ قضوا بالرصاص، و١٢٠ بالضرب او الغاز (**ميدل ايست انترناشونال**، ٢٨/٤/١٩٨٩). ويزيد ذلك، طبعاً، على بعض الاحصاءات الغربية، والاسرائيلية، التي تتحدث عن سقوط ٤٢٠ شهيداً، مقابل مقتل ١٧ اسرائيلياً (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤/٤/١٩٨٩).

هذا، وتجسّدت المقاومة الفلسطينية، أيضاً، بارتفاع عدد المصابين اجمالاً، حيث استمر سقوط الجرحى بالعشرات. فقد سجلت المصادر الفلسطينية، بالاسم والسن والمكان، اصابة ما مجموعه ٥٥٠ فلسطينياً بين ١٣ آذار (مارس) والتاسع من نيسان (ابريل)، أي بمعدل ٢٠ جريحاً يومياً (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٢٦/٣/١٩٨٩، و٢ و٩ و١٦/٤/١٩٨٩). ويذكر ان عدد المصابين بمختلف انواع العيارات النارية بين هؤلاء قد بلغ ٣٧١ شخصاً. كما برزت حدّة المواجهة، ايضاً، من خلال النسبة المرتفعة للاصابات في أيام محددة، مثلاً في ٢٦ آذار (مارس) حين سقط عشرات الجرحى، لحقهم مئة جريح في ٣٠ الشهر ذاته، و١٣٥ في مدة ثلاثة أيام بين الاول والثالث من نيسان (ابريل)، و٦١ في الرابع من الشهر، و٣٠ في ١٣ منه.

تجدر الملاحظة، في هذا السياق، ان ارتفاع عدد الجرحى كان يوازي ارتفاعاً في عدد الشهداء، حين كانت تلجأ قوات الاحتلال الى العنف البالغ. وهكذا، فقد حصلت مجازر صغيرة عدة، كالتي وقعت في حي الشيخ رضوان في غزة، بتاريخ ١٨ آذار (مارس)، ممّا أدّى الى استشهاد ثلاثة فلسطينيين، بينما استشهد أربعة آخرون في ٢٦ الشهر. وشهدت مناسبة «يوم الارض» قمّة جديدة بالقمع؛ اذ استشهد خمسة مواطنين (احدهم في اثناء اعداد عبوة في بيت جالا)، أعقبهم ثلاثة آخرون في التاسع من نيسان (ابريل). لكن جاءت الجريمة الاكبر في ١٣ الشهر، حين اقتحم أفراد «حرس الحدود» قرية نحالين عند الفجر وهاجموا المواطنين بطريقة عشواء، فقتلوا ستة وجرحوا ٣٠ (**الحياة**، لندن، ١٤/٤/١٩٨٩). وقد خرقت منظمة الصليب الاحمر الدولي تقاليدها بعدم التعليق على الاحداث السياسية بالتصريح بأن الهجوم الاسرائيلي كان دون تمييز، أو قيد، وأنه انتهك الحقوق الاساسية والقانون الانساني (**انترناشونال هيرالد تربيون**،

١٥ و١٦/٤/١٩٨٩).

سياسة قوات الاحتلال

اضطر الجيش الاسرائيلي الى اجراء بعض التعديلات على سياسته في قمع الانتفاضة، نتيجة لشدة المقاومة، من جهة، ولزيادة الضغط السياسي، الداخلي والخارجي، من الجهة الاخرى. وقد تجلّى ذلك تماماً في تغيّر حجم وطبيعة وطرق السيطرة على الارض. فبعد ان تمّ ادخال وحدات من حرس الحدود الى بعض مناطق قطاع غزة، في أوائل آذار (مارس)، لجأت السلطات الى استبدال قوى الجيش بأفراد الحرس في جنين وقلقيلية وطولكرم في ٢٥ من الشهر عينه (**حداشوت**، ٢٦/٣/١٩٨٩). غير ان المعروف هو ان وحدة حرس الحدود لا يزيد تعدادها على ٥٥٠٠ فرد، أي انها صغيرة ولا تقدر على تولّي المهام كافة التي كان ينفّذها الجيش في تلك المناطق، ممّا يشير الى تقليص التواجد الاسرائيلي هناك عموماً. وأوضح قائد المنطقة الوسطى، اللواء عميرام متسناع، ان هدف ذلك التوجه هو البقاء خارج القرى لتجنّب المواجهات والصدامات مع أهلها، وانه يتمّ تقليل حجم الوجود تدريجياً (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٩/٣/١٩٨٩؛ **والحياة**، ٣٠/٣/١٩٨٩). هذا، وانعكست آثار الفشل الاسرائيلي بتحقيق السيطرة على الارض، وحجم الكلفة التي يتكبدها الاحتلال، في اعلان وزير الشرطة، حاييم بار ـ ليف، في الثامن من نيسان (ابريل)، عن انه سيتمّ غلق نصف المخافر التي كان يديرها رجال الشرطة العرب في الارض المحتلة العام ١٩٦٧، خلال الشهر التالي، وذلك بسبب استقالة ٧٥٠ من أصل ٩٠٠ شرطي حتى الآن (**المصدر نفسه**، ٨ ـ ٩/٤/١٩٨٩).

في المقابل، لجأت قوات الاحتلال الى الاجراءات الجماعية واسعة النطاق في مناسبات محددة لتقليص حجم التحرك الشعبي، وكان المثال على ذلك في اعلان قائد الشرطة، دافيد كراوس، في ٢٨ آذار (مارس)، عن انه سيتمّ نشر ٤٥٠٠ شرطي و٥٠٠ جندي، تدعمهم الطائرات المروحية والعربات، في انحاء الجليل والمثلّث والنقب، كاجراء احترازي لحفظ الامن ومنع أعمال المقاومة عند احياء ذكرى «يوم الارض» في ٣٠ الشهر (**فلسطين الثورة**، ٢/٤/١٩٨٩). كما قامت السلطات بعزل الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، كلياً، عشية ذلك التاريخ، كاجراء وقائي (**الحياة**، ٣٠/٣/١٩٨٩). ثم عاد الجيش الاسرائيلي وحشد ثلاثة آلاف جندي في القدس الشرقية يوم الجمعة الواقع في ١٤/٤/١٩٨٩ لمنع جموع المصلّين الشبان من بلوغ المسجد الاقصى من خارج المدينة، اثر الاشتباكات الدامية التي وقعت هناك قبل أسبوع (**المصدر نفسه**، ١٥ ـ ١٦/٤/١٩٨٩).

برزت نتيجة أخرى للتحوّلات في أوضاع الانتفاضة وفي المبادرة السياسية الفلسطينية وفي سياسة الجيش الاسرائيلي في المدة الاخيرة، ألا وهي استفحال ظاهرة الارهاب الصهيوني غير الرسمي السري؛ حيث قام تنظيم ارهابي مجهول بحرق منزل النائب يائير تسبان، والصحفي دان مرغليت، في القدس، في ١٦ آذار (مارس)، بتهمة الالتقاء بممثلي م.ت.ف. وشخصيات فلسطينية بارزة في الداخل (**فلسطين الثورة**، ٢٦/٣/١٩٨٩). وما لبثت الجهة نفسها ان حاولت حرق منزل الرئيس السابق لبلدية بيتح تكفا، دوف تابوري، في ٢٠ الشهر، بسبب مواقفه السياسية، وكانت أحرقت سيارة احد قادة حركة «السلام الآن»، دان الماغور، في تل ـ أبيب، في التاسع منه (**المصدر نفسه**، ٢٦/٣/١٩٨٩). وكان التنظيم السري أعلن عن نفسه في العاشر من نيسان (ابريل)، حين اعتدى رجل يرتدي بدلة عسكرية على المواطنين العرب عند باب يافا في القدس بواسطة رشيش عوزي، فسقط احدهم شهيداً وجرح ثلاثة، وبعد ذلك، أعلنت جماعة «حملة الحراب» مسؤوليتها (**الاندبيندانت**، ١١/٤/١٩٨٩). وتبع ذلك اعلان الاجهزة الامنية عن اعتقال ثلاثة مشتبهين من الاسرائيليين بعد يوم، بتهمة العلاقة بالحادث (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٢/٤/١٩٨٩). كما وقع اعتداء جديد في ١١ الشهر، حين هاجم اسرائيلي المارة العرب في هاتيكفاه في تل ـ أبيب، فجُرح اثنان طعناً (**الحياة**، ١٢/٤/١٩٨٩).

هذا، وحصلت اعتداءات ارهابية عدة ارتكبها اعضاء في اجهزة الامن، وربما بعض المستوطنين، كانوا ينتحلون صفة الصحفيين ليركبوا السيارات ويتجنبوا القذف بالحجارة وليقتربوا من

الفلسطينيين، اذ قتلوا احدهم في ٣٠ آذار (مارس)، وآخر في ١٠/٤/١٩٨٩. وجاء ذلك على الرغم من تصريح قائد الشرطة، دافيد كراوس، في ٢٤ آذار (مارس)، بأنه سيمنع هذا التصرّف (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٥ ـ ٢٦/٣/١٩٨٩).

الى جانب أصناف الارهاب الجديد هذا، واصل المستوطنون الصهيونيون في الضفة الفلسطينية والقطاع اعتداءاتهم على القرى المجاورة؛ حيث قاموا بردم قنوات الري وباتلاف المزروعات العربية في ١٧ آذار (مارس)، انتقاماً لحرق المنشآت الزراعية في مستعمرة قطيف؛ وقد تمّ اعتقال أربعة من الاسرائيليين، بعد يوم (**المصدر نفسه**، ٢١ و٢٢/٣/١٩٨٩). ثم اقتحم مستوطنون آخرون قرية بديا، في ٢٣ الشهر، وحطموا بعض الممتلكات وأطلقوا النار على خزانات المياه، فيما قام مجهولون بحرق منزل يعود الى مواطن فلسطيني في مخيم الفارعة، في ٢٦ الشهر. وكانت العملية البارزة الاخيرة هي قيام المستوطنين بحرق عشر سيارات فلسطينية في مدينة الخليل في السابع من نيسان (ابريل) وبتحطيم النوافذ والممتلكات. وفي هذا السياق، فقد اتُّهم الحاخام موشي ليفنغر، رسمياً، بقتل مدني فلسطيني، والقيام بأعمال عدوانية في وسط الخليل، بتاريخ ٣٠/٩/١٩٨٨؛ وقد أُحيل الى القضاء في ١٢ الشهر (**المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٨٩).

وتشير احالة ليفنغر الى القضاء الى ان سلطات الاحتلال، لا سيما الجيش الاسرائيلي، تحاول، ظاهرياً، تحسين السمعة الخارجية، من خلال تقييد او محاكمة بعض القائمين بالتجاوزات الشديدة ضد المواطنين الفلسطينيين. وتجسّد ذلك، أيضاً، في ٢١ آذار (مارس)، حين قام قائد المنطقة الجنوبية، اللواء اسحق مردخاي، بايقاف الضابط المسؤول عن وقوع مجزرة ادّت الى استشهاد ثلاثة فلسطينيين في حي الشيخ رضوان، في غزة، في ١٨ الشهر (**المصدر نفسه**، ٢٢/٣/١٩٨٩). ثم أُحيل ضابطان وجنديان الى المحكمة العسكرية، في الثالث من نيسان (ابريل)، بتهمة قتل سجين ضرباً، في شباط (فبراير) الماضي، في غزة (**المصدر نفسه**، ٤/٤/١٩٨٩). وبعد ثمانية أيام، لجأ رئيس الاركان، دان شومرون الى فصل العقيد يهودا مئير، حاكم مدينة نابلس، بسبب تصرّفاته ضد السكان منذ فترة طويلة (كدفن أربعة معتقلين احياء)، بعد ان خيّره بين المحاكمة او الاستقالة من الجيش (**المصدر نفسه**، ١٢/٤/١٩٨٩). غير ان الجيش لم ينظر بجميع التجاوزات، بل ببعضها فحسب؛ اذ أكدت المصادر الاسرائيلية ان القضاء العسكري لم ينظر سوى في ٤٦ حالة من أصل ٦٠٠ لديه (**هآرتس**، ٢٩/٣/١٩٨٩).

تواصلت، في هذه الاثناء، أساليب القمع المعهودة ضد الانتفاضة، حيث قامت قوات الاحتلال بهدم تسعة منازل في أماكن متفرقة وبتهم متنوعة، في الفترة من ١٦ الى ٢٥ آذار (مارس) فحسب؛ بينما لجأت الى اقتلاع ما يزيد على ٥٠٠ شجرة مثمرة في قرى عديدة؛ كما أُبعدت المواطنة الثورة عراج بحجة عدم امتلاكها للاوراق الثبوتية، في ٢٣ الشهر (**فلسطين الثورة**، ٢/٤/١٩٨٩). الى جانب ذلك، استمرت عمليات اقتحام القرى والاحياء والمخيمات في الضفة والقطاع، علماً بأن وتيرتها قد تراجعت عموماً. وفي حالة بارزة، شهدت رام الله انزالاً جوياً للعدو بواسطة المروحيات (**المصدر نفسه**، ٢٦/٣/١٩٨٩). لكن لم تنقطع حملة الاعتقالات، التي ارتفعت وتيرتها خلال أيام معيّنة؛ اذ شملت ٣٥ شخصاً في ٢٠ الشهر، و٩٩ في ٢١ منه، و٢٢ في ٢٢ منه، و٦٤ في الخامس من أيار (مايو)، و٥٠ في السابع منه، على سبيل المثال. كما أُجريت اعتقالات جماعية عدة، مثلاً في قرية كفرمندا (الناصرة)، حيث تمّ ايقاف ٢٠٠ مواطن في العاشر من نيسان (ابريل) بعد أربعة أيام من الصدامات (**الحياة**، ١١/٤/١٩٨٩). وقد عملت هذه السياسة على الحدّ من أهمية البادرة الاسرائيلية باطلاق سراح ٤٧٤ معتقلاً ـ ٢٥٠ منهم من الضفة و٢٢٤ من غزة ـ في الخامس من الشهر، أي بحلول رمضان المبارك (**المصدر نفسه**، ٧/٤/١٩٨٩). كما شهدت هذه الفترة الاعلان، في ٢٢ آذار (مارس)، عن اعتقال خلية تابعة للجبهة الشعبية تضمّ ٤٠ فرداً، قاموا بحوالى ٥٠ عملية في منطقة القدس منذ أربع سنوات. وقد أكد قائد الشرطة المحلي، يوسف يهوداي، ان الخلية هي الاكبر التي تمّ اكتشافها منذ ٢٠ سنة (**المصدر نفسه**، ٢٣/٣/١٩٨٩). وتبع ذلك اعتقال خلية تابعة لـ «فتح» في قرية

الحجة (قلقيلية)، في الخامس من نيسان (ابريل)، كان اعضاؤها نفّذوا ١٦ عملية في الفترة ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ (**المصدر نفسه**، ٦/٤/١٩٨٩). وسبق لوزير الشؤون العربية، ايهود أولمرت، ان صرّح، في هذا السياق، بأنه تمّ اعتقال ١٥ خلية تعمل داخل الارض المحتلة العام ١٩٤٨ خلال العام الماضي، ساهمت في زيادة أعمال المقاومة بنسبة خمسة أضعاف، مقارنة بالعام ١٩٨٧، وأدّت الى مقتل خمسة اسرائيليين (**المصدر نفسه**، ٢٩/٣/١٩٨٩)..

توسيع سيطرة الانتفاضة

قابل القرار الاسرائيلي باستبدال قوات الجيش بحرس الحدود، وبتقليص الوجود داخل القرى والمدن، توسيع لرقعة سيطرة الانتفاضة ولحيويتها. فقد انتظمت العروض والمسيرات شبه العسكرية للجيش الشعبي في أماكن عديدة من الضفة الفلسطينية، حتى بلغ مجموعها ثلاثين مسيرة بين ١٨ آذار (مارس) والتاسع من نيسان (ابريل) فحسب. واذ عكس ذلك التحرر من القيود الأمنية التي يفرضها وجود القوات الاسرائيلية، فانه نتج، ايضاً، عن استمرار التحرّك الجماهيري الواسع؛ حيث شهد قطاع غزة مسيرات شعبية حضرها عشرات الالوف في احدى المناسبات، بينما اصطدم ١٥ ألف مصلٍ بقوات الاحتلال في المسجد الاقصى، في السابع من الشهر (**المصدر نفسه**، ٨ و٩/٤/١٩٨٩). كما أدى هذا الوضع الميداني، أيضاً، الى اعلان حوالى ١٥٠ قرية في الضفة الفلسطينية عن نفسها مناطق محررة، في الآونة الاخيرة (**المصدر نفسه**، ٣٠/٤/١٩٨٩). بل وأضاف الوزير اريئيل شارون شكواه بأن وجود القيود القانونية التي تحمي فلسطينيي القدس الشرقية قد جعلت من المدينة رئة للانتفاضة يحتمي بها ٤٣ من قادة الانتفاضة (**المصدر نفسه**، ٣١/٣/١٩٨٩).

يلاحظ، في هذا الاطار، ازدياد حدّة المواجهة مع حلول شهر رمضان، ممّا انعكس بالصدام الواسع في باحة المسجد الاقصى في السابع من نيسان (ابريل)، الذي أدّى الى جرح عشرات الفلسطينيين وخمسة من الشرطة وثلاثة مصلين يهود عند حائط المبكى. وقد دفع ذلك وزير الشرطة، بار ـ ليف، الى منع الشبان، من مواطني الضفة والقطاع، من دخول القدس لاداء صلاة الجمعة خلال الاسابيع التالية، الى جانب استدعاء المزيد من القوات (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٨ ـ ٩/٤/١٩٨٩). وكان سبق حادثة الاقصى بيوم اطلاق حركة المقاومة الاسلامية (حماس) شعار خوض الجهاد ضد الاحتلال خلال شهر رمضان (**الحياة**، ٧/٤/١٩٨٩). ولكن ظهرت الاحتياطات الاسرائيلية قبل ذلك، من خلال محاصرة، ثمّ غلق، مساجد عديدة في القطاع، في أواخر آذار (مارس). كما لجأت قوات الاحتلال الى مصادرة مكبّرات الصوت في مساجد عتيل ونزلة عيسى، في السابع من نيسان (ابريل)، مثلاً (**فلسطين الثورة**، ١٦/٤/١٩٨٩).

ظهر عنفوان الجيش الشعبي، بموازاة ما سبق، من خلال تنفيذ العديد من الهجمات ضد الاهداف الاسرائيلية. فالى جانب الاعمال «الروتينية»، كقذف الحجارة والزجاجات الفارغة، تمّ القاء قنابل المولوتوف في ١٣ مناسبة على الاقل، اصابت غالبيتها الدوريات العسكرية، بينما تعرّضت اهداف أخرى للحرق المتعمّد، ومنها المنشآت الزراعية في قطيف، في ١٧ آذار (مارس)، وشاحنة في بيت أمرّ، بعد يوم، ودائرة التنظيم والبناء في نابلس، في ١٩ منه، ونقطة مراقبة نابلس وشاحنة في بيت لحم في ٢٣ منه، على سبيل المثال لا الحصر. أمّا ابرز الهجمات «الاعتيادية»، فشملت تخريب ٢٠ عمود هاتف ترتبط برئاسة بلدية دورا، في ٢٤ آذار (مارس)، ومهاجمة مبنى الضريبة في طولكرم، في الرابع من نيسان (ابريل) والتعرّض لموكب اللواء متسناع في المدينة ذاتها، في اليوم التالي (**المصدر نفسه**، ١٦/٤/١٩٨٩).

كما شمل سجل الاحداث هجمات فردية لافتة على الجنود والمستوطنين الاسرائيليين. فقد جرح جندي، طعناً، في قطاع غزة، في ١٩ آذار (مارس). ثمّ وقعت الحادثة الابرز حين هاجم شاب فلسطيني المارة وسط مدينة تل ـ أبيب، بتاريخ ٢١ الشهر، فقتل اسرائيلياً، طعناً، وجرح اثنين، ثمّ تسلّق الى احد السطوح قبل ان تتمّ اصابته بالرصاص واعتقاله (**الحياة وانترناشونال هيرالد تربيون**،

١٩٨٩/٣/٢٢). وفي وقت لاحق، وفي حادثة منفصلة، عثر على جثة جندي مقتول بواسطة رصاصة في الصدر، ملقاة قرب مفرق تلاليم على مسافة ١٢ كيلومتراً جنوب سديه بوكر (**الحياة**، ١٩٨٩/٤/٦). كما هاجم المنتفضون الجنود في حي الرمال في غزة، فجرحوا اثنين واختطفوا سلاح احدهما، ممّا اثار حملة تفتيش نفّذها سبعة آلاف جندي، وحظر تجول دام قرابة ثلاثة اسابيع (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٩٨٩/٣/٢٢).

تمّ تنفيذ بعض العمليات «التقليدية» ايضاً، مؤخراً؛ اذ انفجرت شحنة ناسفة في بيتح تكفا، في ٢١ آذار (مارس)، وأخرى قرب منزل قائد سجن رام الله، موشي كولمان، في ٢٨ الشهر. الّا ان الامر اللافت كان القاء قنبلة على دورية للشرطة كانت تسلك طريق سخنين ـ عرابة، ممّا أثار التخوّفات الاسرائيلية الشديدة، لأنها الحادثة الاولى من هذا النوع داخل الارض المحتلة العام ١٩٤٨ (**الحياة**، ٢٦ و١٩٨٩/٣/٢٧). ثمّ استشهد مواطن فلسطيني وهو يعدّ عبوة متفجرة داخل منزله في بيت جالا، في ٣٠ الشهر؛ بينما انفجرت شحنة أخرى في بيتح تكفا بعد يوم. وأخيراً، تمّ تفكيك عبوة كانت موضوعة عند محطة ضخ مياه تابعة لشبكة تحويل بحيرة طبريا، في ١٣ نيسان (ابريل)، قرب رامون عفولة، وقد اعتقل ثمانية فلسطينيين للتحقيق (**المصدر نفسه**، ١٩٨٩/٤/١٤).

على صعيد آخر، تعرّض العملاء والمتعاونون مع الاحتلال لحملة متصاعدة من الهجمات الوطنية، منذ منتصف آذار (مارس)، حيث أُعدم احدهم في كفر دان، في ١٧ الشهر، ولاقى اثنان آخران المصير ذاته، في ٢٦ منه (**فلسطين الثورة**، ١٩٨٩/٣/٢٦؛ **والحياة**، ١٩٨٩/٣/٢٧). وقد تعرّضت منازل خمسة عملاء للهجوم، او محاولات حرق، في قلقيلية وطولكرم والزاوية وسلفيت، بين ١٦ و٢٥ الشهر، بينما تمّت مهاجمة آخر، ضرباً، في السموع، في ٢٢ منه (عدا حرق محل بسبب عدم الالتزام بالاضراب في الخليل) والقاء مولوتوف على بلدية الطيبة، في ٣٠ منه، وحرق سيارة احدهم في الزعترة، في الثالث من نيسان (ابريل).

العمليات الحدودية

لم تهدأ الحدود خلال الفترة قيد الدرس. وقد أُثيرت الضجة الاعلامية في ١٧ آذار (مارس) نتيجة نجاح مجموعة فدائية في اختراق الحدود الاردنية الى اسرائيل من منطقة وادي عربة، التي لم تشهد نشاطاً عسكرياً منذ سنوات طويلة، باستثناء أندر الحالات. وتمكن الفدائيون من مباغتة دورية معادية وقتل احد افرادها وجرح آخر، قبل الافلات من المطاردة والعودة الى الاراضي الاردنية، حيث تمّ اعتقالهم من قبل الاجهزة الامنية الاردنية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٩٨٩/٣/٢٠؛ **وفلسطين الثورة**، ١٩٨٩/٣/٢٦). ولم يمر سوى خمسة أيام حتى جرت محاولة اختراق جديدة، هذه المرة عند الحدود اللبنانية، وقد نفّذها ثلاثة فلسطينيين اعضاء في «الجماعة الاسلامية»، استشهدوا بعد الاصطدام بالكمائن الاسرائيلية ـ اللحدية (**الحياة**، ١٩٨٩/٣/٢٤). وأخيراً، اعلنت جبهة النضال الشعبي الفلسطيني عن استشهاد أربعة من مقاتليها، في العاشر من نيسان (ابريل)، كانوا على متن قارب مطاطي، فاشتبكوا مع الزوارق الاسرائيلية وهم في طريقهم لمهاجمة الاهداف الساحلية قرب نهاريا (**الحياة**، ١٩٨٩/٤/١٠). هذا، وقد ردّ سلاح الجو الاسرائيلي على العمليات الفدائية المستمرة عبر تنفيذ غارة جوية في ٢٠ آذار (مارس)، هي الرابعة منذ مطلع العام ١٩٨٩. وقد استهدف الهجوم، الذي نفّذته ٤ ـ ٦ طائرات، قواعد الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة في جوار بر الياس ودير زنّون وكفر زبد في البقاع اللبناني، ممّا أدى الى استشهاد ١٥ شخصاً وجرح ٦٥، معظمهم من المدنيين، اضافة الى حرق ٦٠ سيارة وتدمير المباني والمنشآت.

ي. ص.

الطروحات الاسرائيلية للتسوية

التصاعد المستمر في الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، وتطورها المتلاحق نحو مزيد من الاتساع والشمول، أفقياً وعمودياً، وتنوّع اساليب المقاومة والصمود الجماهيري في مواجهة القمع الاسرائيلي الشرس، والنجاح الكبير الذي تحققه الدبلوماسية الفلسطينية، على الصعيدين، العربي والدولي، باتجاه التوصّل الى حل سلمي عادل وشامل لأزمة المنطقة، من خلال عقد المؤتمر الدولي المقترح، كل هذا خلق داخل اسرائيل، اضافة الى ازماتها الاقتصادية الخانقة، حالة من التخبّط والارتباك والفوضى، لم تشهد لها مثيلاً منذ زمن طويل.

صحيح انها ليست المرة الاولى في تاريخ اسرائيل القصير نسبياً، التي يرى فيها الاسرائيليون ان وجود «دولتهم» يواجه خطراً مصيرياً ـ هذه على أية حال هي الحجة الدائمة التي يستخدمها الاسرائيليون لاستمرار تعزيز قدراتهم القتالية والعسكرية ـ ولكنها المرة الاولى التي يقف فيها الاسرائيليون في مواجهة التحدي التاريخي، المتمثل في الشعب الفلسطيني، وثورته المتواصلة، واصراره على نيل حقوقه الوطنية، وهم عاجزون عن التحصّن بالاجماع الوطني التقليدي. والخطر هذه المرة لم يأت من وراء الحدود، ولم يحمله جيش نظامي يتبع الاساليب القتالية التقليدية، بل هو قائم في القلب و «على مرمى حجر» من اكبر التجمعات السكانية والصناعية اليهودية، تترجمه، يومياً، جموع الشعب الفلسطيني، بكافة فئاته وأعماره وانتماءاته، عصياناً مدنياً ومقاومة شعبية، ما زال الجيش الاسرائيلي عاجزاً عن احتوائها، او التغلّب عليها.

الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، وما تطرحه من تحديات، سياسية واستراتيجية ومصيرية، على اسرائيل أثارت ردوداً عديدة، ومتناقضة، داخل اسرائيل، بمؤسساتها المدنية والعسكرية على حد سواء. وزاد في تفاقم الازمة الداخلية عجز أي من المعسكرين الاساسيين، الليكود والعمل، عن ادعاء تمثيل الغالبية العظمى من الاسرائيليين، وبالتالي عدم قدرته على اتخاذ قرارات حاسمة تدعمها شرعية تمثيل الاكثرية الجماهيرية. ولم تقتصر الازمة الداخلية في اسرائيل على المماحكات التقليدية بين الكتل الحزبية، والنيابية، بل هدّدت الخلافات بشأن المواقف السياسية من الانتفاضة والعلاقة مع م.ت.ف. والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والمؤتمر الدولي وحدة الصف اليهودي في الخارج وتأييد الطوائف اليهودية ودعمها التاريخي لاسرائيل. وكان واضحاً أن رئيس الحكومة، اسحق شامير، احتاج الى عقد مؤتمر للتضامن اليهودي مع اسرائيل من أجل الالتفاف حول هذه الخلافات وإضفاء طابع الوحدة والتضامن على الموقف اليهودي في الداخل والخارج، وذلك عشية توجهه الى واشنطن، للاجتماع، للمرة الاولى بعد انتخاب الرئيس جورج بوش، بالادارة الاميركية الجديدة. ولكن اجواء الخلافات الداخلية طاولت حتى مؤتمر التضامن ذاته، الذي شاءت الظروف أن يسبق عقده نشر تقرير معهد يافيه للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل ـ ابيب (هآرتس، ١٩٨٩/٣/٩)، ويترافق انعقاده مع ما تسرّب من انباء عن تقرير الاستخبارات العسكرية بشأن تقويم الوضع العام في المنطقة (دافار، ١٩٨٩/٣/٢١). والعامل المشترك الذي يجمع بين هذين التقريرين هو الاعتراف باستحالة تجاهل م.ت.ف. باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وضرورة التوصل، على هذا الاساس، الى تفاهم مع المنظمة بشأن مستقبل المناطق المحتلة، من خلال الاعتراف بالحقوق الوطنية الفلسطينية. والى جانب ذلك، فقد ازدحمت الساحة الداخلية في اسرائيل بمشاريع حلول ومقترحات تسوية للصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بالاضافة الى توالي الاجتماعات واللقاءات، داخل

اسرائيل وخارجها، بين جهات اسرائيلية رسمية، وغير رسمية، مع شخصيات فلسطينية ومسؤولين في م.ت.ف.

وسط هذا الصخب السياسي، والاعلامي، الاسرائيلي، بين مؤيد لهذه اللقاءات ومعارض لها، وناصح باتجاه تبنّي خط التسوية السلمية ومحذّر منه، يمكن تلمّس الهمّ الاسرائيلي الدائم، والذي يمكن تلخيصه بالامن الجاري، والاستراتيجي. ومن الواضح، تماماً، أن هذا التحرك الملحوظ، وفي جميع الاتجاهات، انما جاء على خلفية الانتفاضة العارمة للشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة، التي وضعت اسرائيل، وجهاً لوجه، مع التحدي المصيري الاساسي، وفرضت عليها ضرورة البحث في حل يستجيب لأماني الشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية.

المدرسة الاستراتيجية

تقرير معهد يافيه للدراسات الاستراتيجية الذي يرأسه اللواء (احتياط) اهارون ياريف، الذي وضع، في السبعينات، مع عضو الكنيست فيكتور شمطوف (مبام)، صيغة ياريف ـ شمطوف لتسوية سلمية في المنطقة، خاطب مباشرة الهمّ الاستراتيجي من الوجهة الاسرائيلية. واستعرض التقرير، الذي شارك في اعداده عدد من كبار الاكاديميين في اسرائيل، وخارجها، وبعضهم من ضباط الاحتياط في الجيش الاسرائيلي، ستة خيارات يطرحها الوضع القائم في المنطقة:

١ ـ استمرار الوضع الراهن في المناطق المحتلة.

٢ ـ تطبيق الحكم الذاتي، سواء بصيغته الضيّقة الواردة في اتفاقيتي كامب ديفيد أم بصيغة توفّر صلاحيات أوسع للسلطة الفلسطينية المحلية.

٣ ـ ضمّ المناطق المحتلة، نهائياً، الى اسرائيل.

٤ ـ اقامة دولة فلسطينية مستقلة تضمّ معظم مناطق الضفة وقطاع غزة.

٥ ـ انسحاب اسرائيلي من جانب واحد من قطاع غزة.

٦ ـ اقامة اتحاد فيدرالي اردني ـ فلسطيني في معظم اراضي الضفة والقطاع.

الجديد في هذه الدراسة، من الزاوية الاسرائيلية، هو أن طاقم الباحثين رأى في هذه الخيارات استحالة التطبيق لأسباب مختلفة. وبالتالي، جاء الخيار السابع، الذي تقدم به الجانب الاسرائيلي فقط من طاقم الباحثين، وفي وثيقة مستقلة عن الدراسة الاصلية، ليطرح امكان تطبيق حكم ذاتي في المناطق المحتلة، كحل مؤقت يمتد، ربما، الى ١٥ سنة، بحيث يتيح، في النهاية، امكانية إقامة دولة فلسطينية ضمن تسوية نهائية ودائمة. هذا الخيار، الذي يدعو طاقم الباحثين الاسرائيليين في معهد يافيه الى تبنّيه، يستند الى أربعة منطلقات اساسية:

١ ـ ان استمرار الوجود الاسرائيلي في المناطق المحتلة كافة والسيطرة على السكان العرب هناك سيكلف اسرائيل غالياً، وسيؤدي ، في النهاية، الى الحاق الضرر بها استراتيجياً، سواء من الناحية الديمغرافية، ام من ناحية العلاقة مع الولايات المتحدة، ام وحدة الصف اليهودي في الخارج وتضامنه مع اسرائيل.

٢ ـ ان الحفاظ على أمن اسرائيل يمكن التوصّل اليه من خلال تمركز عسكري اسرائيلي دائم في مواقع محددة، دون الحاجة الى السيطرة، مادياً، على المناطق وسكانها الفلسطينيين.

٣ ـ ان اقامة دولة فلسطينية، في نهاية الامر، تضم معظم المناطق المحتلة، لن يشكل تهديداً حقيقياً لاسرائيل، في حال الاصرار على ترتيبات أمنية معيّنة ترافق اقامة هذه الدولة.

٤ ـ ان حل النزاع القائم في المنطقة لا يمكن التوصل اليه بدون مفاوضات مباشرة مع الممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني.

وفي المقابل، فإن واضعي الدراسة يطالبون الفلسطينيين بتنفيذ الالتزامات التالية:

١ ـ الاعتراف بوجود اسرائيل، والتسليم به، واعتبار الصهيونية هي الحركة الوطنية للشعب اليهودي؛ وبالتالي، فهي تكتسب شرعية تنفي عنها صفة العنصرية والكولونيالية، والتخلي عن حق العودة للفلسطينيين، وعن المطالبة بأية اراض ضمن حدود ١٩٦٧ تصرّ اسرائيل على الاحتفاظ بها لأغراض أمنية واستراتيجية.

٢ ـ المشاركة في عملية السلام، على الرغم من اصرار اسرائيل على اعتبار النتيجة النهائية لهذه العملية مسألة مفتوحة على جميع الاحتمالات، أي بدون الالتزام مسبقاً بإقامة دولة فلسطينية مستقلة.

٣ ـ الموافقة على مرحلة انتقالية قد تستمر ١٥ عاماً، لا يسمح خلالها بإقامة دولة فلسطينية، فيما تحتفظ اسرائيل بكافة الترتيبات الامنية الحالية.

٤ ـ الاقرار بأن أية تسوية نهائية مع اسرائيل سوف تتضمن تنازلات اقليمية في الضفة والقطاع، بالاضافة الى ترتيبات أمنية دائمة.

الى جانب ذلك، اقرّ واضعو الدراسة بأن م.ت.ف. هي العنوان الذي يجب ان تتوجه اليه اسرائيل من أجل التفاوض بشأن تفاصيل الحل المقترح، على اعتبار ان المنظمة هي الطرف المعترف به من قبل الشعب الفلسطيني لتمثيله في أية تسوية.

التقويم السنوي العام الذي قدمه جهاز الاستخبارات العسكرية الى الحكومة الاسرائيلية، في جلسة خاصة عقدت في منتصف آذار (مارس) الماضي، التقى، ايضاً، مع الدراسة الاكاديمية لمعهد يافيه في اقراره بأن م.ت.ف. هي الممثل الوحيد الذي يتمتع بشرعية تمثيل الشعب الفلسطيني، مضيفاً ان الانتفاضة الفلسطينية في المناطق المحتلة مرشحة للاستمرار فترة طويلة، ما لم تبادر اسرائيل الى التفاوض مع م.ت.ف. من أجل التوصّل الى حل للنزاع يعتمد، أساساً، على مبدأ إقامة دولة فلسطينية. وفي ما يلي النقاط الاساسية الواردة في التقرير:

- لا توجد في المناطق المحتلة قيادة بديلة من م.ت.ف. ولا يتوفّر خيار التفاوض مع أية عناصر فلسطينية بدون موافقة م.ت.ف. الكاملة.
- بدأت م.ت.ف. تتخذ مواقف معتدلة في ما يتعلق بحق اسرائيل في الوجود، معتمدة، في اعترافها بذلك الحق، على حل الدولتين. هذا الرأي، الذي يتبنّاه ياسر عرفات ومؤيدوه، لا يوافق عليه جميع الاطراف في م.ت.ف. الاّ أن تراكم التصريحات العامة المعتدلة من جانب م.ت.ف. يشير الى تغيّر حقيقي في سياسة المنظمة.
- لا يمكن ايقاف الانتفاضة، الاّ اذا ترافق ذلك مع انجاز دبلوماسي رئيس للفلسطينيين.
- المعسكر البراغماني في العالم العربي على استعداد لقبول فكرة وجود اسرائيل.
- المعسكر الراديكالي اصابه الضعف. ويتألف، حالياً، من سوريا وليبيا واليمن الجنوبي فقط.
- حوار م.ت.ف. مع الولايات المتحدة اصبح حقيقة واقعة. ومن المؤكد أن يرتفع مستوى هذه الاتصالات مع ارتفاع مستوى مضمونها والمشاركين فيها.
- ان انعدام المرونة الدبلوماسية الاسرائيلية، مقارنة بالمرونة في الجانب العربي، يشكل أساساً لتآكل في الدعم الاميركي لاسرائيل.
- تعتمد الخطة الدبلوماسية الاميركية على خلق مناخ التفاوض بين اسرائيل والفلسطينيين، تتبعه مرحلتان متتاليتان: مفاوضات بين اسرائيل وفلسطينيين من المناطق المحتلة ـ سيكونون بحاجة، على الاغلب، الى موافقة م.ت.ف. ـ بشأن مضمون اتفاق مرحلي تتبعه مفاوضات على تسوية نهائية؛ وعند هذه المرحلة، ستنضم م.ت.ف. رسمياً، الى محادثات السلام.
- للقوتين العظميين مصلحة مشتركة في منع أي تصعيد؛ وفي تعزيز فرص حل سلمي للنزاع في الشرق الاوسط. وفي حين أبدى السوفيات براغماتية في السنوات الاخيرة وبدأوا حواراً مع اسرائيل؛ كذلك بدأت الولايات المتحدة حوارها مع م.ت.ف. هذه التحركات المتوازية تشير الى احتمال التنسيق بين القوتين الاعظم.

هذه التوصيات الاكاديمية والتقويمات العسكرية لمستقبل الوضع في المناطق المحتلة، والتي تلتقي مع الكثير من مواقف «الحمائم» داخل اسرائيل، اثارت غضب اليمين واستيائه الى حدّ انكار زعيم الليكود رئيس الحكومة وجود تقرير الاستخبارات العسكرية (**يديعوت احرونوت**، ١٩٨٩/٣/٢٢). وعندما اضطر مكتب رئيس الحكومة، في اليوم التالي، الى الاعتراف بوجود التقرير، سارع شامير الى التذكير بأخطاء

سابقة لجهاز الاستخبارات العسكرية في تقويم الوضع عشية نشوب حرب العام ١٩٧٣، وفي تحليل اهداف أنور السادات من زيارة القدس، العام ١٩٧٨.

على ان الامر لم يقتصر على الدراسات النظرية الاكاديمية، او التقارير العسكرية، بل تعدّاه الى اللقاءات المباشرة بين عدد من الشخصيات الفلسطينية، من جهة، ووجوه حزبية واعضاء كنيست ومسؤولين اسرائيليين، من جهة اخرى، داخل اسرائيل، وخارجها. وفي حين ان اللقاءات داخل اسرائيل ومع المسؤولين في الادارة المدنية للضفة والقطاع كانت تتمّ بمبادرة من الجانب الاسرائيلي؛ وبالتالي، فإن الطرف الفلسطيني كان يجد نفسه مضطراً الى الاستجابة لهذه المبادرة؛ الاّ أن اللقاءات مع الوجوه الحزبية، وغيرها، كانت، في الاغلب، بمبادرة من احزاب اليسار والجماعات المعارضة لسياسة الليكود واليمين المتطرف. وبلغ تهافت الجانب الاسرائيلي على عقد هذه اللقاءات حدّاً كاد يوحي بأن هناك سباقاً على تسجيل اكبر عدد ممكن من اللقاءات مع الوجوه والشخصيات الفلسطينية. وفي حين ان اللقاءات مع معسكر السلام الاسرائيلي، واليسار بشكل عام، كانت تندرج في خانة تبادل المواقف وتقريب وجهات النظر بين الاطراف المشاركة، فإن الاجتماعات التي كانت تبادر اليها «الادارة المدنية» في المناطق المحتلة استهدفت الايحاء الى الرأي العام في الداخل، والخارج، والى الادارة الاميركية بشكل خاص عشية زيارة شامير واشنطن، بأن هناك محاورين في الطرف الفلسطيني خارج اطار م.ت.ف. الامر الذي يوفّر فرصة خلق قيادة بديلة من منظمة التحرير في الضفة والقطاع. الاّ ان الموقف الحازم الذي اتخذته م.ت.ف. بالطلب من القيادات والشخصيات الفلسطينية في الداخل الامتناع عن حضور اللقاءات مع الاسرائيليين داخل الوطن المحتل، ونقل هذه اللقاءات الى الخارج بهدف اشتراك م.ت.ف. مباشرة فيها، وتأكيد الشخصيات الفلسطينية في المناطق المحتلة على التزامها بقيادة م.ت.ف. وتمثيلها للشعب الفلسطيني، وضع حدّاً لامكان نجاح اسرائيل في ما كانت تهدف اليه من وراء هذه اللقاءات.

الحل الاسرائيلي وصيغه المتعددة

يكاد يجمع الاسرائيليون، على اختلاف انتماءاتهم، على استحالة الاستمرار في الوضع الراهن، وضرورة ادخال تعديلات معيّنة، بهدف التوصل الى حل يراعي مطالب جميع الاطراف. وفي حين يوافق معسكر اليسار الاسرائيلي على أن الحل يجب ان يقوم على مبدأ الدولتين للشعبين، فإن معسكر الوسط ـ اليمين يحاول، يائساً، الخروج من المأزق الراهن محتفظاً بأكبر مساحة ممكنة من المناطق المحتلة، دون الالتزام بأعباء كثافتها السكانية العربية. ومن أجل التوصل الى هذه الغاية، تشهد الساحة الاسرائيلية العديد من الصيغ الجديدة ـ القديمة التي تحاول الالتفاف حول مبدأ اقامة دولة فلسطينية مستقلة، مع الاعتراف، في الوقت عينه، بضرورة التوصل الى «كيان ما للفلسطينيين».

من جانبه، لا يزال حزب العمل يدور في فلك مشروع الون للعام ١٩٦٨، القائم، اساساً، على مبدأ الاحتفاظ بمساحات واسعة من المناطق المحتلة لأغراض أمنية، واعادة مراكز التجمّعات السكانية الى الاردن. الاّ ان المتغيرات السياسية على ارض الواقع فرضت على زعامة العمل البحث عن بديل للخيار الاردني. وكان الاقتراح الذي نسب الى شمعون بيرس يدعو الى وقف غير معلن لأعمال العنف في المناطق المحتلة خلال فترة محدّدة يتمّ خلالها التفاوض مع الفلسطينيين، بهدف اقامة «كيان» فلسطيني يرتبط كونفدرالياً مع الاردن، أو مع اسرائيل، أو مع كليهما. وتجرى هذه المفاوضات ضمن اطار مؤتمر دولي على نسق مؤتمر جنيف للعام ١٩٧٣ (جيروزاليم بوست، ١٩٨٩/٣/٣١)، والجديد في مشروع بيرس هذا انه لا يستبعد، مبدئياً، التفاوض مع م.ت.ف. ويرى ان المفاوضات يجب ان تتمّ بهدف التوصل الى تسوية نهائية، وليس مجرد مرحلة مؤقتة؛ كما انه ابتعد قليلاً من نموذج الحكم الذاتي في تصوره للكيان المقترح للفلسطينيين.

وزير الدفاع، اسحق رابين، ساهم، بدوره، في عملية الحلول المقترحة من خلال الاصرار على رفض التفاوض مع م.ت.ف. ويعتقد رابين بأن على اسرائيل ان تطرح سياسة من ثلاثة توجهات: الاقتراح على الفلسطينيين ايقاف الانتفاضة مقابل انتخاب

ممثلين فلسطينيين؛ استمرار العمل على احباط الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة؛ والتنسيق مع الولايات المتحدة لمنع م.ت.ف. من احراز أي مكسب هام. ويعتقد رابين، ايضاً، بأن الاميركيين يتفقون مع اسرائيل على ضرورة عدم العودة الى حدود العام ١٩٦٧، ويدركون الحاجة الى التقدم ببطء باتجاه التسوية في المنطقة، ويفضّلون التفاوض مع فلسطينيين من المناطق المحتلة بدلاً من م.ت.ف. (دافار، ٢٣/٣/١٩٨٩). ويعارض رابين، بشدة، فكرة اجراء انتخابات بلدية، في حين انه لا يعارض فكرة انتخابات «هيئة سياسية» تمثل السكان الفلسطينيين في مفاوضات مستقبلية مع اسرائيل. فوزير الدفاع الاسرائيلي، الذي يتعاطى، يومياً، بقضايا الاحتلال والانتفاضة، لا يهمّه، ابداً، انتخاب هيئة سياسية غامضة الملامح هدفها الاساسي التفاوض مع الحكومة الاسرائيلية بشأن اتفاقات مستقبلية؛ ولكنه يخشى اعطاء قادة الانتفاضة مكانة رسمية، كرؤساء مجالس بلدية ومحلية واعضاء فيها. ويدرك رابين ان أية مفاوضات بشأن مستقبل المناطق المحتلة يمكن ان تمتد وقتاً طويلاً دون التوصل الى أية نتائج عملية. كما انه يدرك ان سكان المناطق المحتلة لا يستطيعون الموافقة على انتخاب ممثلين لمثل هذه الهيئة بدون مشاركة الفلسطينيين في الخارج. وبالتالي، فإن الخلاف على المسائل «الاجرائية» المتعلقة بهذه الانتخابات، والتي تتناول شكلها والمشاركين فيها والاشراف عليها، قد تمتد سنين طويلة بدون أي انجاز عملي ملموس (يهودا ليطاني، **جيروزاليم بوست**، ٣١/٣/١٩٨٩). وتجدر الاشارة، هنا، الى ان رابين، المنافس الاول لبيرس على زعامة حزب العمل، احتل المرتبة الاولى بين وزراء حكومة شامير من حيث اقتناع الجمهور الاسرائيلي بأسلوب ادائهم مسؤولياتهم الوزارية، حسب استفتاء اجراه معهد سميث للاحصاء، بمناسبة انقضاء مئة يوم على حكومة الوحدة الوطنية (دافار، ٤/٤/١٩٨٩).

الاصوات الاخرى داخل حزب العمل تنتمي الى معسكر اليسار وتؤيد الحوار مع م.ت.ف. تعبيراً عن واقعية سياسية، وليس لأية اسباب ايديولوجية. ويضم هذا المعسكر شخصيات مثل اسحق بن اهرون وابا ايبن وحاييم تسادوك وعيزر وايزمان ولوبا الياف واورا نمير وحاييم رامون ويوسي بايلين وافروم بورغ، وغيرهم. ولكن هذه الاصوات ما زالت اقلية داخل الحزب الذي ترفض أكثريته اقامة دولة فلسطينية مستقلة في المناطق المحتلة، وتصرّ على المطالبة بقائمة طويلة من الاجراءات لضمان أمن اسرائيل.

ويقف بيرس، زعيم العمل وزير المالية، حائراً، متردداً، وسط التيارات المتصارعة داخل الحزب، على الرغم من دعوته المتكررة الى اتخاذ «موقف حاسم بشأن متطلباتنا الوطنية خلال العقد القادم. هل نختار وضعاً راهناً خادعاً تكمن فيه مسارات تدهور خطيرة، ام نختار سلاماً يرتبط، بالطبع، بثمن هو التنازل عن جزء من المناطق [المحتلة]» (دافار، ١١/٤/١٩٨٩). ويبرّر بيرس دعوته الى اتخاذ هذا «الموقف الحاسم» بالازمة الاقتصادية المتفاقمة، نتيجة كلفة الانتفاضة وهرب الاستثمارات الاجنبية، بالاضافة الى الخطر الديمغرافي، والانقسام الحاصل في الصف اليهودي في الخارج.

امّا النصف الآخر في حكومة الوحدة الوطنية ـ معسكر اليمين بزعامة الليكود ـ فإنه يتراوح، في مواقفه، بين الرفض الكامل لأية حلول سياسية، او تسوية سلمية لمستقبل المناطق المحتلة، داعياً الى قمع الانتفاضة بالقوة العسكرية وضم المناطق، نهائياً، الى اسرائيل، وتكثيف الاستيطان اليهودي فيها، كما عبّر عن ذلك اريئيل شارون (**يديعوت احرونوت**، ٧/٤/١٩٨٩)، وبين المناورة من أجل كسب فترة من الوقت، بحجة التحضير لانتخابات في المناطق المحتلة، حسب مقترحات شامير الاخيرة. وعلى الرغم من الخلافات الشكلية بين ما يطالب به شارون وما يعرضه شامير، الّا ان الجوامع المشتركة فيما بين ما يقوله الاثنان عديدة. فالمشروع الذي عرضه شامير على الادارة الاميركية الجديدة، في اثناء زيارته واشنطن، في نيسان (ابريل) الماضي، يستند الى النقاط الاربعة التالية:

- استئناف مسار كامب ديفيد بين الاطراف الموقّعة عليه، الامر الذي يعني استبعاد م.ت.ف. تماماً، من المسار السياسي الذي سيحدّد مستقبل المناطق المحتلة.
- انهاء حالة الحرب بين اسرائيل والدول

العربية.

○ تقديم مساعدات دولية من أجل حل مسألة اللاجئين، من خلال توطينهم في أماكن اقامتهم الحالية.

○ انتخابات في المناطق المحتلة لتحديد ممثلين فلسطينيين منتخبين للتفاوض مع اسرائيل (**دافار**، ١٧/٤/١٩٨٩).

مقترحات شامير هذه ترفض التفاوض مع م.ت.ف. ولا تعترف بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة، وتطالب، أساساً، بضرورة الحصول على فترة من الهدوء، من أجل «التحضير» للانتخابات، وتتجاهل ضرورة اشراك سكان القدس الشرقية في الانتخابات المقترحة، وتعيد احياء اتفاقيتي كامب ديفيد التي تجاوزتها الاحداث السياسية، وكان شامير نفسه أول المعارضين لها في حينها. وقد أكد شامير، بنفسه، هذه «الايضاحات» في اثناء مناقشة لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست (**هآرتس**، ١٨/٤/١٩٨٩)، عندما قال: «لن تقوم هنا دولة فلسطينية. واذا اراد المنتخبون الخوض في امور خارج الاطار المحدّد، فلن نسمح لهم بذلك، حتى لو كانوا منتخبين». وقال شامير ان المحادثات مع ممثلي المناطق المحتلة ستجرى على مرحلتين: الاولى تدور حول تسوية مؤقتة تمتد خمس سنوات، يقام خلالها حكم ذاتي في المناطق المحتلة حول مختلف الشؤون الحياتية، باستثناء الخارجية والامن، حيث ستحتفظ اسرائيل بهما؛ وفي السنة الثالثة تبدأ المفاوضات من أجل التسوية الدائمة وانهاء النزاع بين الطرفين. ورداً على منتقديه من الاحزاب اليمينية المتطرفة، الذين اعتبروا اقتراح الانتخابات بداية مسار سيؤدي، في النهاية، الى اقامة دولة فلسطينية، استبعد شامير، تماماً، هذا الاحتمال، قائلاً: «من الصعب الافتراض اني، شخصياً، سأشارك في المفاوضات بشأن التسوية الدائمة. ولكني اعرف زملائي الشباب. انهم لن يوافقوا، اطلاقاً، على سيادة فلسطينية في [الضفة الفلسطينية]»، وكان شامير بذلك يحدّد الخط السياسي للجيل الثاني من الوجوه «الشابة» داخل الليكود، التي تتنافس على زعامة الحزب من بعده، من امثال موشي ارنس واسحق موداعي ودافيد ليفي واريئيل شارون.

من جهة اخرى، اعتبرت اوساط اليسار الاسرائيلي (**دافار**، ١١/٤/١٩٨٩) ان فكرة الانتخابات التي عرضها شامير لا تهدف سوى الى كسب بعض الوقت، يستغلّه شامير لقمع الانتفاضة في المناطق المحتلة والقضاء عليها (يوسي ساريد ـ قائمة حقوق المواطن)؛ في حين اعتبر آخرون ان المفاوضات مع م.ت.ف. تدور عملياً، ولكن بصورة غير مباشرة وعبر الولايات المتحدة، التي يقوم المسؤولون فيها بدور ساعي البريد بين الطرفين، الفلسطيني والاسرائيلي (لويا الياف ـ المعراخ).

وسط هذه المقترحات المختلفة، والمتناقضة احياناً، وفي أساس المشاريع العديدة المقترحة لحل الازمة في المنطقة، لا بد من التركيز على النقاط التالية:

○ ان التحرّك السياسي الحالي لم يتحقق الّا بنتيجة الانتفاضة الشعبية العارمة داخل المناطق المحتلة، والتي يسبب استمرارها خسائر متواصلة لاسرائيل في مختلف المجالات الاقتصادية والدبلوماسية والمعنوية، داخلياً وخارجياً. وبالتالي، فان الدعوة الى ايقاف الانتفاضة، تلقائياً او بالعنف، تشكل الجامع المشترك بين مختلف المقترحات الاسرائيلية المتداولة.

○ ان فكرة الدولة الفلسطينية اصبحت، للمرة الاولى، مطروحة بجدية على جدول الاعمال الاسرائيلي، سواء أكان الموقف منها مؤيداً أم رافضاً.

○ الشروط التي يطرحها الجانب المؤيد لاقامة دولة فلسطينية مستقلة، بحجة ضمان أمن اسرائيل، والقيود العسكرية والسياسية المقترحة على الدولة العتيدة، تعكس مدى القلق العميق داخل اسرائيل على مصير اسرائيل من مجرد احتمال قيام دولة فلسطينية الى جانبها، مهما كان حجم هذه الدولة في المفهوم العسكري.

○ تلتقي غالبية المشاريع الاسرائيلية المطروحة على ضرورة الاحتفاظ بالمستعمرات الاسرائيلية المقامة حالياً في المناطق المحتلة، انطلاقاً من كونها مراكز عسكرية تساهم في الحفاظ على أمن اسرائيل.

○ ان جوهر المسألة، بالنسبة الى

الاسرائيليين، هو قضية حق العودة للفلسطينيين. ويكاد يجمع مختلف الاطراف في التركيبة السياسية الاسرائيلية ـ من «معسكر السلام» الى اقصى اليمين المتطرف ـ على ضرورة التخلي، تماماً، من جانب الفلسطينيين في الداخل والخارج، عن حق العودة للاجئين الفلسطينيين. ويشكل هذا المطلب السبب المباشر في موقف رافضي الحوار مع م.ت.ف. ومعارضي التفاوض معها؛ اذ يرى هؤلاء ان مجرّد التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية سيفتح في المجال للاعتراف بحق الفلسطينيين في الخارج في العودة الى اراضيهم وممتلكاتهم ضمن حدود ١٩٤٨. ومن هنا يأتي الاصرار على التحاور فقط مع الفلسطينيين داخل المناطق المحتلة، ومن خلال التنكر لحقيقة التزامهم بـ م.ت.ف. ومواقفها السياسية. ويبدو ان الخلفية النظرية للموقف الاسرائيلي هذا تستند الى عقيدة «ارض ـ اسرائيل الكاملة» التي تطالب بضفتي الاردن، الشرقية والغربية. وبما أن الواقع السياسي لا يسمح لليهود بـ «العودة» الى كامل هذه الارض (التي تضمّ الاردن كما هو واضح)، فإن الفلسطينيين، ايضاً، يجب أن يتخلّوا عن حق العودة الى داخل حدود ١٩٤٨ (دافار، ٩/٤/١٩٨٩). ومقابل «التنازل» الاسرائيلي عن «ارض ـ اسرائيل الكاملة» فإن الفلسطينيين، ايضاً، مطالبون، من اجل التوصل الى تسوية سلمية، بالتنازل عن جانب من تطلعاتهم ومطالبهم الوطنية. امّا مؤيدو الحوار مع م.ت.ف. فإنهم يعتبرون تخلي المنظمة عن مبدأ العودة للفلسطينيين «اثباتاً لنوايا المنظمة الحسنة»، ودليلاً على جدية التزامها بالتسوية السلمية (المصدر نفسه).

○ بالاضافة الى كافة التيارات والكتل والاحزاب الاسرائيلية التي تعارض فكرة قيام دولة فلسطينية مستقلة، فقد ساهم وزير الخارجية الاميركية الاسبق، هنري كيسنجر، في هذا المجال ايضاً، من خلال مقالة نشرتها صحيفتا «هآرتس» و«جيروزاليم بوست» (١٩/٣/١٩٨٩)، ورددت اصداءها، ايضاً، مقالات لاحقة في «جيروزاليم بوست» ٢٨ و٣١/٣/١٩٨٩). التحذير الذي اطلقه كيسنجر ضد احتمال قيام دولة فلسطينية مستقلة في المناطق المحتلة يستند الى النموذج اللبناني الراهن، «حتى لا تصبح الضفة الغربية بيروت ثانية». وعندما يأتي هذا التحذير من المسؤول الاول عن السياسة الاميركية في الشرق الاوسط حين بداية نشوب الحرب الاهلية في لبنان، والذي يحتل تلامذته المناصب الرئيسة، حالياً، في الادارة الاميركية، فإن حقيقة التنسيق الاميركي ـ الاسرائيلي بشأن مستقبل المناطق المحتلة تتجاوز مجرد الانتخابات، سواء أكانت بلدية ام سياسية، او البحث في اقامة حكم ذاتي، سواء أكانت صلاحياته محدودة أم اكثر شمولية.

مها بسطامي

نحالين بين مذبحتين

عندما أطلق الجنود الاسرائيليون عياراتهم النارية الأولى في قرية نحالين، القابعة، منذ قرون عدة، على سفح هضبة في واد زراعي غير بعيد من بيت لحم، مبدّدين، بذلك، السكون الذي كانت تعيشه القرية في ساعات الفجر الأولى، استيقظ فؤاد عوّاد نجاجرة على الفور. كان في السادسة عشرة من عمره، طالباً في المدرسة الثانوية، لكنه لم يتردد لحظة؛ حمل «بقيفته» وخرج مستعداً لخوض معركة مع الاسرائيليين الذين أغاروا على القرية. لكنه ما أن غادر البيت الى الشارع حتى وضعت أمامه صورة الكارثة؛ اذ شاهد الفوضى، وسمع جلبة واضطرابات كانت مؤشراً الى بداية حادث أصبح الأكثر دموية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، منذ بدأت الانتفاضة الشعبية، قبل سبعة عشر شهراً (هيلين وينترنيتز، «نحالين؛ نموذج لقرية مناضلة ضد الاحتلال»، **القبس**، الكويت، ١٩/٤/١٩٨٩؛ نقلاً عن **الصنداي تلغراف**، بدون ذكر تاريخ النشر). فقد ارتكبت قوة من رجال «حرس الحدود» الاسرائيليين مجزرة بشعة ضد أهالي نحالين، سقط خلالها أربعة من ابنائها شهداء، هم صبحي محمد شكارنة (٢١ عاماً)، ورياض محمد غياضة (٢٢ عاماً)، وفؤاد يوسف نجاجرة (١٦ عاماً)، ومحمد حسن خليل (٢٢ عاماً) (**الرأي**، عمّان، ١٤/٤/١٩٨٩). ووفقاً لمصادر اسرائيلية، فقد سبق الغارة ممارسات استفزازية كثيرة قام بها جنود من قوات حرس الحدود. فعلى امتداد الأسبوع السابق لوقوع المذبحة، اعتاد عدد من شرطة حرس الحدود التوقف بسيارتهم الجيب العسكرية على مقربة من نحالين، على الطريق المؤدية الى مستوطنة عتسيون. وكان هؤلاء يوجّهون الشتائم البذيئة إلى المارّة من السكان، أو من هم داخل القرية، عبر مكبّر للصوت ثبتّ على السيارة، كالتهديد باغتصاب بناتهم وهتك أعراضهم والتلويح بالقيام بمذابح مماثلة لمذابح صبرا وشاتيلا التي وقعت في المخيمين، في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢. ووصلت استفزازات حرس الحدود لسكان نحالين أن وقف أحدهم، ذات مرة، وخلع سرواله قبالة عدد من المارة (جويل غرينبرغ، «ماذا حدث في نحالين ؟»، **جيروزاليم بوست**، ٢١/٤/١٩٨٩). الى ذلك، تمّ تغييب قائد سرية حرس الحدود العاملة في المنطقة، بمنحه إجازة رسمية، تمهيداً لتنفيذ العدوان الدموي ضد أهالي القرية (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٧٤٦، ٢٣/٤/١٩٨٩).

وقائع المجزرة

في حوالى الساعة الرابعة من صباح الخميس، ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٨٩، وصلت قوة من حرس الحدود تضمّ حوالى ٧٠ رجلاً، اقلّتهم ١٥ سيارة نقلتهم الى مشارف نحالين، حيث فرضوا عليها حصاراً محكماً لمنع أي من سكانها من مغادرتها أو الهرب منها؛ ثمّ انقسموا الى مجموعات تضمّ كل منها حوالى ١٥ عنصراً. هبطت إحداها، سيراً على الأقدام، الى وسط القرية، فيما التفّت مجموعة أخرى جهة الشمال وتمركزت في نقطة عند سفح التل المشرف على القرية، قبل أن تتحرك المجموعات، مجدداً، نحو نقطة التجمّع وسط نحالين. في حوالى الساعة الرابعة والربع، شوهد افراد حرس الحدود يتحركون في القرية، التي كان سكانها استيقظوا لتناول وجبة السحور، التي تتمّ، عادة، قبل الفجر بقليل؛ وكان بعضهم عائداً لتوّه من مسجد القرية، بعد أداء صلاة الفجر فيه (غرينبرغ، **مصدر سبق ذكره**).

طبقاً لما رواه مواطنون من نحالين، أخذ رجال حرس الحدود يضربون المارّة خلال تحركهم نحو وسط القرية؛ وفجأة تتالت مشاهد العنف: جرّ الجنود أحد الشبان؛ رفسوه بأقدامهم، وضربوه بالعصي، وجعلوه يركض، جيئة وذهاباً، بينهم؛ بينما قام جندي بضرب شاب آخر على رأسه؛ وتعرّضت

إمرأة، تحمل طفلاً، للاعتداء، ركلها أحدهم والقى بطفلها أرضاً؛ وأمر آخر صبياً، في الرابعة عشرة من عمره، يستخدم كرسياً على عجلات، بالنهوض، وعندما لم يتمكن من ذلك جرّه والقاه أرضاً. وأخذ الجنود يطلقون النار في كل اتجاه دون أن يواجهوا أية مقاومة. حطموا زجاج البيوت والسيارات. واصابت الاضرار غالبية البيوت الممتدة على الطريق الداخل الى القرية. حتى مسجدها لم يسلم من الرصاص الذي حطّم نوافذه. وبدأت معركة بين حوالى ٥٠ شاباً تجمّعوا داخل المقبرة من جهة الجامع الشرقي فوق الطريق الرئيس، وحرس الحدود المتمركزين أسفل المنطقة، حيث قذفهم الشبان بسيل من الحجارة. واعتلى اثنان من حرس الحدود سطح بيتين متجاورين، وأخذ أحدهما يقنص الفارّين. وروى سكان القرية ان القنّاص هو المسؤول عن غالبية الاصابات التي وقعت بين أبناء القرية، وتتجاوز العشرين اصابة؛ وان الشبان الأربعة القتلى سقطوا على أرض المقبرة. فقد أصيب رياض غياضة في ظهره واحدى يديه؛ فاسرع صبحي شكارنة لمساعدته، فاصيب بطلقات في الرأس والصدر؛ وحاول بعض الشبان الاقتراب من رياض وصبحي اللذين سقطا أرضاً، فاطلق حرس الحدود النار نحوهم، فاصيب أحمد عبدالحافظ في إحدى يديه. وتمّ نقل صبحي ورياض، فيما بعد، داخل سيارة، غير أن قوة حرس الحدود اعترضت طريقها وأعادتها، بعد أن حطّم عناصرها نوافذ السيارة، واضطر أهالي القرية الى اخفاء الشابين المصابين عن أنظار الجنود مدة ساعتين، نقلا بعدها الى مستشفى بيت جالا، لكنهما توفيا حال وصولهما المستشفى. أمّا الشهيد الثالث، ويدعى محمد شكارنة، فقد حاول مساعدة بعض الجرحى، فاصيب برصاصة في صدره وظل ملقى على الأرض دون أن يتمكن أحد من سكان القرية من الاقتراب منه، بسبب تواجد الجنود على مقربة منه. وقتل الرابع، فؤاد نجاجرة، أمام عيني أخيه عمر. روى عمر الحادثة، فقال: ركض أخي فؤاد هابطاً من على أرض المقبرة، وعبر الشارع الى مقبرة ثانية، واعتلى أحد القبور، فأطلق أحد رجال حرس الحدود النار عليه من بندقية مزوّدة بمنظار مكبّر، عبر الأشجار القريبة من المقبرة. ثمّ أصيب ابراهيم شكارنة (٢٢ عاماً) بطلقة في معدته، فاقتربت منه سيارة جيب، وهبط منها احد الجنود، ووضع قدمه فوق منطقة الاصابة فترة من الزمن؛ بعد ذلك تمكنت مجموعة من فتيات القرية من سحب محمد ونقله الى مستشفى المقاصد، في القدس، وهو في حالة خطر شديد. وروى عمر نجاجرة انه فرّ وثمانية آخرين، فلاحقهم الجنود مسافة تزيد على كيلومترين وكانوا يطلقون النار باتجاههم، وقد تمكنوا من إصابة خمسة منهم (**المصدر نفسه**).

اليوم التالي

في التاسعة من صباح يوم المذبحة، عقد المجلس البلدي لمدينة بيت لحم اجتماعاً طارئاً لتدارس الأمر، وأصدر بيان شجب واستنكار. وأبلغ رئيس البلدية، الياس فريج، الى مراسل الاذاعة الاسرائيلية، قوله: «لقد وقعت مجزرة حقيقية بحق سكان قرية نحالين الآمنة. ويجب أن تشكل لجنة تحقيق برئاسة أحد قضاة محكمة العدل العليا». واضاف فريج: «ان ادعاء الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي بأن اطلاق النار جاء رداً على وقوع أعمال رشق بالحجارة وتحريض ضد الجيش لا أساس له من الصحة؛ فقبل اسبوع على وقوع المجزرة قدّم عدد من وجهاء القرية شكوى الى المسؤولين الاسرائيليين حول المعاملة السيئة والاعتداءات التي يقوم بها جنود القبّعات الخضر بلا سبب» («فلسطين الثورة»، **مصدر سبق ذكره**).

من أجل تهدئة الخواطر وامتصاص النقمة التي بدأت تتزايد، أعلن قائد المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي، الجنرال عميرام متسناع، عن تشكيل لجنة تحقيق. وقام كل من رئيس الأركان الاسرائيلية، دان شومرون، ومنسق النشاطات في المناطق المحتلة، شموئيل غورن، بزيارة لقرية نحالين، وسماع شهادات بعض الجنود الذين شاركوا في المجزرة (**المصدر نفسه**). وعقّب متسناع على الحادث بأنه كان «استثنائياً وخطيراً، سواء في الطريقة التي تمّ بها، أو في عدد الاصابات». ووعد بأن تكون هناك تحقيقات حول سلوك الجنود، وخصوصاً من قوة حرس الحدود. وأوضح متسناع ان فريق التحقيق الذي شكّله من عدد من الضباط المسؤولين سوف يتحرّى حول خطة العملية ودخول افراد حرس الحدود الى نحالين، وراوية رجال

حرس الحدود، بعد الاستماع الى رواية السكان المحليين من أبناء القرية، وأي نوع من العلاج قدّم الى الجرحى، وما اذا تمّ إجلاؤهم فور إصابتهم أم لا؟ ووعد بأن يعلن الحقيقة، ويطلع عليها سكان القرية، حال الانتهاء من التحقيق.

وطبقاً لمتسناع، فقد أرسلت مجموعة من حرس الحدود الى نحالين قبل الفجر لاعتقال مطلوبين، وجمع معلومات، والبحث عن أسلحة (**جيروزاليم بوست**، ١٤/٤/١٩٨٩). لكن قرويين من نحالين اكدوا ان قوة حرس الحدود لم تقم بتفتيش أي بيت في القرية، ولم تعتقل سوى عدد محدود، ممّا ينفي ما جاء على لسان متسناع (**المصدر نفسه**، ٢١/٤/١٩٨٩).

استجوبت لجنة التحقيق، التي تمّ تشكيلها، أفراداً من حرس الحدود والقوات الاسرائيلية، وسكان قرية نحالين، وسائقي سيارات الأسعاف العربية. ودلّت المعطيات الأولى على أن جنوداً من الوحدة الخاصة في حرس الحدود هم الذين نفذوا الجريمة. وأدعى عدد من هؤلاء، ممن تمّ استجوابهم، بأنهم لم يطلقوا النار الاّ بعد أن نفدت ذخيرتهم من العيارات المطاطية والبلاستيكية والقنابل المسيلة للدموع، ووجدوا أنفسهم معرّضين لخطر الموت. وذكروا، أيضاً، ان حواجز من الحجارة الكبيرة وضعت عند مدخل القرية، ممّا أجبرهم على ترك سياراتهم الجيب وسائقيها هناك، ودخول القرية سيراً على الأقدام، حيث حوصروا من جانب مئات من السكان الغاضبين («فلسطين الثورة»، **مصدر سبق ذكره**). وذكر قروي، رفض ذكر أسمه، انه شاهد مشاجرة بين عدد من الجنود وحرس الحدود قبل اطلاق النار على معظم الضحايا. وسمع ضجة بين الطرفين تحوّلت الى عراك بالأيدي. وطلب أحد الجنود من زملائه مغادرة المنطقة، فردّ عليه آخر من حرس الحدود بأن هذا ليس شأنك و «ان واجبنا يقتضي بأن نبقى هنا» (**جيروزاليم بوست**، ١٤/٤/١٩٨٩).

بين التحقيق والحماية

تراوحت ردود الفعل على المذبحة بين الاستنكار الشديد والسخرية من التحقيقات التي يتولاّها الجيش الاسرائيلي؛ فأصدر الحزب الشيوعي الفلسطيني بياناً اكد فيه «ان مذبحة حرس الحدود، في نحالين، لن ترعبنا». وطالب بيان وقّعته نقابات العمّال والجامعات واتحاد المدرّسين في الجامعات بتمركز قوات دولية في المناطق المحتلة لحماية الفلسطينيين وممتلكاتهم. وبعث رئيس بلدية بيت لحم، الياس فريج، احتجاجاً الى وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين؛ وأصدرت البلدية بياناً جاء فيه: «ان رجال حرس الحدود فتحوا النار [على المواطنين] بدون تمييز، وتسببوا في مذبحة وعنف يتنافيان وحقوق الانسان ومعاهدة جنيف وقواعد القانون الدولي» (جويل غرينبرغ، «الجيش وحرس الحدود بدآ تحقيقاً في القتل...»، **المصدر نفسه**، ١٦/٤/١٩٨٩).

من الجانب الاسرائيلي، دعا عضو الكنيست، دادي تسوكر (مبام)، الى تشكيل لجنة تحقيق من خارج الجيش، «لأنه من المستحيل أن يحقق الجيش مع نفسه». وعلّق عضو الكنيست، يوسي ساريد (راتس): «يبدو أن حرس الحدود بدأ يستخدم ذريعة إنزال العلم الفلسطيني، وشطب الشعارات، لشطب أرواح الناس». من جهة أخرى، قدمت اللجنة الدولية الخاصة بالصليب الأحمر الدولي استنكاراً شديد اللهجة الى اسرائيل، لقتلها عرباً في قرية نحالين من طريق اطلاق النار بلا تمييز وعدم السيطرة على الجنود («فلسطين الثورة»، **مصدر سبق ذكره**). كما طلبت منظمة العفو الدولية، في لندن، فتح تحقيق قضائي مستقل، بصورة عاجلة. وجاء في بيان لمنظمة الدفاع عن حقوق الانسان شعور المنظمة بالقلق الشديد بعد ملاحظتها تسامح السلطات الاسرائيلية وتشجيعها جنودها وحرس الحدود على الاستخدام المفرط للقوة، مع علمها بأن ذلك يؤدي الى قتل، أو جرح، فلسطينيين؛ وما جرى في نحالين وغيرها هو مثال على هذا الاستخدام. واضافت، ان القوات الاسرائيلية اطلقت النار عشوائياً على الفلاحين، خلال غارة شنّتها على نحالين فجر الخميس، ١٣/٤/١٩٨٩؛ وانها قتلت، منذ بداية الانتفاضة، اكثر من ٤٠٠ فلسطيني في حوادث تميزت باطلاق النار وممارسة الضرب واستخدام غازات مسيلة للدموع. وأوضحت المنظمة أن تقارير تلقّتها لا تؤيد مبررات السلطات الاسرائيلية لعمليات القتل التي تزعم انها

تمّت بسبب تعرض حياة جنودها للخطر. وانتقدت اعلان اسرائيل عن تشكيل طاقم تحقيق من بين صفوف الجيش وقوات حرس الحدود، ووصفت الاجراء بأنه غير كاف. ودعت الى إجراء تحقيق قضائي مستقل لضمان عدم التحيّز. وذكرت ان هناك حاجة ملحة لتحقيق من هذا النوع حول الانتهاكات المستمرة لحقوق الانسان من جانب القوات الاسرائيلية، منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية (الحياة، لندن، ٢٠/٤/١٩٨٩).

نحالين المناضلة

المراقبون الذين زاروا نحالين، خلال السنة الأخيرة، يصفونها بأنها نموذج لقرية فلسطينية مناضلة تحت الاحتلال. ويذكرون أن شبانها يمضون معظم أوقات فراغهم في نصب كمائن لجنود الاحتلال ودورياته التي تزايدت مؤخراً، وباتت شيئاً مألوفاً وعادياً.

في أواخر السنة الأولى من عمر الانتفاضة، صادر الجيش الاسرائيلي قطعة أرض تقع في قمّة جبل أبو القرون المطل على وادي القرية، ومزّق شبان نحالين اشارات المساحة التي وضعها الجيش الاسرائيلي تمهيداً لوضع سياج يحدد الأرض المصادرة، ونقلوها، مع أعمدتها، والقوا بها عند المسجد الرئيس وسط القرية. وفعل شبان القرية الشيء عينه مع سياج أقيم حول حقل جديد حرثه مستوطنون من نيفي دانيال المجاورة لنحالين. وذات مرة، جاءت جرّارات الجيش الاسرائيلي الى القرية وأزالت حاجزاً كبيراً أقامه الشبان على الطريق الرئيس بين القرية ونيفي دانيال؛ فزحف الشبان، فيما بعد، الى الموقع ذاته وأقاموا حاجزاً ضخماً جديداً بدلاً منه. وعندما أعلن رئيس م.ت.ف. ياسر عرفات، الضفة الفلسطينية جزءاً من دولة فلسطين، هاجت القرية وغمرها فرح شديد، وتدفّق المئات من سكانها الى وسطها يغنّون ويرقصون، بينما الجنود الاسرائيليون يراقبونهم من الجبال القريبة. وبمرور الوقت، بدأ الجيش الاسرائيلي وجهاز الأمن الداخلي (الشين بيت) في اعتقال الاشخاص الذين اعتبروهم قادة خلايا وحلقات. ووصلت تقارير الى القرية أفادت بأن بعض أبنائها المعتقلين أُخضع لاستجواب قاس وتعرّض لتعذيب وحشي (ونترنيتز، مصدر سبق ذكره).

بين تاريخين

لنحالين علاقة مأساوية مع «جوارها» الاسرائيلي، تعود الى الخمسينات، حين ارتكب رجال من حرس الحدود، ايضاً، مذبحة مماثلة ضد الاهالي، قبل حوالى ٤٥ عاماً، وصفها شاب من نحالين، ربما سمع بتفاصيلها ممنّ يكبرونه سناً، بأنها «كانت هجوماً حقيقياً بالقنابل اليدوية والقذائف» (ميشال سيلا، «قرية ذات تاريخ دموي»، **جيروزاليم بوست**، ٢١/٤/١٩٨٩). ولكن من هم هؤلاء الذين «عادوا» بعد ٤٥ عاماً لارتكاب المذبحة في المكان ذاته ضد ابناء وأحفاد من شهدوا المذبحة الأولى؟

في العام ١٩٥٣، وفي أعقاب عمليات تسلل قام بها العرب الى داخل الحدود، أنشأت اسرائيل، الوحدة ١٠١، وهي وحدة تمّ اختيارها بدقة، مع وحدات حرس الحدود. وكان انشاء هذه الوحدة بمثابة حل لبعض الشبان اليهود من الراغبين في الدخول في مغامرات عسكرية، وحلاً ضمنياً للشبان الذين شعروا بخيبة أمل بعد تمزق «البالماخ» وحلّه. وقد أختير لقيادة الوحدة ١٠١ ضابط احتياط، لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره في ذلك الحين، يدعى اريئيل شارون، الوزير في حكومة شامير الحالية. وتدعي مصادر اسرائيلية بأن هجوماً عربياً وقع ضد باص يقل يهوداً قرب معاليه عكرفيم في منطقة النقب، ممّا استدعى وضع الجيش الأردني في حالة استنفار تحسباً لرد اسرائيلي. غير أن هجوماً آخر وقع ضد كسالون ذهب ضحيته حارس في المستوطنة. وقدر بعض المعنيين بالأمر من اليهود أن المهاجمين كانوا من قرية نحالين. وكتب مئير هار ـ تسيون، في مذكراته، ان الأوامر أعطيت للقوة ١٠١ بالتوجه الى نحالين، حيث سار الجنود وبينهم هار ـ تسيون نفسه عبر الجبال من القدس الى القرية، فيما اعتبره مغامرة: «عندما تأكدنا ان العدو ينتظرنا... قررنا أن نهاجم ونخضع القسم الشرقي من [نحالين]»، كما جاء في مذكرات هار ـ تسيون، الذي روى متذكراً: «وقع انفجار وتحطّم باب البيت الأول. وظهر عربي أمامي، فالقيته بعيداً بلكمة مني، ثمّ تقدمت الوحدة وسلكت الطريق ذاته الذي سلكته في الاسبوع الماضي (الخميس،

١٣/٤/١٩٨٩)، وبدأت تجتاز البيوت». وحسب هار ـ تسيون يوجد اختلافات بين عمليتي نحالين، الأولى بتاريخ ٢٨ آذار (مارس) ١٩٥٤، وشارك فيها ٦٠ جندياً، والأخيرة، التي شارك فيها عدد مماثل من قوات حرس الحدود، وهي «ان القرويين الذين هربوا الى الجبال [في الحادثة الأولى] كانوا يحملون البنادق وليس الحجارة»؛ كذلك وقعت العمليتان في وقت واحد وانتهتا، ايضاً، في وقت واحد، الساعة الرابعة صباحاً تقريباً. وطبقاً لما اذاعته الاذاعة الاردنية، حينذاك، فقد «وضع اليهود متفجرات في المسجد وبيوت عدة أخرى»؛ وقتل خلال العملية ضابط برتبة عقيد وتسعة جنود وجرح ١٧ آخرون. وروى شاب من نحالين أن ستة من رجال نحالين قتلوا في غارة ١٩٥٤ . وأكد اريه أفنيري، في مذكراته، أن مختار القرية، رباح مصطفى، كان بين القتلى (المصدر نفسه). وتحت عنوان «قصص لم تُروَ»، كتب أفنير بار ـ أون، ان رئيس وزراء اسرائيل، دافيد بن ـ غوريون، تبنّى سياسة تعتبر العمليات الاسرائيلية الانتقامية مبادرات محلية يقوم بها مدنيون يهود. واورد بار ـ أون مثالاً تطبيقياً لهذه السياسة بموقف بن ـ غوريون بعد عملية قبية الشهيرة، فكتب: «بعد قبية، حيث قتل نساء وأطفال، وتمّ نسف منازل عدة، أصدر بن ـ غوريون أوامره الى اذاعة ' صوت اسرائيل' لتعلن ان جيش الدفاع لم يكن متورطاً في العملية». وفي اجابة له، حينذاك، صرح وزير الخارجية، موشي شاريت، بأن ما وقع في نحالين كان، على ما يبدو، «عملية محلية». وحسب بار ـ أون لم تكن تلك السياسة ناجحة في تفادي آثار هذه الحوادث؛ «إذ لم يكن ممكناً تفادي صورة البيوت المدمّرة وجثث النساء والأطفال التي تطايرت [أنباؤها] الى كل العالم مع صورة القتل الاسرائيلي غير البريء». وعلى الرغم من عدد الضحايا، فلم يصدر أي اعلان رسمي من قبل الجيش الاسرائيلي، في اليوم التالي للعملية. وحدث، تماماً، ما يشبه المواقف التي تتخذها اسرائيل هذه الأيام، حين تعيد وسائل الاعلام الحديث عمّا جرى في نحالين الى مصادر فلسطينية. ففي الحادثة الأولى في نحالين، اعتمدت الصحف الاسرائيلية، آنذاك، على ما أوردته اذاعة رام الله. «أما قادة الجيش [الاسرائيلي]، فقد كانوا راضين عن أول عملية انتقامية» (المصدر نفسه).

ر.م.

م.ت.ف: مشروع شامير مناورة

عقدت اللجنة التنفيذية والامناء العامّون لفصائل المقاومة والقيادات الفلسطينية سلسلة اجتماعات، خلال الفترة بين ٢٢ ـ ٢٤/٤/١٩٨٩، لدراسة التطورات الاخيرة، وخاصة في ضوء تصاعد أعمال الارهاب والمجازر الاسرائيلية ضد شعبنا، وللبحث في مهام النضال الفلسطيني في هذه المرحلة، على مختلف الصعد. وقد توصّل المجتمعون الى ما يلي:

١ ـ ان مواصلة انتفاضة شعبنا المباركة، وتطويرها، هي المهمة الرئيسة في هذه المرحلة، باعتبارها القوة الدافعة نحو الوصول الى حل عادل للقضية الفلسطينية يضمن حق العودة، وتقرير المصير، وممارسة دولة فلسطين سيادتها في أرضها الوطنية.

ان هذه المهمة تتطلب توفير كل أشكال الدعم والاسناد للانتفاضة الشعبية، والعمل على المزيد من فضح وادانة جرائم الاحتلال الاسرائيلي وارهابه، بما في ذلك القتل واستخدام الغازات السامة وتدمير البيوت وغلق المدارس والجامعات والاعتقال الجماعي وتخريب المزروعات والاعتداء على الاماكن المقدسة، وسواها.

وعبّر المجتمعون عن التقدير لدور القيادة الوطنية الموحدة، باعتبارها ذراع منظمة التحرير الفلسطينية في المناطق المحتلة، وعن ضرورة تعزيز وتوطيد هذا الدور؛ كذلك العمل على دعم اللجان الشعبية، والمتخصصة، والقوات الضاربة، والمنظمات والهيئات كافة التي تقوم بواجبها في مقاومة الاحتلال وتكريس الصمود الوطني.

ورأى المجتمعون أهمية متابعة الكفاح لتدعيم الاقتصاد الوطني، ومقاطعة أجهزة الاحتلال ومؤسساته، وتعزيز التعليم الشعبي، وتوفير كل مقوّمات الصمود والاستمرار. كما قدّروا، عالياً، روح التضامن والتكاتف بين مختلف فئات شعبنا وتجمّعاته، التي تؤكد رسوخ الوحدة الوطنية الفلسطينية، تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد.

كما أكد المجتمعون ضرورة الارتقاء بدور مؤسسات المنظمة وأجهزتها، وبنضال مختلف تجمّعات شعبنا خارج الوطن المحتل، لتوفير أعلى أشكال الدعم للانتفاضة.

٢ ـ أكد المجتمعون الموقف الذي اعلنته منظمة التحرير الفلسطينية تجاه مشروع شامير بصدد الانتخابات المزعومة، والذي أكدته القيادة الوطنية الموحدة وسائر فئات شعبنا داخل الوطن المحتل، باعتبار هذا المشروع مناورة تستهدف اخراج اسرائيل من عزلتها الشاملة والالتفاف حول الجهود الرامية لعقد المؤتمر الدولي. وعبّروا عن ان الطريق الفعلي نحو السلام انما يتمثل في التحضير الجاد لعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بمشاركة الدول الخمس دائمة العضوية، وجميع اطراف الصراع في المنطقة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية؛ وأشاروا الى أن الموقف الأميركي تجاه هذا المشروع يشجّع اسرائيل على الاستمرار في تعنّتها واستمرار احتلالها لارضنا. وأكد المجتمعون ان الانتخابات، كممارسة للديمقراطية، لا تنفصل عن الحرية وتقرير المصير والاستقلال، وان الانتخابات الحرة لا تتوفر شروطها الّا بعد الانسحاب الاسرائيلي، وتحت الاشراف الدولي، وفي اطار خطة متكاملة للحل الشامل، والعادل، للقضية الفلسطينية.

٣ ـ قدّر المجتمعون، عالياً، التحرك السياسي لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، والذي يستند، اساساً، الى قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورة الانتفاضة؛ وأكدوا أهمية مواصلة الهجوم السياسي الفلسطيني الذي انطلق من مبادرة السلام الفلسطينية التي اعلنها الاخ الرئيس ياسر عرفات في الجمعية العامة للامم المتحدة، في جنيف.

وقد اعتبر المجتمعون ان هذه السياسة المبدئية التي تستجيب لمصالح شعبنا ولمتطلبات السلام العادل، والتي تشكل تعبيراً أميناً عن أهداف الانتفاضة الباسلة، حققت العديد من المكاسب والانجازات، وفتحت الآفاق الفعلية لانتصار نضال شعبنا في انتزاع استقلاله على أرض وطنه.

وتوجّه المجتمعون بالتحية والتقدير الى

موقف البلدان التي اعترفت بدولة فلسطين، وكذلك التضامن العالمي الشامل مع انتفاضة شعبنا، كما عبّر عنه تصويت الجمعية العامة للامم المتحدة الأخير، الذي دان جرائم الاحتلال الاسرائيلي، وخاصة مجزرة نحالين، وأكد ضرورة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

وقدر المجتمعون دعوة الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، للاخ ياسر عرفات، باعتبارها موقفاً يعبّر عن دور فرنسا الهام، والمتقدم، لدعم مسيرة السلام ولحقوق الشعوب في تقرير المصير. كما أكدو تقدير الموقف المبدئي للاتحاد السوفياتي الصديق في مساندة كفاح شعبنا تحت قيادة منظمة التحرير، ولمواقف الدعم والصداقة والتضامن من قبل الصين الشعبية، ودول عدم الانحيان، والدول الافريقية، والاسلامية، وكذلك موقف ودور المجموعة الاوروبية، وأهمية تطور هذا الدور، والتقدم الأخير في مواقف اليابان وكندا وسواهما من البلدان. واذ لاحظ المجتمعون الموقف الذي عبّر عنه الرئيس الأميركي، جورج بوش، بشأن انهاء الاحتلال، دعوا الولايات المتحدة الى تطوير موقفها تجاه حقوق شعبنا، وخاصة حقه في تقرير المصير، بما يؤدي الى تقدّم الحوار الأميركي ـ الفلسطيني، والتوصّل الى السلام العادل والدائم.

٤ ـ وأكد المجتمعون تأييد الدعوة الى عقد القمة العربية الاستثنائية في المغرب الشقيق، من أجل تعزيز الدعم العربي لانتفاضة شعبنا بمختلف الاشكال، ولتوطيد التضامن العربي، وكذلك للاسهام في مساعدة شعب لبنان الشقيق على انهاء المأساة التي يتعرّض لها، ولضمان وحدة لبنان واستقلاله وانتمائه العربي.

وأكد المجتمعون أهمية التنسيق بين الاطراف العربية الخمسة المعنيّة بالمؤتمر الدولي للسلام وتطوير الدور العربي على مختلف الصعد، وخاصة الصعيد الدولي، لتحقيق انعقاد هذا المؤتمر. واطلع المجتمعون على نتائج الاتصالات مع القوى الاسرائيلية الساعية الى السلام العادل والمناهضة للاحتلال، وأكدوا مواصلة العمل معها، انطلاقاً من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وأهمية تطوّر دورها بما يخدم اجراء التحوّلات الجديّة في الموقف الاسرائيلي تجاه عملية السلام. وأكد المجتمعون أهمية تعزيز العمل المشترك والتشاور الدائم والروح الجماعية في اطار منظمة التحرير وهيئاتها القيادية بما يوطّد الوحدة الوطنية ويطوّر دور المنظمة على مختلف الصعد.

ان المجتمعين يتوجّهون بالتحية والاكبار الى شعبنا الصامد المكافح ضد الاحتلال الاسرائيلي، والى نساء شعبنا، ورجاله، واطفاله، والى الصامدين في معتقلات الارهاب الصهيوني، والى دماء الشهداء الزكية الذين سقطوا من أجل انتزاع حرية الوطن الفلسطيني واستقلاله. ان هذه التضحيات انما تؤكد للعالم بأسره ان شعبنا سيواصل رفع راية الكفاح حتى تحقيق أهدافه الوطنية.

«ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»

صدق الله العظيم.

◇
◇ ◇

عرفات: الانتفاضة سلّحتنا بالجرأة لاطلاق مبادرة السلام الفلسطينية

• انعقدت اخيراً قمة مصرية ـ اردنية ـ فلسطينية في الاسماعيلية، فماذا ناقشت هذه القمة ؟

○ قمة الاسماعيلية هي الاجتماع الثاني الذي انعقد على هذا المستوى، وكان اللقاء الأول في العقبة في الاردن في العام الماضي. وهدف هذه اللقاءات تنسيق المواقف بين هذه الاطراف لصالح القضية الفلسطينية، ولدعم خطوات السلام، والمبادرة الفلسطينية، والعربية، من اجل سلام شامل وعادل في المنطقة. ونحن، اذ نعقد هذه اللقاءات، نتطلع الى مشاركة الاخوة اللبنانيين والسوريين حتى يكون الطرف العربي، المفترض أن يشارك في المؤتمر

الدولي، على تفاهم كامل وتنسيق واضح ضمن خطة واحدة أمام العدو الاسرائيلي.

• هل المقصود اللجنة الخماسية ؟

○ نعم، ان المقصود هو اللجنة الخماسية المصرية ـ الأردنية ـ الفلسطينية ـ السورية ـ اللبنانية التي تمّت الاشارة اليها في اكثر من لقاء. وأشير هنا الى أن هذا التنسيق بدأ عملياً في العام ١٩٧٣، في لقاء الاسكندرية الذي حضرته الأطراف الأربعة، وهي مصر وسوريا والأردن ومنظمة التحرير، في أعقاب القمة العربية التي انعقدت في العام نفسه في الرباط، واستمر في العامين اللاحقين. وكانت هذه اللقاءات رباعية وعلى هذا النحو قبل احتلال اسرائيل جزءاً من الجنوب اللبناني. وهذا يعني ان لبنان، بعد هذا الاحتلال، أي بعد العام ١٩٧٨، أصبح، بالضرورة، طرفاً في هذه اللقاءات، وطرفاً في المؤتمر الدولي. والاجتماع الأخير تناول، في البحث، وضع تصوّر موحّد للطرف العربي، سيقوم بطرحه الرئيس حسني مبارك في زيارته الى واشنطن على الرئيس جورج بوش، وكذلك الامر بالنسبة الى الزيارة المرتقبة التي سيقوم بها الملك حسين الى الولايات المتحدة في مطلع مايو (ايار)... وكما هو واضح، فان زيارة الرئيس مبارك ستسبق زيارة اسحق شامير، في حين أن زيارة الملك حسين ستتمّ بعد هذه الزيارة. والهدف هو محاصرة أي طرح اسرائيلي يتعارض مع الموقف العربي المتفق عليه. وكما هو معروف، فان الطرف العربي يصرّ على أن تسوية أزمة الشرق الأوسط يجب أن تتمّ عبر المؤتمر الدولي، وبمشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن وجميع أطراف الصراع في المنطقة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك على أساس توفير الحقوق الوطنية السياسية للشعب الفلسطيني، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير وانشاء الدولة المستقلة، وفقاً لما تمّ الاتفاق عليه في قمة فاس الثانية وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني الأخير في الجزائر والخطاب الذي ألقيته [في] الأمم المتحدة، في جنيف، في العام ١٩٨٨.

• هل يعني ذلك ان مبارك سيحمل ورقة عمل كاملة ؟

○ لا. هي ليست ورقة عمل؛ انها التصوّر العربي الموحّد.

• كما يظهر في التصريحات، يبدو ان الاميركيين مع فترة انتقالية قبل المؤتمر الدولي ؟

○ الأميركيون ليسوا مع فترة انتقالية؛ انهم يقولون بضرورة بعض التمهيد قبل المؤتمر الدولي.

• هل المقصود بالتمهيد اتصالات فلسطينية ـ اسرائيلية ؟

○ التمهيد هو اتصالات دولية وعربية واسرائيلية، بهدف التحضير للمؤتمر الدولي، ومن أجل أن ينعقد هذا المؤتمر، من وجهة النظر الأميركية، على أسس تكون مرضية لجميع الأطراف.

• بالنسبة الى المؤتمر الدولي، هل التصور العربي يتضمّن مواعيد محددة ؟

○ بالطبع. ونحن نسعى لأن ينعقد المؤتمر الدولي في أسرع وقت ممكن. ونعتقد بأن الستة شهور المقبلة كافية لكل هذه التحضيرات والترتيبات التي يشير اليها الطرف الأميركي والاطراف الدولية الأخرى.

• المؤتمر الدولي الذي يجرى الحديث عنه، هل سيكون لمباركة الحلول التي سيتمّ التوصل اليها، أم ان المفاوضات ستجري داخله ؟ ثم هل تقبل منظمة التحرير اجراء اتصالات مباشرة مع الاسرائيليين لتهيئة الأجواء والتفاهم وبلورة الاتفاقات التي ستطرح على المؤتمر الدولي ؟

○ الطرح الفلسطيني هو الطرح العربي والقائل ان أية اتصالات يجب أن تتمّ في نطاق المؤتمر الدولي.

• اذا أبدت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي استعداداً للاشراف على اتصالات ومفاوضات بينكم وبين الاسرائيليين قبل المؤتمر الدولي، فهل توافقون على ذلك ؟

○ نحن نرتبط بما اتفق عليه العرب في فاس، والدار البيضاء، وفي عمّان، والجزائر، حول المؤتمر الدولي الفعّال، تحت رعاية الأمم المتحدة، ومشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن؛ وأي شي آخر لا بدّ له من قرار عربي جديد.

• اذا وافق العرب في اطار مقررات فاس على اتصالات فلسطينية ـ اسرائيلية قبل المؤتمر الدولي، هل لدى المنظمة استعداد للاقدام على مثل هذه الخطوة ؟

○ أنا لا أستطيع اطلاقاً أن أضع فرضيات بعيدة [من] قرارات القمة العربية؛ كما لا أتعامل مع فرضيات بعيدة [من] قرارات القمم العربية.

• هذه الأسئلة مطروحة بالحاح في كل مكان ؟

○ أنا عندي قرارات قمم عربية.

• لكن قرار القمة العربية لم يمنع الاتصال باسرائيل ؟

○ لكنه حدّد الأمور بوضوح. فهناك فرق بين الحوار والمباحثات مع الحكومة الاسرائيلية وبين ما هو قائم حالياً بيننا وبين الاطراف اليهودية داخل اسرائيل، وخارجها، وهي الاطراف التي تقبل، حسب قرارات مجلسنا الوطني، حق تقرير المصير للفلسطينيين والدولة الفلسطينية. أمّا الموضوع الرسمي مع الحكومة الاسرائيلية، فمكانه فقط المؤتمر الدولي والأمم المتحدة، وفقاً لقرارات القمم العربية والمجالس الوطنية الفلسطينية.

• هل هناك اية اتصالات وان بصورة غير مباشرة مع الاسرائيليين ؟

○ لم يتمّ مثل هذا الامر اطلاقاً.

• لكن سبق وان هدّدت بالكشف عن محاولات قام بها شامير للاتصال بكم ؟

○ لا. لقد هدّدت عندما كذبت الحكومة الاسرائيلية وبيّنت أنها طلبت منّا هدنة في جنوب لبنان على غرار هدنة العام ١٩٨١، وقلت انني قد أكشف تفاصيل العرض الذي حملته الينا بعض الجهات.

• هل من الممكن معرفة هذه الجهات ؟

○ هذه علاقات دولية.

• هذا يعني ان الاتصال لم يكن مباشراً ؟

○ لا. لقد تمّ عبر طرف ثالث.

• وهل طلب الهدنة لا يزال قائماً ؟

○ من جهتنا نحن، بالنسبة الينا، لم نقفل الباب بشكل كامل. وفي كل الأحوال، يجب أن يكون واضحاً أن لنا شروطاً في هذا الموضوع حتى لا تتكرر تجربة ١٩٨٢ عندما ألغى الغزو الاسرائيلي هدنة ذلك العام. ففي ١٩٨٢، تحجج الاسرائيليون في تبرير غزوهم بمحاولة قتل سفيرهم في لندن، وذلك على الرغم من أن التحقيقات أثبتت أن الهدف الأساسي للفاعلين هو قتل مندوب المنظمة هناك، وأنهم عندما لم يتمكنوا من ذلك تحوّلوا الى السفير الاسرائيلي. وأنا اريد أن أقول أن الالتزام الفلسطيني كان دقيقاً في تلك الفترة، منذ ١٩٨١ وحتى الغزو الاسرائيلي، بحيث لم تطلق طلقة واحدة في الجنوب اللبناني، وقوات الأمم المتحدة تشهد على ذلك.

• حاول البعض خرق ذلك الاتفاق من خلال بعض العمليات. فهل العمليات التي تنفّذ حالياً في جنوب لبنان تاتي في هذا الاطار ؟

○ بعض العمليات المشار اليها عبارة عن كمائن معدة سلفاً بقصد التفجير. وأنا أريد أن اسأل هؤلاء أين كانوا يوم كانت مخيّماتهم محاصرة، مرة من قبل الاسرائيليين ومرة من قبل عملاء اسرائيل؛ اذ لم يرفع أي منهم بندقيته للدفاع عن نسائه وأطفاله. ان أخطر ما في هذا الموضوع أن آخر عملية كانت مصورة بالفيديو، وقد بثّها التلفزيون الاسرائيلي، وذلك من بداية المعركة حتى آخرها، وكأن المسألة فيلم سينمائي.

• هناك من يقول أن بعض هذه العمليات سببها اوضاع داخلية في بعض التنظيمات التي قامت بها ؟

○ أنا غير داخل في معترك هذا الموضوع.

• وهل انت ضد هذه العمليات بالمطلق ؟ وهل انت مرتبط بتعهّدات بعدم وقوع مثل هذه العمليات ؟

○ أودّ أن أؤكد أن منظمة التحرير لم تعط وعداً، ولم تبرم اتفاقاً، بايقاف العمليات العسكرية في جنوب لبنان. وعلينا أن نتذكر أن الطرف الاسرائيلي لم يتوقف عن القيام باعتداءاته اليومية على القرى والمخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان؛ ولا بدّ أن أشير الى أن ضبط النفس يجب أن لا يكون من طرف واحد، سواء كان هذا الطرف فلسطينياً أم لبنانياً.

• وهل ابلغتم هذا الموقف الى الأميركيين خلال اللقاء الأخير ؟

○ هذا لم يحدث بعد. ثمّ ان الطرف الأميركي له وجهة نظر أعلنها، وهي أنه ليست كل العمليات العسكرية ارهابية، وان كان يرى أن التهدئة في الجنوب اللبناني تساعد على خلق أجواء مؤاتية للمؤتمر الدولي.

• الا ترى ان الأميركيين يريدون مزيداً من الايضاح حول موقف المنظمة من العمليات العسكرية وما يسمى بالارهاب [؟]

○ ما قلته كان واضحاً. انه جواب كامل.

• وهل ينطبق على الأرض المحتلة ؟

○ ينطبق على كل شيء. فما داموا مستمرين في عدوانهم، فنحن مستمرون في مواقفنا. واريد أن أشير الى أن عدم استخدام السلاح منذ بداية الانتفاضة هو قرار فلسطيني، ولا يزال هذا القرار مستمراً. وكان الالتزام دقيقاً الى حد أنه منذ بداية الانتفاضة لم تقع سوى عمليتين، الأولى عبارة عن قنبلة قذفت على

سيارة عسكرية في غزة، والثانية قتل فيها شرطي اسرائيلي في بيت لحم.

• **وبالنسبة الى عملية اريحا ؟**

○ عملية أريحا استخدم فيها «المولوتوف» وليس السلاح.

• **هل صحيح ان الاسرائيليين طلبوا من الأميركيين ابلاغكم وقف استخدام «المولوتوف»... ؟**

○ والله لا أعرف ماذا طلب الاسرائيليون من الأميركيين.

• **المقصود، هل مرّر لكم الأميركيون طلباً من هذا القبيل ؟**

○ لا، لا. ولا أعتقد بأن حوارنا مع الولايات المتحدة، التي هي قوة عظمى، يصل الى مستوى وقف «المولوتوف». ان ما يكتب في الصحف شيء، وما يجرى في المحادثات شيء آخر.

• **عندما يطالب الأميركيون بتخفيف الانتفاضة، الا يعني ذلك استهداف سلاحها، وهو الحجر و«المولوتوف» ؟**

○ من قال أن الأميركيين طالبوا بتخفيف الانتفاضة ؟

• **قالوا في تصريحاتهم انه يجب تخفيف الانتفاضة لخلق أجواء للحوار. الا يعني ذلك استهداف الحجر و«المولوتوف» ؟**

○ أنت تتكلم مع ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية؛ فلا تسألني عمّا تكتبه الصحف. هناك حوار جار بيني وبين الولايات المتحدة الأميركية، ولديهم وثائق ولدي وثائق.

• **المقصود في هذا الحوار ما اذا كنتم تطرّقتم الى تهدئة الانتفاضة ؟**

○ لا، لا، اطلاقاً. هذا الموضوع محسوم. فنحن لا نسمح لأحد بأن يطلب منا وقف مقاومتنا للاحتلال الاسرائيلي. فهناك احتلال لارضنا، ومن حقنا أن نستخدم كل الأساليب لمواجهة هذا الاحتلال.

• **واذا تمّ الاتفاق على جدول زمني حول خطوات الحل بضمان من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، هل تقبلون بوقف الانتفاضة؟**

○ هل تحملون عرضاً لي بهذا الخصوص ؟

• **نحن لا نحمل سوى اسئلتنا واقلامنا. ولكن لو...**

○ (مقاطعاً)، لو، لو، لو، أنا لا أبني مواقفي على لو. فاذا كان هناك عرض من أية جهة، فسأرفعه الى القيادة الفلسطينية لاتخاذ قرار بشأنه.

• **هل تعتقد بأن اسرائيل، بقيادتها الحالية، لديها استعداد لأن تجلس [الى] مائدة المفاوضات مع منظمة التحرير ؟**

○ دعوني أقول شيئاً. في يوم من الأيام قالت غولدة مائير انه لا يوجد فلسطينيون. ثمّ قالت، بعد ذلك، انه يزعجها عدد الأطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل يوم. ثم، ألَم يقف السادات وبيغن ليقولا ان لا حرب بعد اليوم؟ فماذا حدث؟ الحروب استمرت، بدءاً بحرب ١٩٧٨، مروراً بحرب ١٩٨٢، ووصولاً الى الحرب المستمرة منذ ستة أعوام في جنوب لبنان. وبعد ذلك ألَم يتفق شارون مع الكسندر هيج (وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق)، في العام ١٩٨٢، على القضاء على منظمة التحرير وضرب بنيتها التحتية، لكن فشلهما كان ذريعاً ؟ انني أود ان أقول انه ليس كل ما يخطط له العدو يصبح قدراً لامتنا العربية. فقد رفض شولتس اعطائي تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة، فوقف العالم كله الى جانبنا وانتقلت الامم المتحدة الى جنيف للاستماع الى المتحدث باسم الشعب الفلسطيني. ان من تحدى شولتس سيتحدى شامير ويجبره على الجلوس الى طاولة المفاوضات. انهم في مأزق، وسيضطرون، في النهاية، الى البحث عمن يخرجهم من هذا المأزق.

• **نحن نسمع عن ظروف معيشية صعبة في الأرض المحتلة. وقد يهدّد مثل هذا التجويع الانتفاضة. فلماذا لا يقدّم كل الدعم الى سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ؟**

○ اناشد العرب أن لا يكونوا بخلاء على الثورة الفلسطينية. فهناك ظروف صعبة داخل الأرض المحتلة، والبعض لم يدفع التزاماته التي اتفق عليها في قمة الجزائر. لقد تعبت، وأُعييت وأنا أطالب بتسديد هذه الالتزامات. ومع ذلك، فانني أشكر من دفع ومن لم يدفع.

• **هناك من يقول ان الفلسطينيين مشهورون باضاعة الفرص. فهل هناك خطر على الفرصة الجديدة ؟**

○ نحن لم نضع فرصة واحدة. هم الذين أضاعوا علينا الفرص. ففي العام ١٩٧٣، ساهمنا في الحرب مساهمة رئيسية وقاتلنا على الجبهات المصرية والسورية واللبنانية، وعلى جبهة ارضنا المحتلة، وحرّرنا بعض الاراضي، فماذا حدث؟ كنا متفقين على أن

نذهب جميعاً الى جنيف بوفد عربي مشترك، لكن السادات ذهب الى القدس، فجرى الاعتراف بها عاصمة لاسرائيل، ثم جرى التنازل عن الدولة الفلسطينية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني الذي استبدل بادارة ذاتية.

• هل كان لكم امل في بداية المباحثات المصرية ـ الاميركية على الاقل ؟

○ لم يكن لدي مثل هذا الامل، مع انني حاولت بشتى الطرق، وحاول معنا العرب في قمة بغداد، اقناع السادات بوجهة نظرنا، لكنه رفض استقبال الوفد الشامل، فضاع الحل الشامل.

• وما هي الفرصة الثانية التي ضاعت ؟

○ الفرصة الثانية التي ضاعت كانت في العام ١٩٨٢؛ اذ بعد الانتصار الملحمي في بيروت ذهبنا الى فاس وقررنا مشروع السلام العربي الذي نصّ على دولة فلسطينية، عاصمتها القدس، وشكلنا لجنة سباعية. وبينما نحن في بداية الطريق قام الخونة بافتعال الانشقاق في منظمة التحرير، فدخل الفلسطينيون في دوّامة جديدة.

• والآن، هل هناك خطر على الفرصة الجديدة ؟

○ بالطبع، هناك اخطار كبيرة، ولكن الشعب الفلسطيني تعلّم من التجارب، وهو يخوض معارك صموده الاسطوري، سواء في جنوب لبنان او داخل الارض المحتلة، حيث تدخل الانتفاضة المباركة الموجة الاخيرة مسجّلة ملحمة من ملاحم امّتنا العربية في مواجهة الاحتلال بارهابه. ومن الطبيعي عندما اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني ان يأخذ في اعتباره هذه الامور وقرّر ان لا يضيع الدم الفلسطيني هباء وهدراً. فنحن لا نقاتل من اجل القتال، وانما من اجل احقاق الحقوق الوطنية لشعبنا. وما صدر عن هذا المجلس هو ما اتفق عليه العرب في فاس العام ١٩٨٢، وفي الجزائر وعمّان والدار البيضاء، وقد تمّ وضعه في صيغ تتناسب ومتطلبات الوفاق الدولي.

• لماذا قبلتم، الآن، بهذه القرارات ؟ ما هو الجديد، مع انكم كنتم ترفضونها قبل فترة قريبة ؟

○ انا معنيّ بقرارات مؤسساتنا؛ وقد وافقت هذه المؤسسات على قرارات القمة العربية، خصوصاً قمة فاس الثانية التي صدر عنها مشروع السلام العربي، الذي اشار بوضوح الى القرار ١٨١ والى القرارات الدولية، بما فيها ٢٤٢ و ٣٣٨.

• بصراحة، المحادثات مع الاسرائيليين لم تكن بهذا الوضوح ؟

○ (مقاطعاً) لا. ارجوك. القرار بالحوار مع القوى الديموقراطية في اسرائيل اتخذناه في العام ١٩٧٤. ومنذ ذلك الحين ونحن نرى ان هذا القرار سجّل نجاحات، وحاز على قوى اسرائيلية اوسع. لكن بعض الصحف العربية تحلل كما يحلو لها، وهي تحليلات غير صحيحة وغير دقيقة.

• ألا ترى ان السبب هو عدم استيعاب هذه الصحافة للحركة السياسية الفلسطينية ؟

○ انا ارى السبب عدم الفهم الدقيق لهذه الحركة. فقد تجرأنا في يوم من الايام وفتحنا حواراً مع حزب «راكح»؛ لكن البعض اعتبر ذلك جريمة، على اعتبار ان هذا الحزب اسرائيلي. ولكننا استطعنا اقناعهم بأن هذا الحزب يقف مع حقوق شعبنا، ويجب فتح حوار معه.

• لكنكم تجاوزتم ذلك الى حد الاستعداد لاقامة دولة كونفدرالية ؟

○ كونفدرالية مع من ؟

• مع الاردن واسرائيل.

○ ارجو ان لا نقع في مصيدة البالونات الاسرائيلية. فهنالك بالونات اسرائيلية لجسّ النبض العربي. وللأسف، فان بعض الصحافة وبعض المسؤولين العرب يعتبرون ذلك من المسلّمات، ثمّ يبدأون بالتحليل على أساسها، وينفعلون بها، ويحاسبون القيادة الفلسطينية على أساسها. انه ليس ذنبي اذا كان البعض لا يدرك ان هذا الذي يجرى جزء من عملية الصراع الفكري والسياسي بيننا وبين العدو. وهنا، وبمثل ضيق الافق هذا، يحرّم على القيادة الفلسطينية ان تطلق أي بالون مقابل البالونات الاسرائيلية. نحن غير قادرين على ان نواجه البالونات الاسرائيلية ببالونات مماثلة. أليس ذلك معناه حرمان المفاوض العربي من احد عناصر المناورة، فتبقى هذه المناورة في يد العدو ؟

• ألا تعتقد بان الانتفاضة وضعت في ايديكم اسلحة لاطلاق عشرات البالونات مقابل البالونات الاسرائيلية ؟

○ لا، لا. الانتفاضة سلّحتنا بجرأة لاطلاق

مبادرة السلام الفلسطينية، وهذه ليست بالونات. فمبادرة السلام عمل استراتيجي بعيد الافق نتمسك به، امّا طرح موضوع الكونفدرالية الاردنية - الفلسطينية - الاسرائيلية، فان الذين طرحوه انما طرحوه كبالون اعلامي.

• **هذا يعني ان الانتفاضة رفعت الاغلال السابقة عن أيدي الفلسطينيين ؟**

○ ولذلك استطعنا ان نطرح، بقوة، وبوضوح، مبادرتنا التي هي حقيقية وليست بالونات او محاولة تكتيكية. انها عمل استراتيجي.

• **هل تسمح لنا بان نكرّر سؤالاً سابقاً ونقول: لماذا اقدمتم، في السنة الاخيرة، على ما اقدمتم عليه، مع انكم كنتم ترفضونه قبل فترة قريبة ؟**

○ هناك متغيّرات طرأت في الفترة الاخيرة، وعلى ثلاثة مستويات. فنحن، الآن، في لحظة تاريخية تتقاطع فيها ثلاثة عوامل على ثلاثة مستويات، العربي والفلسطيني والدولي. فعلى المستوى الدولي، نحن امام عصر وفاق دولي جديد، وقد بدا هذا العصر بتخفيض الاسلحة النووية، ثمّ الاسلحة التقليدية، ووصل الى مستوى الدبابات والجنود، وقد انعكس ذلك على كل النقاط الساخنة في العالم باستثناء أخطر هذه النقاط، وهي القضية الفلسطينية.

• **وهل تسمي ذلك «يالطا جديدة» ؟**

○ لا. لا يزال الوقت مبكراً حتى نقول ذلك. انها بداية، وستصل في النهاية الى «يالطا جديدة». امّا على المستوى العربي، فالتغير الاول هو الانتصار العراقي الذي له ابعاد استراتيجية على المستوى العربي، والاسرائيلي، والدولي، وبالتالي على المستوى الفلسطيني. تضاف الى ذلك الاسلحة والصواريخ العربية البعيدة المدى التي تسلّحت بها دول عربية أساسية، وعودة مصر الى موقعها في الساحة العربية، وعودة العرب الى مصر. امّا بالنسبة الى المستوى الفلسطيني، فقد حصل متغيّران: اولهما ملحمة الصمود في جنوب لبنان بالبندقية الفلسطينية، وثانيهما ملحمة الانتفاضة التي هي من أروع ما انتجه الفلسطينيون والعرب في مواجهة الاحتلال. حتى انتفاضة غاندي الشهيرة، كانت، من حيث المدة، اقصر من الانتفاضة الفلسطينية. وفي ضوء ذلك، لا بد ان نعتبر ان الحوار الاميركي - الفلسطيني والحوار السوفياتي - الاسرائيلي هما بداية الاتفاق بالنسبة الى قضية الشرق الاوسط. ولا يجوز ان نخوض معركتنا ونحن مغمضو العيون عن هذه الحقائق.

• **استناداً الى ذلك، هل تعتقد بان بالامكان البدء في عملية تسوية من خلال هذه القوى الاربع، اميركا والاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير واسرائيل ؟**

○ لا، لا. والموقف العربي الذي نلتزم به هو المؤتمر الدولي الفعال تحت رعاية الامم المتحدة ومشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن وجميع اطراف الصراع في المنطقة. ولذلك، لم يتحرك السوفيات وحدهم، بل تحركت معهم اوروبا، وكذلك الامر بالنسبة الى الصين. وكانت احدى النقاط الاساسية في مباحثات بوش مع القيادة الصينية مشكلة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية.

• **وهل تمّ اتفاق بين الطرفين على خطوات عملية ؟**

○ تمّ البحث بالتفاصيل، بما في ذلك المؤتمر الدولي. وحتى اليابان أدلت بدلوها في هذا الميدان، خلال تشييع جنازة الامبراطور هيروهيتو.

• **هل صحيح ان الصين تنوي التقدم بمبادرة لحل ازمة الشرق الاوسط ؟**

○ حتى الآن لم يحدث شيء من هذا القبيل. ولكن الصين موجودة من خلال عضويتها في مجلس الامن، ومن خلال صواريخها في المنطقة. وهنا أود أن اضيف الى كل ذلك ديناميكية السياسة السوفياتية الجديدة في الشرق الاوسط، حيث تحرك شيفاردنادزه مع انسحاب آخر جندي من افغانستان.

• **الا تعتقد بان هذا التحرك السوفياتي يهدف الى تعويض خسارة الانسحاب الذي منيت بها موسكو في افغانستان ؟**

○ من قال انهم خسروا ؟ لقد ربحوا بالتخلّص من هذه الورطة، كما ربحت فلسطين.

• **ولماذا لا نرى هذه الحيوية التي دبّت على كافة الجبهات على جبهة العلاقات السورية - الفلسطينية ؟**

○ هذا السؤال يجب أن يوجّه الى الامة العربية في مؤتمر القمة المقبل.

• **لكن ما هو مصير المحاولات على هذا الصعيد ؟**

○ انتم تعلمون اننا اتخذنا قراراً شجاعاً - رغم ان حرب المخيمات كانت لا تزال مستمرة - بدفن جثمان الشهيد ابو جهاد في سوريا. ولقد ذهبت الى

دمشق، ثمّ التقينا في الجزائر. ولكن الامور بقيت على ما هي عليه.

• **سمعنا ان هناك وساطة جزائرية جديدة على هذا الصعيد ؟**

○ نعم. هناك وساطة جزائرية.

• **وهل هناك شروط متبادلة ؟**

○ لا تزال الوساطة في بدايتها، وعلينا ان ننتظر لنرى.

• **ما هي صحة المعلومات التي تتحدث عن وصول مجموعات تابعة لبعض الفصائل الفلسطينية الى بعض الدول العربية للقيام باغتيالات ضد القيادات الفلسطينية ؟**

○ نعم. هذا صحيح. ولكن هذه المجموعات ليست تابعة لفصائل فلسطينية. ان الاسماء امامي الآن، وهناك واحد فلسطيني فقط، واثنان غير فلسطينيين.

• **هل من الممكن ان نعرف هذه الاسماء ؟**

○ لا. غير ممكن.

• **وهل الامر يقتصر على مجموعة واحدة ؟**

○ لا. هناك مجموعات اخرى، بعضها وصل الى اوروبا، وبعضها وصل الى اثينا. هناك ثلاث مجموعات.

• **هل صحيح انكم زوّدتم الاميركيين بمعلومات حول الجهات التي قامت بنسف الطائرة الاميركية فوق بريطانيا ؟**

○ لم نصل الى هذا النوع من التنسيق بيننا وبين الولايات المتحدة.

• **هل منظمة التحرير مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة في مكافحة الارهاب، وفقاً للتسمية المتعارف عليها دولياً ؟**

○ لا، لا. والمسألة اننا نحن ضحايا الارهاب الرسمي المنظم؛ ولذلك، نرفض نسف طائرة، او قتل مدني، في هذا المطار او ذاك. فهذه جرائم ندينها ونرفض الشفقة على مرتكبيها، لأنها جرائم ضد الانسانية. وفي العام ١٩٧٦، عندما كنّا في بيروت، رفضنا ان نأخذ رهينة واحدة، بل على العكس من ذلك سهّلنا للاميركيين الرحيل عن بيروت من خلال البر والبحر. وقد جاءني بعض الاخوة اللبنانيين، خلال حصار بيروت، وقالوا لي ان الاسرائيليين لا يقصفون منطقة السفارة الاميركية ومناطق الاميركيين، فلماذا لا نستفيد من هذا الموقع؟ وكان جوابي انه لا يمكن ان احارب الاسرائيليين محتمياً بذريعة طفل اميركي، او امرأة اميركية. فمن يريد ان يبقى معنا نرحّب به ونحميه، ومن يريد الرحيل فسنسهّل له ذلك.

• **وبالنسبة الى الرهائن الذين [ما] زالوا في لبنان، هل طلب منكم الاميركيون والاوروبيون المساعدة لاطلاق سراحهم ؟**

○ انتم تعرفون اننا ساهمنا في ضمان اطلاق عدد كبير من الرهائن في لبنان، سواء كان هؤلاء الرهائن من السوفيات او قبارصة او فرنسيين. ونحن لا نزال نواصل جهودنا في هذا الاتجاه.

• **هل تعتقد، فعلاً، بان الحكومة الاميركية الجديدة جادة في عملية السلام ؟**

○ ان اعلان واشنطن عن استمرار الحوار واعطاء سفيرها في تونس تعليمات باستمرار علاقته بسفيرنا فانعقدت ستة لقاءات توّجت بجلسة جدية سياسية بجدول مكثف وسيتبعها لقاء آخر، كل ذلك يعني، بوضوح، جدية الادارة الاميركية في السعي الى نتائج مثمرة تدفع عجلة السلام في المنطقة بقوة.

• **وهل من الممكن رفع مستوى التمثيل في هذا الحوار ؟**

○ لم يبحث [في] هذا الموضوع بيننا. لكننا نتطلع الى ان تتعدّد صور هذا الحوار، ولا تبقى محصورة بصورة واحدة.

• **البعض يقول ان الانحياز الظاهر من قبل الادارة الاميركية الجديدة تجاه الطرف الاسرائيلي يخفي موقفاً مغايراً، وانه يتمّ من قبيل محاولة التاثير على الحكومة الاسرائيلية. فهل انت مع هذا الراي ؟**

○ اعفني من الاجابة عن هذا السؤال. فأنا لست في معرض الدخول في تحليل المواقف الاميركية علناً.

• **سمعنا ان الاميركيين ابلغوكم برفع الحوار الى ما بعد زيارات مبارك والملك حسين وشامير الى واشنطن ؟**

○ الحركة الاميركية في الشرق الاوسط بدأت مع الفلسطينيين من خلال الحوار المشار اليه، ثم

تسلسلت حتى زيارة الرئيس مبارك، ثم زيارة الملك حسين، فزيارة شامير. أليست هذه ايجابية ان يبدأ التحرك الاميركي بالاتصال بالفلسطينيين ؟ ولقد كان اجتماع الاسماعيلية بهدف وحدة الموقف العربي، وانا اتمنّى ان تنضم سوريا الى هذه اللقاءات.

• **وهل تبنّى لقاء الاسماعيلية وجهة نظركم التي تقدمتم بها الى الاميركيين في جلسة الحوار الاخيرة ؟**

○ انا لا استطيع ان اقول ان هذا اللقاء تبنّى وجهة نظرنا؛ لكنه تبنّى مضمون قرار مجلسنا الوطني، ومضمون خطابي الاخير [في] الامم المتحدة. وقد اكد ذلك كل من الملك حسين والرئيس مبارك.

• **كثر الحديث عن تشكيل الحكومة المؤقتة، فلماذا التاخير في هذا التشكيل ؟**

○ اولاً، هناك مشكلة هي ان قرار المجلس الوطني يقول ان الحكومة تؤلف من قياديين في الداخل والخارج. ونحن إذا سمّينا وزراء من الداخل، فستقوم اسرائيل بطردهم. فالمشكلة ليست السجن، انها مشكلة الطرد، ومشكلة ان نخسر ١٢ قائداً من الداخل.

• **اليس بامكانكم ترك مقاعد شاغرة الى حين تستجد ظروف اخرى ؟**

○ انا ملتزم بالقرار الفلسطيني. والقرار الفلسطيني ينصّ على الداخل والخارج معاً.

• **هناك تضحية فلسطينية على مستوى القاعدة. فلماذا لا تكون على مستوى القيادة ؟**

○ انا قلت لك ان المشكلة ليست مشكلة السجن، انها مشكلة الطرد.

• **اذا عرض الاميركيون اجراء انتخابات في الارض المحتلة تحت اشراف قوات اميركية ترابط هناك، فهل تقبل ؟**

○ حسب قرار المجلس الوطني الذي التزم به، المفروض ان تكون القوات تابعة للامم المتحدة.

• **واذا كانت القوات اوروبية ؟**

○ انا رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، والتزم بقرارات المجلس الوطني.

• **قبل قليل تحدثت عن هوامش الحركة. وهناك هامش في هذا القرار يمكّن من التحرك ؟**

○ هذا الموضوع دقيق بالنسبة اليّ، وانا عندي قرار حتى الآن ملزم للجنة التنفيذية. واذا قدّم الي عرض بقوات اميركية، فأنا مضطر [الى] ان ادعو المجلس المركزي على الاقل، لدراسة هذا العرض.

• **وهل سيجتمع المجلس المركزي لمناقشة وجود قوات اميركية في الارض المحتلة ؟**

○ هذا الشيء غير مطروح علينا، وانا قبلت فرضياتكم.

• **بالنسبة الى تشكيل الحكومة، اليس بالامكان تعبئة بعض الحقائب الخارجية، كان تتحول الدائرة السياسية الى وزارة خارجية ؟**

○ امامنا، الآن، مشكلة نقوم بدراستها، وهي ان الدول التي اعترفت بالدولة الفلسطينية وقد اصبح مندوبو منظمة التحرير سفراء دولة فلسطين، وفي هذه الحالة المفروض ان يقدم هؤلاء السفراء اوراق اعتمادهم الى رؤساء الدول المضيفة باسم دولة فلسطين، وان يتسلّم رئيس دولة فلسطين اوراق اعتماد السفراء المعتمدين لدى دولة فلسطين، هذه هي المشكلة.

• **بعض الدول الاوروبية برّرت عدم استقبالها لك كرئيس لانك لم تسمّ، رسمياً، رئيساً للدولة الفلسطينية ؟**

○ جميع الدول تستقبلني كرئيس، وهناك دول في السوق المشتركة تستقبلني كرئيس، مثل اسبانيا وايطاليا واليونان، بالاضافة الى الدول الشرقية ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية.

(...)

• **هل تعتقد بأن من مصلحة الفلسطينيين ان يحملوا جواز السفر الفلسطيني في الفترة الراهنة ؟**

○ نعم، اذا وفّرت لهم القمة العربية التعامل بهذا الجواز بالتسهيلات الممنوحة لجوازات السفر العربية الاخرى. اذا تمّ ذلك، فانه يعطي دفعاً كبيراً للمسيرة الفلسطينية، بسبب وثائق وجوازات السفر. فهناك قرار وزراء الداخلية العرب، ولكنني اريد قرار قمّة.

• **هل فكرتم بشعار للدولة الفلسطينية ؟**

○ نعم. هناك اكثر من اقتراح.

• **وما هو الخيار الأوفر حظاً ؟**

○ النجمة الثمانية، وهي نجمة عربية؛ اذ

ان المسجد الاقصى مبني على هيئة نجمة ثمانية؛ والنجمة التي على مدخل قصر هشام بن عبدالملك في أريحا ثمانية.

• تحدثت عن مجموعات ارسلت بهدف التخريب، فهل انت مستهدف شخصياً ؟

○ هذه امور قديمة ومستمرة من الاسرائيليين ومن بعض المخابرات الدولية وبعض العملاء العرب. امّا المجموعات التي ارسلت، فهدفها التفجير. ان هدفها تعطيل المسيرة السياسية الفلسطينية.

(...)

[نقلاً عن المجلة، لندن، ٥ ـ ١١/٤/١٩٨٩]

موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/٣/١٩٨٩ الى ١٥/٤/١٩٨٩

١٦/٣/١٩٨٩

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى بودابست، على رأس وفد فلسطيني، تلبية لدعوة رسمية من الامين العام لحزب العمال الاشتراكي الهنغاري، كاردي غروش. وقد عقد عرفات، بعد وصوله، جولة مباحثات مع رئيس مجلس الرئاسة في جمهورية هنغاريا، برونو شتراوب، حضرها، الى جانبه، مدير ادارة العلاقات الحزبية الدولية في اللجنة المركزية، جيزا جوفاي، ونائب وزير الخارجية، د. جابوز نوج، ومدير الادارة التاسعة في الخارجية، زولطان برسيليني، والموظف في ادارة العلاقات الحزبية، زولطان بتني. وعقب المحادثات، دعا الرئيس الهنغاري عرفات والوفد المرافق له الى مأدبة غداء تكريمية أقيمت على شرف الزعيم الفلسطيني (وفا، تونس، ١٦/٣/١٩٨٩).

• اصيب ٥٦ فلسطينياً بجروح وكسور واختناقات بالغاز خلال صدامات وقعت في انحاء متفرقة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، تركزت في مدن بيت لحم وطولكرم والخليل وقلقيلية وخان يونس ومخيمات جباليا ودير البلح والبريج والشاطىء والدهيشة وجنين وحوسان ونور شمس. وقد هاجم المتظاهرون، في هذه المناطق، قوات الاحتلال واشعلوا اطارات السيارات، ورفعوا علم فلسطين، وهاجموا القوات الاسرائيلية بالحجارة التي ردّت باطلاق الذخيرة الحيّة عليهم. من جهة أخرى، دمّرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية منزلاً لثلاثة اشقاء في حي التفاح في مدينة غزة، بتهمة انتمائهم الى خلية فدائية تابعة لـ «فتح»؛ كذلك دمّرت منزلاً آخر في حي الرمال، في غزة، يعود لمواطن رابع اتهم بعضويته في الخلية ذاتها وترؤس لجنة شعبية؛ ونسفت منزل المحامي ابراهيم ابو مر في جباليا، لاتهامه بتزعّم حركة «الجهاد الاسلامي» في قطاع غزة. الى ذلك، اصيب أربعة فلسطينيين برصاص جنود الاحتلال الاسرائيلي خلال مجابهة وقعت في مدينة خان يونس (**القبس**، الكويت، و**البعث**، دمشق، ١٧/٣/١٩٨٩).

• اعلن سكان قرية الجانية اضراباً تجارياً شاملاً، احتجاجاً على مصادرة الف دونم من اراضي قريتهم تعود ملكيتها الى حوالى مئة عائلة. وقد باشرت جرّافات عسكرية اسرائيلية، منذ يوم أمس، العمل في منطقة ظهرة ابو هلال، واقتلعت عشرات اشجار الزيتون المثمرة هناك (**وفا**، ١٧/٣/١٩٨٩).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في مقابلة خاصة مع صحيفة «هآرتس»، ان خطته السياسية لحل النزاع في الشرق الاوسط، التي ينوي تقديمها الى الادارة الاميركية، خلال زيارته لواشنطن في أوائل شهر نيسان (ابريل) المقبل، تتضمّن حلولاً تستجيب، بدرجة كبيرة، لجزء من التطلّعات العربية. وصرّح شامير بأن خطته لا تتضمّن أُسساً لانسحاب اقليمي، لكنها تتضمن، في جوهرها، جزءاً من الحل، ان لم يكن الحل كله. وأضاف ان اسرائيل لن تخضع للضغوط من اجل التحاور مع م.ت.ف. (**هآرتس**، ١٧/٣/١٩٨٩).

• اعلن المؤتمر الثامن عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية، في بيان اصدره في ختام اعماله في الرياض، والتي استمرت أربعة أيام، اعترافه بدولة فلسطين المستقلة، وأيّد اعلان الاستقلال والبرنامج السياسي اللذين اقرّهما المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة، الاستثنائية، التي عقدها في الجزائر، وطالب بوضع الاراضي الفلسطينية المحتلة تحت اشراف الامم المتحدة، تمهيداً للاشراف على انسحاب اسرائيل، نهائياً، منها. وطالب المؤتمر، في قراراته وتوصياته، الولايات المتحدة الاميركية بتطوير الحوار مع م.ت.ف. وجدّد الدعوة الى عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بحضور الاطراف المعنيّة كافة، بما فيها م.ت.ف. (**وفا**، ١٦/٣/١٩٨٩).

• تمسّك وزير الخارجية الاميركية، جيمس

بيكر، بموقف ادارته القاضي بقيام مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وم.ت.ف. جاء هذا الموقف على لسان بيكر الذي أدلى بشهادة الى لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ، وكان يرد على اتهام احد الاعضاء بأن تصريحاته تضرّ بـ «المعتدلين» الفلسطينيين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وبأنها ـ حسب زعمه ـ تشجّع م.ت.ف. على «ارهاب» الفلسطينيين المعتدلين، ومنعهم من التفاوض مع اسرائيل (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٧/٣/١٩٨٩).

١٧/٣/١٩٨٩

• استشهد المواطن الفلسطيني توفيق صادق عقل (٨٠ عاماً)، من بلدة يرقين. وكان جنود اسرائيليون انتزعوه من فراشه وألقوه خارج منزله، ممّا أدى الى وفاته على الفور. كذلك، أُصيب سبعة فلسطينيين بجروح خلال اشتباكات ومصادمات وقعت في انحاء مختلفة من الاراضي المحتلة بين المواطنين الفلسطينيين وجنود الاحتلال الاسرائيلي. وعلم ان من بين الجرحى ثلاثة من مدينة غزة، واثنان من مخيم جباليا، وآخر من مخيم رفح، والأخير من بلدة يعبد (**الدستور**، عمّان، ١٨/٣/١٩٨٩).

• ذكرت مصادر فلسطينية ان فلسطينيين مقنّعين قتلوا عميلاً لسلطات الاحتلال الاسرائيلي، في قرية كفر دان، قرب مدينة جنين. وكان هؤلاء هاجموا المدعو برهان الاطرش (١٩ عاماً) في منزله في القرية، وانهالوا عليه ضرباً بالحجارة وأدوات ثقيلة، ممّا أدى الى وفاته (**القبس**، ١٨ ـ ١٩/٣/١٩٨٩).

• هدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلي ستة منازل في قرى بيت قاد ومركة وكفر دان في منطقة جنين، بحجة البناء بدون ترخيص؛ كذلك هدمت ثلاثة منازل أخرى في بلدة بيت أمّر، ومنزلين في حلحول، وآخر في زعترة، لاسباب مماثلة (**الدستور**، ١٨/٣/١٩٨٩).

• استقبل ممثل م.ت.ف. لدى تونس، حكم بلعاوي، بصورة مستقلة، كلاً من سفيري فرنسا وبريطانيا في تونس، حيث أُجري استعراض التطوّرات السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وخصوصاً الاوضاع في الاراضي الفلسطينية المحتلة، في ضوء الاستخدام الموسّع لسياسة القبضة الحديدية وتصعيد سلطات الاحتلال الاسرائيلي ارهابها ضد ابناء الشعب الفلسطيني، وأهمية الاسراع في ايجاد تحرّك دولي واسع يتصدى للارهاب الاسرائيلي ويدعم ارادة المجتمع الدولي ورغبته الملحّة في تحقيق سلام عادل وشامل، قائم على أساس استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة (**وفا**، ١٧/٣/١٩٨٩).

١٨/٣/١٩٨٩

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى بغداد، قادماً من براغ، بعد ان أمضى زيارة قصيرة هناك، استمرت يوماً واحداً، اجتمع خلالها مع الامين العام للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، ميلوش ياكيش، حيث تبادل الطرفان وجهات النظر بشأن عدد من المسائل الدولية، وفي مقدمها القضية الفلسطينية والتعاون الثقافي بين م.ت.ف. وجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. وساد في الاجتماع جوّ من الصداقة والتفاهم؛ وأظهر الطرفان تطابقاً في وجهات النظر حول القضايا مدار البحث، وعبّرا عن رغبتهما في تطوير التعاون والعلاقات الثنائية بينهما (**وفا**، ١٩/٣/١٩٨٩).

• عرضت هنغاريا استضافة المؤتمر الدولي للسلام حول ازمة الشرق الاوسط، والقيام بدور الوسيط لحل النزاع. جاء هذا العرض خلال اجتماع عقده رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، ورئيس وزراء هنغاريا، ميكلوس نيميث، بتاريخ ١٧/٣/١٩٨٩. وصرّح نيميث بأن بلاده ترحّب بالقيام بدور الوساطة في هذه المنطقة؛ وأشار الى ان اعتراف بلاده بدولة فلسطين مؤشر الى موقفها من القضية الفلسطينية. من جهة أخرى، أعلن متحدث باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الهنغاري ان هنغاريا قرّرت رفع تمثيل مكتب م.ت.ف. فيها الى مستوى سفارة (**الأهرام**، القاهرة، ١٩/٣/١٩٨٩).

• وجّهت البعثة الدائمة لدولة فلسطين لدى الامم المتحدة، في جنيف، مذكرة الى مدير مركز حقوق الانسان، جان مارتنسوان، ناشدته العمل على عرض الاوضاع الخطيرة في الاراضي المحتلة على رئيس لجنة حقوق الانسان، مارك يونسويت، وعلى اللجنة الخاصة المعنيّة بالتحقيق في الممارسات الاسرائيلية. وأشارت المذكرة الى انواع العقوبات الجماعية التي تمارسها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة، من نسف المنازل وغلق الجامعات والمدارس والمعاهد التعليمية، وانتهاكها المادتين ٣٣ و٥٣ من اتفاقية جنيف الرابعة، الخاصة بحماية اللاجئين وقت الحرب؛ كذلك العمل بصورة معاكسة تماماً للمادة ٢٦ من الاعلان

العالمي لحقوق الانسان. وطالبت بعثة دولة فلسطين باعتبار وثيقتها وثيقة رسمية ضمن وثائق الدورة السادسة والاربعين للجنة حقوق الانسان (وفا، ١٩/٣/١٩٨٩).

• اختتم في فندق امباسادور، في القدس، الاجتماع الذي دعي اليه وشارك فيه حوالى مئة من الاسرائيليين وعدد مماثل من الفلسطينيين، على الرغم من الاجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال ومنعت، بموجبها، عدداً كبيراً من المدعوين الفلسطينيين عن الحضور. وكان الاجتماع، الذي حضره ممثلو وسائل الاعلام الفلسطينية والاسرائيلية والاجنبية، كرّس للبحث في سبل حل النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني على أساس دولتين للشعبين. وتحدث، في الاجتماع، كل من المحاضر سليم تماري الذي القى كلمة رئيس جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني في غزة، د. حيدر عبدالشافي، الذي لم يتمكن من الحضور، بسبب منع سلطات الاحتلال له، ونعومي حزان من قسم الدراسات الافريقية في الجامعة العبرية، التي قدمت مداخلة مفصّلة حول الوضع في اسرائيل منذ الانتخابات البرلمانية الاخيرة، ود. جاد اسحق من جامعة بيت لحم، وكان افرج عنه من معتقل أنصار ـ ٣ مؤخراً، وعضو لجنة المبدعين الاسرائيلية ـ الفلسطينية، المحاضر في جامعة تل ـ أبيب، نسيم كلدرون، والمحاضر في جامعة بيرزيت غسان الخطيب الذي قدم خطة عمل حول كيفية تعميق الثقة بين الشعبين، الفلسطيني والاسرائيلي. وفي ختام الاجتماع، أصدر المجتمعون بياناً أكد اتفاق المشاركين على «ضرورة تسوية النزاع على أساس التكافؤ، ممّا يعني اقامة دولة فلسطينية مستقلة الى جانب اسرائيل، مع توفّر ضمانات أمنية لكلا الطرفين». كما وافق المشاركون على ان المؤتمر الدولي بمشاركة ممثلي الطرفين، الحكومة الاسرائيلية وم.ت.ف. هو الاطار الذي يجرى فيه التفاوض من أجل التوصّل الى تسوية (الاتحاد، حيفا، ١٩/٣/١٩٨٩).

• ارتكبت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مجزرة دموية في حي الشيخ رضوان، في مدينة غزة، راح ضحيتها أربعة مواطنين واصيب عشرات آخرون بالرصاص. فخلال اشتباكات عنيفة اندلعت في شوارع غزة بين المواطنين وقوات حرس الحدود الاسرائيلية، اطلق الاسرائيليون النار على المواطنين، فاستشهد كل من فوزي محمد نجيب (٢٠ سنة)، وعبالناصر محمد الشريف (١٦ سنة)، ومجدي الغوراني (١٩ سنة)؛ أمّا الرابع، فقد استشهد داخل مسجد حي الشيخ رضوان ولم يتمّ التعرف عليه في حينه، بسبب حظر التجول الذي فرضته سلطات الاحتلال. من جهة أخرى، أصدرت م.ت.ف. بياناً ندّد بمجزرة الشيخ رضوان، وأشار الى انها تعكس الحالة المعنوية التي وصل اليها العدو الاسرائيلي، جرّاء صلابة الانتفاضة الشعبية (الدستور و وفا، ١٩/٣/١٩٨٩).

• قال وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، رداً على سؤال وجّه اليه في اثناء لقائه ممثلي وسائل الاعلام الاميركية، ان رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، سوف يحضر معه في زيارته القريبة لواشنطن مبادرة سياسية جديدة. ورفض ارنس التفصيل، لكنه قال ان هناك احتمالاً بأن توافق الادارة الاميركية على هذه المبادرة (هآرتس، ١٩/٣/١٩٨٩).

• أطلق عضو الكنيست، يائير تسبان، اثر عودته من ندوة السلام الاسرائيلية ـ الفلسطينية في نيويورك، نداء الى حكومة اسرائيل بعرض مشروع سياسي لحل النزاع الاسرائيلي ـ العربي. وأشار تسبان الى انه اذا لم تعرض اسرائيل، في أقرب وقت ممكن، مشروع سلام سياسي واقعي، فسوف تتضعضع مكانتها لدى الادارة الاميركية والكونغرس، ولدى الرأي العام الاميركي والطوائف اليهودية في الولايات المتحدة (عل همشمار، ١٩/٣/١٩٨٩)

• اكد الناطق باسم الجيش الاسرائيلي مقتل الجندي الاسرائيلي، اورن ليئور (٢٤ عاماً)، من كفار سابا، خلال عملية قامت بها مجموعة فدائية فلسطينية قرب الحدود مع الاردن. وأوضح الناطق ان العملية وقعت في التاسعة ليلاً، في منطقة وادي عربة، جنوب قرية هتسفا في صحراء النقب، حيث وقع اشتباك بين افراد المجموعة الفلسطينية وبين جنود اسرائيليين. وأشار الى ان الجنود قاموا، بعد ذلك، بعملية تمشيط كشفت عن آثار اقدام لرجلين تسللا الى اسرائيل عبر الحدود الاردنية وانسحبا الى الاراضي الاردنية بعد الاشتباك. من جهة أخرى، طالب وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، الحكومة الاردنية «ببذل كل ما في وسعها لتجنّب حدوث هجمات أخرى على اسرائيل، انطلاقاً من أراضيها» (الاتحاد وعل همشمار، ١٩/٣/١٩٨٩)

١٩/٣/١٩٨٩

• واصلت قوات الاحتلال الاسرائيلي اعمال

القتل التي بدأتها بمجزرة حي الشيخ رضوان في مدينة غزة، فقتلت طفلاً وشاباً آخرين، فيما تواصلت الصدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلي، حيث خرج المواطنون في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة الى الشوارع بالآلاف، وخاضوا مجابهات عنيفة ودامية مع جنود الاحتلال، وصفت بأنها الأعنف منذ شهور عدة. وخلال ذلك، استشهد الشاب طلال سليم الاعرج (٢٦ عاماً)، بعد ان هاجم ثلاثة جنود اسرائيليين بسكين واصابهم بجروح؛ كما استشهد سمير العراوري (١١ عاماً) خلال اطلاق جنود الاحتلال النار على المتظاهرين في سيلة الحارثية. وبذلك بلغت حصيلة الاشتباكات التي وقعت في عموم الضفة والقطاع سبعة شهداء سقطوا خلال ٢٤ ساعة، وأكثر من ٤٠ جريحاً. وقد فرضت قوات الاحتلال حظر التجول في معظم مخيمات غزة واحيائها، في محاولة للسيطرة على الموقف هناك. ودارت مجابهات عنيفة في نابلس وقلقيلية وجنين وبيت لحم وبيت ساحور ومخيمات جباليا والنصيرات ودير البلح ورفح والشاطىء، في غزة، وجنين وعايدة وبلدة قباطية، في الضفة. وقد أقام المتظاهرون، في هذه المناطق، متاريس على الطرقات، وهاجموا جنود الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة. من جهة أخرى، اقتحم جنود اسرائيليون مستشفى الاهلي في غزة، الذي نقلت اليه جثة الشهيد الاعرج، وقد قام افراد من أسرته واصدقاء له بنقل الجثة من المستشفى (القبس، ٢٠/٣/١٩٨٩).

• نفت المؤسسات والشخصيات الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة، الانباء التي اوردتها الاذاعة الاسرائيلية وتحدثت عن اجتماعات عقدت بين رئيس وزراء اسرائيل، اسحق شامير، وشخصيات فلسطينية. ووصفت المؤسسات والشخصيات، في مذكرة وجهتها الى قناصل الدول الاجنبية المعتمدين في القدس الشرقية وممثل هيئة الامم المتحدة، هذه الانباء بأنها مناورة سخيفة ومكشوفة لتضليل الادارة الاميركية والشعب الاميركي، وايهامهما بأن لدى اسرائيل قيادة بديلة من م.ت.ف. وأعلنت المؤسسات والشخصيات الفلسطينية، مجدداً، ان م.ت.ف. هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وناشدت المعنيّين اطلاع حكوماتهم وشعوبهم والمجتمع الدولي على المخطط الاسرائيلي الهادف الى تدمير مدينة القدس، ثاني أقدم مدينة في العالم، والوقوف في وجه الهجمة الاسرائيلية (وفا، ٢٠/٣/١٩٨٩).

• اصدرت اللجان الشعبية في قرية الزاوية بياناً دعا سكان القرية الى الاستمرار في ضرب قطعان المستوطنين، وملاحقة عملاء الاحتلال، وروابط القرى التي يمثلها المدعو تحسين منصور، ومقاطعة محطة الوقود التابعة له، وتحذير كل من يحاول اعاقة عمل القوات الضاربة. ودعت اللجان الشعبية، في بيانها، السكان الى ضرب العملاء اينما وجدوا، والالتزام بأيام الاضراب الشامل، وقرارات القيادة الوطنية الموحّدة. الى ذلك، وزّع في نابلس بيان باسم الجيش الشعبي الفلسطيني حيّا الروح النضالية المرتفعة لأهالي حي القصبة وجبل النار في نابلس والشيخ رضوان في غزة. وجاء في البيان ان البطولات التي قام بها المواطنون في هذه الاحياء، يجب ان يحتذى بها في كل مواقع الانتفاضة. ودعا البيان المواطنين الى اعتماد الفاعلية عينها في التصدي للمحتلين حتى دحرهم (وفا، ٢٠/٣/١٩٨٩).

• في محادثات اجراها، مؤخراً، زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، مع فلسطينيين من المناطق المحتلة، عرض بيرس فكرة انشاء كونفدرالية ثلاثية بين اسرائيل والاردن والفلسطينيين. ووفقاً لتصور بيرس، يجرى تطوير المناطق المحتلة تدريجياً نحو كيان سياسي يمكن ان يعتبره الفلسطينيون بمثابة دولة، ويشمل جميع مميّزاتها، لكنه يكون جزءاً من الكونفدرالية، ويبقى منزوع السلاح، في حين يتولى الجيش الاسرائيلي المحافظة على مصالح اسرائيل الامنية على امتداد نهر الاردن (عل همشمار، ٢٠/٣/١٩٨٩).

• دعا نائب وزير المالية الاسرائيلية، يوسي بايلين، وهو من المقربين جداً من شمعون بيرس، الحكومة الاسرائيلية الى البدء بمفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. كذلك دعا المعراخ الى بدء مسار في هذا الاتجاه ومن دون موافقة الليكود. وأضاف بايلين ان اسرائيل اخطأت، خطأ كبيراً، عندما لم تضع شروطاً على م.ت.ف. خلال العشرين سنة الماضية، وأعطت، بذلك، الضوء الاخضر لاصدقائها في العالم للاعتراف بـ م.ت.ف. دون شروط. ودعا بايلين، مجدداً، الى وضع شروط على م.ت.ف. يجرى، بموجبها، بدء المفاوضات المباشرة معها، وأهم هذه الشروط، ايقاف الانتفاضة (هآرتس، ٢٠/٣/١٩٨٩).

• أتلف رجال «الدورية الخضراء» ٩٠٠ دونم

من الحنطة والشعير، قام بزرعها بدو في النقب في عدد من أماكن تواجدهم القريبة من بئر السبع في منطقة تل عرّاء وعمر، التي اعتاد السكان فيها على زراعة الحنطة والشعير على اراضي ما يسمى «ادارة اراضي اسرائيل». وقد فوجىء السكان، عندما شاهدوا طائرات ترش حقولهم بمواد سامّة بقصد اتلاف محاصيلهم (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٠).

• قال الرئيس المصري، حسني مبارك، ان باستطاعة اسرائيل العيش بسلام ليس فقط مع مصر بل، أيضاً، مع الاردن والشعب الفلسطيني. ودعا مبارك زعماء اسرائيل الى ان لا يخشوا من المؤتمر الدولي، الذي يعتبره مجرّد مظلة على طريق السلام (**هآرتس**، ١٩٨٩/٣/٢٠).

• قال سفير بريطانيا في اسرائيل، مارك اليوت، ان حكومة بريطانيا تعتقد، مثل وزير الخارجية الاميركية، بأن احدى الطرق للتقدم بمسار السلام في الشرق الاوسط، هي ان تقوم اسرائيل بالتفاوض مع م.ت.ف. على الرغم من ان هذه ليست الطريقة الوحيدة (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٠)

١٩٨٩/٣/٢٠

• عقد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، والرئيس العراقي، صدام حسين، اجتماعاً في بغداد، بحضور نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية، طارق عزيز. وقد استعرض الطرفان، خلاله، تطوّرات الانتفاضة في المناطق الفلسطينية المحتلة. وقد وضع عرفات الرئيس صدام في صورة الموقف داخل المناطق المحتلة بعد دخول الانتفاضة شهرها السادس عشر. كما بحث الطرفان في التطورات على الصعيد العربي. وأكد الرئيس حسين لعرفات دعم العراق الثابت والكامل لنضال الشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة بقيادة م.ت.ف. الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني (**وفا**، ١٩٨٩/٣/٢١).

• تصاعدت حدّة الاشتباكات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال، فوقعت اشتباكات عنيفة في مخيم الامعري (قضاء رام الله)، اطلق خلالها الجنود الرصاص والغاز، فاصيب بجروح كل من هدى سليمان (١٤ عاماً) ولؤي عبد (٨ سنوات) وايهاب محمد (١٠ سنوات)، ومنتصر لحام (١٢ سنة). ورشق المتظاهرون، في نابلس، السيارات العسكرية الاسرائيلية وقوات الجيش بالحجارة. ووقعت صدامات أخرى في مخيم قلنديا؛ وتظاهر سكان قرية بيت نجار؛ وشهدت قرية اذنا تظاهرة فرّقتها قوات الاحتلال باطلاق الرصاص، بعد ان اقتحمت القرية وفرضت عليها حظر التجول وهدمت خمسة منازل فيها. ووقعت مجابهات أخرى في بيت لحم، فاصيب محمد الخطيب (١٩ عاماً) بعيار بلاستيكي. وفي المدينة ذاتها، صدمت سيارة تابعة لقوات حرس الحدود، كانت تسير بسرعة جنونية، مواطناً من ابناء المدينة يتجاوز عمره الخامسة والخمسين، فقتلته. ولم تعرف هويته، في حينه، فقد صادر حرس الحدود بطاقته الشخصية. وفي طولكرم، وقعت اشتباكات اصيب على اثرها رياض زين (٢٠ عاماً) برصاصة في ركبته اليمنى. أمّا قطاع غزة، فقد شهد تظاهرات ومواجهات عنيفة، على الرغم من نظام حظر التجول المفروض على ٨٠ بالمئة منه، كان اعنفها ما وقع في حي الشيخ رضوان في مدينة غزة، حيث اصيب خلال ذلك العشرات بجروح، وغالبيتهم من كبار السن، ممّن تتراوح اعمارهم ما بين ٦٠ ـ ٩٠ عاماً، وقد تعرضوا للضرب واصيبوا بكسور وكدمات (**الاتحاد**، ١٩٨٩/٣/٢١).

• قتل ١٥ لبنانياً وفلسطينياً مدنياً، على الاقل، واصيب أكثر من ثلاثين آخرين في غارة جوية شنّتها الطائرات الحربية الاسرائيلية، بعد الظهر، على مواقع في سهل البقاع اللبناني تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وربط مراقبون بين هذه الغارة ومحاولة التسلل الى اسرائيل من الجهة الجنوبية التي قام بها فدائيان فلسطينيان مؤخراً. وذكر متحدثان باسم الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ان مواقع الجبهتين، في بلدة برّ الياس، تعرّضت لقصف الطيران الاسرائيلي. وأضاف المتحدث باسم الديمقراطية ان مكاتب ادارية تابعة لها اصيبت خلال الغارة. وطبقاً لمصادر أخرى، اصيب ثلاثة مراكز ادارية تابعة للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ودمّرت بالكامل (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٩٨٩/٣/٢١).

• أعلن المؤتمر العام الخامس لمنظمة العواصم والمدن الاسلامية تأييده المطلق للانتفاضة الفلسطينية، وحيّا شهداءها وجرحاها ومعتقليها والمبعدين من أبناء المناطق المحتلة. واستنكر المؤتمر، في جلسته الختامية، التي عقدت بعد الظهر في المركز الثقافي الملكي برئاسة امين العاصمة عمّان،

عبدالرؤوف الروابدة، سيطرة سلطات الاحتلال العسكري الاسرائيلي على المدن والبلديات الفلسطينية ونسف البيوت والعقارات والاخلال بالنسيج الحضري التاريخي لتلك المدن، وخصوصاً منها ذات الجذور التاريخية والاسلامية والعربية العريقة (الدستور، ٢١/٣/١٩٨٩).

• تمّ، في عمّان، التوقيع على وثيقة تآخ بين مدينة القدس عاصمة دولة فلسطين ومدينة داكار عاصمة السنغال. وجاء في الوثيقة ان عاصمة السنغال تعلن عن تآخيها الوثيق مع مدينة القدس الشريف، وتعاهدها على الاعتصام بحبل الله ومساندتها الكاملة لها بما يفرضه الواجب من دعم ومساندة في كل الميادين حتى تحريرها. وتعلن القدس الشريف، أرض الاسراء والمعراج، من جانبها، عن ترحيبها الكامل مع شقيقتها داكار، وتعاهدها على الوفاء لها في مواصلة الجهاد والنضال حتى تتمكن من رفع راية العزّة والكرامة فوق ربوعها. وقّع الوثيقة أمين القدس المبعد، روحي الخطيب، وأمين مدينة داكار، ماروا ديور (الدستور، ٢١/٣/١٩٨٩).

• دعا متحدثون بلجيكيون، في احتفال تضامني أُقيم في بروكسل، بمناسبة ذكرى «يوم الارض»، الحكومة البلجيكية الى اتخاذ موقف يساهم في انهاء مأساة الشعب الفلسطيني ويدعم انتفاضته الشعبية واهداف الفلسطينيين في تحقيق السلام العادل. ودعا رئيس الحفل الذي اقامته جمعية الصداقة البلجيكية ـ الفلسطينية، تل تكليري، الى دعم الانتفاضة واعتراف دول السوق الاوروبية بدولة فلسطين؛ وطالب الحكومة البلجيكية برفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني في بروكسل (وفا، ٢١/٣/١٩٨٩).

• استقبل رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف)، في مقر الدائرة السياسية، في تونس، سفير اليونان لدى تونس، كونستانتين وارات سيمكس، الذي جاء مودعاً بمناسبة انتهاء مهامه في تونس. وقد جدد السفير اليوناني، خلال لقائه القدومي، تأييد اليونان، حكومة وشعباً واحزاباً، لحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني. من جانبه، أعرب القدومي عن شكره للسفير سيمكس، لجهوده وجهود الحكومة والشعب اليوناني في دعم م.ت.ف. والقضية الفلسطينية في المحافل الدولية (وفا، ٢١/٣/١٩٨٩)

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في مؤتمر الزعماء اليهود المنعقد في القدس، انه سوف يعرض خلال زيارته القريبة لواشنطن، افكاراً جديدة وليس مشروع سلام متكامل. وأضاف: «حكومتنا موحّدة في معارضتها لاقامة دولة فلسطينية غرب الاردن؛ فمثل هذه الدولة يشكل تهديداً استراتيجياً لوجود اسرائيل» (عل همشمار، ٢١/٣/١٩٨٩).

• دعا الرئيس الاسرائيلي، حاييم هرتسوغ، في مراسيم افتتاح مؤتمر رئيس الحكومة للتضامن اليهودي مع اسرائيل، الى «تطوير قيادة فلسطينية مستقلة ومحنّكة، تنظر الى امام برغبة حسنة وليس الى وراء بغضب». وقال هرتسوغ: «لا توجد طريق سوى طريق السلام، ولا يوجد حل الّا بواسطة محادثات مباشرة، مفتوحة وحرّة» (دافار، ٢١/٣/١٩٨٩).

• اكد وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، ان الولايات المتحدة، ولاسباب خاصة بها، مستمرة في معارضتها انعقاد المؤتمر الدولي. وسوف تتابع واشنطن، بودّ، محاولات اسرائيل في المناطق المحتلة لايجاد زعامة فلسطينية «مستقلة»، حسب تعبيره. على الرغم من هذا، فقد قال ارنس، ان الولايات المتحدة تنوي الاسراع في مسار التفاهم مع م.ت.ف. وهي تعتقد بأن اسرائيل سوف تضطر الى اجراء حوار مباشر، أو غير مباشر، مع المنظمة (عل همشمار، ٢١/٣/١٩٨٩).

• دعت ادارة كتلة الليكود رئيس الحكومة الاسرائيلية الى اقالة نائب وزير المالية الاسرائيلية، يوسي بايلين، في أعقاب تصريحات أدلى بها، دعت الى اجراء مفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. وجاء في بيان الكتلة، ان تصريحات الاقلية اليسارية في المعراخ، التي قصد منها التغطية على الفشل والتقصير في انتخابات الكنيست والمجالس المحلية تسبب ضرراً لأمن الدولة (عل همشمار، ٢١/٣/١٩٨٩).

• أجرى رئيس «الادارة المدنية» في الضفة، اللواء شايكا ايرز، سلسلة من اللقاءات مع شخصيات فلسطينية من الضفة، كان اهمها لقاؤه مع ٢٥ شخصية من رام الله، غالبيتها من مؤيدي م.ت.ف. وعلم ان القضايا السياسية استغرقت معظم وقت اللقاء، وان غالبية المشاركين أكدت ان الانتفاضة في المناطق المحتلة هي شكل من أشكال التعبير عن رفض الاحتلال الاسرائيلي، وان السبيل الوحيد

للقيام بانطلاقة سياسية هو التفاوض مع م.ت.ف. الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني (عل همشمار، ١٩٨٩/٣/٢١).

• أعلن مستشار رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. بسام ابو شريف، ان المنظمة طلبت من الرئيس الاميركي، جورج بوش، شخصياً، ومن الادارة الاميركية وبقية الدول دائمة العضوية في مجلس الامن، التدخل، بسرعة، لوضع حدّ للمذابح التي ترتكبها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة. وعلم من مصدر فلسطيني، ان رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، أبلغ، أمس الاول، الى حكومات فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة رسائل شخصية تلفت انتباهها الى خطورة الوضع في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، مؤكداً ضرورة نشر قوات دولية لتأمين حماية السكان فيها (الدستور، ١٩٨٩/٣/٢١).

• اكد المشاركون في ندوة أُقيمت في فندق ميناهاوس، الواقع بالقرب من اهرامات الجيزة، في مصر، لمناسبة مرور عشر سنوات على توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد، بين مصر واسرائيل، أهمية وضرورة بدء الحوار بين م.ت.ف. واسرائيل، من اجل التوصّل الى سلام عادل وشامل في الشرق الاوسط. وأجمع المشاركون على ان الاجراءات القمعية التي تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضد مواطني دولة فلسطين المحتلة، وعدم ممارسة الفلسطينيين حقوقهم المشروعة في تقرير مصيرهم، وفي مقدمها اقامة دولتهم المستقلة، يؤثر في مسيرة تطبيع العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية. شارك في الندوة من الجانب الاسرائيلي، وزير العلم والتطوير، عيزر وايزمان، ونصير السلام، ابيي ناتان، ومن الجانب المصري، وزير الدولة للشؤون الخارجية، بطرس غالي، ونائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي للاتصالات الخارجية، د. مصطفى خليل، اضافة الى عدد من الكتاب والاساتذة ورجال الاعمال المصريين، والاسرائيليين. يذكر ان هيئة الاذاعة البريطانية (بي.بي.سي.) كانت وراء تنظيم هذه الندوة. وقد سبق لها ان نظّمت ندوة مماثلة منذ عشر سنوات. وكان وايزمان دعا، فور وصوله القاهرة، الى ضرورة التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية، وشدّد على ان المفاوضات يجب ان تجرى مع م.ت.ف. (الاتحاد، ١٩٨٩/٣/٢١).

١٩٨٩/٣/٢١

• فرضت قوات الاحتلال الاسرائيلي حظر التجول على حي الرمال وجزء من حي صبرا في مدينة غزة، وقطعت امدادات المياه والكهرباء عن المدينة، واستدعت جميع الذكور من المنطقتين، ممّن تتراوح أعمارهم ما بين ٩ ـ ٦٠ سنة، حيث وجهت اليهم تهديدات بانزال عقوبات شديدة ما لم تتمّ اعادة بندقية استولى عليها مواطنون خلال اشتباكات سابقة مع قوات الاحتلال. من جهة أخرى، واصلت سلطات الاحتلال فرض حظر التجول على مخيم خان يونس، الذي تمّ في اعقاب قيام شبان من المخيم بتجريد جندي اسرائيلي من بندقيته. وامتد هذا الاجراء ليشمل مخيمات اللاجئين الثمانية في قطاع غزة. وتخلّل ذلك وقوع مجابهات، كان أكثرها عنفاً في غزة، حيث جرح ستة فلسطينيين، ثلاثة منهم في حي الشيخ رضوان، واثنان في حي النصر، وواحد في حي الريحان؛ كما جرح ثلاثة آخرون في قرية بيت حانون، وآخر في مخيم البريج. وذكر ان عشرات الفلسطينيين نقلوا الى المستشفيات، اثر تعرّضهم للضرب المبرح بالهراوات من قبل جنود الاحتلال (الدستور، ١٩٨٩/٣/٢٢). الى ذلك، طعن شاب فلسطيني من مخيم جباليا اسرائيلياً بسكين وجرح اثنين آخرين، في منطقة تل ـ أبيب، قبل ان يتمكن شرطيان اسرائيليان من اعتقاله، بعد اصابته بجروح. فقد حاول عبدالرحمن زكوت بن محمد (٢٨ عاماً) الوصول الى مكاتب شركة اعلانات تقع في شارع ارنيفو، شمال تل ـ أبيب، وعندما لم يتمكن من ذلك، طعن بسكين طبيباً اسرائيلياً يدعى كورت موشي شالينغر (٥٥ عاماً) في اثناء مغادرته سيارته، فاصابه بجروح بليغة في الظهر والصدر لم يلبث ان توفي بعدها بدقائق. وقد قام عبدالرحمن بطعن اسرائيليين آخرين على مسافة ٥٠ متراً من مكان الهجوم الاول، فاصابهما بجروح. وبعد مطاردة قصيرة تمكّن شرطيان اسرائيليان من القاء القبض عليه فوق سطح منزل التجأ اليه بعد اصابته بجروح في قدميه برصاص أطلقه الشرطيان خلال المطاردة (المصدر نفسه والدستور، ١٩٨٩/٣/٢٢)

• حكمت المحكمة العسكرية، في نابلس، على محمد داوود، من سكان قلقيلية، بالسجن المؤبد بتهمة قتل عوفرا وطل موزين، بتاريخ ١٩٨٧/٤/١١. وقد اتهمت المحكمة داوود، أيضاً، بقذف زجاجات حارقة اصابت احداها الزوج ريفف من مستوطنة الفي منشه بجروح؛ واتهمته، كذلك، بالانتماء الى الجبهة

الديمقراطية لتحرير فلسطين. وقد أثار قرار المحكمة بالسجن المؤبد ضجة كبيرة في أوساط المستوطنين الذين طالبوا بتنفيذ حكم الاعدام بداوود، غير ان النيابة العسكرية اكتفت بالمطالبة بالسجن المؤبد «لاعتبارات تتعلق بمصلحة الجمهور»، كما جاء في أقوال ممثل النيابة (**الاتحاد**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• ذكرت التلفزة الاسرائيلية، في نشرتها الاخبارية المسائية، ان جهاز الامن العام وشرطة القدس كشفا، مؤخراً، عن تنظيم فدائي كبير في القدس، ينتمي جميع أعضائه الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأضافت انه تمّ اعتقال ٤٠ مواطناً فلسطينياً متهمين بتنفيذ ما يزيد على ٥٠ عملية، من بينها القاء ٣٠ زجاجة حارقة واحراق سيارات يمتلكها اسرائيليون وأعمال أخرى تسببت في اصابة اسرائيليين (**الاتحاد**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• قام حوالى مئة مستوطن مسلّح بمسيرة استفزازية، بمناسبة عيد المساخر ـ البوريم، انطلقت من تل رميضة في مدينة الخليل، مروراً بالسوق، وانتهت عند الحرم الابراهيمي الشريف. وخلال مسيرتهم، أحرق المستوطنون علم فلسطين، ممّا أدّى الى توتير الاجواء في المنطقة. وقد حاول المستوطنون، الذين وصل عدد منهم الى الحرم الابراهيمي متخفياً بلباس عربي تقليدي، ادخال خزانة تحوي كتاب التوراة، فتدخّل جنود من الجيش الاسرائيلي وحاولوا منعهم عن القيام بذلك. وفي هذا الوقت، وصل احد المواطنين الفلسطينيين وحاول دخول الحرم لاداء الصلاة، فهاجمه مستوطنون وحاولوا الاعتداء عليه، فتدخل افراد الجيش ووقعت اشتباكات بالايدي بين الطرفين، استمرت حوالى الساعة (**الاتحاد**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• زعم رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في تصريح له بحضور مندوبي «مؤتمر رئيس الحكومة للتضامن اليهودي مع اسرائيل»، ان «اقامة دولة فلسطينية لا يخدم السلام، وباستطاعتها [م.ت.ف.] التوصل الى السلام في المقابر فقط. وفي حال موافقة دول العالم على تأييد طلب م.ت.ف. بشأن اقامة دولة مستقلة، سيكون هذا تراجيديا» (**عل همشمار**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• ردّ وزراء وموظفون اسرائيليون كبار بتعجب على أقوال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في مؤتمر صحافي مشترك مع شمعون بيرس وزعماء يهود، من ان لا علم له بالرأي الذي أعرب عنه رؤساء جهاز الامن من انه دون حل سياسي، فان الانتفاضة سوف تستمر لسنوات طويلة. وقالت الاوساط التي سمعت بتقويم الوضع ان شامير لم يقل الحقيقة، عندما نفى، في المؤتمر الصحافي، علمه بما قيل (**هآرتس**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• التقى عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. عبدالرزاق اليحيى، في وارسو، وزير التعليم العالي في جمهورية بولندا الشعبية، باكسيتا فيشاك، حيث بحث الطرفان في الوضع التعليمي للشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة، والمصاعب التي تواجه الجهاز التعليمي خلال تأديته مهامه، والناجمة عن السياسة التي تتبعها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في هذا المجال. وكان وفد فلسطيني وصل العاصمة البولندية، وارسو، بتاريخ ١٨/٣/١٩٨٩، تلبية لدعوة وجّهها وزير التعليم العالي البولندي (**وفا**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• صرّح متحدث باسم م.ت.ف. بأن المنظمة ترى ان تحسّناً كبيراً طرأ على مناخ العلاقات مع واشنطن، بعد التحركات الاميركية الاخيرة في الشرق الاوسط. وأضاف ان المنظمة باتت على يقين من ان النزاع بشأن الارهاب لا يعترض طريق المحادثات، وانها سوف تركز جهودها على اقناع واشنطن بوضع ثقلها وراء خطط عقد مؤتمر دولي بشأن الشرق الاوسط. وأضاف المتحدث ايضاً، ان تغيّراً هاماً حدث في موقف الولايات المتحدة الاميركية، وان المناخ بات أفضل بكثير، ولا توجد مسائل مثيرة للجدل بين المنظمة والاميركيين (**الدستور**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• أعربت الحكومة القبرصية عن قلقها ازاء تصاعد أعمال القمع الاسرائيلية ضد أبناء الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة. وأضافت ان موقف قبرص يتمثل في دعم الحل العادل لمشكلة الشرق الاوسط، والقائم على عقد مؤتمر دولي للسلام برعاية الامم المتحدة ومشاركة جميع الاطراف المعنية، بما فيها م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني؛ وان الحل يجب ان يأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بما فيه حقه في العيش بحرية في دولته المستقلة (**وفا**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• على هامش الزيارة المرتقبة لكل من الرئيس

المصري، حسني مبارك، ورئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، اعلن الناطق باسم البيت الابيض، مارلين فيتزووتر، ان الرئيس الاميركي، جورج بوش، سوف يحثّ الطرفين على تحريك عملية السلام في المنطقة. وأكد ان ادارته على ثقة بأن الزيارتين المقبلتين سوف تسهمان في دفع الجهود الدبلوماسية من اجل احلال السلام في الشرق الاوسط ، وأضاف: «ان الرئيس ملتزم بتحريك عملية السلام، ولكنه غير مهيأ، بعد، لاطلاق مبادرة جديدة» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• صرّح مدير مكتب الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، بأنه يتعيّن على اسرائيل ان تغيّر موقفها في المستقبل وتتفاوض مع م.ت.ف. وأكد، في تصريحات ادلى بها لمراسل الاذاعة الاسرائيلية في القاهرة، انه ليس هناك طرف يستطيع تحديد ممثلي الطرف الآخر، مشيراً الى ان م.ت.ف. وافقت على الشروط اللازمة لانضمامها الى مسيرة السلام، وان اسرائيل لا تستطيع الاستمرار في التشكيك في نوايا المنظمة. ووصف الباز اقتراح اجراء انتخابات في المناطق المحتلة بأنه مضيعة للوقت وجهد لا لزوم له، ودعا الاسرائيليين الى عدم التخوّف من قيام دولة فلسطينية (**الاهرام**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• قال وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، انه يجب على الفلسطينيين والاسرائيليين ألّا يتوقعوا حل النزاع عبر «الخطوات الصغيرة» في الارض المحتلة، الهادفة الى بناء الثقة بين الجانبين. وأضاف، «ان واشنطن ستقوم، خلال اتصالاتها مع اسرائيل وم.ت.ف. بالتشديد على الواقعية لمواقفهما حول المسائل الاساسية في النزاع، وهي الارض مقابل السلام والامن الاسرائيلي والحقوق السياسية للفلسطينيين». وقال: «سوف نحثّ على الحوار بين اسرائيل والفلسطينيين لتحضير الارضية لمفاوضات حول التدابير الانتقالية، وحول الوضع النهائي للارض المحتلة». وقالت مصادر حكومية، في واشنطن، ان استراتيجية بيكر، هي «السعي من اجل اتخاذ م.ت.ف. واسرائيل مبادرات متبادلة لتهدئة الاوضاع في الارض المحتلة» (**نيويورك تايمز**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

• اختتم، في مقر الامم المتحدة، في فيينا، الاجتماع التحضيري للمؤتمر الدولي للمنظمات غير الحكومية المعنيّة بالقضية الفلسطينية، والمزمع عقده في أيلول (سبتمبر) المقبل تحت رعاية الامم المتحدة. وقد دعا الى عقد هذا الاجتماع، الذي استمر مدة يومين، قسم حقوق فلسطين ولجنة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف التابعان للامم المتحدة. وترأس الاجتماع السفير اورومأس اوليفيا، وشارك فيه ممثلون عن ٢٢ منظمة محلية وعالمية الى جانب أعضاء لجنة التنسيق الدولية للمنظمات غير الحكومية، تحت شعار «الانتفاضة؛ من الاحتلال الى الاستقلال». واتفقوا، كذلك، على ان يناقش المؤتمر، لدى انعقاده، موضوع حماية السكان الفلسطينيين، ودور الامم المتحدة والمنظمات غير الحكومية، الى جانب عدد من القضايا الاخرى المتعلقة بأوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال (**وفا**، ٢٢/٣/١٩٨٩).

٢٢/٣/١٩٨٩

• دارت اشتباكات عنيفة في انحاء متفرقة من الارض المحتلة، فاستشهد الصبي احمد عبدالفتاح (١١ عاماً) من مخيم طولكرم، وجرح رفيق له. وكانت مدينة غزة ومخيماتها شهدت اشتباكات، عندما اقتحم مئات من جنود الاحتلال حي الشيخ رضوان ومخيم الشاطىء. وجاءت حصيلة الاشتباكات اصابة ٤٥ مواطناً بجروح، واعتقال ٤٢ آخرين. وقد شلّ الاضراب العام أوجه الحياة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة؛ وكانت القيادة الموحّدة للانتفاضة دعت الى هذا الاضراب، بمناسبة ذكرى معركة الكرامة (**الدستور**، ٢٣/٣/١٩٨٩).

• صرّح رئيس وفد م.ت.ف. الى الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، في أعقاب انتهاء الجولة الثانية من الحوار، بأن اللقاء «اتسم بأهمية خاصة، لأنه أتاح التطرق الى مسائل أساسية وجوهرية تتعلق بعملية السلام». أمّا رئيس الوفد الاميركي، سفير الولايات المتحدة في تونس، روبرت بيلّترو، فصرح بأن «جزءاً من المناقشة تناول التدابير التي يمكن اتخاذها لخفض التوتر في فلسطين المحتلة، والتي من شأنها ان تؤدي الى مفاوضات مباشرة، على أساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨». وذكرت مصادر فلسطينية ان الوفد الفلسطيني قدّم الى الجانب الاميركي ورقة عمل تشرح مفهوم السلام الفلسطيني، وتؤكد ان السلام لا يمكن ان يتحقق الّا من خلال اقامة الدولة الفلسطينية مع توفير ضمانات الأمن والسلام لجميع دول المنطقة. وأشارت ورقة العمل الى ضرورة عقد المؤتمر الدولي للسلام (**الاتحاد**، ٢٣/٣/١٩٨٩).

• قال وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين: «ان من يقرأ جيداً ما قاله وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، في افادته الى لجنة الكونغرس، يستطيع التمييز، بصورة واضحة، انه يفضل اجراء مفاوضات بين اسرائيل وممثلي سكان المناطق المحتلة». وأوضح: «قال بيكر، بالتحديد، انه في حال عدم نجاح اسرائيل في التوصل الى مفاوضات مع ممثلي سكان المناطق المحتلة، ربما اضطرت، حينذاك، الى التحدث مع م.ت.ف. ويخيل الى انه ليس بامكان الاميركيين التلميح لاسرائيل، بوضوح اكثر من ذلك، ازاء الاتجاه الذي يرغبون فيه» (دافار، ٢٣/٣/١٩٨٩).

• استقبل الرئيس المصري، حسني مبارك، وزير البحث العلمي في اسرائيل، عيزر وايزمان، والوفد المرافق له، وحضر المقابلة، من الجانب المصري، نائب رئيس الوزراء وزير الزراعة، د. يوسف والي. وأجرى مبارك حواراً مع الوفد الصحافي المرافق لوايزمان، ركز فيه على أهمية عقد المؤتمر الدولي للسلام، والحوار مع م.ت.ف. وكان وايزمان وصل القاهرة للاشتراك في ندوة نظّمتها هيئة الاذاعة البريطانية بمناسبة مرور عشر سنوات على توقيع معاهدة كامب ديفيد (الاهرام، ٢٣/٣/١٩٨٩).

• قالت مصادر استخباراتية، في لندن، ان علاقات اسرائيل مع ادارة الرئيس الاميركي، جورج بوش، باردة، وان زيارة وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، لواشنطن لم تؤتي ثمارها. واستناداً الى المصادر نفسها، طلب الاميركيون من اسرائيل القيام بمبادرة حسن نيّة تجاه الفلسطينيين، على غرار فتح المدارس واطلاق سراح معتقلين. لكن هذه الطلبات اصطدمت برفض قاطع (دافار، ٢٣/٣/١٩٨٩).

• قال الناطق باسم وزارة الخارجية السوفياتية، غينادي غيراسيموف، انه «حدثت تغيّرات في موقف الادارة الاميركية تجاه اسرائيل وم.ت.ف. كما حدث تغيّر في موقف م.ت.ف. لا يمكن تجاوزه». ومقابل هذا، «فان الاتحاد السوفياتي يأسف لجمود سياسة اسحق شامير وقادة اسرائيل، الذي يعيق الجهود الرامية الى القضاء على النزاع في الشرق الاوسط» (دافار، ٢٣/٣/١٩٨٩).

٢٣/٣/١٩٨٩

• أعرب رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، عن أمله في رفع مستوى الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، والتعمّق في البحث في المسائل الجوهرية والاساسية لاقامة السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط. وعبّر عرفات، الذي كان يتحدث في مؤتمر صحافي عقده في تونس حضره ممثلون عن وسائل الاعلام المحلية والاجنبية، عن ارتياحه لمضمون الحوار، ووصفه بأنه «كان ايجابياً، واتسم بالجدية، نظراً الى المواضيع الكثيفة المطروحة، ممّا يدل على اهتمام الادارة الاميركية الجديدة بتطوير وانجاح الحوار، وهذا ما نسعى اليه». وأوضح عرفات ان لدى الطرفين، الفلسطيني والاميركي، رغبة واضحة في التوصّل الى نتائج مثمرة. واتهم اسرائيل بالسعي الى افشال الحوار وايقافه، وقال ان اسرائيل تقوم بتحضيرات للقيام بمغامرة عسكرية واسعة في جنوب لبنان، في الوقت الذي تدفع بحشود جديدة الى الاراضي المحتلة (وفا، ٢٣/٣/١٩٨٩).

• غطّت أعمال مقاومة الاحتلال معظم مدن وبلدات وقرى ومخيمات المناطق المحتلة، فشملت القدس وجنين والخليل وطولكرم وبيت لحم ورام الله وغيرها، فاستشهد شاب في قرية اوصرين (قضاء نابلس) برصاصة، تضاربت الانباء حول مطلقها. امّا، في قطاع غزة، فقد رفعت سلطات الاحتلال حظر التجول المفروض عن معظم المناطق فيه، في وقت تجددت التظاهرات، خصوصاً في مخيم النصيرات، حيث أصيب جنديان اسرائيليان بجروح، ووقع بعض الجرحى في صفوف الاهالي، كما أصيب آخرون بجروح في مخيم خان يونس وجباليا، اضافة الى تعرّض سكان حي الشيخ رضوان، في غزة، لاعتداءات بالضرب، أُدخل، بنتيجته، ٣٦ منهم المستشفى لتلقّي العلاج (الاتحاد، ٢٤/٣/١٩٨٩).

• أكد مصدر رسمي في م.ت.ف. ان المنظمة تعتبر المؤتمر الدولي الاطار الوحيد الذي يمكن قبوله للبحث في سلام عادل في منطقة الشرق الاوسط يلبي حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة. وأضاف المصدر ان م.ت.ف. متمسّكة بخيار الشرعية الدولية الذي أقرّته القمم العربية، والاسلامية، ودول عدم الانحياز، والذي كرّسته قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية المتعاقبة، باعتماد خيار المؤتمر الدولي، برعاية الامم المتحدة، وحضور الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي، والاطراف المعنيّة كافة، وفي مقدمها م.ت.ف. (وفا،

١٩٨٩/٣/٢٣).

• نقل وفد الولايات المتحدة في الحوار مع م.ت.ف. خلال اللقاء الذي عقد في تونس، افكار وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، بشأن التقدم في عملية السلام، الى وفد م.ت.ف. وعلم ان الموضوع الاساسي الذي تمّ الاتفاق حوله بين الولايات المتحدة وم.ت.ف. هو موضوع مرحلة الاعداد للمؤتمر الدولي، وهي صيغة الهدف منها اجراء محادثات مباشرة بين الاطراف المتنازعة، قبل عقد المؤتمر الدولي (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• عارض وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، التقويمات نصف السنوية لشعبة الاستخبارات القائلة بأن م.ت.ف. هي الجهة المهيمنة في المناطق المحتلة (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• ذكر وزير البحث العلمي في اسرائيل، عيزر وايزمان، لدى مغادرته القاهرة، انه يحمل رسالة من الرئيس المصري، حسني مبارك، الى رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، تتعلق بحل المشكلة الفلسطينية. وأضاف وايزمان انه مستعد للعمل كساعي بريد بين مبارك وشامير، اذا كان ذلك سيساعد على حل المشكلة الفلسطينية، وتغيير موقف شامير والحكومة الاسرائيلية من هذه المشكلة (**الاهرام**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• أعرب وزير الخارجية الاسرائيلية الاسبق، ابا ايبن، عن تأييده لاجراء محادثات مباشرة بين اسرائيل وم.ت.ف. موضحاً ان غالبية الاسرائيليين تؤيد ذلك. وانتقد ايبن، بشدة، السياسة السلبية لرئيس وزراء اسرائيل، اسحق شامير، تجاه مشكلة الشرق الاوسط؛ ووصف اعتزام الحكومة الاسرائيلية منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً بأنه خطوة لا تؤدي الى نتائج ملموسة (**الاهرام**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• قال عضو الكنيست الاسرائيلي، رفائيل ايتان، في نادي الصحافة، في بيت سوكولوف، في تل ـ أبيب، معلّقاً على تقرير شعبة الاستخبارات العسكرية بخصوص الانتفاضة في المناطق المحتلة، انه «قبل حرب يوم الغفران، وكذلك قبل قصف المفاعل النووي العراقي، قدمت شعبة الاستخبارات العسكرية، تقارير أيضاً، غير ان الواقع أثبت غير [ما جاء فيها]» (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٤). وعلى صعيد آخر، قال ايتان، رداً على سؤال «كيف كانت ستبدو الانتفاضة لو كنت انت في منصب رئيس الاركان؟»: «خلال فترة السنوات الخمس التي شغلت فيها منصب رئيس اركان الجيش الاسرائيلي لم تكن هناك انتفاضة، ربما لأنهم لم يكونوا مستعدين، وربما لم تكن هناك حجارة، وهذه حقيقة. وكان ينبغي ان يكون ردنا الفوري، في الايام الاولى للانتفاضة، عبر زيادة وتيرة الاستيطان بشكل مكثّف. وبعد ذلك، ينبغي ان نضربهم في كل مكان يضربوننا فيه، وهم الذين ينبغي ان يدفعوا ثمن الانتفاضة» (**عل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• استقبل رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف)، في تونس، وفداً رسمياً سويدياً، برئاسة وزير الدولة للشؤون الخارجية، بير شوري. وتركزت المباحثات بين الجانبين على أبعاد وأهمية مبادرة السلام الفلسطينية. وطالب القدومي حكومة السويد بالاستمرار في حثّ جميع الاطراف للموافقة على عقد المؤتمر الدولي. من جهته، اكد المسؤول السويدي مواقف حكومته المؤيدة لعقد هذا المؤتمر بمشاركة م.ت.ف. وأشاد بالجهود السلمية والخطوات العملية التي تقوم بها م.ت.ف. من اجل احلال السلام في منطقة الشرق الاوسط، ونددّ بالممارسات الاسرائيلية البشعة وأساليب قوات الاحتلال الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة (**الشرق الاوسط**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• صرح مسؤول بارز في السفارة السوفياتية في واشنطن، بأن الاتحاد السوفياتي لا يعارض، مبدئياً، رعاية سوفياتية ـ اميركية لمفاوضات سلمية بين العرب والاسرائيليين. ولم يرفض الدبلوماسي السوفياتي اقتراحاً طرحه مستشار عرفات للشؤون الاعلامية، بسام أبو شريف، حول نشر قوات اميركية في الاراضي المحتلة، بعد انسحاب اسرائيل منها، للاشراف على الانتخابات فيها. لكنه قال ان بلاده لا تزال تعتقد بأن مؤتمر السلام الدولي هو أفضل آلية لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي. ودعا الى الاسراع في التحضير لهذا المؤتمر. من جهة أخرى، نسب الى سفير الاتحاد السوفياتي في الولايات المتحدة الاميركية، يوري دوبرينين، قوله ان بلاده سوف تجدّد علاقاتها الدبلوماسية الكاملة مع اسرائيل «خطوة بعد خطوة»، مقابل التقدّم في عملية السلام (**القبس وعل همشمار**، ١٩٨٩/٣/٢٤).

• أفادت دائرة الزراعة في قطاع غزة بأنه تمّ تصدير ٧١ ألف طن من الحمضيات الغزيّة الى دول

أوروبا الغربية والشرقية، والدول العربية، ومصانع العصير الاسرائيلية (الدستور، ٢٤/٣/١٩٨٩).

٢٤/٣/١٩٨٩

• عقدت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. برئاسة ياسر عرفات، دورة اجتماعات في تونس، في الفترة ما بين ٢٣ و٢٥/٣/١٩٨٩، ناقشت، خلالها، قضايا وموضوعات عدة. واصدرت، في ختام اجتماعاتها، بياناً أشار الى انها تابعت التطورات داخل الاراضي المحتلة واشتداد حملات القمع والارهاب الاسرائيلية ضد سكانها، والذي ينطلق من السياسة العامة التي ما تزال تتمسّك بها اسرائيل، والقائمة على رفض مبادرة السلام الفلسطينية وتحدي الارادة الدولية. وأوضح البيان ان اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. اتخذت مجموعة من القرارات تهدف الى تنشيط التحرّك السياسي على الساحة الدولية، في أوساط الرأي العام وداخل هيئات ومنظمات الامم المتحدة، لدفعها الى اتخاذ اجراءات رادعة ضد الحكومة الاسرائيلية، واجبارها على الاستجابة لارادة المجتمع الدولي. من جهة أخرى، عبّرت اللجنة التنفيذية، في بيانها، عن اعتزازها بموقف جماهير الارض المحتلة الرافض لمشروع الحكم الذاتي (وفا، ٢٥/٣/١٩٨٩).

• استشهد مواطن فلسطيني واصيب العشرات بجروح خلال مصادمات وقعت في مناطق عدة في الاراضي المحتلة، وتركزت في مناطق رام الله والمغيّر والجلزون ومخيم الأمعري والخليل وبطّا والفوار والقدس وخان يونس وجباليا والبريج والنصيرات والشجاعية وبيت حانون، واحياء الشيخ رضوان والتفاح والدرج في غزة، وقرية بيت لاهيا. وامتدت الاشتباكات طيلة ٢٤ ساعة، تمكّنت خلالها القوات الفلسطينية الضاربة من تدمير واحراق سيارات عدة تابعة للقوات الاسرائيلية والمستوطنين. وذكرت مصادر فلسطينية ان الشاب مروان نايف حسين ابو تمام (١٩ عاماً)، من مخيم طولكرم، توفي متأثراً بجروح اصيب بها (القبس، ٢٥/٣/١٩٨٩).

• أبلغت السلطات العسكرية الاسرائيلية الى أهالي قرية دير ابو مشعل، قضاء رام الله، قرارها القاضي بمصادرة حوالى ٣٠٠ دونم من أراضي القرية الواقعة في منطقة الرشنية القريبة منها. وتعود ملكية هذه الاراضي، المزروعة بأشجار الزيتون والكرمة، الى عدد كبير من مواطني القرية، منهم صالح العبد ومصطفى حسين وشحادة زهران وحمدان ابراهيم وحسين عثمان (الدستور، ٢٥/٣/١٩٨٩).

• ذكر شهود عيان في مدينة نابلس ان ملثمين طلبوا من فلسطينيين بارزين في المدينة، تحت تهديد السلاح، ايقاف حوارهم مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية أو مواجهة احتمال التعرّض للاغتيال. وأكد نابلسيون ما جاء في صحيفة «جيروزاليم بوست» الاسرائيلية، من ان شباناً ينتمون الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أمروا شخصيات ورجال أعمال بالتوقف عن لقاء مسؤولين اسرائيليين ودبلوماسيين أجانب. وأكد رجل الاعمال سعيد كنعان ان شخصين، على الأقل، تلقّيا تهديداً، لكنه قال ان الامر تمّت تسويته (القبس، ٢٥/٣/١٩٨٩).

• ذكرت مصادر الشرطة الاسرائيلية ان احد ضباطها خرق قواعد العمل حين ارتدى ملابس مدنية وانتحل صفة صحافي. وأكد ذلك شريط مصوّر اعدته وكالة «فيزنيوز» ظهر فيه شرطيان اسرائيليان يرتديان ملابس مدنية داخل سيارة مستأجرة، وضعت على نوافذها لافتات كتب عليها بخط اليد «صحافة»، وكانت تسير داخل القدس الشرقية. واعتبر متحدث باسم الشرطة الحادث بأنه فردي، وان قائد الشرطة أمر باجراء تحقيق فيه. وقال المتحدث ان «خطأ كبيراً قد حدث. وهذه مشكلة تتعلق بقواعد التصرّف، ولا تتعلق بخرق القانون. انه أمر مرفوض» (القبس، ٢٥/٣/١٩٨٩).

• وافق أعضاء الكنيست من الحزبين الرئيسين، الليكود والعمل، على تخصيص مبلغ ١٩ مليون دولار ينفق على انشاء مستوطنات يهودية جديدة، ودعم مستوطنات أخرى قائمة، خلال السنة المالية التي تبدأ في مطلع نيسان (ابريل) ١٩٨٩. وكان رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، طالب بتخصيص مبلغ ٣٥ مليوناً، بينما لم يخصص وزير المالية زعيم العمل، شمعون بيرس، أية أموال في بادىء الأمر. وانتهى الكنيست الى اقرار المبلغ المشار اليه (الدستور، ٢٥/٣/١٩٨٩).

٢٥/٣/١٩٨٩

• عقد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، والرئيس المصري، حسني مبارك، وملك الاردن، حسين، اجتماع قمّة على متن يخت في بحيرة التمساح، في قناة السويس. وكان الرئيس مبارك

أجرى محادثات مع عرفات في مطار فايد، قبل استقبالهما الملك حسين؛ كما صحب مبارك عرفات في جولة بالسيارة على القاعدة الجوية في فايد. وقد تركزت محادثات القمة الثلاثية على تنسيق الموقف العربي من القضية الفلسطينية، قبيل زيارة مبارك للولايات المتحدة الاميركية ولقائه الرئيس الاميركي، جورج بوش، وزيارة الملك حسين لها، في وقت لاحق. واستعرض الزعماء الثلاثة نتائج جولة مبارك الاوروبية، ونتائج الجولة الثانية من الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، ودراسة الفرص المتاحة، راهناً، لعقد المؤتمر الدولي للسلام. وفي ختام مباحثاتهم، عقد الزعماء الثلاثة مؤتمراً صحافياً مشتركاً، اعلنوا خلاله ان محادثاتهم تناولت جهود ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، من خلال المؤتمر الدولي للسلام. وأكدوا ان هناك ايجابيات جديدة على الساحة الدولية. وجدد الرئيس مبارك والملك حسين تأييدهما الكامل لـ م.ت.ف. ورئيسها عرفات في جهود حل القضية الفلسطينية (**الشرق الاوسط**، ٢٦/٣/١٩٨٩).

• استقبل الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات. وصرّح عرفات، عقب المقابلة، بأنه اطلع الرئيس بن علي على التطورات الجارية على الساحة الفلسطينية، وعلى مناقشات القيادة الفلسطينية، مؤخراً، حول انتفاضة الشعب الفلسطيني، وأهمية تصعيدها لمواجهة العنف الخطير الذي قررته الحكومة الاسرائيلية. وأكد عرفات استمرار الانتفاضة حتى انهاء الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين. وأوضح انه اطلع الرئيس التونسي على مضمون الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، الذي تمّ، مؤخراً، في تونس، وعلى تصورات القيادة الفلسطينية لمتابعة هذا الحوار، الذي وصفه بأنه كان ايجابياً وجدياً (**الشرق الاوسط**، ٢٦/٣/١٩٨٩).

• استشهد الشابان أشرف حسن ابو جزر وعدلي ربيع (وكلاهما في العشرين من عمره) ومن مدينة خان يونس، خلال مواجهات عنيفة وضارية وقعت بين المواطنين، المسلّحين بالحجارة والزجاجات الحارقة والفارغة والعصي، وجنود الاحتلال الاسرائيلي الذين استخدموا الرصاص وقنابل الغاز لتفريق المتظاهرين الذين خرجوا على الرغم من حظر التجول الذي فرضته سلطات الاحتلال، لليوم السابع، على مخيمات الشاطىء والمغازي والبريج ودير البلح ورفح وجباليا، في قطاع غزة، وعلى حي الشيخ رضوان في غزة. وقد أصيب عشرات المواطنين بجروح خلال المصادمات، بينهم ٢٨ اصيبوا بالرصاص، منهم ١٣ في مدينة خان يونس ومخيمها، وثلاثة في مخيم رفح، وواحد في النصيرات، وأربعة في نابلس، وثلاثة في بيت لحم (**الدستور**، ٢٦/٣/١٩٨٩).

• قالت مصادر أمنية اسرائيلية، رفيعة المستوى، انه، في أعقاب تمويل نفقات الانتفاضة، اصيبت موازنة الجيش الاسرائيلي بعجز بلغ ٥٨٠ مليون شيكل. وكان الافتراض السائد في الجيش الاسرائيلي، ان تمويل الانتفاضة لن يستقطع من ميزانية الدفاع، وان الجيش سوف يحصل على تعويض بديل. والواقع ان المالية لم تعد الى الجيش هذه النفقات؛ كذلك فان الوعد بتغطية جزء من النفقات لم ينفّذ أيضاً (**هآرتس**، ٢٦/٣/١٩٨٩).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية الاسبق، مناحيم بيغن، لمناسبة مرور عشر سنوات على التوقيع على «اتفاق السلام» مع مصر: «من اجل انجاز السلام مع مصر قدّمنا تضحيات كبيرة؛ لكن، على الرغم من المصاعب القائمة، التي نأمل في التغلّب عليها، فان انجاز اقامة علاقات سلام هو انجاز ذو أهمية كبيرة» (**معاريف**، ٢٦/٣/١٩٨٩).

• دعا الرئيس المصري، حسني مبارك، اسرائيل الى الاستجابة «للظواهر الايجابية» التي برزت في مواقف الولايات المتحدة والمجموعة الاوروبية، وبشكل خاص قبول مبدأ «الارض مقابل السلام»، والتي تلقى، أيضاً، قبولاً من جانب الملك حسين وياسر عرفات، اللذين التقاهما مبارك في الاسماعيلية (**هآرتس**، ٢٦/٣/١٩٨٩).

٢٦/٣/١٩٨٩

• فرضت قوات الاحتلال الاسرائيلي حظر التجول على عدد من مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، ووجّهت تحذيرات طاولت الكنائس بصورة خاصة، حيث هددت السلطات المصلّين بالاعتقال في حال حدوث تظاهرات. وذكرت مصادر ان مناطق نابلس وجنين وبيت ساحور ورام الله شهدت صدامات واشتباكات وصفت بأنها الاعنف خلال هذا الشهر، وكانت حصيلتها اصابة ٥٠ مواطناً بجروح، واعتقال ٦٠ آخرين، في حين تمكّن مواطنون من تحطيم حوالى ٣٠ سيارة وحافلة للعدو (**الدستور**، ٢٧/٣/١٩٨٩).

• ذكرت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية ان مراسلها في القدس سمع، قبل بضعة شهور، من رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، تفاصيل مشروع سلام اسرائيلي، يشمل اقامة حكومة كونفدرالية في القدس، تُمنح، على الاقل، جزءاً من السيادة على المناطق المحتلة، وتوزع العضوية فيها بين الاسرائيليين والاردنيين والفلسطينيين. ووصف شامير المشروع بأنه «تغيير ثوري تقريباً». ووفقاً لهذا المشروع، ينتخب سكان المناطق المحتلة قيادة من ثلاثة مستويات: رؤساء بلديات ومجالس محلية وممثلين لبرلمان فيدرالي في عمّان، وممثلين في حكومة كونفدرالية يحق فيها لواحد من المشاركين الثلاثة استخدام حق النقض (الفيتو) على القرارات (دافار، ٢٧/٣/١٩٨٩).

• أفادت مصادر اسرائيلية بأن رئيس «الادارة المدنية» في قطاع غزة اجتمع، قبل حوالى اسبوعين، مع اثنتي عشرة شخصية من رؤساء اللجان الشعبية في غزة وبحث معهم في مشروع رابين السياسي، الخاص باجراء انتخابات، وتهدئة الاوضاع في القطاع، بشكل يمكّن من تقليص قوات الجيش، وكذلك تقليص الاحتكاك بالأهالي (عل همشمار، ٢٧/٣/١٩٨٩).

• قال القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير المالية، شمعون بيرس، انه ينبغي على اسرائيل التطلّع نحو حل سياسي، اذا كانت ترغب في التوصل الى نمو متجدد للاقتصاد. وحسب أقواله، فان الميزانيات الضخمة المخصصة للامن هي بمثابة حجر الرحى الرابض على عنق اقتصاد اسرائيل، وتحول دون انجاز استقلال اقتصادي (دافار، ٢٧/٣/١٩٨٩).

• أكد الرئيس الاميركي، جورج بوش، انه لن يستعمل «عصا» المساعدات الاميركية لاسرائيل لدفعها الى تبديل موقفها، قائلاً: «لا احب استعمال العصا مع الاصدقاء»؛ وأضاف: «ان اسرائيل صديق وحليف استراتيجي؛ وعليه، فانني لا اتحدث عن استعمال العصا، وانما لنفكر بعقلانية حول ما يجب ان نفعله لتحريك عملية السلام في الشرق الاوسط» (نيويورك تايمز، ٢٧/٣/١٩٨٩). من جهة أخرى، صرّح بوش، في بيان القاه في منتجعه في كامب ديفيد، ان اجراء مفاوضات على أساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ يمكن ان يصبح أساس سلام عادل ودائم. وأضاف بوش، في بيانه، بمناسبة مرور عشر سنوات على ابرام اتفاقية السلام المصرية ـ الاسرائيلية، ان معاهدة السلام بين مصر واسرائيل يمكن ان تكون أساساً لاحلال سلام دائم وأوسع نطاقاً في الشرق الاوسط. وأوضح انه لا تزال في المنطقة عداوات راسخة، ومخاوف أمنية مشروعة، تحيط بالجهود التي تبذل لتحقيق السلام (الاهرام، ٢٧/٣/١٩٨٩).

• أعلنت رئيسة وزراء بريطانيا، مارغريت تاتشر، ان المؤتمر الدولي للسلام هو أفضل اطار لمفاوضات الشرق الاوسط. وأكدت ان المفاوضات ينبغي ان تؤدي الى نتيجة ايجابية، لأنه لا مجال لتقبّل الفشل. وشدّدت تاتشر، التي أدلت بحديث لوكالة الانباء المغربية، بمناسبة زيارتها للمغرب ضمن جولة افريقية، على ضرورة اشتراك الفلسطينيين في مفاوضات السلام؛ وأشادت بالتصريحات الفلسطينية الاخيرة التي نبذت الارهاب وقبلت بحق اسرائيل في الوجود؛ وأكدت ان قضية الشرق الاوسط دخلت منعطفاً حاسماً (الاهرام، ٢٧/٣/١٩٨٩).

• قال الرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر: «اعتقد بأننا لم نغتنم الفرصة التي أُتيحت في الشرق الاوسط منذ ثمان سنوات كي تلعب الولايات المتحدة دورها كوسيط لحل أزمة المنطقة»، وأضاف: «امّا الآن، فان على ادارة الرئيس جورج بوش ان تأخذ على عاتقها افهام العالم، وزعماء الشرق الاوسط، ان لا بديل من دورها كوسيط بين الاطراف المتنازعة في المنطقة» (نيويورك تايمز، ٢٧/٣/١٩٨٩).

٢٧/٣/١٩٨٩

• شلّ اضراب عام حركة النقل والمواصلات في الارض المحتلة؛ وأُغلقت المحال التجارية استجابة لنداء القيادة الوطنية الموحّدة الرقم ٣٦، الذي طالب باعلان هذا اليوم «يوم العودة الى الارض»، وحثّ المواطنين على التوجه الى الارض، وحرثها، واستصلاح التربة، وزرعها. وقد دارت اشتباكات عنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال أسفرت عن استشهاد الطفل أمجد مصطفى ناصر (أربع سنوات)، اثر اصابته برصاصة في قريته بيت قاد، شمال جنين؛ ويعتبر ناصر ثاني أصغر شهداء الانتفاضة سناً. كما أصيب أكثر من ٤٥ فلسطينياً بجروح، فيما واصلت سلطات الاحتلال فرض حظر التجول على مخيم جباليا وحي الشيخ رضوان في غزة، لليوم العاشر، وعلى مخيم الشاطىء والبريج ومدينتي رفح وخان يونس

وبلدة قبـاطيـة (وفـا، ١٩٨٩/٣/٢٧؛ والدستـور، ١٩٨٩/٣/٢٨). وفي بيانها الرقم ٣٧، دعت القيادة الوطنيـة المـوحـدة جمـاهير الانتفاضة الى الاضراب الشامل، بتاريخ ٣٠ آذار (مارس)، احياء لذكرى «يوم الارض»، والى التـعـبـيـر عن الغـضب الشعبي على الاحتـلال بالتـظاهرات العامّة. وأكد النداء، مجدداً، ضرورة ان يعلن الفلسـطينيـون الذين يشـاركون في اللقـاءات مع ممـثـلي سلطات الاحتـلال تمسّكهم بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، وبالحقوق الوطنية الفلسطينية في تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة. وحـذّر النـداء من الاكتفاء بالمطالب الحيـاتية، التي يحاول ممثلو الاحتلال الترويج لها، وأوضح ان العيش بسلام لا يمكن ان يتحقق الاّ بزوال الاحتلال (الاتحاد، ١٩٨٩/٣/٢٨).

• قال وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، في جلسة ادارة مكتب وزارة الخارجية، ان «الصدع، أو النزاع، في العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل امر غير ممكن في الظروف كافة، إذ توجد قاعدة للاتفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة، وليس هناك أي مصداقية للانباء الصحافية التي تتحدث عن أزمة في العلاقات». وأكد ارنس انه تمّ التوصل، خلال محادثاته في الولايات المتحـدة، الى اتفـاق حول ضرورة اجـراء مفاوضات مبـاشرة، لا مفـاوضـات في اطار مؤتـمـر دولي، وكـذلك اتفـاق على اجـراء اتصـالات مع الأهـالي في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (عل همشمار، ١٩٨٩/٣/٢٨).

• قال احد المعتقلين الذين افرج عنهم من معتقل كتسعيوت (انصار ـ ٣) ان وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابـين، أخـذ يلتقي، شهـرياً، مع اعضاء في «اللجان الشعبية» من المعتقلين في المعتقل ابتداء من كانـون الاول (ديسمبـر) المـاضي، محاولاً اقناعهم بتشكيـل قيـادة بديلة من م.ت.ف. وقـد اجتمع على انـفـراد مع انـصـار المـجمـوعـات المختلفـة في م.ت.ف. وكذلك مع رجال من «حماس» (عل همشمار، ١٩٨٩/٣/٢٨).

• طالب وزيـر التجـارة والصنـاعة الاسرائيلي، اريئيل شارون، الذي تحدث الى لجنة الخارجية والامن التـابعـة لليكـود، باستقـالة، أو اقالة، وزير الدفاع الاسرائيـلي، اسحق رابين. وانتقد شارون تصريحات لرابين، قال فيها ان الحل السياسي يستطيع وضع حدّ للانتفـاضـة، وقـال: «ان من يقول، اليوم، ان هناك حلاً سياسياً فقط، فهو كمن يقول انه لا يملك القدرة [عـلى ايقـاف الانتفاضة] ولا يعلم كيف يقوم بذلك، وعليـه اخلاء المكان، اذ يجب اعادة الامن الى حياة اليهود» (عل همشمار، ١٩٨٩/٣/٢٨).

١٩٨٩/٣/٢٨

• استقبل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في تونس، وفداً حكومياً أفغانياً، برئاسة عضو المكتب السياسي مسؤول العلاقات الخارجية في حزب الشعب الديمقراطي الافغاني نائب الامين العام للحـزب، نجم الدين كاوياني، وعضوية عضو المكتب السياسي وزير القبائل والحدود، سليمان لائق، وعضو اللجنـة المـركـزيـة للحـزب، طاهر نسيم. ونقل الوفد الافغـاني رسـالة الى عرفـات من رئيس جمهـوريـة افغانستان، نجيب الله، ثمّن فيها الجهود الفلسطينية لحل الأزمة الافغانية واجراء المصالحة الوطنية. وشرح الوفـد لعـرفـات الاوضـاع السيـاسية والاقتصادية والعسكرية في افغانستان. من جهته، وعد عرفات الوفد الافغـاني باستمرار الجهود الفلسطينية لحل الازمة الافغانية، وشرح له الوضع على الساحة الفلسطينية (وفا، ١٩٨٩/٣/٢٨).

• وقعت اشتبـاكـات متفرقة في عدد من مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، أصيب خلالها الشاب نضـال عاشور (١٨ عاماً)، من سكان مخيم عسكر، برصـاصـة في الصـدر. ووصف مراقبون الوضع في المناطق المحتلة بأنه هادىء نسبياً، لكنه مفعم بالتوتر، خصوصاً وانه يأتي في أعقاب تظاهرات عارمة وأعمال وحشيـة ويسبق «يـوم الارض» في الثـلاثين من آذار (مـارس). من جهة أخرى، أبقى الجيش الاسرائيلي حظر التجول مفروضاً على حي الشيخ رضوان، في غزة، ومخيمات البريج ورفح والمغازي وجباليا، لليوم الحادي عشر على التـوالي. وذكـرت الاذاعـة الاسرائيلية، ان الجيش الاسرائيـلي يستعـد لاعلان الاراضي المحتلة مناطق عسكرية مغلقة، تحسباً لـ «يوم الارض»، وان خمسة آلاف جندي، تدعمهم طائرات عمودية، سوف ينـتشرون في الوسـط العـربي في اسرائيـل (وفـا، ١٩٨٩/٣/٢٨، والقبس، ١٩٨٩/٣/٢٩). وفي هذا السيـاق، قررت قوات الاحتـلال غلق مناطق الضفة الفلسـطينيـة في «يـوم الارض» في وجـه حركة عبور السكـان العرب الى داخل «الخط الاخضر». ويستمر غلق المنـاطق لمدة ٢٤ ساعـة. أمّا في الضفة الفلسطينية،

فيسمح بحرية التنقل، باستثناء داخل مدن طولكرم وجنين ومخيمات اللاجئين الواقعة في ضواحيها، والتي تخضع لحظر التجول منذ الصباح. امّا غزة، فتكون خاضعة، بالكامل، لحظر التجول (**يديعوت احرونوت**، ١٩٨٩/٣/٢٩).

• وصف مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية لشؤون الاعلام، آفي بزنر، بيان قصر الاليزيه، في باريس، حول اللقاء المخطط له بين الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، وبين زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، في باريس، بأنه «اخبار سيئة لمسار السلام في منطقة الشرق الاوسط» حسب زعمه. وقد قرّر ميتران عقد لقائه بزعيم م.ت.ف. على الارض الفرنسية. ويعتبر قرار ميتران بمثابة ضربة لجهود رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ووزير خارجيته، موشي ارنس. وكان كل من شامير وارنس قد بذل جهوداً شخصية، في اثناء لقائهما مع ميتران، للتأثير عليه، كي لا يلتقي عرفات في باريس، او في اي مكان آخر (**يديعوت احرونوت**، ١٩٨٩/٣/٢٩).

• أفادت مصادر مطلعة بأن اسرائيل سوف تكشف قدرتها الاستعدادية ضد الحرب الكيميائية، في المؤتمر والمعرض الذي سيقام في السويد، خلال شهر حزيران (يونيو) المقبل. وهذه هي المرة الاولى التي تشارك فيها اسرائيل في معرض وسائل الدفاع ضد الحرب الكيميائية. وحتى الآن، اعتاد ممثلو اسرائيل على المشاركة في المؤتمر الذي يبحث في هذا الموضوع دون المشاركة في المعرض (**يديعوت احرونوت**، ١٩٨٩/٣/٢٩).

• قال وزير الخارجية الاميركية، ان الولايات المتحدة لم تطلب من م.ت.ف. في جولة الحوار الثانية، ايقاف الانتفاضة. ووصف الجولة «بأنها جيدة»، وقال: «اعتقد بأنهم [أي المنظمة] يفهمون النقاط التي نعرضها». وأضاف، ان الخطوة المقبلة المطلوبة من م.ت.ف. هي «خفض التوتر وتحسين الاجواء»، لتغيير الوضع القائم بين الاسرائيليين والفلسطينيين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، والمساعدة على «تمهيد الطريق» لنوع من المفاوضات (**نيويورك تايمز**، ١٩٨٩/٣/٢٩).

• اكد المؤتمر الحادي والثمانون لاتحاد البرلمانيين الدولي، الذي عقد في بودابست، مؤخراً، ان تحقيق تسوية سلمية عادلة، ودائمة، في الشرق الاوسط يجب ان يرتكز على الحق غير القابل للتصرف للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، بما فيه الحق في اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة فوق التراب الفلسطيني. وجاء في القرارات الصادرة عن المؤتمر تأكيده ان السلام في الشرق الاوسط سوف يمثّل مساهمة هامّة في تعزيز الامن والسلام الدوليين، وان الفرصة باتت مؤاتية، الآن، للتقدم نحو ذلك الهدف. ولاحظ المؤتمر، بارتياح كبير، التغيّر في موقف الجانب الفلسطيني، الذي طرأ في أعقاب اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني، في الجزائر، ما بين ١٢ ـ ١٥/١١/١٩٨٨، وتصريحات زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، في ستراسبورغ، وستوكهولم، وبودابست، معرباً عن خيبة أمله العميقة من الاستجابة السلبية للزعماء الاسرائيليين تجاه مبادرات السلام الفلسطينية وقلقه من الوضع في الاراضي المحتلة (**وفا**، ١٩٨٩/٣/٢٩).

١٩٨٩/٣/٢٩

• حوّلت قوات ضخمة من جيش الاحتلال الاراضي المحتلة الى سجن كبير، بعد ان فرضت حظر التجول على حوالى مليون فلسطيني، فشمل جميع انحاء قطاع غزة وعدداً كبيراً من مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية. ومنعت سلطات الاحتلال المواطنين من مغادرة الضفة والقطاع لمدة أربع وعشرين ساعة، اللتين اعلنتا مناطق عسكرية مغلقة عشية الذكرى السنوية لـ «يوم الارض». وفي غضون ذلك، تواصلت المواجهات بين المواطنين وقوات الاحتلال، واصيب عدد من المواطنين بالرصاص، واستشهد اثنان، هما رشاد البكري، من مدينة الخليل، الذي توفي متأثراً بجراح اصيب بها بتاريخ ١٤/٣/١٩٨٩، وعادل جميل احمد سليمان (١٩ عاماً)، من بلدة سالم، وتوفي اثر اصابته بجروح، جرّاء تعرّضه للضرب على أيدي جنود اسرائيليين (**الاتحاد والدستور**، ٣٠/٣/١٩٨٩).

• ذكر ضباط اسرائيليون ان اكثر من خمسة آلاف فدائي فلسطيني يرابطون، حالياً، في جنوب لبنان، وانهم قد يشكلون خطراً على اسرائيل من جهتها الشمالية. واضافوا ان ما بين ٦٠٠ و٧٠٠ فدائي، من هؤلاء، يتمركزون في المخيمات القريبة من مدينة صور. وتزامنت هذه المعلومات مع تصريح لوزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، قال فيه انه لم يكن

لدى اسرائيل أي سبب، خلال الشهور الستة الماضية، لمهاجمة مواقع «فتح» في لبنان (القبس، ١٩٨٩/٣/٣٠).

• ذكرت مصادر أميركية مسؤولة ان مصر أبلغت الى الحكومة الاميركية انها ترى ان الظروف غير مهيأة، في الوقت الحاضر، لعقد لقاء، في واشنطن، بين الرئيس حسني مبارك، ورئيس وزراء اسرائيل، اسحق شامير (الاهرام، ١٩٨٩/٣/٣٠).

• قال الرئيس الاميركي، جورج بوش، ان اتفاقيتي كامب ديفيد «كانتا خطوة في الاتجاه الصحيح». وذكر انه، على الرغم من ذلك، «فالقتل مستمر»، مؤكداً، «ان للولايات المتحدة دوراً هاماً تلعبه هناك»، وأضاف: «نحن الدولة الوحيدة التي تستطيع ان تكون عاملاً مساعداً لتحقيق السلام في الشرق الاوسط» (انترناشونال هيرالد تريبيون، ١٩٨٩/٣/٣٠).

• قال ثلاثة أعضاء من مجلس الشيوخ الاميركي، يقومون بجولة على منطقة الشرق الاوسط، ان م.ت.ف. تسجّل النقاط على صعيد الرأي العام الاميركي، بينما ترتسم اسرائيل كدولة تمارس العنف، وسلبية، ومتبجحة. لهذا، ينبغي على اسرائيل ان توضح انها تتخذ موقفاً سلمياً، وبهذا فقط تستطيع تغيير الصورة الضارّة. وقد التقى الثلاثة رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، والقائم بأعماله وزير المالية، شمعون بيرس، وعبروا لهما عن «قلقهم ازاء صورة اسرائيل لدى الرأي العام الاميركي». وقال شامير لهم انه يدرك هذه المشكلة، غير ان مصالح اسرائيل أهمّ بكثير من العلاقات العامة (دافار، ١٩٨٩/٣/٣٠).

• ذكرت مجلة «جينز ديفنس ويكلي»، في عددها الاخير، «ان شراء الصواريخ المتطوّرة بعيدة المدى التي تستطيع حمل رؤوس نووية، من قبل ايران ودول عربية اخرى، في الآونة الاخيرة، ومحاولة تطوير صناعة مستقلة للصواريخ في بعض الدول العربية، تهدد بزعزعة التفوّق التكنولوجي الاسرائيلي، وبشكل خاص التفوّق الجوي. وهذا التهديد يلزم اسرائيل بالتفكير في احداث تغييرات أساسية تستند الى تكنولوجية «حرب النجوم» في استراتيجيتها العسكرية (دافار، ١٩٨٩/٣/٣٠).

• اجتمع سفير اسرائيل في باريس، عوفاديا يوسف، بناء لطلبه، بوزير الخارجية الفرنسية، رولان دوما، وعبّر له عن استياء اسرائيل من مشروع اللقاء بين الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، والزعيم الفلسطيني، ياسر عرفات. مع هذا، اكدت مصادر اسرائيلية ان خطوة السفير لا تشكل احتجاجاً رسمياً (دافار، ١٩٨٩/٣/٣٠).

١٩٨٩/٣/٣٠

• دعت القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة، في بيانها الرقم ٣٧، المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة الى مقاطعة الحوارات واللقاءات الرسمية، وغير الرسمية، مع مسؤولين اسرائيليين. واكد بيان القيادة الموحدة أهمية التوقف عن المشاركة في هذه اللقاءات «التي تقوم سلطات الحكم العسكري والادارة المدنية بالدعوة اليها، في محاولة يائسة لتجميل وجه الاحتلال البشع، ولامتصاص نقمة جماهيرنا الغاضبة، وسعياً منهم وراء وهم ايجاد البدائل من الممثل الذي أفرزه التاريخ وعمّدته المعاناة والتضحيات، قائد نضالنا م.ت.ف.». ودعا البيان الى احياء ذكرى « يوم الارض ـ يوم المواجهة والتحدي والدفاع عن أرضنا الفلسطينية... الذي تجلّت وتتجلّى فيه وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة أرضه أينما وجد». وطالب البيان المواطنين الالتزام بالحسومات المتدرجة لايجارات العقارات والمنازل، وتحريم التسويق والاتجار بالبضائع الاسرائيلية التي توجد بدائل منها، وتحريم العمل في المستوطنات الصهيونية، واستباحة أملاك من لم يستقل من العاملين في أجهزة الادارة المدنية. وكلّفت القيادة الموحّدة القوى الضاربة العمل لمصادرة وحرق كشوفات الضريبة وغلق مكاتب المحاسبين الذين يقومون بأعمال تخليص الضرائب (وفا، ١٩٨٩/٣/٣٠). من جهة أخرى، ساد الاضراب العام والشامل في سائر المناطق المحتلة استجابة لنداء القيادة الوطنية الموحدة بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لـ «يوم الارض»؛ فتوقفت حركة المواصلات وأُغلقت المحال التجارية والمؤسسات الخاصة والعامة، فيما فرضت سلطات الاحتلال الاسرائيلي حظر التجوّل على قطاع غزة بأكمله، وبعض مناطق الضفة الفلسطينية، وأعلنت أخرى مناطق عسكرية مغلقة. وانتشرت قوات الجيش وقوات حرس الحدود بكثافة في مدن الضفة والقطاع؛ كما انتشر حوالى ستة آلاف شرطي وجندي اسرائيلي حول مدن وقرى الجليل والمثلّث والنقب. وقد وقعت تظاهرات

وصدامات متفرقة، أسفرت عن استشهاد عدد من المواطنين، عرف منهم أكرم سيف الدين عيسى الشرفا (١٧ عاماً)، من شويكة، ومحمد منصور عبدربه (٢٣ عاماً)، من قرية الجيب، قضاء القدس، ونصر خالد نصر (٢٤ عاماً)، من مخيم جباليا. وكانت بلدة سلفيت شهدت مواجهات الليلة قبل الماضية، سقط خلالها الشاب عبدالمنعم يوسف عبدالله (٢٠ عاماً) شهيداً؛ كذلك استشهد الشاب عبدالعزيز ناجي عبدالله عبيد (٣٤ عاماً)، اثر انفجار عبوة ناسفة في منزل يقع في حي الدوحة، في بيت جالا (**وفا**، ٣٠/٣/١٩٨٩ و**الاتحاد**، ٣١/٣/١٩٨٩).

• تقرر في المشاورات التي أُجريت بين رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ووزير خارجيته، موشي ارنس، ان يرافق رئيس الحكومة في زيارته المرتقبة لواشنطن نائب وزير الخارجية، بنيامين نتنياهو. وكان شامير طلب من ارنس مرافقته، غير ان ارنس فضّل عدم الذهاب، حالياً، الى الولايات المتحدة، وأوصى بضمّ نتنياهو الى الوفد. وكانت مصادر اميركية ألمحت، في الأونة الاخيرة، الى ان الادارة الاميركية تعلّق أهمية كبرى على انضمام ارنس الى الوفد المرافق لشامير في زيارته لواشنطن (**دافار**، ٣١/٣/١٩٨٩).

• أعلن القائم بأعمال رئيس الحكومة الهنغارية، بينر ماغشي، عن بدء اتصالات، سوف تتواصل، بين ممثلين من اسرائيل وهنغاريا، من اجل السير قدماً بالعلاقات الدبلوماسية. وفي لقائه بصحافيين من اسرائيل، قال ماغشي، ان المحادثات سوف تبدأ في أقرب وقت ممكن، وان هنغاريا لا تضع شروطاً مسبقة، على الرغم من ان ايماءة ايجابية من جانب اسرائيل تسهل اقامة العلاقات الدبلوماسية (**دافار**، ٣١/٣/١٩٨٩).

• أعلن القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير المالية، شمعون بيرس، انه ليس في نيّة حزب العمل نسف مهمّة رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في واشنطن. وقال: «ان السلام الذي يحظى بتأييد الحزبين أفضل من السلام المدعوم من قبل حزب واحد» (**عل همشمار**، ٣١/٣/١٩٨٩).

• طالبت الولايات المتحدة اسرائيل بسحب معظم قواتها العسكرية من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، والتخلي عن استعمال السلاح لوضع حدّ للانتفاضة هناك. وفي الوقت عينه، طالبت واشنطن م.ت.ف. باستخدام نفوذها في الاراضي المحتلة، لمنع السكان من مواصلة رمي الحجارة على السيارات الاسرائيلية. هذه الاقتراحات قدمت الى الطرفين، استناداً الى مسؤولين دبلوماسيين في الادارة الاميركية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٣١/٣/١٩٨٩).

• قال نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، بنيامين نتنياهو، ان الاتحاد السوفياتي يوشك على السماح لمئة ألف يهودي بالهجرة من البلاد. وصرح نتنياهو قائلاً لممثلي الصندوق الوطني اليهودي الاميركي، وهي هيئة تقوم بجمع الهبات لاسرائيل: «لقد أصبحنا عشية رحيل جماعي، ويمكننا توقّع موجة هجرة ستعطي لاسرائيل فرصة فريدة للاندفاع نحو القرن الحادي والعشرين مع استعادة حيويتها» (**الدستور**، ٣١/٣/١٩٨٩).

• أثار الاعلان الفرنسي عن لقاء قريب بين رئيس الجمهورية الفرنسية، فرانسوا ميتران، ورئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، ردود فعل عنيفة في الاوساط الصهيونية في فرنسا، التي تسعى الى الحؤول دون عقد هذا اللقاء، أو، على الاقل، دفع ميتران الى تقديم ثمن سياسي مرتفع لاسرائيل. في هذا الصدد، صرّح رئيس المجلس التمثيلي للتنظيمات اليهودية في فرنسا، ديوكلان، ان الطوائف اليهودية ستفعل كل ما في وسعها للحؤول دون اتمام هذا اللقاء. ولكن من المستبعد ان تؤثر هذه الضغوط في قرار الرئيس الفرنسي، خصوصاً وان ضغوطاً مماثلة كانت شنّتها السفارة الاسرائيلية خلال زيارة عرفات لستراسبورغ، وأدّت الى نتائج عكسية، والى تذمّر الرئيس ميتران، الذي اعتبرها تدخلاً في الشؤون الداخلية الفرنسية (**الشرق الاوسط**، ٣١/٣/١٩٨٩).

١٩٨٩/٣/٣١

• أصيب حوالى ١٢٠ مواطناً فلسطينياً بجروح، واعتقل حوالى سبعة آخرين، وتعرّض ٥٩ طفلاً وطفلة للاختناق والضرب المبرح، واقتحم الجنود الاسرائيليون منازل لمواطنين في ستة مناطق، على الأقل، خلال الاشتباكات التي دارت بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلي في مناطق متفرقة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فيما تواصل فرض حظر التجول على معظم انحاء قطاع غزة. وذكر أن ١٨ فلسطينياً من بين الجرحى اصيبوا بالرصاص خلال المواجهات التي وقعت ليل الخميس / الجمعة، في

الضفة الفلسطينية، التي عزلها الاحتلال عشية «يوم الارض». من جهة اخرى، اعترفت مصادر اسرائيلية بانفجار قنبلة في مستعمرة بيتح تكفا، وصفت بأنها ذات مفعول ضعيف، ولم يسفر عنها أية خسائر (الدستور، ١/٤/١٩٨٩).

• صرّح عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، صلاح خلف (ابو اياد)، بأن مسؤولية اسرائيل عمّا يجرى في لبنان، «تأتي في الدرجة الثانية». ففي حديث الى صحيفة «الحياة» التي تصدر في لندن، انتقد خلف دور سوريا في لبنان، وقال: «ان العماد ميشال عون رجل لبناني وطني كان بالامكان الاستفادة منه لوحدة لبنان، وليس حشره». وأضاف خلف ان ما يجرى في لبنان جريمة وفضيحة لسوريا (الحياة، ١ ـ ٢/٤/١٩٨٩).

• وعد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، المقرّبين منه، بأنه سوف يرفض أي طلب اميركي لايقاف الاستيطان في المناطق المحتلة، وبأن يوضح للادارة الاميركية ان ليس هناك أي علاقة بين مسار السلام وبين اقامة المستوطنات، التي سوف تقرر اقامتها وفقاً للاتفاق الائتلافي (معاريف، ١/٤/١٩٨٩).

• أظهر استطلاع للرأي نشر مؤخراً ان ثلثي الاسرائيليين يحبذون اجراء محادثات مع م.ت.ف. «اذا اعترفت بحق اسرائيل في العيش [ضمن] حدود آمنة، واوقفت العمليات الفدائية». واتضح من الاستطلاع، الذي أُجري لحساب حركة «السلام الآن» الاسرائيلية، ان ٦٦ بالمئة ممّن شملهم الاستطلاع يؤيدون التفاوض مع م.ت.ف. على أساس هذين الشرطين، في حين أيّد ٢٨ بالمئة منهم رفض شامير اجراء مفاوضات مع المنظمة تحت أي ظروف (الدستور، ١/٤/١٩٨٩).

• نقل سفير اسرائيل لدى فرنسا، عوفاديا سوفير، الى الحكومة الفرنسية «مشاعر الحكومة الاسرائيلية»، اثر اعلان قصر الاليزيه الثلاثاء موعداً للقاء المقبل، في فرنسا، بين الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، ورئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات. وكان وزير الخارجية الفرنسية، رولان دوما، استقبل سوفير، بناء لطلب الاخير، الذي ذكر ان اللقاء «يندرج في اطار الاتصالات المعهودة والدورية» مع وزارة الخارجية الفرنسية. وكانت الحكومة الاسرائيلية أعربت عن الدهشة وخيبة الأمل، بعد اعلان الاليزيه عن لقاء ميتران ـ عرفات، زاعمة انه «خبر سيىء للسلام في الشرق الاوسط» (الحياة، ١ ـ ٢/٤/١٩٨٩).

• أُصدر في كل من القاهرة والرياض بيان مصري ـ سعودي مشترك، في أعقاب زيارة قام بها الملك فهد بن عبدالعزيز الى القاهرة استمرت خمسة أيام، أجرى خلالها جولات من المباحثات في العاصمة المصرية وفي كل من الاسماعيلية والاسكندرية، تناولت القضايا العربية والدولية والعلاقات الثنائية بين مصر والسعودية. وقد أشاد البيان المشترك بالجهود التي تبذلها السعودية لتنقية الاجواء العربية، ودعم التضامن، ونصرة القضايا العربية والاسلامية العادلة. وأكد الجانب السعودي ان وجود مصر داخل المجموعة العربية لا غنى عنه للعمل العربي المشترك الفعّال. ودعا البيان الى عقد المؤتمر الدولي للسلام، باعتباره الصيغة المقبولة من المجتمع الدولي لتحقيق السلام الدائم والعادل والشامل في الشرق الاوسط (الاهرام، ١/٤/١٩٨٩).

١/٤/١٩٨٩

• استشهد المواطن، عوض فرح عمرو (٢٣ عاماً) متأثراً بجروحه، اثر اصابته برصاصة اطلقها مستوطن يهودي قرب مستشفى «عالية» في الخليل، في «يوم الارض»؛ كما استشهد أكرم مصطفى قاسم حميدة (الياسيني) (٢٣ عاماً)، اثر اصابته برصاصة في القلب، أطلقها ضابط اسرائيلي في بلدة العيزرية. وبذلك بلغ عدد شهداء «يوم الارض»، في الذكرى الثالثة عشرة، ستة. من جهة أخرى، واصلت سلطات الاحتلال فرض حظر التجوّل على ستة مخيمات، من أصل ثمانية، في قطاع غزة، وعلى حي الشيخ رضوان في المدينة، ومشروع بيت لاهيا. أمّا في الضفة الفلسطينية، فقد وقعت تظاهرات احتجاج في احياء الثوري وسلوان في القدس، واجهتها قوات الاحتلال باطلاق النار، فأصابت ثلاثة فلسطينيين بجروح. وفي الوقت عينه، شهدت نابلس صدامات واسعة استخدم جنود الاحتلال، خلالها، الهراوات وأعقاب البنادق في ضرب المواطنين (وفا، ١/٤/١٩٨٩ والاتحاد، ٢/٤/١٩٨٩).

• قتل جنود اسرائيليون فدائيين شمال «حزام الامن» في جنوب لبنان، خلال قيام دورية اسرائيلية بأعمال المراقبة خارج حدود الحزام. وطبقاً لمصدر

عسكري اسرائيلي، فقد قتل، خلال الشهور الاخيرة، ٣١ فدائياً، وأُلقي القبض على اثنين، وقتل، كذلك، سبعة آخرون على أيدي قوات جيش جنوب لبنان. وقد وقع الاشتباك شمال قرية شحيم في القطاع الغربي، في منطقة جبلية وعرة (معاريف، ٢/٤/١٩٨٩).

• عثر محققو شرطة لواء الجليل على كميات كبيرة من مواد الدعاية والاعلام حول م.ت.ف. منها نسخ من الميثاق الوطني الفلسطيني، وأربعة اعلام فلسطينية، ورزمة كبيرة من الكتب وكتيِّبات الانتفاضة وحول اهداف م.ت.ف. وقد عثر عليها بحوزة مجموعة مؤلفة من عشرين شخصاً ينتمون الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي، جاءوا، بصورة منظمة، الى المهرجان المركزي لـ «يوم الارض» في قرية دير حنّا، يوم الخميس الماضي (معاريف، ٢/٤/١٩٨٩).

• أفادت مصادر مطلعة بأن رئيس «الادارة المدنية» في قطاع غزة، العميد آرييه شيغمان، عقد خلال «يوم الارض»، لقاءين مع معتقلين اداريين سابقاً في غزة وفي دير البلح. تمّ اللقاء الاول مع ١٣ ممّن اعتقلوا سابقاً من الشجاعية وحي التفاح ومنطقة الرمال في غزة؛ أمّا اللقاء الثاني، فتمّ مع ٤٠ معتقلاً ادارياً سابقاً، من دير البلح. وقد استمع رئيس «الادارة المدنية» لآراء المعتقلين السياسية، الذين طالبوه بالغاء بطاقات الهوية الخضراء التي حصلوا عليها بعد الافراج عنهم. وهي البطاقات التي تمنعهم من مغادرة قطاع غزة للعمل في اسرائيل (هآرتس، ٢/٤/١٩٨٩).

• وجّه وزراء خارجية دول الشمال الخمس (الدنمارك والنرويج والسويد وفنلندا وايسلندا)، امس الاول، نداء ملحّاً الى اسرائيل يطالبونها «بالاستجابة، بسرعة وبشكل بنّاء، لموقف م.ت.ف. الايجابي، بغية بدء حوار مباشر مع المنظمة، وايجاد حل عادل لنزاع الشرق الاوسط». ودعت الدول الخمس، في مؤتمر صحافي عقد في أعقاب اجتماعها نصف السنوي في تورشامن، عاصمة جزر فيرويه (المقاطعة الدنماركية التي تتمتع بحكم ذاتي)، الى عقد مؤتمر دولي للسلام في المنطقة برعاية الامم المتحدة؛ وأعربت عن قلقها ازاء استمرار اعمال القمع التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في المناطق الفلسطينية المحتلة (الاتحاد، ٢/٤/١٩٨٩).

٢/٤/١٩٨٩

• أصيب ٤٥ مواطناً فلسطينياً، على الاقل، خلال المصادمات التي تواصلت في مختلف المدن والقرى والمخيمات في الأراضي الفلسطينية المحتلة، في حين تمكّنت المجموعات الضاربة من رشق وتحطيم ٢٥ سيارة عسكرية اسرائيلية بالحجارة والزجاجات الفارغة، والحارقة. وبلغ عدد شهداء الانتفاضة، خلال شهر آذار (مارس)، ٣٥؛ وبذلك ارتفع عددهم منذ اندلاع الانتفاضة، في كانون الاول (ديسمبر) الماضي، الى ٦٨٢ شهيداً، اضافة الى ٣٧٠٠ حالة اجهاض، نتيجة التسمّم بالغاز (الدستور، ٣/٤/١٩٨٩).

• قال وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، انه حصل على تلميحات من جانب فلسطينيين، ومن دولة عربية، تفيد باستعدادهم الدخول في مفاوضات سياسية مع اسرائيل، في حال حصول اتفاق مسبق على مبدأ «مناطق مقابل السلام». وأضاف رابين ان حكومة الوحدة الوطنية في اسرائيل لا تستطيع تبنّي مثل هذه الصيغة، وفي مرحلة معيّنة سوف تكون هناك ضرورة للذهاب الى الانتخابات العامة لاستفتاء الشعب حول ذلك (هآرتس، ٣/٤/١٩٨٩). على صعيد آخر، كرر رابين، عرض مشروعه على رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بشأن التسوية على مراحل، خلال النقاش الذي أُجري بمشاركة شامير وبيريس وارنس ورابين، بمناسبة زيارة شامير لواشنطن. وقد عرض رابين مشروعه بالصيغة التي عرضت، في الآونة الاخيرة، على هيئات حزبية مختلفة، وأوصى بتبنّيه كمشروع اسرائيلي للحل، يتفق عليه حتى مرحلة التسوية النهائية، التي يقرر فيها الشعب عبر الانتخابات اذا كان يوافق على تقديم تنازلات اقليمية جزئية من اجل السلام، أو يفضل سياسة «ولا ذرّة» التي يتبنّاها الليكود (معاريف، ٣/٤/١٩٨٩).

• أعلن وزير الخارجية البريطانية، جيفري هاو، ان بلاده سوف تستخدم كل ثقلها لاقناع اسرائيل بالاشتراك في مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط. وقال هاو، الذي تحدث الى صحافيين في البحرين: «اننا نعتقد بأن الطريق الصحيح للتحرك نحو تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي هو طريق المفاوضات التي يمكن تحقيقها بواسطة عقد مؤتمر دولي في اشراف الامم المتحدة». ورأى هاو ان رئيس م.ت.ف. ياسر عرفات، اتخذ، في كانون الاول (ديسمبر) الماضي، خطوة هامة نحو مائدة المفاوضات، من طريق نبذ الارهاب

والاعتراف بحق اسرائيل في الوجود. وأضاف: «سنواصل مناقشة قضية الحصول على رد فعل اسرائيلي بنّاء للفرص التي أتاحتها الخطوات الفلسطينية... انها مسألة حشد الرأي العام في جانب السلام» (**الحياة**، ٣/٤/١٩٨٩).

• أبلغ نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، بنيامين نتنياهو، الى سفير كندا في اسرائيل، جيمس برتلمان، «ان قرار حكومة كندا برفع مستوى المحادثات مع م.ت.ف. يشكل دعماً لـ م.ت.ف. الامر الذي يحول دون المعتدلين ودون الانضمام الى مفاوضات السلام، ويتسبب في الاعتقاد بين الفلسطينيين بأن اقامة دولة فلسطينية هو الحل الواقعي». وعبّر نتنياهو عن خيبة أمل عميقة تجاه الخطوة الكندية (**هآرتس**، ٣/٤/١٩٨٩).

• قال مصدر مسؤول في وزارة الدفاع الاميركية، ان الولايات المتحدة طلبت من الحكومة السورية ان تحدّ من نشاط بعض الفصائل الفلسطينية المقيمة في دمشق، وخصوصاً الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، لتورّطها في عملية تفجير طائرة بان اميركان، في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) الماضي (**نيويورك تايمز**، ٣/٤/١٩٨٩).

• صرّح وزير الخارجية البريطانية، جيفري هاو، بأنه يأمل في ان يلتقي رئيس م.ت.ف. ياسر عرفات، عندما تحين الفرصة المناسبة. وأضاف، ان اللقاء المنتظر يمكن ان يكون بمثابة مساهمة بريطانية للتوصل الى حل في الشرق الاوسط (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ٣/٤/١٩٨٩).

٣/٤/١٩٨٩

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، الى الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، وهنّأه، باسمه وباسم الشعب الفلسطيني، بانتخابه رئيساً لجمهورية تونس. وقد أدلى الرئيس عرفات، بعد الاجتماع، بتصريح أشاد فيه بالديمقراطية التونسية وقال: «ان ما يسود [في تونس] من جوّ ديمقراطي انما هو تجربة ودرس بالنسبة الى العالم الثالث وأفريقيا والعرب»، مضيفاً ان «تونس هي قلعة وحصن نحتمي به جميعاً» (**وفا**، ٤/٤/١٩٨٩).

• هنّأ الملك الاردني حسين، الرئيس ياسر عرفات، بمناسبة انتخابه رئيساً لدولة فلسطين. وقال الملك حسين، في برقية بعث بها الى عرفات بهذا الخصوص: «ان هذا الاختيار الفلسطيني ما هو الاّ تأكيد على زعامتكم الوطنية الفلسطينية وحكمة قيادتكم». وأضاف: «اغتنم هذه الفرصة ـ المناسبة لأعرب لكم عن دعمنا الثابت لـ م.ت.ف. ضارعين الى الله ان يجعل من استقلال فلسطين، وحريتها، تتويجاً لنضال الشعب الفلسطيني الباسل المتصل، وثمرة طيبة لمعاناته الطويلة تحت الاحتلال» (**الدستور**، ٤/٤/١٩٨٩).

• فتحت قوات الاحتلال الاسرائيلي النار على المواطنين في مناطق عدة، فأصابت عدداً منهم، بينهم أطفال، عرف منهم منى محمد الغزاوي (ثمان سنوات) ورائد محمد عطا (عشر سنوات) وحسن جمعة عرفة (١٢ سنة)، وهم من مخيم طولكرم، وفاطمة علي شمّة ومحمد محمود حسان (١٣ عاماً) وابراهيم عطية أبو حميد (١٤ عاماً)، وهم من مخيمات المغازي ورفح والشبورة؛ كما أصيب أشرف منصور (١٤ عاماً) بعيار ناري في مخيم خان يونس. وكانت سلطات الاحتلال فرضت حظر التجول على مخيم خان يونس وحي الشبورة في رفح وأغلقت سوق فراس في غزة. ووقعت صدامات متفرقة في بلدة سلوان ومدينتي رام الله والبيرة ومخيمي الأمعري وقلنديا في الضفة الفلسطينية. وطُعن شاب من مدينة خان يونس، ويدعى جمال محمد الخطيب، حتى الموت، اشتُبه بتعاونه مع سلطات الاحتلال (**وفا**، ٣/٤/١٩٨٩؛ **والقبس**، ٤/٤/١٩٨٩).

• دعت اللجنة التنفيذية للمنظمات غيرالحكومية، في بيان أصدرته بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لـ «يوم الارض»، المنظمات غير الحكومية كافّة الى التوجّه الى الدول دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي لممارسة مسؤولياتها واتخاذ الخطوات العملية التي تؤدي الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي الفلسطينية المحتلة، وارسال قوات دولية لحماية الشعب الفلسطيني، وعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بحضور جميع الأطراف المعنية، بما فيها م.ت.ف. وأشار البيان الى استمرار اسرائيل في عرقلة الجهود الدولية المبذولة للتوصل الى تسوية سلمية، وتجاهلها مبادرة السلام الفلسطينية التي أقرّها المجلس الوطني الفلسطيني في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي (**وفا**، ٣/٤/١٩٨٩).

• وصل الى الضفة الفلسطينية موظف اردني

كبير، بهدف تنظيم وفد من انصار الاردن، في المناطق المحتلة، للقاء رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بعد عودته من واشنطن. يدعى الموظف راتب عمر، ويشغل منصب رئيس الطاقم الفلسطيني في وزارة الخارجية الاردنية (عل همشمار، ٤/٤/١٩٨٩).

• جاء في احصاء لوكالة الغوث الدولية، حول عدد اللاجئين سكان المخيمات في قطاع غزة، ان مجموع سكان المخيمات يبلغ ٤٥٩٠٧٤ شخصاً، منهم ٢٣٤٩٢٠ (٥١ بالمئة) من الذكور، و٢٢٤١٥٤ (٤٨,٩ بالمئة) من الاناث (الدستور، ٤/٤/١٩٨٩).

• قام وفد من الاطباء والصيادلة وموظفي الصحة العرب في اسرائيل بزيارة المستشفيات في نابلس، للوقوف، عن قرب، على أوضاع المستشفيات في المدينة، واحتياجاتها. فقد أعلن ما يزيد على خمسين طبيباً عربياً من اسرائيل استعدادهم للتطوّع للعمل في المستشفيات والعيادات الطبية في مدن الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. كذلك قرّرت لجان التبرّعات الشعبية في المدن والقرى العربية في اسرائيل توسيع حملة التبرّعات المالية والمواد الغذائية لسكان المناطق المحتلة (عل همشمار، ٤/٤/١٩٨٩).

• غادر رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، اسرائيل متوجهاً الى الولايات المتحدة، في زيارة رسمية تستغرق عشرة أيام، يلتقي، خلالها، مع زعماء الادارة الاميركية، ومحرري الصحف، وبعض الكتّاب، والزعماء اليهود. وقد عقد شامير، قبيل مغادرته، مؤتمراً صحافياً في مطار بن ـ غوريون، أجاب، خلاله، بايجاز، عن اسئلة الصحافيين، ورفض، باصرار، التعقيب على بيان الرئيسين، مبارك وبوش، الذي أُصدر في ختام لقائهما أمس، وقال: «سوف أبحث في هذه الامور في واشنطن» (عل همشمار، ٤/٤/١٩٨٩).

• قال عضو الكنيست، شلومو هيلل، الى لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، ان القدس، عملياً، مقسّمة منذ بدء الانتفاضة، وهذا يسجل نجاحاً للمنتفضين، أمّا تراجع عدد العمليات، فيعود الى امتناع الاسرائيليين عن القيام بزيارات للقدس الشرقية (عل همشمار، ٤/٤/١٩٨٩).

• التقى وزير الخارجية النرويجية، سورفالد ستولتبرغ، في فندق «الملك داود»، في القدس الشرقية، ثلاثة فلسطينيين، هم رئيس رابطة الصحافيين العرب، رضوان أبو عياش، ومحرر صحيفة «الفجر» المقدسية، حنا سنيوره، ورئيس مؤسسة الحق والقانون من اجل الانسان، المحامي رجا شحادة. وأعلن سنيوره، عقب اللقاء، ان الوزير التقاه وزملاءه للاطلاع، عن كثب، على معاناة الشعب الفلسطيني، وعلى انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان. وأكد الفلسطينيون الثلاثة ان الشعب الفلسطيني يسعى الى انهاء الاحتلال الاسرائيلي لأرضه، وعقد مؤتمر دولي للسلام بمشاركة م.ت.ف. تتبلور من خلاله الدولة الفلسطينية المستقلة. وأضاف سنيوره ان ستولتبرغ أبدى تفهّمه لموقفهم، وصرّح بأن النرويج، مثل سائر الدول الاسكندنافية، أبدت تأييدها، منذ وقت بعيد، لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، في اطار مؤتمر دولي (الاتحاد، ٤/٤/١٩٨٩).

• أكد الرئيس الاميركي، جورج بوش، بعد محادثاته مع الرئيس المصري، حسني مبارك، في واشنطن، ان الولايات المتحدة ومصر متفقتان على هدف «ضمان أمن اسرائيل وانهاء الاحتلال واحقاق الحقوق السياسية للفلسطينيين»؛ وان ذلك يجب ان يتمّ في اطار العمل من اجل التوصّل الى حل عبر المفاوضات المباشرة، بحيث «يمكن لمؤتمر دولي، يعدّ له بدقة، ان يلعب دوراً مفيداً في الوقت المناسب» (انترناشونال هيرالد تريبيون، ٤/٤/١٩٨٩).

٤/٤/١٩٨٩

• وقعت اشتباكات متفرقة في انحاء مختلفة من المناطق المحتلة، نتج عنها اصابة ١٤ مواطناً بجروح، خلال مواجهات استخدم فيها الجنود الاسرائيليون الذخيرة الحيّة ضد المواطنين. وخلال ذلك، دهمت سلطات الاحتلال مستشفى الاتحاد في نابلس مرتين، وأغلقت مدرسة دار الايتام الاسلامية في القدس، فيما قامت سلطات الضريبة، بحراسة قوات الجيش والشرطة، بدهم عدد من المحال التجارية في بيت ساحور (الاتحاد، ٥/٤/١٩٨٩).

• اكد قائد الشرطة الاسرائيلية، في منطقة حيفا، وقوع ٨٣ عملية مقاومة بدوافع وطنية، اضافة الى عمليات رفع علم فلسطين. وقال، في كلمة القاها بهذا الخصوص الى عدد من الصحافيين، ان الانتفاضة دخلت الى مناطق فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨، وبيّن انه تمّ تسجيل ٤٣ حادثة رشق حجارة لباصات وسيارات خاصة اسرائيلية قام بها عرب في اسرائيل، و١٦ حادث شجار بين هؤلاء واسرائيليين وقعت

على خلفية وطنية. كذلك أشار الى وقوع ١٥ حادثة حرق منتجات زراعية وثلاثة حوادث دعوة وتحريض على العصيان وحادثتي القاء زجاجات حارقة ووضع عبوات ناسفة (وفا، ٥/٤/١٩٨٩).

• كشفت أجهزة الامن الاسرائيلية خلية فدائية تابعة لـ «فتح»، من سكان قرية حجة، في منطقة قلقيلية، تضمّ ١٦ شخصاً، عملوا، في الاساس، داخل «الخط الاخضر». وقد تمّ اعتقال أعضاء الخلية وحُقّق معهم. وتنسب أوساط الامن الاسرائيلية الى الخلية عمليات وقعت في السنتين ١٩٨٦ و١٩٨٧، شملت وضع مواد متفجرة والقاء زجاجات حارقة في منطقة بيتح تكفا، وكفار سابا، وفي مستوطنات في الضفة الفلسطينية، كان من نتائجها جرح ١٣ اسرائيلياً (معاريف، ٥/٤/١٩٨٩).

• أعلنت الاذاعة الاسرائيلية في تقرير بثّته ضمن برنامج «حتسي هيوم» (منتصف النهار)، عن غلق عشرات المصانع الاسرائيلية الواقعة في المنطقة الصناعية «عطروت»، شمال القدس، وذلك لاسباب أمنية، وأخرى اقتصادية. وجاء في التقرير ان بعض اصحاب المصانع اشتكى من ان العمال والموظفين تركوا أعمالهم بسبب تعرضهم لاعمال رشق الحجارة والزجاجات الفارغة والحارقة. ودعا هؤلاء الى توسيع دائرة نشاطات الشرطة و«حرس الحدود» لتشمل المنطقة. وتحدث اصحاب المصانع عن الضائقة المالية الناجمة عن كساد منتوجاتهم والأزمة الاقتصادية العامّة التي تعاني منها اسرائيل، والتي تفاقمت جرّاء الانتفاضة الفلسطينية المستمرة منذ أكثر من عام ونصف العام (الاتحاد، ٥/٤/١٩٨٩).

• لاحظ رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف)، ان تغيراً ملحوظاً بدأ في عهد الرئيس الاميركي، جورج بوش. وقال القدومي، الذي تحدث في ندوة اقامتها سفارة فلسطين في الدوحة، خلال زيارته لها، ان تصريحات بوش بانهاء الاحتلال الاسرائيلي للمناطق الفلسطينية بحاجة الى ترجمة الى الأفعال والاقرار بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية، وفي مقدمها اقامة دولة فلسطينية مستقلة. وطالب القدومي الادارة الاميركية بتوضيح موقفها من هذه الحقوق، والغاء تقرير غريسلي، الذي يعتبر م.ت.ف. منظمة «ارهابية»؛ وكذلك، الغاء بروتوكولات هنري كيسنجر التي تقيّد الرؤساء الاميركيين بشأن الالتزام المطلق باسرائيل (وفا، ٥/٤/١٩٨٩).

• أنهى الرئيس المصري، حسني مبارك، مباحثاته السياسية والاقتصادية مع الرئيس الاميركي، جورج بوش، ووزراء الدفاع والخزانة والخارجية وقيادات الكونغرس الاميركي. وقال، في حفل عشاء اقامه تكريماً له اعضاء الغرفة التجارية الاميركية: «انني أعمل أقصى ما في جهدي لتحقيق السلام؛ ولست انحاز الى طرف ضد طرف آخر؛ فأنا لا أعادي الاسرائيليين، لأنني مع الحل العادل الذي يحقق مصلحة الجميع». وأشار مبارك الى ان السلام هام جداً للفلسطينيين والاسرائيليين على السواء، ويحتاج الى تقديم التضحيات لانقاذ حياة المواطنين من أخطار الحروب والمواجهات. وأكد مبارك انه لم يطلب من الادارة الاميركية الضغط على اسرائيل، وانما دعا الى تحقيق السلام، وتناول، في مباحثاته معها، المؤتمر الدولي للسلام. وأشار الى ان الضغط لا يؤدي الى تحقيق المطالب (الاهرام، ٥/٤/١٩٨٩).

• ذكرت مصادر اميركية مطلعة ان عبارة «انهاء الاحتلال» التي استعملها الرئيس الاميركي، جورج بوش، في حديثه، بعد انتهاء الجولة الاولى من محادثاته مع الرئيس المصري، حسني مبارك، لفتت الانظار في العاصمة الاميركية، ليس لأنها تعكس موقفاً أميركياً متطوراً، اذ ان القرار ٢٤٢ ينص، صراحة، على مبدأ الانسحاب، وانما لأن بوش استعملها علناً، وفي شكل مباشر، قبل ثلاثة أيام من بدء محادثاته مع رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير. وفسّرت هذه المصادر ذلك بأنه رسالة الى شامير مؤداها ان واشنطن لا ترى الوضع في الشرق الاوسط بـ «المنظار الاسرائيلي» الضيّق (انترناشونال هيرالد تريبيون، ٥/٤/١٩٨٩).

١٩٨٩/٤/٥

• عقدت في مقرّ اقامة الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في القصر الوطني، في العاصمة الاثيوبية أديس ابابا، محادثات منفردة بين الرئيس الفلسطيني، عرفات، والرئيس الاثيوبي، منغستو هيلا مريام. وتأتي جولة المباحثات هذه في اطار زيارة قام بها عرفات لاثيوبيا، استغرقت يومين. وقد أقام مريام مأدبة عشاء تكريمية لعرفات والوفد المرافق له، تحدث خلالها كل من عرفات ومريام، فتناولا موضوع العلاقات الثنائية بين م.ت.ف. واثيوبيا، والوضع في الشرق الاوسط، وافريقيا. وشدّد عرفات على أهمية تعزيز

التعاون وتوطيد العلاقات الفلسطينية ـ الاثيوبية والعلاقات العربية ـ الافريقية في خدمة المصالح المشتركة لاطرافها. وقال مريام، في كلمته، موجهاً الحديث الى عرفات: «اننا واثقون، تمام الثقة، بأن الحوار الذي سوف يجرى خلال زيارتكم الحالية سيلعب دوراً كبيراً في زيادة التعاون فيما بيننا، من اجل تحقيق تقارب أكبر بين شعبينا وتعزيز فرص الامن والسلام في منطقتنا». ودعا مريام الى عقد المؤتمر الدولي للسلام، تحت رعاية الامم المتحدة، بحضور جميع الأطراف المعنيّة بالمشكلة، بما فيها دولة فلسطين (وفا، ٦/٤/١٩٨٩).

• وقعت في انحاء عدّة من دولة فلسطين المحتلة اشتباكات متفرقة بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الاسرائيلي، اصيب خلالها عدد كبير من المواطنين بجروح وكسور، جرّاء عمليات ضرب قام بها الجنود الاسرائيليون. وتركزت التظاهرات واعمال رشق الحجارة في منطقتي نابلس والخليل وبعض مناطق قطاع غزة، حيث لا تزال أربعة مخيمات للاجئين تخضع لحظر التجول، اضافة الى مشروع بيت لاهيا. من جهة أخرى، استشهد المواطن سالم اسماعيل سالم (٣٥ عاماً)، نتيجة اصابته برصاصة في رأسه خلال احداث «يوم الارض» التي وقعت في قرية دار صلاح، قرب بيت لحم، فيما حوّلت سلطات الاحتلال مدرسة العيزرية، شرق القدس، الى ثكنة عسكرية، واغلقت شارع صلاح الدين، في القدس، وطاردت الشبان، وشنّت حملة اعتقالات في سلوان والعيزرية. وفي قطاع غزة، أغلقت السلطات، لليوم الرابع، السوق المركزي في المدينة الذي يضمّ حوالى ٣٠٠ محل تجاري تعتاش منها مئات الأسر الفلسطينية (وفا والاتحاد، ٦/٤/١٩٨٩).

• أفادت مصادر اسرائيلية مطلعة بأن رئيس «الادارة المدنية» في الضفة الفلسطينية، العميد شايكا ايرز، بحث، خلال لقائه مع أوساط فلسطينية، بينها انصار لـ م.ت.ف. في امكان قيام الجيش الاسرائيلي بتقديم بعض التسهيلات في المناطق المحتلة ـ اضافة الى قيامه باطلاق سراح حوالى ٥٠٠ معتقل أمس ـ مثل ازالة حواجز الاسمنت المسلّح من على الشوارع، واعادة ربط القرى من جديد بشبكات المياه والكهرباء. وقد التقى ايرز، أمس، مع مجموعة أخرى من بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ومن مخيم الدهيشة (عل همشمار، ٦/٤/١٩٨٩).

• قال وزير الشرطة الاسرائيلية، حاييم بار ـ ليف: «سوف تغلق في الشهر المقبل نصف مراكز الشرطة في المناطق المحتلة، بعد ان أصبح عدد رجال الشرطة فيها ١٥٠ شرطياً من أصل ٩٠٠». وأضاف: «يوجد، حالياً، في كل لواء، أربعة مراكز شرطة، وسوف نضطر الى تقليص عددها الى اثنين» (معاريف، ٦/٤/١٩٨٩).

• أفادت مصادر الشرطة الاسرائيلية بأن جندياً اسرائيلياً، في الاحتياط، (٢٨ عاماً)، وجد مقتولاً عند تقاطع تلاليم، جنوب اسرائيل، برصاصة اخترقت صدره. وذكرت المصادر نفسها انه عثر على بندقية من طراز «ام ـ ١٦» قرب جثة القتيل التي كانت ملقاة على مقعد محطة الباص التي يرتادها العسكريون الاسرائيليون. واستبعدت التحقيقات الاولية ان يكون الجندي قد انتحر، وان احتمال قتله على يد فلسطينيين أمر وارد (الحياة، ٦/٤/١٩٨٩).

• حذّر العراق من انه سوف يردّ، بقوة، على أي عدوان اسرائيلي على منشآته العلمية، أو الصناعية. وأكد ان التهديدات الاسرائيلية الاخيرة ضد العراق والأمة العربية تنطلق من روح المأزق الذي تعيشه اسرائيل. وقال ناطق رسمي باسم الخارجية العراقية ان العراق «سيرد بالطريقة التي يراها مناسبة» ضد أي عدوان تقوم به اسرائيل تحت غطاء ذرائع ملفّقة (القبس، ٦/٤/١٩٨٩).

• أكد الرئيس المصري، حسني مبارك، في كلمة القاها الى أعضاء مجلس الشؤون الخارجية في نيويورك، ضرورة اقرار السلام في الشرق الاوسط. وقال ان عوامل عديدة برزت لصالح التوصّل الى تسوية فورية للنزاع، أبرزها ان الحركة الفلسطينية رفعت غصن الزيتون أعلى ممّا فعلت من قبل، وقبلت متطلبات السلام. وأضاف مبارك ان الموقف يقتضي، الآن، ضرورة الاتفاق على موعد محدّد لبدء مفاوضات السلام، حتى يمكن اقناع الفلسطينيين الذين يعيشون في ظل الاحتلال، الالتزام بالهدوء والسكينة. وأشار الى ان هناك شريكاً مستعداً للتفاوض بدون شروط مسبقة، في اشارة الى م.ت.ف. وأوضح ان اتجاه اسرائيل الى اختيار ممثلين للشعب الفلسطيني من خارج منظمة التحرير هو فكرة عقيمة (الاهرام، ٦/٤/١٩٨٩).

• طلب رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، من وزير الدفاع الاميركي، ريتشارد تشاني،

ان تبقى المساعدة الاميركية لاسرائيل، البالغة ثلاثة مليارات دولار، على حالها في السنة المالية ١٩٩٠، على الرغم من الاتجاه نحو تقليص ميزانية المساعدات الخارجية الاميركية. وأضاف شامير، ان الاتحاد السوفياتي لا يكتفي بعدم تقليص مساعداته الخارجية للدول العربية، وبشكل خاص لسوريا، بل ويزوّد ليبيا بطائرات متطوّرة من نوع «سوخوي ـ ٢٤» (**عل همشمار**، ٦/٤/١٩٨٩).

• قال وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان على اسرائيل ان تجد وسيلة ما للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية. وأضاف، ان أي تسوية لأزمة الشرق الاوسط يجب ان تتضمّن انسحاباً اسرائيلياً من الاراضي المحتلة (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٦/٤/١٩٨٩).

١٩٨٩/٤/٦

• اتهم رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بعرقلة المساعي السلمية الرامية الى حل القضية الفلسطينية. وقال عرفات، في مؤتمر صحافي بمناسبة اختتام زيارته، التي دامت يومين، لاثيوبيا، انه «على الرغم من تقدم مساعي السلام من كل جانب على الصعيد الدولي، فنحن نواجه معارضة متعنّتة من شامير». ووصف الرئيس الفلسطيني محادثات الرئيس حسني مبارك مع الرئيس الاميركي، جورج بوش، في واشنطن، بأنها «ايجابية للغاية، ويمكن ان تساعد في عملية السلام، وفي عقد مؤتمر لسلام دولي». وتعهّد عرفات وساطة بين اثيوبيا والسودان اللذين توتّرت العلاقات فيما بينهما منذ أعوام، بعد اتهام كل منهما للآخر بمساعدة متمردي الجانب الآخر (**الدستور**، ٧/٤/١٩٨٩).

• ذكرت مصادر في الارض المحتلة ان ٤٨ فلسطينياً أصيبوا بجروح، غالبيتها بسبب الرصاص، خلال المصادمات التي تواصلت في مختلف مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين. واعتقلت سلطات الاحتلال أكثر من ٥٥ مواطناً. وكان أعنف الاشتباكات وقع في مدينة بيت لحم، حيث أصيب ثمانية فلسطينيين بالرصاص؛ كما أصيب خمسة آخرون في مدينة نابلس، بينهم طفل (**الدستور**، ٧/٤/١٩٨٩).

• قال مصدر في حاشية اسحق شامير، تعقيباً على نتائج زيارة رئيس الحكومة الاسرائيلية، شامير، لواشنطن: «حالياً لا توجد مواجهة بين الولايات المتحدة واسرائيل، وهذه نتيجة هامّة لزيارة شامير الى واشنطن». وأضاف المصدر نفسه انه تمّ التوصل الى تفاهم في المحادثات مع زعماء الادارة الاميركية. امّا الذين لا يوافقون على هذا الرأي، فيقولون ان اسرائيل منحت فترة زمنية أخرى، وشامير يعود بنصف انتصار (**معاريف**، ٧/٤/١٩٨٩).

• قال الرئيس المصري، حسني مبارك، في مقابلة متلفزة، انه لا يمكن تجنّب المحادثات بين اسرائيل وبين منظمة التحرير الفلسطينية وان السلام يستحق كل تنازل. وأضاف: «لا أعلم ما هي نوايا شامير؛ لكنني اعتقد بأن الشعب كله في اسرائيل يريد تحقيق السلام» (**عل همشمار**، ٧/٤/١٩٨٩).

• شدّد الرئيس السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، في اثناء محادثاته مع رئيسة وزراء بريطانيا، مارغريت تاتشر، على ضرورة العمل، معاً، لحل نزاع الشرق الاوسط، وتحديداً عبر مؤتمر دولي. وأبلغ اليها ان «الولايات المتحدة الأميركية أصبحت، في الوقت الحاضر، تتمتع بأقوى نفوذ على اسرائيل». وقال الناطق باسم وزارة الخارجية السوفياتية، في مؤتمر صحافي، ان قضية العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل أُثيرت، وان غورباتشيوف أكد استعداد موسكو لاعادة العلاقات مع اسرائيل، ولكن، فقط، في سياق التسوية الشاملة. وأضاف، ان ذلك لا يمنع استمرار «صلات عمل» بين البلدين، كما هي الحال الآن (**الحياة**، ٧/٤/١٩٨٩).

• أفادت مصادر مطلعة بأن ادارة الرئيس الاميركي، جورج بوش، مستعدة لدعم اقتراح رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بشأن اجراء انتخابات لسكان المناطق المحتلة. وهذه هي نقطة الاتفاق الاساسي بين الولايات المتحدة واسرائيل، التي برزت في ختام محادثات شامير في واشنطن. وقال الرئيس بوش، ان الولايات المتحدة «تعتقد بأنه في استطاعة الانتخابات المساهمة في مسار سياسي، او حوار ومفاوضات، في حال اجرائها بشكل معيّن» (**معاريف**، ٧/٤/١٩٨٩). وأضاف ان الولايات المتحدة «لا تؤيد قيام دولة فلسطينية» في الاراضي المحتلة، و«لا تريد سيادة اسرائيلية، او احتلالاً دائماً للضفة الفلسطينية وقطاع غزة». لكنه كشف عن ان اي عملية سلام لا يمكنها ان تنتج من «فراغ سياسي»، وان من مصلحة اسرائيل ان تبدأ بـ «حوار جدّي»

مع الفلسطينيين، وان تعالج حقوقهم السياسية المشروعة (انترناشونال هيرالد تريبيون، ٧/٤/١٩٨٩).

• قال وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، بعد لقائه رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، ان المحادثات التي أجراها معه أوجدت «أفكاراً مشجّعة» لكسر الجمود في مساعي السلام في الشرق الاوسط. وأضاف بيكر، معقّباً على طروحات شامير: «يؤمل ان تشكّل اساساً يمكننا، بموجبه، ان ندفع عملية السلام قدماً. وكما أشار شامير، فأمامنا محادثات يتعيّن ان نجريها» (نيويورك تايمز، ٧/٤/١٩٨٩).

١٩٨٩/٤/٧

• رفض رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تصريح أدلى به خلال زيارة يقوم بها الى الكونغو، اقتراحات رئيس وزراء اسرائيل، اسحق شامير. وقال عرفات انها «غير مناسبة كالعادة... ان جميع الطغاة في العالم استخدموا اللغة نفسها». وأكد عرفات استمرار الانتفاضة حتى زوال الاحتلال (الحياة، ٨ ـ ٩/٤/١٩٨٩).

• وقعت مصادمات عنيفة بين المواطنين وجنود الاحتلال الاسرائيلي في ساحة المسجد الاقصى، أدّت الى اصابة ١٢ شخصاً بجروح، وتمّ اعتقال ٣٧ آخرين. وقد اندلعت المواجهات بعد صلاة الجمعة، اليوم الاول من رمضان، حيث أدى الصلاة حوالى ١٥ الف مواطن. وقد رفع مئات الشبان علم فلسطين، ورددوا «الله اكبر»، واطلق شرطي اسرائيلي عيارات مطاطية على المتظاهرين، الذين ردوا برشق رجال الشرطة بالحجارة. من جهة أخرى، اطلق اسرائيليون النار على المصلّين خارج الحرم الابراهيمي في الخليل وأصابوا ثلاثة مواطنين بعيارات نارية، فيما أصيب رابع بعيار مطاطي. وكان مستوطنون اطلقوا الرصاص على سيارات يملكها فلسطينيون، كما احرقوا عشرة سيارات يملكها مواطنون فلسطينيون من الخليل (الدستور، ٨/٤/١٩٨٩).

• رفضت شخصيات فلسطينية من الأراضي المحتلة المقترحات التي عرضها رئيس وزراء اسرائيل، اسحق شامير، والمتعلقة باجراء انتخابات في المناطق المحتلة. وقال الاستاذ في جامعة النجاح، صائب عريقات: «كما كان متوقعاً، لم يقدّم شامير أي جديد، وهو يحاول احياء افكار ميتة. ان أفكاره لا تستحق النقاش، لأنها اهانة لكل فلسطيني». وقال رئيس رابطة الصحافيين، رضوان أبو عياش: «لسنا ضد الانتخابات كمبدأ حرّ وديمقراطي، ولكننا ضد الانتخابات التي ينادي بها شامير، لأنها تهدف الى شطب دور م.ت.ف. ولا توضح المرحلة التي سوف تسبق هذه الانتخابات، او تليها، فضلاً عن ان فكرة اجراء انتخابات حرّة وديمقراطية في ظل الاحتلال هي فكرة متناقضة في حدّ ذاتها». واعتبر نقيب المحامين في غزة، فايز أبو رحمة، مقترحات شامير «احتقاراً لذكاء الآخرين»؛ وأضاف: «ان الانتخابات لا يمكن ان تجرى الّا بموافقة م.ت.ف.» (الدستور، ٨/٤/١٩٨٩).

• أظهر استطلاع للرأي، نشرته صحيفة «واشنطن بوست» الاميركية، ان غالبية الاميركيين يرون ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وم.ت.ف. وأشار الاستطلاع الى ان سبعة من كل عشرة اميركيين يرون انه يتعيّن على اسرائيل ان تدخل في مفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. في حين يرى ثمانية من كل عشرة انه لن تتمّ تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط بدون هذه المفاوضات (الاهرام، ٨/٤/١٩٨٩).

• أعلن الرئيس الاميركي، جورج بوش، تأييده لاجراء انتخابات «حرّة وعادلة» في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، ولم يستبعد امكان مشاركة م.ت.ف. في هذه الانتخابات. وقال، في مؤتمر صحافي عقده، انه لا يشعر بأن بنود قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ قد نُفّذت، و«أريد ان أكون واضحاً مع جميع الاطراف في الشرق الاوسط، في ان هذا هو رأيي». وأضاف: «ان الولايات المتحدة تحمّل الاطراف مسؤولية تنفيذ هذين القرارين، ورسالتي الى اسرائيل هي ان الاراضي التي انسحبت منها ليست النهاية». وأعرب عن اعتقاده بأن «الوقت غير مناسب» لاطلاق مبادرة يقوم بها شخصياً. وقال: «اذا شعرت بأن الاهتمام الشخصي سيساعد على حل مشكلة السلام في الشرق الاوسط، فسأكون مستعداً لذلك» (نيويورك تايمز، ٨ ـ ٩/٤/١٩٨٩).

١٩٨٩/٤/٨

• أعرب الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في ليبرفيل، عن تأييده لاجراء انتخابات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، شريطة ان تجرى «تحت اشراف دولي وبعد الانسحاب الاسرائيلي». وسأل عرفات، خلال مؤتمر صحافي عقده في ختام زيارة

الى الغابون استغرقت ٢٤ ساعة، «هل يمكن أن تجرى انتخابات حرّة في بلد محتل ؟». وكان عرفات يعقّب بذلك على الاقتراح الذي قدّمه رئيس وزراء اسرائيل، اسحق شامير، مؤخراً، بهذا الشأن (الدستور، ٩/٤/١٩٨٩).

• تواصلت الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة. ومع دخولها شهرها السابع عشر عمّ الاضراب مدن ومخيمات وقرى الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وقد اندلعت الاشتباكات والصدامات العنيفة وعمّت معظم المناطق. وخلال ذلك أصيب أكثر من ٤٢ مواطناً بجروح مختلفة، واعتقلت سلطات الاحتلال عشرة مواطنين، وسقط شهيدان، هما ماهر نادي شلبك (١٢ عاماً)، من جنين، والحاج قاسم نوح النتشة (٦٠ عاماً)، من الخليل (الدستور، ٩/٤/١٩٨٩).

• رفض الفلسطينيون، في المناطق المحتلة وفي خارجها، مشروع شامير بكامله، وبضمنه فكرة اجراء انتخابات في المناطق المحتلة في الظروف الحالية. وحسب أقوال الزعماء الفلسطينيين، ان مشروع شامير موجّه لخلق ثغرة بين سكان المناطق المحتلة وبين الفلسطينيين في الشتات، والتسبّب في بلبلة، وذرّ الرماد في عيون الرأي العام العالمي، ولا يستجيب الى الحدّ الأدنى من المطالب الفلسطينية تجاه الاستقلال، والدولة، والسيادة (هآرتس، ٩/٤/١٩٨٩).

• أعرب رئيس الوزراء الايطالي، شيرياكو دي ميتا، عن اعتقاده بوجود مؤشرات الى قرب ايجاد تسوية للقضية الفلسطينية. وأبدى ميتا استعداد بلاده لتقديم كل مساعدة ممكنة من أجل التوصل الى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط، وبشكل خاص اقامة دولة فلسطينية مستقلة (الشرق الاوسط، ٩/٤/١٩٨٩).

• أعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ان اسرائيل مستعدة للتفاوض من اجل السلام مع مؤيدي م.ت.ف. في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وقال، في حديث لمحطة التلفزة الاميركية سي.ان.ان. ان الانتخابات التي يقترحها قد تؤدي الى انتخاب مؤيدي م.ت.ف. وفي هذه الحالة، سوف يقبل التفاوض معهم، كما انهم سيكونون على استعداد للتفاوض مع اسرائيل (الاهرام، ٩/٤/١٩٨٩).

• أفادت مصادر صحفية بأن الولايات المتحدة سوف تقوم بوساطة بين اسرائيل وم.ت.ف. حول شروط اجراء انتخابات في المناطق المحتلة. ويتبيّن من المعطيات الواردة الى القدس، ان واشنطن سوف تقوم، خلال اتصالاتها القريبة مع م.ت.ف. بفحص وجهة نظر المنظمة تجاه اجراء انتخابات عامة، أو بلدية، وتبحث في مشكلة تمثيل سكان القدس الشرقية، وطرق مراقبة الانتخابات (هآرتس، ٩/٤/١٩٨٩). وفي هذا الصدد، أوضحت الولايات المتحدة انها طلبت من اسرائيل تقديم خطة واضحة لفكرة الانتخابات التي طرحها شامير. وقد طلبت الولايات المتحدة الحصول على أجوبة عن أربعة اسئلة أساسية، هي: هل المقصود هو انتخابات بلدية أم سياسية ؟ هل سيشارك عرب القدس الشرقية في الانتخابات وهل يحق لهم انتخابات شخصيات فلسطينية بارزة في القدس الشرقية، مثل فيصل الحسيني وسري نسيبة ؟ وأية مراقبة سوف تكون على الانتخابات، دولية، أميركية، ام شيئاً آخر ؟ وما هي الاجراءات التي سوف تتبع خلال الانتخابات (معاريف، ٩/٤/١٩٨٩).

١٩٨٩/٤/٩

• أُجريت، في تونس، محادثات رسمية مطوّلة بين وفدين، فلسطيني (برئاسة الرئيس عرفات) وايطالي (برئاسة رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الايطالي، فلمينو بيكولي)، استغرقت جولتين، تناول خلالها الوفدان التطوّرات السياسية في الشرق الاوسط، في ضوء مبادة السلام الفلسطينية. وقد جدّد الوفد الايطالي موقف بلاده المؤيد لنضال الشعب الفلسطيني والداعم لمبادرة السلام الفلسطينية الهادفة الى حل القضية الفلسطينية، حلاً عادلاً (وفا، ٩/٤/١٩٨٩).

• ساد الاضراب الشامل، لليوم الثاني على التوالي، في غالبية المناطق المحتلة، بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها السابع عشر. وقد أغلق التجار محالهم، وتوقفت وسائل النقل العام، استجابة لنداء وجّهته القيادة الموحّدة، في حين أعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلي عزمها على منع الفلسطينيين من أداء صلاة الجمعة في المسجد الاقصى طيلة شهر رمضان. وقد عقّب وزير الشرطة الاسرائيلية، حاييم بار ـ ليف، على مجابهات وقعت في فناء الحرم الشريف يوم الجمعة الماضي، بقوله: «ان تفجّر اشتباكات مثل هذه هو، في واقع الامر، ظاهرة لم نشهدها منذ زمن طويل. وسوف نتخذ خطوات في المستقبل لمنع ذلك»

(الدستور، ١٠/٤/١٩٨٩).

• استشهد أربعة فدائيين خلال اشتباك مع البحرية الاسرائيلية وقع قبالة الحدود اللبنانية. وحسب مصدر أمني لبناني، فان المقاتلين الفلسطينيين الاربعة، وبينهم امرأة، كانوا على متن زورق مطاطي عندما اعترضتهم البحرية الاسرائيلية قبالة رأس الناقورة، حيث دارت معركة بين الجانبين (الدستور، ١٠/٤/١٩٨٩).

• رأى وزير الخارجية الاردنية، مروان القاسم، ان اقتراح رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، تنظيم انتخابات في الاراضي المحتلة، يهدف الى «تعطيل عملية السلام في الشرق الاوسط». وصرّح القاسم بـ «ان الامر يتعلق بمحاولة اسرائيلية للمماطلة، ومحاولة للتهرّب من الحقيقة. ان هذا تكتيك من اسرائيل لتعطيل عملية السلام، التي اتفق العالم كله على اهمّيتها وجدواها» (الاتحاد، ١٠/٤/١٩٨٩).

• ناقش وزير الخارجية المصرية، د. عصمت عبدالمجيد، مع رئيس جمعية الدراسات العربية في القدس، فيصل الحسيني، الذي يقوم بزيارة الى مصر، آخر تطورات الوضع بالنسبة الى القضية الفلسطينية، والجهود المبذولة لاقرار السلام في المنطقة (الاهرام، ١٠/٤/١٩٨٩).

• قال رئيس الاركان الاسرائيلية، دان شومرون: «هناك من يقترحون على الجيش الاسرائيلي اتخاذ خطوات معيّنة في المناطق المحتلة، وينظرون الى الانتفاضة وكأنها حرب يمكن انهاؤها بأمر عسكري؛ ان مثل هذه المحاولة يمكن ان تكون غالية جداً، ولا عودة منها. ان اولئك الذين يفكرون بهذا الشكل مخطئون، وعندما يقوم السياسيون بتوجيه مثل هذا الادعاء تجاه الجيش، فهم مخطئون سبع مرات» (عل همشمار، ١٠/٤/١٩٨٩).

• قال القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير المالية، شمعون بيرس، في رده على اسئلة الصحافيين: «ان وضعنا، الآن، أفضل ممّا كان عليه قبل زيارة شامير لواشنطن. وسوف يبدأ الاميركيون بعرض اسئلة علينا، وعلى العرب ايضاً. والولايات المتحدة تقوم بدور ضابط اتصال بيننا وبين الفلسطينيين، بمن فيهم م.ت.ف. على الرغم من ان المفاوضات في تونس لا تروق لنا». وقال وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، في جلسة الحكومة الاسبوعية، انه لن تجرى أية اعدادات لاجراء انتخاب في المناطق المحتلة الى ان تتخذ الحكومة قراراً ملزماً في هذا الموضوع (عل همشمار، ١٠/٤/١٩٨٩).

• أُقيمت على التلّة الشرقية لقلقيلة، بين مستوطنة الفيه منشه وبين كوخاف يائير، في احتفال قصير، النواة الاولى لمستوطنة تابعة لـ «تسوفيم». وقد اقامت خمس عائلات دينية في المستوطنة، أحضرت بيوتاً جاهزة. وسوف تنضمّ اليها حتى عيد الفصح عشرون عائلة أخرى. وعلم ان الموافقة تمّت على مشروع استيطان تسوفيم داخل اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان في العام ١٩٨٣. وقد تمّ شراء أرض المستوطنة من قبل مبادرين خاصين، بينهم شركة «ليد ـ كوباني» و«صندوق انقاذ الاراضي» (عل همشمار، ١٠/٤/١٩٨٩).

• أعلن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، في مقابلة تلفزيونية مع شبكة اي.بي.سي. ان المقترحات التي حملها رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، «جديدة» ومختلفة عن كامب ديفيد. وأضاف، ان مقترحات شامير «مثيرة للاهتمام، وتشكّل بداية مفاوضات سياسية» تؤدي الى البحث في «الوضع النهائي» للارض العربية المحتلة. واستطرد قائلاً، ان المقترحات الاسرائيلية، خصوصاً تلك المتعلقة باجراء انتخابات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، «هي خطوة أولى مفيدة نأمل ان تؤدي الى دفع العرب والاسرائيليين الى مفاوضات تقود الى السلام» معترفاً بأن هذه الخطوة «صغيرة». وأوضح بيكر، انه، على الرغم من «رفض الفلسطينيين» فكرة اجراء الانتخابات، فانها تتضمّن امكانات ونأمل من الراغبين في السلام باعطائها فرصة؛ وأعرب عن أمل بلاده في ان يتخذ الفلسطينيون موقفاً «أكثر اعتدالاً» (نيويورك تايمز، ١٠/٤/١٩٨٩).

١٠/٤/١٩٨٩

• وصل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، الى جمهورية بولندا الشعبية، تلبية لدعوة رسمية من السكرتير الاول للجنة المركزية لحزب العمّال البولندي الموحّد رئيس مجلس الدولة، فويتسيخ ياروزلسكي. ويجري عرفات والوفد المرافق له مباحثات مع الجانب البولندي تتناول عملية السلام في الشرق الاوسط، والعلاقات الثنائية، وسبل التوصل الى اتفاق بشأن رفع درجة البعثة الفلسطينية في وارسو الى مستوى سفارة

(وفا، ١٠/٤/١٩٨٩؛ والاهرام، ١١/٤/١٩٨٩).

• قرّرت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة تخليد ذكرى استشهاد القادة الفلسطينيين الثلاثة أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر، الذين اغتيلوا على يد فريق كوماندوس اسرائيلي، في بيروت، بتاريخ العاشر من نيسان (ابريل) ١٩٧٣، بجعل يوم استشهادهم يوم غضب شعبي ضد الاحتلال. من جهة أخرى، استشهد المواطن خالد محمود عنتري (٢٥ عاماً)، اثر اصابته برصاصات أطلقها مستوطنون يهود؛ كما استشهد المواطن أحمد محمد داود أبو سنينة (٦٠ عاماً)، من الخليل، اثر اصابته برصاصة في رأسه، اطلقها جنود اسرائيليون. وكان مجهول أطلق النار، بشكل عشوائي، من سلاح اتوماتيكي باتجاه مجموعة من الشبان العرب، عند باب الخليل، في القدس، فقتل خالد الشاويش (٢٦ عاماً) وأصاب ستة آخرين (وفا، ١٠/٤/١٩٨٩؛ والاتحاد، ١١/٤/١٩٨٩).

• قال القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير المالية، شمعون بيرس، الى خريجي «كلية الامن القومي»: «علينا ان نختار بين الوضع الراهن الهشّ الذي يتضمن مسارات تدهور خطيرة، وبين السلام المفروض، بالطبع، بثمن التنازل عن جزء من المناطق [المحتلة]». وقال بيرس انه يعتقد بأن غياب السلام هو الاحتمال الاخطر (دافار، ١١/٤/١٩٨٩).

• أفاد الناطق باسم مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي بأنه سجّل، في شهري شباط (فبراير) وآذار (مارس) من هذا العام، ارتفاع بنسبة تسعة بالمئة في العجز في الميزان التجاري في اسرائيل، مقارنة بالشهرين السابقين، كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٨٨ وكانون الاول (يناير) ١٩٨٩. وينبع العجز من انخفاض الصادرات بنسبة سبعة بالمئة في الوقت الذي انخفضت الواردات بنسبة ثلاثة بالمئة فقط (دافار، ١١/٤/١٩٨٩).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، لمجموعة من زعماء اليهود من غرب المتوسط، ان لجنة وزارية خاصة ستشكل لبلورة تفاصيل مبادرته السلمية التي طرحها في واشنطن. وقال شامير، في لقاء آخر مع أعضاء مجلس العلاقات الخارجية في شيكاغو، انه قدّم تقريراً الى الادارة الاميركية عبّر فيه عن استعداد اسرائيل لاخراج جنود الجيش الاسرائيلي من المدن والقرى العربية في المناطق المحتلة وغلق معسكرات الاعتقال، في حال توقف الانتفاضة في المناطق المحتلة (معاريف، ١١/٤/١٩٨٩).

• في مقابلة له مع شبكة التلفزيون الاميركية ان.بي.سي. قال مستشار الامن القومي الاميركي، برينت سكوكروفت، ان نجاح الانتخابات في الاراضي المحتلة، يتوقف، بصفة خاصة، على تقديم الفلسطينيين والاسرائيليين بعض التنازلات المتبادلة. ورأى «انه من السابق لأوانه القول ما اذا كان هذا الاسلوب سينجح» (الواشنطن بوست، ١١/٤/١٩٨٩).

• قال وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان الانتخابات في الارض المحتلة ممكنة حتى من دون ايقاف الانتفاضة. وأضاف: «لا اعتقد بأن هذا [عن طرح رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير ايقاف الانتفاضة] سينجح». وأشار بيكر الى انه يفهم مقترحات شامير على انها دعوة الى مفاوضات سياسية تناقش، في مراحلها النهائية، «مسائل متعلقة بالوضع النهائي للارض المحتلة»؛ ورأى ان شامير يقول انه «ستتم دراسة جميع الخيارات في المفاوضات، وخاصة تلك المتعلقة بالوضع النهائي» للارض المحتلة (الواشنطن بوست، ١١/٤/١٩٨٩).

١١/٤/١٩٨٩

• عقدت، في العاصمة البولندية، وارسو، مباحثات رسمية بين الوفد الفلسطيني، برئاسة رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، ورئيس مجلس الدولة في جمهورية بولندا الشعبية، فويتسيخ ياروزلسكي. وقد أُجريت المباحثات في قصر بلفدير (رئاسة مجلس الدولة) (وفا، ١١/٤/١٩٨٩).

• استشهد أمس المواطن جميل كامل جميل النتشة (٢١ عاماً)، بعد اصابته بالرصاص من قبل مجموعة من الجنود الاسرائيليين، تخفّى بعضهم في زي مدني، وكانت تقلّهم سيارة محلية، واطلقوا النار باتجاه شبان في احد احياء الخليل. من جهة أخرى، عمّ الاضراب الاحتجاجي مدينة القدس خلال مسيرة تشييع الشهيد خالد الشاويش، حيث احتشد اكثر من ألف مواطن قرب منزل الشهيد، فيما غطّت الشعارات الوطنية الحي بأكمله، ورفع علم فلسطين. وقد تعرّض المشيّعون لشتائم بذيئة من «حرس الحدود» عند مرورهم بباب الاسباط. وبعد مواراة جثمان

الشهيد التراب، وقعت مصادمات بين الأهالي وقوات الاحتلال (الاتحاد، ١٢/٤/١٩٨٩).

• هدّد قائد المنطقة الجنوبية الاسرائيلي، الجنرال اسحق مردخاي، بتكثيف تواجد الجنود في قطاع غزة، وذلك في أعقاب اللقاء الذي أجراه مع ١٢ شخصية تقليدية من قطاع غزة، أجابت عن طلبه «العمل على تخفيف التوتر» ونشر «الهدوء» في أوساط الأهالي، بأن أي انسان لا يستطيع التأثير على الشارع، وانه لا يمكنهم التحدث، سياسياً، باسم الشارع، والوحيد الذي يمكنه ذلك هو منظمة التحرير الفلسطينية (الاتحاد، ١٢/٤/١٩٨٩).

• قال موظف اردني، رفيع المستوى، ان الاردن يعمل على صياغة قانون انتخابات جديدة، يمنع سكان الضفة الفلسطينية من الانتخاب لمجلس النواب الاردني. ووفقاً لهذا القانون، يصبح عدد أعضاء البرلمان ٧١ (بدلاً من ٦٠ حالياً)، وجميعهم سوف ينتخبون من بين صفوف سكان الضفة الشرقية، اردنيين وفلسطينيين على حد سواء. وأضاف انه، طبقاً للقانون الجديد، يلغى تخصيص ١١ مقعداً في البرلمان للفلسطينيين سكان المخيمات في الضفة الشرقية (دافار، ١٢/٤/١٩٨٩).

• قال القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير المالية، شمعون بيرس، ان اسرائيل لا تخشى من تواجد مراقبين أجانب في اثناء سير العملية الانتخابية في المناطق المحتلة. وأضاف: «ليس لدينا ما نخفيه» (دافار، ١٢/٤/١٩٨٩).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، لسكرتير عام الامم المتحدة، خافير بيريز ديكويلار، ان اسرائيل ليست بحاجة، حالياً، الى مساعدة الامم المتحدة في مسار السلام. وأضاف، انه يؤيد اجراء مفاوضات مباشرة بين الاطراف كافّة، ويعتقد بأن المؤتمر الدولي لا يؤدي الى السلام، بل الى العكس. ورد سكرتير عام الامم المتحدة على أقوال شامير بأن غالبية وزراء الخارجية الذين تحدث اليهم، في الآونة الاخيرة، يؤيدون فكرة عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط (دافار، ١٢/٤/١٩٨٩).

• قال مسؤول اميركي كبير ان الولايات المتحدة طلبت من حلفائها الغربيين، ومن الدول العربية، المساعدة في تبنّي مقترحات اسرائيلية للسماح باجراء انتخابات فلسطينية في الضفة والقطاع التي طرحها رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير. وقال، ان الادارة الاميركية سوف تركز على محاولة الترويج للمقترحات الاسرائيلية، كخطوة أولى باتجاه اقرار السلام في منطقة الشرق الاوسط (نيويورك تايمز، ١٢/٤/١٩٨٩).

١٢/٤/١٩٨٩

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في الرباط، الى ملك المغرب، الحسن الثاني، حيث أُجري استعراض تطورات القضية الفلسطينية، والاوضاع داخل المناطق المحتلة، وعدد من القضايا العربية الاخرى. وقد أقام ولي العهد، سيدي محمد، مأدبة افطار، تكريماً للضيف الفلسطيني والوفد المرافق له، حضرها عدد من كبار الوزراء والمسؤولين الحكوميين المغاربة (وفا، ١٢/٤/١٩٨٩).

• عثر، في احد الحقول القريبة من طولكرم، على جثة المواطن عبدالحفيظ الجلّاد (٨٠ عاماً)، ولم تتوفر أية معلومات حول ظروف واسباب وفاته. من جهة أخرى، هاجمت القوات الضاربة الفلسطينية مقرّ الحكم العسكري في طولكرم بالحجارة والزجاجات الفارغة وحطمت زجاج عدد من السيارات الاسرائيلية. وفرضت قوات الاحتلال حظر التجول على معظم انحاء طولكرم في الوقت الذي تواصل الاضراب في مدينة القدس لليوم الثاني على التوالي، احتجاجاً واستنكاراً لجريمة قتل خالد الشاويش، أمس. وواصلت قوات الاحتلال فرض حظر التجول على وسط مدينة الخليل؛ وشهدت احياء غزة وعدد من مخيماتها مظاهر احتجاج متعددة، كان أعنفها في مدينة خان يونس (وفا، ١٢/٤/١٩٨٩؛ والاتحاد، ١٣/٤/١٩٨٩).

• اكتشفت أجهزة الامن الاسرائيلية، بالتعاون مع دائرة الاقليات، في منطقة الشارون، تنظيماً في قرية الطيبة، في المثلث، عمل أعضاؤه في صفوف «فتح». فقد تمّ اعتقال خمسة كانوا خططوا لعمليات ضد أهداف عسكرية ومدنية، في مرحلة سابقة، قبل ان يستطيعوا تنفيذ مآربهم. وقدّمت ضد الخمسة ملفات اتهام في المحكمة العسكرية في اللد. وعلم ان قائد الخلية، ويدعى عبدالحليم الحاج يحيى (٢٤ عاماً)، انتسب الى «فتح» في ايطاليا، في نهاية العام ١٩٨٧ (معاريف، ١٣/٤/١٩٨٩).

• باشر وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، حملة سياسية واسعة النطاق، لعرض افكار السلام

التي طرحها رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، على دول العالم. فبعد لقائه بسفير مصر في تل - أبيب، محمد بسيوني، التقى ارنس أربعة سفراء اوروبيين، هم سفراء بريطانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا الاتحادية، وأطلعهم على مبادرة شامير (معاريف، ١٣/٤/١٩٨٩).

• قال ضابط هندسة كبير، هو العميد يوسف ايل، ان امكانية مجابهة هجوم كيميائي في اثناء الحرب، باتت متوفرة لدى معظم الوحدات القتالية؛ وان المقاتلين مؤهلون للبقاء في ساحة المعركة ومتابعة القتال (معاريف، ١٣/٤/١٩٨٩).

• أجرى الرئيس المصري، حسني مبارك، وملك الاردن، حسين، في عمّان، مباحثات في شأن التطورات الحالية في الشرق الاوسط، ومقترحات رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، لاجراء انتخابات في الارض المحتلة، اضافة الى نتائج المحادثات التي أجراها الرئيس مبارك في واشنطن والموضوعات التي سيركز عليها الملك حسين خلال زيارته المرتقبة لواشنطن (الحياة، ١٣/٤/١٩٨٩).

• وصفت الناطقة باسم وزارة الخارجية الاميركية، مارغريت توتويلر، الاقتراح الاسرائيلي تنظيم انتخابات في الارض المحتلة، بأنه نقطة انطلاق يجب ان تتطور. وقالت: «قبل ان نتعلم المشي علينا ان نتعلم الحبو»، مكررة بذلك تفضيل الادارة الاميركية لسياسة «الخطوة خطوة» في شأن ازمة الشرق الاوسط. وعن رفض م.ت.ف. المقترحات الاسرائيلية، قالت الناطقة: «ليس من النادر ان تتخذ أطراف متعارضة مواقف متطرفة، خصوصاً في البداية»، ودعت الدول العربية الى عدم الحكم على المشروع قبل ان يتبلور في شكله النهائي، وقالت: «اننا نطالب جميع الاطراف العاملة من اجل السلام بأن تترك لنا فرصة استكشاف وتطوير هذه الافكار (نيويورك تايمز، ١٣/٤/١٩٨٩).

• أعلن البيت الابيض، ان الرئيس الاميركي، جورج بوش، أجرى اتصالاً هاتفياً بالعاهل السعودي، الملك فهد بن عبدالعزيز، بحث، خلاله، في الجهود الرامية الى احياء عملية السلام في الشرق الاوسط. وجاء في بيان مقتضب عن البيت الابيض، ان بوش اتصل بالملك فهد «للبحث في عملية السلام» (نيويورك تايمز، ١٣/٤/١٩٨٩).

١٣/٤/١٩٨٩

• وصل، الى بغداد، رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في زيارة رسمية للعراق؛ وكان في استقباله، لدى وصوله مطار صدام الدولي، الرئيس العراقي، صدام حسين، وعدد من المسؤولين العراقيين. وقد أُجريت مراسيم استقبال رسمية للرئيس عرفات (وفا، ١٣/٤/١٩٨٩).

• ارتكبت قوات الاحتلال الاسرائيلي مجزرة بشعة ضد أهالي قرية نحالين، قرب بيت لحم. فقد اقتحمت القرية، قبيل الفجر، قوة من حرس الحدود وفتحت النار على المواطنين، فقتلت سبعة وأصابت خمسين آخرين بجروح. والشهداء هم: محمد حسن شكارنة (٢٢ عاماً)، ووليد محمد صافي (٢٢ عاماً)، وابراهيم محمد ابو العابد (٢٣ عاماً)، ومحمد حسين حسنين الشيخ (٢٠ عاماً)، وفؤاد يوسف عوض نجاجرة (١٥ عاماً)، وصبحي محمد عطية شكارنة (٢١ عاماً)، ورياض محمد علي غياضة (٢٧ عاماً)، وداود خالد نصار (١٥ عاماً)، والاخير استشهد متأثراً بجراحه في بيت لحم (وفا، ١٣/٤/١٩٨٩).

• أعلنت ثلاث عشرة شخصية فلسطينية، تراس قطاعات ومؤسسات اجتماعية ونقابية، في الاراضي المحتلة، رفضها القاطع لاقتراح رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، باجراء انتخابات (وفا، ١٣/٤/١٩٨٩).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في لقائه مع اتحاد الناشرين والصحافيين الاميركيين، ان صورة اسرائيل في وسائط الاعلام الاميركية ليست ايجابية. واوضح شامير، انه من الصعوبة بمكان المواجهة مع صور اطفال يرشقون الحجارة مقابل جنود يحملون البنادق. لكنه اكد «ان الحجارة والزجاجات الحارقة يحتمل ان تصبح، وهي كذلك، سلاحاً فتّاكاً». وأضاف شامير، ان اسرائيل، وبسبب المخاطر الامنية المحدقة بها، لا تستطيع التنازل عن المناطق المحتلة دون المخاطرة بمسألة وجودها، وفي الوقت عينه، فهي لا تريد السيطرة على سكان تلك المناطق الفلسطينية (دافار، ١٤/٤/١٩٨٩).

• بعث سفير اسرائيل في واشنطن، موشي اراد، برسالة احتجاج الى منظمي اجتماع اتحاد الناشرين والصحافيين الاميركيين، الذين ظهر امامهم رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير؛ اذ خلافاً للاتفاقات التي تمّت مع حاشية شامير، سمح

منظمو الاجتماع لممثل م.ت.ف. د. نبيل شعث، بالظهور في الاجتماع، بعد ساعة واحدة من ترك شامير القاعة (معاريف، ١٤/٤/١٩٨٩).

• قال الرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر، انه يتعين على اسرائيل ان تكون مستعدة للانسحاب من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة حتى يمكن تحقيق السلام في الشرق الاوسط. وقال، في مؤتمر صحافي، ان اسرائيل اقترحت السماح للفلسطينيين في الارض المحتلة اجراء انتخابات، و«عليها ان تدرك ان معظم الفلسطينيين يعتبرون م.ت.ف. ممثلهم الوحيد» (الواشنطن بوست، ١٤/٤/١٩٨٩).

• أعلن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان الانتخابات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة تشكّل «عملاً سياسياً هاماً يمكن ان يطلق عملية تؤدي الى المفاوضات المتعلقة بالمرحلة الانتقالية وبالوضع النهائي» للارض المحتلة. وأضاف، في شهادة له للجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ، «ان على كل الاطراف ابقاء مسألة الانتخابات في أذهانهم ضمن اطار عملية سياسية شاملة». وشدّد على ان فكرة الانتخابات لم تترسّخ بعد، وان نقاطاً عدة تبقى عالقة، منها الاشراف الدولي ومشاركة الفلسطينيين خارج الارض المحتلة، ودرجة الهدوء الواجب ان يسود في المناطق المحتلة لجعل الانتخابات ممكنة. وفي هذا السياق، أعرب بيكر عن ارتياح الادارة للتعهدات التي قدمتها م.ت.ف. والتي كانت سبباً في بدء الحوار (الواشنطن بوست، ١٤/٤/١٩٨٩).

١٤/٤/١٩٨٩

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، الى نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية العراقية، طارق عزيز، في بغداد، حيث استعرض الطرفان تطورات القضية الفلسطينية، والانتفاضة في المناطق المحتلة، واجراءات سلطات الاحتلال الاسرائيلي التعسفية ضد المواطنين فيها. كما استعرضا الجهود المبذولة لوضع حدّ للقتال الدائر في لبنان (وفا، ١٤/٤/١٩٨٩).

• دعت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. في بيان أصدرته، مجلس الامن الدولي الى التحرك الفوري لادانة المجزرة الدموية التي ارتكبتها قوات من حرس الحدود الاسرائيلية في قرية نحالين؛ وطالبته بتأمين الحماية العاجلة للفلسطينيين تحت الاحتلال؛ كما طالبت المنظمة الادارة الاميركية باتخاذ موقف واضح وجادّ ضد الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان الفلسطيني، والضغط على الحكومة الاسرائيلية لايقاف تدابيرها التعسفية والقمعية (وفا، ١٤/٤/١٩٨٩).

• أعلن المواطنون في المناطق المحتلة اضراباً عاماً، حداداً على أرواح شهداء مجزرة نحالين؛ فيما تواصلت الصدامات والاشتباكات الضارية في مختلف مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، اسفرت عن اصابة ١٠٤ مواطنين بجروح، كما توفي المواطن سامي عبد الرحيم الكحلة (٣٤ عاماً)، من بلدة عتّيل، متأثراً بجراحه، وكانت سيارة عسكرية اسرائيلية دهسته، في وقت سابق، في منطقة الجفتلك. كما استشهد شاب من نابلس، اثر اصابته بعيار ناري (الدستور، ١٥/٤/١٩٨٩).

• أعلن وزير الخارجية الجزائرية، بوعلام بساييح، ان ثمة تجاوباً مع الوساطة التي تقوم بها بلاده بين م.ت.ف. وسوريا، مؤكداً ان الجزائر تعتبر العلاقات السورية ـ الفلسطينية مسألة استراتيجية (الحياة، ١٥/٤/١٩٨٩).

• وصف وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، المقترحات التي عرضها رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، على الادارة، بأنها «تشكّل خطوات ايجابية» تستحق المزيد من «الدرس والتطوير». وقال، في خطاب في مؤتمر لرؤساء تحرير الصحف الاميركية، ان الولايات المتحدة ركزت، خلال الشهرين الماضيين، على «الحاجة الى عملية مرتكزة على سياسة الخطوة خطوة» بغية «خفض التوتر وتشجيع الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين، وبناء مناخ يستطيع تقبّل قيام مفاوضات حول الترتيبات الانتقالية والوضع النهائي» للارض المحتلة (انترناشونال هيرالد تريبيون، ١٥ ـ ١٦/٤/١٩٨٩). من جهة أخرى، دافع بيكر عن الحوار بين حكومته وم.ت.ف. وقال: «اننا مقتنعون بأن المنظمة لا تزال ملتزمة بتعهداتها بالاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ونبذ الارهاب بصوره كافة» (الاهرام، ١٥/٤/١٩٨٩).

١٥/٤/١٩٨٩

• عقد رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، اجتماعاً مغلقاً مع الملك الاردني حسين، في قصر الندوة، في عمّان، تمّ خلاله بحث في آخر الطروحات المتعلقة بتحقيق التسوية السلمية في المنطقة. وتأتي هذه المحادثات في اطار التشاور والتنسيق بين

الطرفين، الفلسطيني والاردني، عشية زيارة الملك حسين للولايات المتحدة الاميركية، حيث يلتقي رئيسها جورج بوش وعدداً من المسؤولين في الادارة الاميركية (**الدستور**، ١٦/٤/١٩٨٩).

• شهدت مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، اضراباً شاملاً، تضامناً مع أهالي قرية نحالين واستنكاراً للمجزرة التي ارتكبها جنود الاحتلال ضد أهالي القرية. وقد فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول على الاراضي المحتلة، أمس، عشية الذكرى الاولى لاغتيال القائد الفلسطيني خليل الوزير (أبو جهاد) في تونس، قبل عام. وكانت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة دعت الى تصعيد المواجهة مع الاحتلال في «يوم الغضب»، بهذه المناسبة (**الدستور**، ١٦/٤/١٩٨٩).

• دعا رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في مؤتمر صحافي عقد في مطار بن ـ غوريون، اثر عودته من واشنطن، الفلسطينيين الى المساهمة بجزء من الانتخابات وفي عملية السلام في المنطقة. وقال شامير «ان هذا يتوافق ومصالحهم». وأوضح انه توصّل والادارة الاميركية الى تفاهم واتفاق حول مبادىء مشروعه المؤلف من أربع نقاط؛ وكذلك حصل على تأييد فعّال لاسرائيل بين صفوف يهود الولايات المتحدة (**معاريف**، ١٦/٤/١٩٨٩).

• قال مصدر، رفيع المستوى، في وزارة الخارجية الاميركية، ان ادارة الرئيس جورج بوش تعمل على منع اعطاء م.ت.ف. العضوية الكاملة في منظمة الصحة العالمية ومؤسسات أخرى تابعة للامم المتحدة (**دافار**، ١٦/٤/١٩٨٩).

القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي

(قائمة مختارة)

اسرائيل

○ الاحزاب والتكتلات

١ بسطامي، مها؛ «الانتخابات البلدية والمحلية في اسرائيل [تقرير]»، شؤون فلسطينية ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٤٢ ـ ١٥٣.

٢ خليفة، نبيل؛ «سقوط بيرس بالضربة الانتخابية»، المستقبل (باريس)، السنة ١٣، العدد ٦٣٠، ١٨/٣/١٩٨٩، ص ١٦ ـ ١٧.

٣ سالم، عفيف؛ «الفاشية في اسرائيل من بن ـ غوريون الى شامير»، المستقبل، السنة ١٣، العدد ٦٣٤، ١٥/٤/١٩٨٩، ص ٢٤ ـ ٢٩.

٤ Moffett III, George D.; "Islam in Israel; Muslem Fundamentalists Grab Attention with Vote", *The Christian Science Monitor*, 16/3/1989, p. 10c.

٥ Shalev, Menachem; "How the Premier Outflanked Labour ?", *The Jerusalem Post*, 1/4/1989, p. 3.

٦ ـــ، ـــ ; "The Worst of Days for Shimon Peres", *The Jerusalem Post*, 18/3/1989, p. 5.

(انظر، ايضاً، ٦٢)

○ الاستيطان والمستوطنات

٧ عبدالله، صلاح؛ «المستوطنون والانتفاضة [تقرير]»، شؤون فلسطينية ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٠٠ ـ ١٠٧.

○ العلاقات الخارجية

٨ العبدالله، هاني؛ «محادثات ارنس في واشنطن [تقرير]»، شؤون فلسطينية ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٣٦ ـ ١٤١.

٩ المدهون، ربعي؛ «التحاور الاسرائيلي مع الفلسطينيين [تقرير]»، شؤون فلسطينية ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٥٣ ـ ١٥٧.

١٠ Neff, Donald; "U.S. and Israel; Small Stick and Large Carrot", *Middle East International*, No. 347, 31/3/1989, pp. 4 - 6.

فلسطين

○ الاجتماع

١١ زقوت، جمال؛ «الاوضاع الصحية في المناطق المحتلة بين الاحتلال والانتفاضة»، الحرية (نيقوسيا)، العدد ٣٠٦، ٩/٤/١٩٨٩، ص ٣٣ ـ ٤٠.

١٢ السيد، يونس؛ «نحو مفهوم أعمق لدور المرأة في الانتفاضة؛ المرأة الفلسطينية في صدر الصراع»، الى الامام (دمشق)، العدد ١٠٨٠، ١٠/٣/١٩٨٩، ص ١٢ ـ ١٤.

○ الاقتصاد

١٣ حوراني، هاني؛ «قضايا الحركة العمّالية الفلسطينية ومشكلاتها في بواكير تشكلها، كما عرضتها مجلة ' حيفا ' ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥»، صامد الاقتصادي (عمّان)، السنة ١١، العدد ٧٥، كانون الثاني ـ آذار (يناير ـ مارس) ١٩٨٩، ص ١٠١ ـ ١١٣.

١٤ خليل، عواد؛ «العمالة العربية من فلسطين المحتلة العام ١٩٦٧ في الاقتصاد الاسرائيلي»، صامد الاقتصادي، السنة ١١، العدد ٧٥، كانون الثاني ـ آذار (يناير ـ مارس) ١٩٨٩، ص ١٤ ـ ٢٩.

١٥ الزاغة، عادل؛ «احتساب علاوة غلاء المعيشة في سوق تسود فيه عملتان نقديتان وجدول أسعار مستهلك حسب العملة الرسمية»، الكاتب

(القدس)، العدد ١٠٦، شباط (فبراير) ١٩٨٩، ص ٣٧ ـ ٤٦.

١٦ سمارة، عادل؛ «طرد عمّالنا من اسرائيل والبدائل المطلوبة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١١، العدد ٧٥، كانون الثاني ـ آذار (يناير ـ مارس) ١٩٨٩، ص ٧٤ ـ ٨٧.

١٧ عمر، أحمد؛ «حق تقرير المصير الاقتصادي للشعب الفلسطيني»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١١، العدد ٧٥، كانون الثاني ـ آذار (يناير ـ مارس) ١٩٨٩، ص ١٣٥ ـ ١٤٨.

١٨ غيبة، حيدر محمد؛ «الانتفاضة والوضع الاقتصادي في الاراضي المحتلة»، **صوت فلسطين** (دمشق)، العدد ٢٥٤، آذار (مارس) ١٩٨٩، ص ٣٣ ـ ٣٦.

١٩ لطفي، عباس؛ «آثار الانتفاضة الفلسطينية على الاقتصاد الاسرائيلي [تقرير]»، **الاردن الجديد** (نيقوسيا)، العدد ١١، خريف ١٩٨٨، ص ١١٩ ـ ١٢٤.

٢٠ «مشكلة تمويل الفعاليات الصناعية في الاراضي الفلسطينية المحتلة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٣، تموز ـ أيلول (يوليو ـ سبتمبر) ١٩٨٨، ص ١٣٤ ـ ١٧٦.

٢١ «المؤسسات المالية الفلسطينية ودور المصارف الاسرائيلية في الاراضي المحتلة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٣، تموز ـ أيلول (يوليو ـ سبتمبر) ١٩٨٨، ص ٩٧ ـ ١٣٣.

٢٢ هاريس، لورنس؛ «القمع المالي والمصرفي الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٣، تموز ـ أيلول (يوليو ـ سبتمبر) ١٩٨٨، ص ٥٦ ـ ٨٤.

٢٣ ياسين، عبدالقادر؛ «الطبقة العاملة الفلسطينية والانتفاضة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١١، العدد ٧٥، كانون الثاني ـ آذار (يناير ـ مارس) ١٩٨٩، ص ٤٤ ـ ٥٠.

٢٤ اليحياوي، مصطفى؛ «لأول مرة المنتجات تحمل ' صُنع في فلسطين ' و' صُنع في غزة' ؛ الحمضيات والخضار الفلسطينية الى الاسواق الاوروبية رغماً عن اسرائيل»، **المجلة** (لندن)، العدد ٤٧٣، ٣/٣/١٩٨٩، ص ٣٧ ـ ٤٠.

○ الثقافة

٢٥ بجدانوف، اناتولي اندريفيتش؛ «فن التصوير العربي الفلسطيني»، **الكاتب**، العدد ١٠٦، شباط (فبراير) ١٩٨٩، ص ٦٢ ـ ٦٨.

٢٦ البطراوي، محمد خالد؛ «الثقافة الوطنية الفلسطينية وتشكيل وعي ووجدان الانتفاضة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٤، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٥٧ ـ ١٦٣.

٢٧ سرحان، نمر؛ «من فولكلور الانتفاضة الفلسطينية»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٤، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٦٤ ـ ١٩٣.

الفلسطينيون

○ الاضرابات والتظاهرات

٢٨ الترشحاني، رضا؛ «نابلس معقل التمرّد الفلسطيني»، **فلسطين الثورة** (نيقوسيا)، السنة ١٧، العدد ٧٤٤، ٩/٤/١٩٨٩، ص ٢٢ ـ ٢٣.

٢٩ شراب، أسامة علي؛ «الانتفاضة على عتبات مرحلتها الخامسة»، **المجلة العسكرية الفلسطينية** (نيقوسيا)، السنة ٦، العدد ١٢، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٢٦ ـ ٢٩.

٣٠ الشرفي، محمد؛ «الخطاب السياسي في نداءات الانتفاضة»، **الصداقة** (تونس)، السنة ٢، العدد ٧، ١٩٨٩، ص ٥٨ ـ ٧١.

٣١ عبدالحميد، مهنّد؛ «الانتفاضة تأخذ بسلاح الهجوم الواسع»، **الحرية**، العدد ٣٠٥، ٢/٤/١٩٨٩، ص ١١ ـ ١٢.

٣٢ ـــ ، ـــ ؛ «الانتفاضة الفلسطينية تختتم عامها الاول؛ تاكتيكات الانتفاضة وانجازاتها السياسية والتنظيمية»، **الاردن الجديد**، السنة ٥، العدد ١١، خريف ١٩٨٨، ص ٢٣ ـ ٤١.

٣٣ عبدالمجيد، وحيد؛ «الشمولية الاجتماعية

للانتفاضة»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٣ ـ ٢١.

٣٤ علي، باسل محمد (مُعد)؛ «الانتفاضة ثورة شعبية مستمرة تشق طريقها الى الغد الفلسطيني عبر النار والدمار والدم»، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٦، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٥ ـ ١٤.

٣٥ عمر، مصطفى؛ «اساليب القمع الصهيوني للانتفاضة؛ تعددت الاشكال والهدف واحد»، **الهدف** (نيقوسيا)، السنة ٢٠، العدد ٩٥٣، ٢/٤/١٩٨٩، ص ١٢ ـ ١٥.

٣٦ «قائمة بأسماء شهداء الشهر الثالث عشر للانتفاضة»، **الكاتب**، العدد ١٠٥، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، ص ٣٦ ـ ٣٨.

٣٧ «قائمة بأسماء شهداء الشهر الرابع عشر للانتفاضة»، **الكاتب**، العدد ١٠٦، شباط (فبراير) ١٩٨٩، ص ١٩ ـ ٢١.

٣٨ كيوان، ماهر؛ «قادة اسرائيل يعترفون باستحالة تصفية الانتفاضة»، **الحرية**، العدد ٣٠٣، ١٩/٣/١٩٨٩، ص ٢٦ ـ ٢٩.

٣٩ ـــ ، ـــ ؛ «نابلس بدون ماء، أو دواء، او غذاء»، **الحرية**، العدد ٣٠٢، ١٢/٣/١٩٨٩، ص ١٦ ـ ١٧.

٤٠ مباركة، محمد؛ «الانتفاضة في شهرها الرابع عشر؛ ٢٧ شهيداً، ٣٥٠ جريحاً، ٢٢٠ معتقلاً»، **صوت فلسطين**، العدد ٢٥٤، آذار (مارس) ١٩٨٩، ص ٩ ـ ١١.

٤١ محمد، نعمان؛ «في الذكرى الثالثة عشرة ليوم الارض؛ الارض حبلى والساعة ميلاد»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٣، ٢/٤/١٩٨٩، ص ٦ ـ ١١.

٤٢ المشني، اعتلاء؛ «اثر الانتفاضة على الاطفال ومسؤوليات المستقبل»، **الكاتب**، العدد ١٠٨، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٣٢ ـ ٣٥.

٤٣ «[نص رسالة عشرات من المثقفين والاكاديميين الى الامين العام للامم المتحدة، للتدخل لايقاف اجراءات القمع الاسرائيلية في الارض المحتلة]»، **الحرية**، العدد ٣٠٠، ٢٦/٢/١٩٨٩، ص ٢٤ ـ ٢٥.

٤٤ ياسين، عبدالقادر؛ «موقع ' حماس ' في الظاهرة الاسلامية في الضفة والقطاع»، **الاردن الجديد**، السنة ٥، العدد ١١، خريف ١٩٨٨، ص ٤٣ ـ ٥٣.

٤٥ يخلف، يحيى؛ «الانتفاضة في عامها الاول؛ انجازات ودروس»، **الصداقة**، السنة ٢، العدد ٧، ١٩٨٩، ص ١٠٢ ـ ١١٠.

٤٦ Benvenisti, Meron; "The Morning After", *The Jerusalem Post*, 4/3/1989, pp. 8, 18.

٤٧ Frankel, Glenn; "Intifada Sprouts New Heads as Fast as Israelis Chop them off", *The Guardian Weekly*, Vol. 140, No. 14, 2/4/1989, p. 18.

٤٨ Goell, Yosef; "Cousins of the Intifada [The Impact of the Intifada on Israel's Arab Citizens]", *The Jerusalem Post*, 11/3/1989, p. 8.

٤٩ Greenberg, Joel; "Land Day Highlights the Two Faces of Barta'a", *The Jerusalem Post*, 8/4/1989, p. 3.

٥٠ Kuttab, Daoud; "Occupied Palestine; Anger and Frustration", *Middle East International*, No. 347, 31/3/1989, pp. 9 - 10.

٥١ Rabinovich, Abraham; "Reservists Speak - Lessons of the Intifada", *The Jerusalem Post*, 18/2/1989, p. 5.

٥٢ Rasmden, Sally; "Occupied Territories; The Roots of Revolution", *The Middle East*, No. 174, April 1989, pp. 22 - 26.

٥٣ Sela, Michal; "The Border Police Move into the Gaza Strip; The Right Men for the Job at Hand", *The Jerusalem Post*, 25/3/1989, p. 5.

○ بيانات وتصريحات

٥٤ الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الفلسطينية، «[مقتطفات من بيان صحافي بشأن ظروف الوضع الاقتصادي للعمال الفلسطينيين]»، **صوت الوطن** (نيقوسيا)،

شباط (فبراير) ١٩٨٩، ص ٧.

٥٥ الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، «سنعمل على تنفيذ الحق الشرعي بحق سلمان رشدي [بيان]»، **الى الامام**، العدد ١٠٨٠، ١٠/٣/١٩٨٩، ص ٧.

٥٦ القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة، «[نص النداء الرقم ٣٦؛ نداء الكرامة، بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٩]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤١، ١٩/٣/١٩٨٩، ص ٦ ـ ٧.

٥٧ ـــــ ، «[نص النداء الرقم ٣٧؛ نداء الارض، بتاريخ ٢٩/٣/١٩٨٩]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤٤، ٩/٤/١٩٨٩، ص ٨ ـ ٩.

٥٨ ـــــ ، «[مقتطفات من منشور باللغة العبرية وزّعته القيادة الموحدة، ووجهته الى الجندي الاسرائيلي]»، **اليوم السابع** (باريس)، السنة ٥، العدد ٢٥٣، ١٣/٣/١٩٨٩، ص ٧.

٥٩ «[مقتطفات من بيان اتحاد لجان العمل النسائي الفلسطيني في الارض المحتلة بشأن دعوة المؤسسات الدولية للتدخل لايقاف سياسة قتل الاجنّة]»، **الحرية**، العدد ٣٠٣، ١٩/٣/١٩٨٩، ص ٣١.

٦٠ «[نص بيان الاسرى والاسيرات في المعتقلات الاسرائيلية، بتاريخ ٩/٢/١٩٨٩]»، **الحرية**، العدد ٢٢٩، ١٩/٢/١٩٨٩، ص ٢٥.

٦١ «[نص نداء النساء الفلسطينيات المعتصمات في مكاتب الصليب الاحمر، في القدس، بتاريخ ٧/٣/١٩٨٩، بشأن التضامن مع المعتقلين الفلسطينيين]»، **الحرية**، العدد ٣٠٣، ١٩/٣/١٩٨٩، ص ٢٩.

فلسطين

٦٢ خالد، أسامة؛ «نتائج انتخابات المجالس المحلية العربية في منطقة ١٩٤٨؛ هل انتصرت قوائم الاصوليين حقاً ؟»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٠، ١٢/٣/١٩٨٩، ص ١٣ ـ ١٥.

٦٣ الزرو، نوّاف؛ «فلسطينيو الوطن المحتل ١٩٤٨ والانتفاضة؛ من التضامن الى المشاركة [تقرير]»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٤، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٨٩، ص ٢١٠ ـ ٢١٧.

٦٤ «شخصيات الداخل تناقش مشروعي شامير ورابين»، **الحرية**، العدد ٢٩٩، ١٩/٢/١٩٨٩، ص ٣٨ ـ ٤٦.
(انظر، أيضاً، ٤٨)

القضية الفلسطينية

٦٥ ابو نزار، صخر؛ «الدولة الفلسطينية في تكتيك واستراتيجية الامبريالية الاميركية»، **الصداقة**، السنة ٢، العدد ٧، ١٩٨٩، ص ١١ ـ ٥٧.

٦٦ جاد، عماد؛ «المفهوم الاسرائيلي لمصادر التهديد»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٨٣ ـ ٩٢.

٦٧ «الجولة الثانية من الحوار؛ «الثوابت الفلسطينية رداً على المقترحات الاميركية»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٥٦، ٣٠/٤/١٩٨٩، ص ٨ ـ ٩.

٦٨ حيدري، نبيل؛ «السلم البارد»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٢٢ ـ ٣٥.

٦٩ خليل، محمود؛ «الدولة الفلسطينية؛ ماضيها، حاضرها، مستقبلها»، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٦، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٨ ـ ٢٥.

٧٠ شاهين، أحمد؛ «الانتظار العربي الرسمي [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٢٠ ـ ١٢٦.

٧١ شبيب، سميح؛ «تعميق مفهوم السلام الفلسطيني [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١١٦ ـ ١١٩.

٧٢ عبدالرحمن، محمد؛ «' مبادرة رابين ' خطوة في فراغ [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٩٣ ـ ٩٩.

٧٣ مسلّم، طلعت أحمد؛ «مشاركة الجيوش العربية في حرب العام ١٩٧٣»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٧١ ـ ٨٢.

"Half Way to Palestine", *The Economist*, Vol. 311, No. 7595, 1/4/1989, pp. 13 - 41. ٧٤

Kedron, Peretz; "Shamir's Mysterious 'Ideas'", *Middle East International*, No. 347, 31/3/1989, pp. 6 - 8. ٧٥

Litani, Yehuda, "Shamir's Plan for the Areas", *The Jerusalem Post*, 8/4/1989, p. 2. ٧٦

منظمة التحرير الفلسطينية

٧٧ «أعمال المجلس المركزي؛ الاجماع على عرفات رئيساً لدولة فلسطين تأكيد جديد على الوحدة الوطنية»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٥٧، ١٠/٤/١٩٨٩، ص ٨ ـ ٩.

٧٨ نمر، سليمان؛ «عرفات والحل الافغاني»، **المستقبل**، السنة ١٣، العدد ٦٣٠، ١٨/٣/١٩٨٩، ص ٢٠ ـ ٢٢.

Rabbani, Muin; "The P.L.O. and the Intifada; A Complex Relationship", *Middle East International*, No. 347, 31/3/1989, pp. 20 - 21. ٧٩

○ بيانات وتصريحات

٨٠ «[نص بيان المنظمة بشأن اقتحام سلطات الاحتلال الاسرائيلي مسجد الشيخ آل رضوان في غزة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤٢، ٢٦/٣/١٩٨٩، ص ٧.

▷ الاتحاد العام لعمال فلسطين

٨١ «[مقتطفات من بيان فرع الاتحاد في العراق بمناسبة الذكرى السنوية الاولى لانطلاقة الانتفاضة]»، **فلسطيننا** (تونس)، العدد ٢٧، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، ص ٢١.

▷ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

٨٢ «[نص بيان المكتب السياسي للجبهة بعنوان]: لن ينالوا من الانتفاضة ولن يحولوا دون انتصار دولة فلسطين»، **الحرية**، العدد ٣٠٠، ٢٦/٢/١٩٨٩، ص ٦ ـ ٧.

▷ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

٨٣ «القضاء على الانتفاضة مستحيل [كلمة جورج حبش في مهرجان ' يوم الارض ' في دبي]» **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٤، ص ٧ ـ ٩.

٨٤ «ندعو لفتح أبواب الحوار الجماعي للبحث في سبل تصعيد الانتفاضة [نص بيان سياسي صادر عن اللجنة المركزية للجبهة]»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٣، ٢/٤/١٩٨٩، ص ٤ ـ ٥.

٨٥ «[نص بيان الجبهة الصادر في فلسطين المحتلة، بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٩، بشأن الاتصالات واللقاءات بين شخصيات فلسطينية وقوى ديمقراطية اسرائيلية]»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٢، ٢٦/٣/١٩٨٩، ص ٣٢ ـ ٣٣.

▷ الحزب الشيوعي الفلسطيني

٨٦ «[نص بيان الحزب في الذكرى السابعة لاعادة تأسيسه]»، **صوت الوطن**، العدد ٧٥، شباط (فبراير) ١٩٨٩، ص ١، ٧.

▷ عرفات، ياسر (ابو عمار)

٨٧ «[نص كلمته الى ابناء الشعب الفلسطيني، بتاريخ ١٩/٣/١٩٨٩]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤٢، ٢٦/٣/١٩٨٩، ص ١١.

▷ اللجنة التنفيذية

٨٨ «[نص بيان اللجنة الذي ناقشت خلاله الحوار مع الولايات المتحدة ودعت المجلس المركزي الى الانعقاد]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤٣، ٢/٤/١٩٨٩، ص ٦ ـ ٧.

٨٩ «[نص بيان اللجنة بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لـ يوم الارض]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤٤، ٩/٤/١٩٨٩، ص ١٠.

▷ المجلس المركزي الفلسطيني

٩٠ «[نص بيان المجلس القاضي بأن تستمر اللجنة التنفيذية في مهام حكومة مؤقتة وبانتخاب عرفات رئيساً لدولة فلسطين، بتاريخ ٣/٤/١٩٨٩]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٩٣،

نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٥٨ ـ ١٦١.

○ العلاقات الخارجية

٩١ الازهري، محمد خالد؛ «العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية (قراءة وثائقية)»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٣٦ ـ ٦٠.

٩٢ الجندي، محمد؛ «وجهة نظر؛ منظمة التحرير الفلسطينية والحوار مع الولايات المتحدة الاميركية»، **الحرية**، العدد ٣٠٤، ١٩٨٩/٣/٢٦، ص ٢٠ ـ ٢١.

٩٣ ن. ح.؛ «المبدأ والواقع في الحوار الاميركي ـ الفلسطيني [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٢٧ ـ ١٣١.

٩٤ يونس، عبدالله؛ «العلاقات الفلسطينية ـ الكويتية»، **الصداقة**، السنة ٢، العدد ٧، ١٩٨٩، ص ٩٠ ـ ١٠١.

○ العمليات الفدائية

٩٥ ابو المجد، جمال؛ «٢٢٨ عملية هجومية في الربع الاول من العام الحالي؛ مئة عملية في كانون الثاني (يناير)، وخمسون أخرى في شباط (فبراير)، و٧٨ في آذار (مارس)»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٤، ص ٩ ـ ١٢.

٩٦ «ثلاث عمليات فدائية من لبنان والاردن ومصر؛ لتتكثّف الجهود لدعم الانتفاضة بالنار»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥٢، ١٩٨٩/٣/٢٦، ص ٣١.

٩٧ صايغ، يزيد؛ «هجمات فردية جريئة [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٩٣، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٣٢ ـ ١٣٥.

المقابلات

٩٨ الاسعد، اسعد؛ «التجمعات الاقليمية لا تعني انهاء دور جامعة الدول العربية»، **الحوادث** (لندن)، العدد ١٦٨٧، ١٩٨٩/٣/٣، ص ٣٦ ـ ٣٨.

٩٩ البان، اسامة؛ «لو لم تكن اميركا تعترف بالمنظمة لما دخلت معها في حوار»، **الحوادث**، العدد ١٦٩٣، ١٩٨٩/٤/١٤، ص ٢٧ ـ ٣١.

١٠٠ الحسيني، فيصل؛ «مشاريع الحلول تبحث داخل ' الدولي ' وليس خارجه»، **الحوادث**، العدد ١٦٩١، ١٩٨٩/٣/٣١، ص ٣٠ ـ ٣٢.

١٠١ حواتمة، نايف؛ «علينا مواصلة الضغط على واشنطن حتى ترضخ لارادة المجتمع الدولي»، **الحرية**، العدد ٣٠٣، ١٩٨٩/٣/١٩، ص ٢٢ ـ ٢٦؛ نقلاً عن **السفير**، ١٩٨٩/٣/٨.

١٠٢ خالد، ليلى؛ «لتتوحد الجهود النسائية في دعم الانتفاضة الشعبية»، **الهدف**، السنة ٢٠، العدد ٩٥١، ١٩٨٩/٣/١٩، ص ١٦ ـ ١٧.

١٠٣ الخصاونة، هاني؛ «انتهى زمن الوقيعة بين الاردن والمنظمة»، **الوطن العربي** (باريس)، السنة ١٣، العدد ٦٣٤، ١٩٨٩/٤/٧، ص ٢١ ـ ٢٣.

١٠٤ شعث، نبيل؛ «المبادرة السوفياتية ترغم أميركا على التحرّك»، **الحوادث**، العدد ١٦٨٩، ١٩٨٩/٣/١٧، ص ٢٩ ـ ٣٠.

١٠٥ صروع، اليسار (رئيسة جمعية المرأة الفلسطينية في اوتاوا ـ كندا)؛ «نعّرف العالم بقضيتنا»، **الافق** (نيقوسيا)، السنة ٨، العدد ٢٣٥، ١٩٨٩/٣/١٦، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٠٦ صوراني، جمال؛ «الحوار الفلسطيني ـ الاميركي يدخل مرحلة الجدية ويركز على الدولي»، **الحوادث**، العدد ١٦٩١، ١٩٨٩/٣/٣١، ص ٣٤ ـ ٣٥.

١٠٧ عبدالمجيد، عصمت؛ «مجلس التعاون العربي لن يصبح تجمّعاً مغلقاً»، **الحوادث**، العدد ١٦٨٦، ١٩٨٩/٢/٢٤، ص ٢٤ ـ ٢٧.

١٠٨ عرفات، ياسر (أبو عمار)؛ «فرق اغتيالات توجهت نحو اوروبا، وقبضنا على ثلاثة بينهم فلسطيني؛ لا بدّ من قرار عربي جديد للاتصال بالاسرائيليين»، **المجلة**، العدد ٤٧٨، ١٩٨٩/٤/٥، ص ١٢ ـ ١٧.

١٠٩ علاء (عسكري فلسطيني)؛ «كل البنادق لطرد المحتلين وعملائهم»، **طريق الانتصار** (نيقوسيا)، السنة ١٢، العدد ٢٠٧، آذار (مارس) ١٩٨٩، ص ٢٧.

١١٠ فاركوني، بيتر؛ «نسعى الى علاقات طبيعية مع الفلسطينيين والاسرائيليين»، **المجلة** (لندن)، العدد ٤٧٨، ٥/٤/١٩٨٩، ص ٣١ ـ ٣٣.

١١١ القاسم، مروان؛ «السوريون خائفون من اسرائيل اذا خرجوا من لبنان؛ المتغيرات على الارض في الضفة وغزة اصبحت مؤثّرة»، **الوطن العربي**، السنة ١٣، العدد ٦٣٣، ٣١/٣/١٩٨٩، ص ٢٢ ـ ٢٥.

١١٢ القاق، أنيس؛ «عشر سنوات [اعتقال] لمن يزرع شجرة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤١، ١٩/٣/١٩٨٩، ص ٣٤ ـ ٣٥.

١١٣ موليمان، يورغين (وزير التربية والتعليم في جمهورية المانيا الاتحادية)؛ «على اسرائيل الافادة من الاعتدال الفلسطيني»، **المجلة**، العدد ٤٧٨، ٥/٤/١٩٨٩، ص ١١.

١١٤ اليحيى، عبدالرزاق؛ «نعمل لفلسطنة المناهج [التعليمية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٤٤، ٩/٤/١٩٨٩، ص ٢٤ ـ ٢٥.

١١٥ Assad, Hafez; "[Palestine is Not the whole of the Problem; Israel Aspires to the Establishment of a State from the Nile to the Euphrates]", *Time*, No. 14, 4/4/1989, pp. 36 - 37.

اليهود في العالم

١١٦ المسيري، عبدالوهاب؛ «وحدة الشعب اليهودي؛ دراسة في سمات الاقليات اليهودية»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٠، العدد ٧٣، تموز ـ أيلول (يوليو ـ سبتمبر) ١٩٨٩، ص ١٩٠ ـ ١٩٥.

١١٧ Hoffman, Charles; "A Gap of Confusion on Who's a Jew", *The Jerusalem Post*, 4/3/1989, p. 17.

١١٨ Needham, Paul; "The Fears and Changing Perceptions of British Jewry", *Middle East International*, No. 345, 3/3/1989, pp. 19 - 20.

الكتب ـ عروض ومراجعات

١١٩ جامعة الدول العربية ـ الامانة العامة؛ التقرير الاقتصادي العربي الموحّد، ١٩٨٨، **المستقبل العربي** (بيروت)، السنة ١١، العدد ١٢١، آذار (مارس) ١٩٨٩، ص ١٤٢ ـ ١٥٢.

١٢٠ الخالدي، وليد؛ قبل الشتات؛ التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني، ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨، **الفكر الاستراتيجي العربي** (بيروت)، السنة ٦، العدد ٢٦، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ٢٩١ ـ ٢٩٦ (مراجعة صلاح ابراهيم).

١٢١ زهران، جمال علي؛ مناهج قياس قوة الدولة مع التطبيق على توازن القوى بين الدول العربية واسرائيل، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٦، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ١٥ ـ ١٧ (مراجعة رفعت سيّد احمد).

١٢٢ رأفت، احمد؛ السينما الصهيونية وأساليب التعامل مع التراث والشعوب غير اليهودية، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٦، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٨٩، ص ٥٥ ـ ٥٧ (مراجعة محمود قاسم).

١٢٣ فيلدمان، شاي؛ الخيار النووي الاسرائيلي (بالعبرية)، **الصداقة**، السنة ٢، العدد ٧، ١٩٨٩، ص ١٦٤ ـ ١٧١.

١٢٤ اللجنة السوفياتية للصداقة والتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني، فلسطين تحت براثن الصهيونية (بالروسية)، **الصداقة**، السنة ٢، العدد ٧، ١٩٨٩، ص ١٥٩ ـ ١٦٣.

١٢٥ الموسوعة الفلسطينية؛ القسم العام، **الفكر الاستراتيجي العربي**، السنة ٦، العدد ٢٦، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٩، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩ (مراجعة ص. ا.).

١٢٦ هلال، علي الدين (محرر)؛ دراسات في السياسة الخارجية المصرية من ابن طولون الى أنور السادات، **المستقبل العربي**، العدد ١٢١، آذار (مارس) ١٩٨٩، ص ١٥٣ ـ ١٥٧ (مراجعة جميل مطر).

١٢٧ Ang, Swee Chai; *From Beirut to Jerusalem, The Middle East*, No. 174, April 1989, pp. 40 - 41 (Reviewed by Pat Lancaster).

Barnaby, Frank; *The Invisible Bomb; The Nuclear Arms Race in the Middle East,* ***The Middle East,*** No. 174, April 1989, p. 41 (Reviewed by Andrew Lycett). ١٢٨

Cossali, Paul and Clive Robson; *Stateless in Gaza,* ***Middle East Report,*** Vol 19, No. 2 (157), March (April) 1989, P. 45 (Reviewed by Rania Atalla). ١٢٩

Patai, Raphael; *The Seed of Abraham; Jews and Arabs in Contact and Conflict,* ***The Jerusalem Post,*** 1/4/1989, p. 16 (Reviewed by Nissim Rejwan). ١٣٠

Said, Edward and Christopher Hitchens (Eds); *Blaming the Victims; Spurious Scholarship and the Palestinian Question,* ***The Jerusalem Post,*** 25/3/1989, p. 15 (Reviewed by Nissim Rejwan). ١٣١

Viorst, Milton; *Sands of Sorrow; Israel's Journey from Independence,* ***Middle East International,*** No. 346, 17/3/1989, pp. 22 - 23 (Reviewed by Francis Ghiles). ١٣٢

الكتب

١٣٣ ابو يصير، صالح مسعود؛ **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن**، القاهرة: دار البيادر للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩.

١٣٤ بهبهاني، هاشم؛ **الاتحاد السوفياتي والقومية العربية، ١٩١٧ ـ ١٩٦٦**، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٩.

١٣٥ الجامعة العبرية ـ معهد هاري س. ترومان للدراسات السلمية، **بيبليوغرافيا مشروحة لجميع الكتب والنشرات العربية التي صدرت حتى نهاية العام ١٩٨٨**، القدس: معهد هاري ترومان، ١٩٨٩، ٨٠٠ صفحة.

١٣٦ حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)؛ **مخيم الثورة مخيم جباليا بعد عام من الانتفاضة**، تونس: «فتح»، بلا تاريخ نشر، ١٣٥ صفحة.

١٣٧ ـــــ ، **مخيم بلاطة بعد اربعة عشر شهراً من الانتفاضة**، تونس: «فتح» بلا تاريخ نشر، ٧٩ صفحة.

١٣٨ ـــــ ، **مدينة بيت ساحور بعد اربعة عشر شهراً من الانتفاضة**، تونس: «فتح»، بلا تاريخ نشر، ١٠٣ صفحات.

١٣٩ ـــــ ، **مدينة قلقيلية بعد عشرة اشهر من الانتفاضة**، تونس: «فتح»، بلا تاريخ نشر، ١٠٨ صفحات.

١٤٠ الحسن، خالد؛ **اشكال الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي**، عمّان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٩.

١٤١ عايد، خالد؛ **الانتفاضة الثورية في فلسطين؛ الابعاد الداخلية**، عمّان: دار الشروق، ١٩٨٨، ١٢٩ صفحة.

١٤٢ عزازي، صباح السيد؛ **قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية**، عمّان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٩، ١٧٥ صفحة.

١٤٣ عقل، عبداللطيف؛ **البلاد طلبت أهلها** (مسرحية)، عمّان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ١٧٠ صفحة.

١٤٤ اللبدي، محمود؛ **الاعلام الصهيوني؛ الحملة على الاتحاد السوفياتي**، نيقوسيا: شرق برس، ١٩٨٩، ١٨٤ صفحة.

١٤٥ لوران، آني وانطوان بصبوص؛ **الحروب السرية في لبنان**، بيروت: دار مختارات، ١٩٨٧، ٢٠٨ صفحات.

١٤٦ Cohen, A.; *Economic Life in Ottoman Jerusalem,* Cambridge: Cambridge University Press, 1989, 200 Pages.

١٤٧ Gutman, Yisrael (*et al*); *The Jews of Poland between Two World Wars,* Hanover, N.H.: University Press of New England, 1989, 544 Pages.

١٤٨ Kam, Ephraim; *Surprise Attack; The Victim's Perspective,* Boston: Harvard University Press, 1989.

١٤٩ Khalaf, S.; *Lebanon's Predicament,* New York: Columbia University Press, 1988.

١٥٠ Malino, Frances; *The Jews in Modern France,* Hanover, N.H.: University Press of New England, 1989, 368 Pages.

١٥١ McDermott, A. (*et al*); *Egypt under Mubarak,* London: Routledge, 1989, 208 Pages.

١٥٢ McDowal, David; *Palestine and Israel; The Uprising and beyond,* London: I.B. Tauris & Co. Ltd, 1989.

١٥٣ *Punishing a Nation; Human Rights Violations during the Palestinian Uprising, December 1987 - December 1988,* Ramallah, West Bank: Al-Haq / Law in the Service of Man, 1988, 335 Pages.

١٥٤ Rajab, Jehan; *Palestinian Costume,* London: Kegan Paul International, 1989, 200 Pages.

١٥٥ Roland, Joan G.; *Jews in British India; Identity in a Colonial Era,* Hanover, N.H.: University Press of New England, 1989, 371 Pages, Plates and Illus.

١٥٦ Wright, Clifford A.; *Facts and Fables; The Arab-Israeli Conflict,* London: Kegan Paul International, 1989, 260 Pages.

١٥٧ Yadlin, R.; *An Arrogant Oppressive Spirit; Anti-Zionism as Anti-Judaism in Egypt,* Oxford: Pergamen Press, 1989, 120 Pages.

اعداد: ماجد الزبيدي

يصدر قريباً عن مركز الابحاث

جامعة الدول العربية وقضية فلسطين
(١٩٤٥ - ١٩٦٥)

تأليف
مروه جبر

شؤون فلسطينية

ترحّب مجلة شؤون فلسطينية بالمواد التي تصلها للنشر من الباحثين والكتاب، سواء الدراسات أو المقالات أو مراجعات الكتب أو التقارير عن الندوات واللقاءات الفكرية والمجالات المختلفة الاخرى، على ان يكون لموضوعاتها صلة باهتمامات المجلة بالقضية الفلسطينية، بابعادها المختلفة خاصة والصراع العربي ـ الصهيوني عامة.

وترجو شؤون فلسطينية من الراغبين في المساهمة في موضوعاتها ملاحظة ان المجلة لا تعيد نشر أي مادة سبق نشرها بأي طريقة من طرق النشر، ولا تنشر مواد مترجمة. كما ترجو مراعاة ما يلي:

١ ـ يفضّل ان ترسل المادة مطبوعة على الآلة الكاتبة، على وجه واحد من الورقة مع فراغ مضاعف بين السطور.

٢ ـ في الكتابة اليدوية، ينبغي ترك سطر فراغ بين كل سطرين مكتوبين، مع توخي كتابة الاسماء والارقام، وكذلك الكلمات المدرجة بلغات أجنبية، بشكل واضح لا التباس فيه، وان تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة أيضاً.

٣ ـ عند اقتباس نصوص أو معلومات من مصدر ما، ينبغي الاشارة إلى المصدر وفق قواعد الاقتباس المتعارف عليها أكاديمياً. ونشير، فيما يلي، إلى أكثرها شيوعاً:

- بالنسبة إلى الكتب، يذكر اسم المؤلف (واسم المترجم اذا اقتضى الأمر)، والعنوان الكامل للكتاب مع ذكر رقم الجزء أو المجلّد أو الطبعة ان وجدت، واسم المدينة التي صدر فيها، واسم الناشر، وتاريخ النشر، ثم رقم الصفحة أو الصفحات المقتبس منها. واذا غابت عن الكتاب أي من هذه المعلومات، ينبغي الاشارة إلى ذلك، كأن يكتب: بلا ناشر، بلا تاريخ نشر، الخ.
- بالنسبة إلى الصحف اليومية، يذكر اسم الصحيفة، والمدينة التي تصدر فيها، وتاريخ صدورها. اما اذا تمّ الاقتباس من مقالة أو دراسة منشورة في صحيفة يومية، فلا بدّ من ذكر عنوانها واسم كاتبها.
- بالنسبة إلى المجلات الاسبوعية والشهرية والدورية، تذكر اسماؤها، والمدن التي تصدر فيها، وتواريخها، وأرقام الاعداد أو المجلدات، وكذلك اسماء كُتّاب الموضوعات المقتبس منها، وعناوينها، وارقام الصفحات.
- عند الاقتباس من مصدر باحدى اللغتين، الانجليزية أو الفرنسية، تكتب المعلومات عنه بلغته هذه. اما الكتب باللغات الأخرى، فتترجم المعلومات بشأنها إلى اللغة العربية.
- في الدراسات والمقالات، تذكر المصادر في حواش تحمل أرقاماً متسلسلة وتوضع في نهاية الدراسة أو المقالة.
- في التقارير والمراجعات وما شابه توضع المصادر في مكانها، في سياق المتن.

ISSN 0258 - 4026

SHU'UN FILASTINIYAH

(Palestine Affairs)

No. 194 , May 1989

Published monthly in Arabic, for the P.L.O. Research Center, by
Al - Abhath Publishing Co. Ltd
92 Gregoris Afxentiou Street,
P.O.Box 5614, Nicosia, Cyprus

Tel 461140, Fax 459729, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

Annual Subscription

Surface Mail: Arab countries & Europe - Individuals: $40, Institutions: $50 (add $30 for airmail postage); Other countries - Individuals: $50, Institutions: $60 (add $50 for airmail postage)

الثمن دينار في الاردن والكويت ▪ ١,٥ جنيه في مصر والسودان ▪ ١,٥ دينار في العراق
وليبيا ▪ ١٥ درهماً في دولة الامارات العربية المتحدة ▪ دينار في تونس ▪ ١٠
دراهم في المغرب ▪ ١٠ دنانير في الجزائر ▪ دولاران في الاقطار العربية الاخرى